

الدكتورة فلكة ابنيض

التربية والثقافة العربية - الإسلامية  
في الشام والجزيرة

خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة

بالاستناد إلى مخطوطات تاريخ مدينة دمشق، لابن عسكـر

(٤٩٩ - ٥٧١ هـ / ١١٠٥ - ١١٧٦ م)

دار العلم للملايين  
بيروت

منتدی سور الأزبکیه

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

التربية والثقافة العربية الإسلامية  
في الشام وجزيرة

الدكتورة ملكة أبيض

# التربية والثقافة العربية - الإسلامية في الشام والجزيرة

خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة

بالاستناد إلى مخطوط « تاريخ مدينة دمشق » لابن عسّاك

(٤٩٩ - ٥٧١ هـ / ١١٠٥ - ١١٧٦ م)

دار العلم للملايين

ص. ب. ١٠٨٥ - بيروت

تلخيص: ٢٣١٦٦ - لبنان

جميع الحقوق محفوظة لـ  
دارالعلم للملادين

الطبعة الأولى  
آب (أغسطس) ١٩٨٠

## الإهداء

إلى ساطع الحصري  
الذي وضع اللبنة الأولى  
في بناء التربية العربية  
الحديثة.



## كلمة اعتراف وتقدير

حين بدأ العرب في العصر الحديث محاولاتهم لإقامة أنظمة تعليم تجمع بين الأصالة والمعاصرة، أصبحت الحاجة ملحة للبحث في تاريخ التربية العربية - الإسلامية. فقد أدرجت هذه المادة بين مقررات الدراسة في كليات التربية، وألّفت فيها كتب قيمة غدت مراجع مدرسية للأساتذة والطلاب، وأهمها:

خليل طوطح: التربية عند العرب.

أساء فهمي: مبادئ التربية الإسلامية.

محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام.

أحمد شلي: تاريخ التربية الإسلامية.

أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام.

وعندما كُلفت بتدريس هذا المقرر في كلية التربية بجامعة دمشق عام ١٩٧١، لفت انتباهي قلة المعلومات الواردة في هذه المراجع فيما يتعلق بالقرون الثلاثة الأولى للهجرة.

وفي لقاء لي عام ١٩٧٢ مع الأستاذ نيكيتا إيليسيف، الأستاذ المتخصص بتاريخ المشرق الإسلامي في العصر الوسيط بجامعة ليون الثانية بفرنسا، أثرت هذه الملاحظة، فاقترح عليّ الرجوع إلى مخطوط «تاريخ مدينة دمشق» لابن

عساكر الذي يضم معلومات وفيرة حول هذه الفترة، وتفضل قبل الإشراف على رسالة أعدّها في هذا الموضوع للحصول على دكتوراه دولة من الجامعة التي يعمل فيها.

وانكببت حالاً على العمل. فتطلبت مني قراءة المخطوط وتسجيل المعلومات الواردة فيه ثلاث سنوات، وتحقيق الأعلام بالاستناد إلى كتب التراجم المطبوعة سنة رابعة، وتصنيف المعلومات ونقلها إلى جداول سنة خامسة، وكتابة البحث سنة سادسة.

ولا أنكر أن الشك في الوصول إلى نتيجة طيبة لازمني طوال السنوات الخمس الأولى، فقد كانت المعلومات التي أحصل عليها مفتتة كحبات الرمال، ليس هناك ما يربط بينها أو يربطها بالموضوع بصورة مباشرة. ولكن غنى المرجع الذي اعتمدته، والإمكانات الواسعة التي أتاحتها الطريقة التي وضعتها أبقنتني مشدودة إلى العمل.

والآن وقد انتهت الدراسة، يطيب لي أن أذكر ما أدين به للأستاذ نيكيتا ايليسيف الذي اقترح مرجع الدراسة، وأشرف على إعدادها، فقد كان لتشجيعه ونصائحه فضل كبير في إنجازها.

كما يطيب لي أن أذكر فضل الأستاذ اندره ريمون، مدير المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق آنذاك، الذي قاد خطاي في التعرف على مصادر دراسة التراث العربي - الإسلامي في المعهد.

ولا بد لي أن أذكر أنني لاقيت خلال هذه الفترة الطويلة رعاية ومساعدات جلتى من المؤسسات الثقافية العاملة بدمشق، وأخص بالذكر منها: المجمع العلمي العربي، ودار الكتب الظاهرية، والمعهد الفرنسي للدراسات

العربية، ومكتبة وزارة التربية. فألى المسؤولين والموظفين في هذه المؤسسات أوجه شكري وتقديري العميقين.

كما أخص بالشكر زوجي الشاعر سليمان العيسى والزميل الأستاذ محمد سليم بركات، فقد أعاد كل منها قراءة الرسالة وأبدى العديد من الملاحظات القيمة من حيث الشكل والمضمون.

ولا بد من كلمة شكر أيضاً للزميل الرسام أحمد جودة يعقوب آغا، الذي قام برسم الخرائط والخطوط البيانية التي تطلبتّها الدراسة.

وأود أن أشير في نهاية هذه الكلمة إلى أن ما أقدمه هنا هو الترجمة العربية للرسالة التي كتبها في الأصل باللغة الفرنسية تحت عنوان:

Culture et Education Arabo-Islamiques au Sham,  
pendant les trois premiers siècles de L'Islam. D'après  
«Tarikh Madinat Dimashq» d'Ibn Asakir.

ملكة أبيض

دمشق: ١ / ١ / ١٩٨٠

## المقدمة

أعطت الحضارة العربية- الإسلامية في أوج ازدهارها نظاماً تربوياً متميزاً عما تمخضت عنه الحضارات الأخرى.

وقد عني الباحثون في القرن الحالي على الأخص بالتعرف على مزايا هذا النظام ومواطن ضعفه. إلا أن معظم الدراسات التي نشرت وقعت في خطأين:

الأول: أنها نظرت للنظام التربوي العربي الإسلامي في جملته بمعزل عن العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أحاطت به.

والثاني: أنها استقت معلوماتها من كتب التربية العربية القديمة، وهذه الكتب تنزع نزعة مثالية « من حيث أنها، إذا استثنينا بعض المبادئ الأولية، تعالج واجبات المعلمين والمتعلمين، وتلح على أن لا هدف لطلب العلم إلا مرضاة الله »<sup>(١)</sup>.

إنني لا أنفي وجود خطوط رئيسة للنظام التربوي العربي الإسلامي مشتركة بين جميع الأقطار التي عملت به، ولكنني أعتقد أن امتداد العالم

---

- A. S. Tritton: Materials on Muslim Education in the Middle Ages, Préface, P. VII. (١)

الإسلامي على رقعة واسعة من الأرض تضم شعوباً مختلفة وثقافات متنوعة، أضف إلى ذلك أثر الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة، كل ذلك جعل من الطبيعي ظهور فوارق في التربية بين مصر وآخر، وحدث تطور فيها من حين لآخر. لذلك كان من الضروري قيام دراسات تتناول إطاراً محدداً من حيث الزمان والمكان.

كما أنني لا أنكر أثر المثل في النظام التربوي، ولكن الدراسة الموضوعية تقتضي ألا يتخذ المثل بديلاً عن الواقع، لأن الواقع حصيلة مجموعة من العوامل لا عامل وحيد. لذلك كان من الضروري أيضاً اللجوء إلى مراجع متنوعة ككتب الطبقات والتاريخ لإعطاء صورة أكثر واقعية عن التربية العربية الإسلامية. وهذه المراجع وفيرة في التراث العربي، ولكن استخدامها يتطلب الاستعانة بطرائق البحث في العلوم الاجتماعية، لأن ما يمكن استخلاصه منها عن طريق الإحصاء يوازي أو يفوق في أهميته ما يستخلص بصورة مباشرة من خلال التراجم.

وقد عملت في هذه الدراسة على تلافي هذين الخطأين. لذلك حرصت اهتمامي بالوضع الثقافي والتربوي في مكان محدد ببلاد الشام والجزيرة، وزمان محدد بالقرون الثلاثة الأولى للهجرة، واعتمدت مرجعاً رئيساً « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر، الذي عاش ما بين ٤٩٩ / ١١٠٥ و ٥٧١ / ١١٧٦. وهذا المرجع من أضخم كتب التراجم انتقيت أعلامه من حل هذه المنطقة أو وزدها من بداية التاريخ حتى وفاة المؤلف، وهو ما يزال مخطوطاً في معظم أقسامه.

وقد استندت في تحديد الإطار الجغرافي للدراسة إلى المفهوم السائد في « تاريخ مدينة دمشق » حول نواحي هذه المدينة. وهو يمتد إلى الحدود

المعروفة قديماً لبلاد الشام، من بالس إلى العريش طولاً ومن جبلي طيء إلى بحر الروم عرضاً، ويضم منطقة الجزيرة التي تؤلف القسم العلوي من بلاد ما بين النهرين، ومنطقة الثغور الشمالية التي تجاوزت جبال طوروس في بعض الأوقات، كما يضم دومة الجندل في شمالي الجزيرة العربية.

أما الإطار الزمني فيبدأ مع الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام ويتوقف عند بداية القرن الرابع لأهمية هذه الفترة في وضع أسس التربية العربية الإسلامية، ونقص المعلومات حولها في الدراسات التي تعالج تاريخ هذه التربية. وقد توقفت عند بداية القرن الرابع لأنه يفتتح عهد التجزئة في الشام على الصعيدين السياسي والعقائدي، ويدخل متغيرات تتطلب دراسة مستقلة.

هناك ملاحظة لا بد منها فيما يتعلق بمفهوم تاريخ التربية الذي استهديت به في هذه الدراسة.

فقد أخذت بعين الاعتبار أن الثقافة العربية الإسلامية لم يكن بمقدورها أن تنتج خلال القرون الثلاثة الأولى نظاماً للتعليم يضم مؤسسات تربوية متميزة محددة. أما الشواهد والأخبار التي حصلت عليها فيما يتعلق بهذه الفترة فلا يمكن أن تكسب أهمية علمية إلا إذا نظرنا إلى التربية بالمفهوم الذي يقترحه « جورج دوبي » في إطار « تاريخ عقليات الشعوب »، والذي يتابع فيه وجهة نظر « لوسيان فيشر » في هذا المجال.

يقول جورج دوبي: إن تاريخ التربية يهتم بدراسة « جميع الوسائل التي تنقل النماذج الثقافية إلى الأفراد »<sup>(٢)</sup>.

---

(٢) – Georges Duby, « Histoire des mentalités », in, Charles Samaran (édit), L'Histoire et ses méthodes, p. 957.

ويعني ذلك أن تاريخ التربية يجب ألا يقتصر على دراسة المؤسسات المدرسية، بل إن عليه أن يعطي نفس الأهمية لجميع الظروف التي يتم فيها الاتصال بين الفرد ومحيطه، كالاتجاهات والأسواق والقوافل التجارية والحملات العسكرية وغيرها، ولجميع أشكال الاتصال كالرواية والوعظ والمذاكرة والمناظرة والرسائل وتسجيل الملاحظات وغيرها. كما يجب أن يفحص النماذج التي أكسبت تربية ما طابعها الخاص، والتصورات التي كوتتها جماعة ما عن الكون والحياة والدين والسياسة وغيرها من الموضوعات التي تهتم الجماعات البشرية في جميع العصور. وهذه المعلومات متوافرة إلى حد بعيد في كتب التراجم.

أما فيما يتعلق بالطريقة، فإن المؤرخين المعاصرين حققوا تقدماً مرضياً في تطبيق الطرائق الكمية التي يستعين بها علماء الاجتماع، بغية معالجة الكمية الكبيرة من المعلومات التي يستخدمونها في بحوثهم. وقد ظهرت محاولات لتطبيق هذه الطرائق في الدراسات الإسلامية نفسها<sup>(٣)</sup>. لذلك عمل هذا البحث على تكييف هذه الطرائق مع مجال تاريخ التربية العربية الإسلامية بغية الإفادة من المادة الغزيرة التي تزخر بها كتب التراجم، والتي لم تستغل إلا جزئياً حتى الآن.

وقد استطعت بفضل الطريقة التي وضعتها، استغلال « تاريخ مدينة دمشق » بصورة تخدم أغراض البحث، وإيجاد بعض الاتساق في مادته المفتتة الموزعة على عدد كبير من التراجم. أما المراجع الإضافية، فكان دورها يقتصر على سد الثغرات، ومقابلة المعلومات الواردة فيه مع غيرها للتأكد من

---

(٣) أنظر – Dominique Urovoy: Approche Sociologique de L'Islam Andalou, 1974.

صحتها. إلا أنه بقي هناك تفاوت كبير، من حيث الكم والكيف، في المعلومات المتوافرة بالنسبة للموضوعات المطروحة، مما أدى إلى تفاوت في طول فصول الكتاب وغناها.

بعد أن لفتنا الانتباه في القسم الأول من هذا الكتاب إلى مكانة كتب التراجم في التأريخ العربي-الإسلامي، ولا سيما في جوانبه الثقافية والاجتماعية، عرّفنا بـابن عساكر وبتاريخ مدينة دمشق، نظراً لأثر نشأة المؤلف واهتماماته في اختيار الأعلام الذين ترجم لهم والمعلومات التي ذكرها عنهم في التراجم. كما أشرنا إلى القطاعات التربوية التي مُثِّلت بصورة أفضل في المرجع، ولذلك شغلت حيزاً أكبر في هذه الدراسة.

ثم حددنا الإطار الجغرافي والزماني والبشري للدراسة، ووصفنا الخطوات التي اتبعناها في مختلف مراحلها.

ونظراً للدور الذي شغله الحكام في أمور التربية والثقافة في تلك الفترة، وزعنا المعلومات التي حصلنا عليها فيما يتعلق بالثقافة والتربية على القسمين الثاني والثالث من هذا الكتاب، فخصصنا القسم الثاني بدور الحكام، والثالث بدور أفراد الجماعة.

وقد واجهنا أثناء ذلك صعوبات كبيرة، لأن الحكام استعانوا بأفراد الجماعة لوضع قراراتهم موضع التطبيق، كما أنهم اتخذوا تلك القرارات بتأثير ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية محددة. على أننا حاولنا حذف التكرار، بتغيير مركز الاهتمام في كل من القسمين.

وقد استعرضنا، فيما يتعلق بدور الحكام، نشاط الخلفاء و كبار المسؤولين الذين كانت لهم صلة واضحة بالتربية في الشام والجزيرة في عهد الخلفاء

الراشدين والأمويين والعباسيين الأوائل، عاملين كلما أمكن ذلك على تفسير هذا النشاط على ضوء الظروف المحيطة بهم من جهة، وعلى ضوء ما ذكر عن شخصية الحاكم والتربية التي حصل عليها. كما عملنا على استخلاص الناجح الثقافية التي اهتموا بها في عملهم.

أما فيما يتعلق بدور الجماعة فقد نظرنا في البداية إلى الجوانب الكيفية للأنشطة التي ظهرت في إطارها. فتحدثنا عن نظام التربية الناشئ من حيث أهدافه ومراحله ومناهجه والطرائق المتبعة فيه مع ذكر الأعلام الذين ساهموا في تكوينه والمشكلات الاقتصادية والفكرية التي واجهوها.

ثم انتقلنا إلى الجوانب الكمية في هذه الأنشطة، مع تركيز الاهتمام على ما قام به أهل الشام والجزيرة انسجاماً مع الإطار الذي حددناه لهذه الدراسة.

وقد عني المؤلف بالوافدين على الشام من الأمصار الإسلامية الأخرى. ونظراً للدور الكبير الذي قام به هؤلاء في الثقافة والتربية، فقد أفردنا فصلاً خاصاً لزياري الشام، وآخر للتبادل الثقافي بين الأقطار الإسلامية ولا سيما عن طريق الرحلة في طلب العلم، مؤكداً على أهمية هذا التبادل في توحيد التربية العربية الإسلامية في إطار من التنوع حسب الزمان والمكان.

وأود أن أذكر في نهاية هذه الكلمة السريعة بأن المرجع الذي اعتمدته في هذه الدراسة هو من الفنى بحيث لا تستطيع دراسة واحدة استنفاد جميع المعلومات التي يضمها بين دفتيه.

كما أنني لا أدعي أنني استطعت في هذه الدراسة، وهي الأولى من هذا

النوع، التغلب على جميع الصعوبات التي واجهتها فيما يتعلق بطريقة البحث وعرض النتائج.

إن هي إلا بداية متواضعة في مجال جديد كل الجدة. أمل أن تكون قد مهدت الطريق لدراسات أكمل وأدق تقوم فيما بعد.



القسم الأول

مواد البحث وطريقته



## ١ - أدب التراجم كمرجع للبحث

### في الثقافة والتربية العربية الإسلامية

هناك سؤالان يتبادران الى الذهن لدى معالجة هذا الموضوع وهما:

١ - ما الذي تستطيع معاجم التراجم أن تقدمه فيما يتعلق بتاريخ التربية العربية الإسلامية؟

٢ - وإذا كانت معاجم التراجم تتضمن معلومات قيمة، فكيف نستطيع الاستفادة منها في إعادة بناء هذا التاريخ؟

للإجابة عن هذين السؤالين، سنبدأ أولاً ببيان مكانة هذا النوع من الأدب ضمن الكتابات التاريخية، ثم نعطي لمحة عن المؤلف والمؤلف الذي استندت إليه هذه الدراسة، ونصف الخطوات التي اتبعتها لاستخلاص أكبر قدر من المعلومات التي يتضمنها، مستعينين بطرائق العلوم الاجتماعية الحديثة.

### أ - مكانة أدب التراجم

#### في الكتابات التاريخية العربية

لن نناقش هنا موضوع ما اذا كان من الممكن النظر الى كتب التراجم

على أنها جزء من الكتابة التاريخية أو شكل من أشكالها، فهذا الموضوع لا يمكن أن يكون موضع خلاف.

لقد عالج أسلافنا موضوعات شتى بهذا الأسلوب، في مؤلفات مستقلة اتخذت اسماء: السير والطبقات والتاريخ العام والخاص وغيرها؛ أو خلال مؤلفات تاريخية أخرى، وهذه الظاهرة تعود كما سنرى الى الطابع الخاص للثقافة العربية.

ولبيان الأهمية التي اكتسبها أدب التراجم خلال تطور التأريخ العربي، يكفينا أن نذكر تصنيف موضوعات التاريخ الذي ينسب للمؤرخ الكبير محمد ابن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ / ١٣٤٨)<sup>(١)</sup>، والذي أورده السخاوي (ت ٩٠٢ / ١٤٩٧)<sup>(٢)</sup>، مشيراً الى أنه قرأه في نسخة بخط الذهبي نفسه. ويتضمن هذا التصنيف الأبواب الآتية:

- ١- سيرة النبي (ص)
- ٢- قصص الأنبياء.
- ٣- تاريخ الصحابة.
- ٤- تاريخ الخلفاء من الصحابة ومن بني أمية وبني العباس ومعهم المروانية بالأندلس والعميدية بالمغرب ومصر.
- ٥- تاريخ الملوك والدول والأكاسرة والقياصرة ومعهم ملوك الإسلام كابن طولون والإخشيدي وابن بويه وابن سلجوق ونحوهم وملوك خوارزم والشام وملوك التتار ومن لقب بالملك.

---

(١) راجع كحاله: معجم المؤلفين، ج ٨، ص ٢٨٩.

(٢) السخاوي: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٨٤

- ٦- تاريخ الوزراء أولهم هرون وأبو بكر وعمر وطائفة... وبعضهم دخل في الأنبياء وفي الخلفاء وغير ذلك وفي الملوك .
- ٧- تاريخ الأمراء والأكابر ونواب الممالك وكبار الكتاب ومنهم خلق من الموقعين وبعضهم أدباء وشعراء .
- ٨- تاريخ الفقهاء واصحاب المذاهب وائمة الأزمنة والفرّضيين ، ويدخل فيه اهل الاجتهاد .
- ٩- تاريخ القراء بالسبع .
- ١٠- تاريخ الحفاظ .
- ١١- تاريخ مَشِيخَة المحدثين وأئمتهم .
- ١٢- تاريخ المؤرخين .
- ١٣- تاريخ النحاة والأدباء واللغويين والشعراء والبلغاء والعروضيين والحساب .
- ١٤- تاريخ العبّاد والزُهّاد والأولياء والصُوفية والنُساك .
- ١٥- تاريخ القضاة والولاة ومعهم تاريخ الشهود والأمناء .
- ١٦- تاريخ المعلمين والورّاقين والقصاص والطُرُقِيّة والغرباء .
- ١٧- تاريخ الوعّاظ والخطباء وقُرّاء الأنعام والنُدماء والمطربين .
- ١٨- تاريخ الأشرف والأجواد والعقلاء والأذكياء والحكماء .
- ١٩- تاريخ الأطباء والفلاسفة والزنادقة والمهندسين ونحو ذلك .

٢٠- تاريخ المتكلمين والجهمية والمعتزلة والأشعرية والكرامية  
والمجسمة.

٢١- تاريخ أنواع الشيعة من الغلاة والرافضة وغير ذلك.

٢٢- تاريخ فنون الخوارج والنواصب وأنواع المبتدعة وأهل الأهواء.

٢٣- تاريخ أهل السنة من علماء الأمة وصفويتها وفقهائها ومحدثيها.

٢٤- تاريخ البخلاء والطفيلية والثقلاء والأكلة وذوي الحُمق والخيلاء  
والسفهاء.

٢٥- تاريخ الأضرأء والزمنى والصم والحرس والحُدبان.

٢٦- تاريخ المنجمين والسحرة والكيائيين والمطالبين والمشعوذين.

٢٧- تاريخ النسابين والإخباريين والأعراب.

٢٨- تاريخ الشجعان والفرسان والشطار والسعاة.

٢٩- تاريخ التجار وعجائب الاسفار في البحار وغرباء البحرية  
والمجردين.

٣٠- تاريخ أولي الصنائع العجيبة والرّشقين في أشغالهم واقتراحهم  
وتوليدهم فنون الأعمال.

٣١- تاريخ الرهبان وأولي الصوامع والخلوات والاحوال الفاسدة.

٣٢- تاريخ الائمة والمؤذنين والموقنين والمعبرين والعامّة.

٣٣- تاريخ قطع الطرق والفسادية ولُغاب الشطرنج والنرد والقمار.

٣٤- تاريخ الملاح والعشاق والتيمّين والرقاصين وشربة الخمر وأهل  
العهر والخلاعة والقيادة والكذب والأبنة.

٣٥- تاريخ أولي الدهاء والحزم والتدبير والرأي والخداع والحيل.

٣٦- تاريخ (المنديين) والمخاتلين والصانعين والفرشيين والمخنثين وأهل  
المجون والمزاح والتبخر والتلاد والكذب.

٣٧- تاريخ عقلاء المجانين والموسوسين والمرورين والمدمغين والمطعومين.

٣٨- تاريخ السائلة والشحاذين والتمنين والخرافشة والجمرية.

٣٩- تاريخ قتلى القرآن والحب والسماع والفزع والحال.

٤٠- تاريخ الكهان وأولي الخوارق والكشف الذي كأنه كرامات من  
الفسقة.

وهذا التصنيف. بالرغم من أنه لا يضم جميع الفئات التي كتب عنها  
المؤرخون العرب، يعكس مفهوماً للتاريخ يعطي الرجال وصفاتهم المقام الأول،  
ويهمل الزمن والتغيرات التي ترافقه الى حد بعيد.

إنه المفهوم السائد في أدب التراجم. لذلك لا يستطيع الباحث الذي  
يعتمد على مراجع من هذا النوع استخلاص النتائج وإعادة بناء التاريخ إلا  
إذا جمع عدداً كبيراً من التراجم وصنفها بالاستناد الى موضوع بحثه.

وإذا كان أدب التراجم يحمل في طياته نقطة الضعف هذه، فما هي  
الأسباب التي أدت الى انتشاره؟ وهل تعود هذه الأسباب الى طبيعة الثقافة  
العربية أم الى المؤثرات الخارجية؟

يحتل إلى أن هذه الأسباب تتصل إلى حد بعيد بعناصر ثقافية عربية جاهلية، وإن معاجم التراجم حصيلة تطور كمي وكيفي لهذه العناصر.

وأريد أن ألفت الانتباه هنا إلى أن هذه الفرضية في المحاحها الخاص على التطور المنسجم للثقافة العربية في بداية الإسلام، لا تنفي أثر الاتصال بالثقافات الأخرى والاستفادة منها، وإنما تميل إلى توكيد أن المؤثرات الخارجية لم تحطّ بمجرى جديداً للثقافة العربية الجاهلية، ولم تحدث انقطاعاً فيها.

وها أنذا أسوق لمحة تاريخية لتوضيح ذلك.

## ب - منشأ معجم التراجم وتطوره في التأريخ العربي الاسلامي

### ١ - الجاهلية: مرحلة النقل الشفوي

إن التأريخ العربي جزء لا يتجزأ من الثقافة العربية. فعلى صعيد الموضوعات التي عالجها، وأشكال الرواية التي تبناها، يستطيع الباحث أن يميز فيه خصائص واضحة.

ومن المعروف أن التراث العربي الجاهلي يضم نوعين من الروايات ذات الصلة بالتاريخ، وهما «أيام العرب» و«الأنساب». وفي كلا النوعين نستطيع أن نميز تلك الصفة التي طبعت التأريخ العربي - الإسلامي بطابعها، وهي تركيز الاهتمام على الأعمال والخصال الفردية، والنظر إليها على أنها عوامل رئيسة في مصير الجماعة.

ولنبداً بأيام العرب:

إن « الأيام » تعني الأعمال الحميدة التي قام بها أفراد تميزوا بخصال فاضلة ضد أفراد آخرين أقل جدارة منهم. وإلى هذه الخصال كان يعزى انتصار هذه القبيلة وخذلان تلك.

ولنأخذ على سبيل المثال « يوم مَنعج » وهو يوم انتصرت فيه قبيلة « غَنِيَّ » على « عَبَسَ ».

إن انتصار غني في هذا اليوم عُزِي لشجاعة رياح بن الأسل الغنوي ومهارته في تسديد النبال ضد خصميه العبسين<sup>(٣)</sup>.

أما في يوم « النفراوات »، وهو يوم انتصرت فيه « عامر » على « عبس »، فإن خذلان عبس عُزِي إلى عجرفة زهير بن جذيمة العبسي وعدم تضامنه مع قبيلته<sup>(٤)</sup>.

وانطلاقاً من هذا المفهوم، يقدم ابن عبد ربه الفصل الخاص بأيام العرب في « العقد الفريد » قائلاً:

« إنها (أيام العرب) مآثر الجاهلية، ومكارم الاخلاق السنية »<sup>(٥)</sup>.  
لقد أشار عدد من المؤرخين المعاصرين إلى الصلة بين أيام العرب وأدب التراجم. ومن هؤلاء إيلز ليشتنشتادتر التي تقول: « إن أيام العرب تتحدث عن

---

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢.

شخصية هامة او عن قبيلة شهيرة»<sup>(٦)</sup>.

وعندما نتحدث ليشتنشتادتر عن الأسلوب الذي استخدمه ابن اسحاق في «سيرة النبي» نلاحظ: «ان أسلوب هذه السيرة شديد القربى من أسلوب الأيام، لا سيما في أجزائه التي تعالج أحداث الجاهلية وفي تلك التي تسجل مغازي الرسول»<sup>(٧)</sup>.

ويلاحظ ديلا ثيدا: «ان هذه الروايات تشكل استمراراً وتطوراً لأدب أيام العرب الذي وُضعت معالمة المتميزة في فترة سبقت الاسلام»<sup>(٨)</sup>.

وتنهي ليشتنشتادتر مقالتها معلقة: «لم يحدث انقطاع في تقاليد الرواية التاريخية عندما جاء الاسلام وغير الطابع الديني للعالم العربي»<sup>(٩)</sup>.

أما «علم الأنساب» فهو يتمثل في عرض أجيال متتابعة من الأفراد تمتعوا بصفات حميدة «مآثر»، أو صفات رديئة «مثالب»، تلك الصفات التي كانت مصدر شرف للقبيلة او عار عليها.

ولبيان هذا المفهوم نذكر القارىء أن الرسول(ص) نصح شاعره حسان بن ثابت باستشارة أبي بكر الصديق فيما يتعلق بأنسب قريش، ليتعرف على مثالبهم، ويهجو من أساء منهم الى الرسول<sup>(١٠)</sup>. كما نذكر بأن الفرزدق، في

(٦) Ilse Lichtenstadter: «Arabic and Islamic Historiography», in M. W., 35, 1945, p. 129.

Ibid. (٧)

E. I. vol. IV, p. 459, art: Sira, par levi Della Vida. (٨)

Ilse Lichtenstadter: op. cit., p. 128. (٩)

(١٠) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٢٦.

مجال فخره بقبيلته على جرير، عدد أجداده ثم قال لخصمه:

اولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع<sup>(١١)</sup>

إن خصال هؤلاء الرجال الذين ذكرهم الشاعر معروفة وذائعة على كل لسان، لذلك لم يشعر بالحاجة لعرضها في قصيدته.

وهذه الصلة بين الأنساب وأدب التراجم واضحة وضوحاً كبيراً. وقد أشار إليها عدد من المؤرخين المعاصرين. فهيفنغ مثلاً، حين يعالج نشأة كتب «الطبقات»، التي تعد من الأشكال الأولى لأدب التراجم، يرفض تفسير هذه النشأة بضرورات نقد الحديث التي ظهرت بعد الإسلام، ويرجمها إلى تطور علم الأنساب، ويقول: «إن أدب الطبقات يستمد أصوله من اهتمام العرب بالأنساب التي تتمثل بدورها بسلسلة من التراجم»<sup>(١٢)</sup>.

أما روزنتال فهو يلفت الانتباه، خلال استعراضه لبدايات التأريخ العربي - الإسلامي، إلى «أن اهتمام العرب بالأنساب سرعان ما تحول بعد الإسلام إلى اهتمام بالتراجم»<sup>(١٣)</sup>.

وإذا كانت وجهات النظر، التي عرضناها بإيجاز، تبدو لنا صحيحة كل الصحة، إلا أنها في رأينا لا تكفي لتبرير تلك الكمية الهائلة من أدب التراجم «الذي تتجلى فيه عبقرية العرب أكثر مما تتجلى في الأشكال

---

(١١) الفرزدق: ديوان، ج ١، ص ٤١٨.

(١٢) E.I., Suppl., p. 320, art: Tabaqat, par Heffening.

(١٣) Rosenthal: A History of Muslim Historiography, p. 88.

الأخرى للتاريخ « كما يقول هـ. أ. ر. جيب<sup>(١٤)</sup>.

إن تبرير هذه الظاهرة يتطلب فحصاً أكثر شمولاً ودقة للحياة الفكرية قبل الإسلام، بغرض التعرف على الأنشطة الأخرى التي كان يقوم بها العرب والتي تتصل بأدب التراجم.

وبما أن هذه النقطة تتطلب بحثاً مستفيضاً، نكتفي هنا بالإشارة إلى أن اهتمام العرب الجاهليين بأبطالهم لم يشكل إلا جزءاً من مناشطهم الفكرية. وأتينا نزلهم أشد الظلم إذا قصرنا حياتهم على ميدان الحرب والغزو. لقد كان هؤلاء يتناقلون في مجالسهم وندواتهم وأسواقهم روايات عن طوائف كثيرة من الأشخاص الذين تمتعوا بمرکز اجتماعي مرموق، أو تميزوا بفضائل فكرية وخلقية عالية، ومنهم الرؤساء والشعراء والخطباء والمنجمون والأطباء والكهان والنسابون والعالمون بالفراسة والقيافة والعرافة، ومنهم أيضاً الكرماء والحكماء والأذكاء. وبما أن الأشياء تعرف بأضدادها، فقد كانوا يتناقلون أيضاً أخبار من عرفوا بنقص فكري أو خلقي أو جسمي. وليس أدل على ذلك من تصنيف الذهبي الذي أوردناه فيما سبق.

## ٢- الإسلام: مرحلة التدوين والتصنيف والتأليف

عندما نتحدث عن هذه المرحلة يلفت انتباهنا فيها عادة انتقال العرب من الوثنية إلى التوحيد. لكننا نركز اهتمامنا هنا على زاوية أخرى من منجزات الإسلام وهي انتقال العرب من الأمية والرواية الشفوية، إلى الكتابة والرواية المدونة.

---

E. I., Suppl., p. 258, art: Tarikh par H.A.R. Gibb. (١٤)

إن تعليم الكتابة، الذي أولاه الرسول الكريم وخلفاؤه الراشدون أهمية كبرى منذ البداية، يعكس الرغبة الشديدة في إحداث هذا الانقلاب في حياة العرب. فإن قادة الاسلام الأوائل حرصوا بأقوالهم وأعمالهم على نشر الكتابة بين أكبر عدد من المسلمين، خلافاً لما كان عليه الحال في عدد من الحضارات القديمة حيث اقتصر تعلم هذه المهارة على حفنة صغيرة من الرجال يعدون للاضطلاع بالأمر السياسية والادارية في المجتمع.

وعندما تسلح العرب بالسلاح الجديد، الكتابة، راحوا يحاولون تدوين كل الموضوعات التي تتأثر باهتمامهم، مستخدمين أشكال التنظيم والعرض التي كانوا يعرفونها ويمارسونها شفويًا.

وقد رأينا أن اهتمامات العرب كانت أكثر اتساعاً مما تصور البعض.

إن هؤلاء الرجال الذين وضعوا اللبنة الأولى في بناء الاسلام لم يشعروا بضرورة التخلي عن اهتماماتهم السابقة كلياً.

لقد سئل أحد الصحابة: ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ فقال: كنا ننشد الشعر وتحدث بأخبار جاهليتنا<sup>(١٥)</sup>.

وسئل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن كتبه، فجاء بسفط فيه شيء من نسب قومه وشعر<sup>(١٦)</sup>.

وإذا كانت الكتابات الأولى في المواضيع غير الدينية لم تصل إلينا، فمرد ذلك أن هذه الكتابات كانت مجرد تسجيل بدائي للاستخدام الشخصي

---

(١٥) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج ٦، ص ٢.

(١٦) ابن عساکر: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

ومساعدة الذاكرة. وربما تناقلتها الأيدي ونقلت عنها، شأنها في ذلك شأن الكتابات ذات الطابع الديني، ككتابات الحديث والفرائض والفقهاء، وأمثلتها: الصحيفة الصادقة في الحديث. التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص في حياة الرسول (ص) (١٧١)، والأحاديث التي دوّنها عبد الله بن عباس (ت ٦٨/٦٨٧) (١٧٢)، وما دوّنه زيد بن ثابت (ت ٤٥/٦٦٥) أو دوّن عنه في موضوع الفقه والفرائض (١٧٣). إلا أن استخدام الاسناد الذي ظهر في وقت مبكر في مجال العلوم الدينية، ولا سيما الحديث، حرصاً على سلامتها، لم يمتد الى العلوم الأخرى الا في فترة لاحقة. وهكذا غابت عنا مضامين الكتابات الأولى في الموضوعات غير الدينية، كما غابت عنا أسماء الرواة الأوائل في المؤلفات التالية التي وصلتنا. إلا أن بعض عناوين الكتب التي حفظها لنا « فهرست ابن النديم » تكفي لتأييد ما ذهبنا إليه.

إن أدب التراجم الذي لم يتعدّ في القرن الأول الهجري شكل سير فردية (مونوغرافيا)، أو مجموعات من السير الفردية، يظهر في الكتابات الأولى أحياناً تحت اسم « مآثر ومثالب ». ومثاله « كتاب المثالب » لزياد بن أبيه (٢٠). ومن أعلامه زيد بن الكيس علاقة بن كريم الكلبي، وهو معاصر ليزيد بن معاوية وأحد من أخذت عنه المآثر على ما يروي ابن النديم (٢١). كما يظهر ضمن كتب التاريخ مثل « كتاب الملوك وأخبار الماضين » الذي سجّله

(١٧) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٠٥ (١)، ترجمة: أبو راشد الحبراني.

(١٨) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٤٨ (١)، ترجمة: عبد الله بن عباس.

(١٩) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٢١٣ (١)، ترجمة: زيد بن ثابت.

(٢٠) ابن النديم: الفهرست، ص ٨٩.

(٢١) المصدر نفسه: ص ٩٠.

كتاب معاوية بالاستناد الى رواية عبيد بن شرية الجرهمي<sup>(٢٢)</sup>، وكتاب «التيجان» لوهب بن منبه (ت ١١٤ / ٧٣٢)<sup>(٢٣)</sup>. أضف الى ذلك مجموعات الحديث التي تناول حياة الرسول (ص) ومغازيه - كالكتابات التي تنسب لعروة بن الزبير (٢٢ / ٦٤٣ - ٩٣ / ٧١٢)<sup>(٢٤)</sup>، وأبان بن عثمان (٢٢ / ٦٤٣ - ١٠٥ / ٧٢٤)<sup>(٢٥)</sup>، وابن شهاب الزهري (٥٨ / ٦٧٨ - ١٢٤ / ٧٤٢)<sup>(٢٦)</sup>.

ولكن القرن الثاني الهجري يشهد ظهور أدب «السير» بصورة متميزة عن أدب «الأحداث». فنجیح المدني، أبو معشر (ت ١٧٠ / ٧٨٦)<sup>(٢٧)</sup>، ومعمر ابن راشد (ت ١٥٣ / ٧٧٠)<sup>(٢٨)</sup> يوصفان في الفهرست بأنها من العارفين بالسير والأحداث. إن كلمة «السير» تدل هنا بصورة واضحة على التراجم. إلا أن هذا المعنى لم يستقر حتى نهاية هذا القرن. فأبو اسحاق الفزاري (ت ١٨٨ / ٨٠٤). الذي يعطي كتابه عنوان «السير في الأخبار والأحداث»<sup>(٢٩)</sup> لا يستعمل الكلمة بمعناها الخاص (التراجم) بل بمعناها العام.

لقد احتلت السير الفردية ومجموعات السير مكاناً كبيراً في الكتابات التاريخية التي ظهرت في هذا القرن. وانضمت الى فئات الأشخاص التي كانت تعالج قبل الإسلام فئات جديدة أبرزتها الوظائف والقيم الجديدة التي

---

E. I. Suppl., PP. 250-51, art: tarikh, par H. A. R. Gibb. (٢٢)، (٢٣)

E. I., vol IV, p. 460. art: Sira, par Levi Della Vida. (٢٤)، (٢٥)، (٢٦)

(٢٧) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٩٣.

(٢٨) المصدر نفسه: ص ٩٤.

(٢٩) المصدر نفسه: ص ٩٢.

أتى بها الإسلام. أما الكتاب الذين يثلون اهتمامات أدب التراجم في هذا القرن فهم، على ما نرى:

- عوانة بن الحكم الكلبي (ت ١٤٧ / ٧٦٤). وينسب إليه كتاب «سيرة معاوية وبني أمية»<sup>(٣٠)</sup>.

- محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١ / ٧٦٨). ألف «سيرة النبي» و«كتاب الخلفاء» وغيرها<sup>(٣١)</sup>.

- هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤ / ٨١٩). له عدد كبير من الكتب تعالج فترة الجاهلية وما بعد الإسلام.

أما كتب التراجم التي تسب إليه فيما يتعلق بالعصر الجاهلي فهي:

«المعرفات من النساء في قريش»، «المعمرون»، «حكام العرب»، «الكهان».

وقبها يتعلق بصدر الإسلام، ينسب إليه:

«أزواج النبي»، «أمهات النبي»، «صفة الخلفاء»، «أبناء الخلفاء»، «أمهات الخلفاء»<sup>(٣٢)</sup>.

صحيح أن هذه الكتب لم تكن تتجاوز، كما يشير ه. أ. ر. جيب، شكل

---

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ص ٩٥ - ٩٨.

E.I., Suppl. p. 255, art: Tarikh par Gibb.

(٣٣)

« القوائم المصنفة التي تقيد في الأغراض العملية، والتي لا تتضمن معلومات وافية حول حياة الأشخاص »<sup>(٣٣)</sup>، ولكنها تشكل بالرغم من ذلك خطوة هامة في تطور معجم التراجم. كما أنها تعكس مبادئ لتصنيف الأشخاص، كتصنيف هؤلاء بالاستناد الى الصفة التي يتميزون بها، أو الوظيفة التي يؤدونها، او بالاستناد الى صلتهن بشخصية هامة. فالمؤلفات التي ذكرناها تتوزع كما يلي:

مبدأ التصنيف	المؤلفات	المؤلف
الصفة المميزة	المعرفات من النساء في قريش المعمرون	هشام الكلبي هشام الكلبي
الوظيفة	حكام العرب الكهّان	هشام الكلبي هشام الكلبي
الصلة بشخصية هامة	أزواج النبي أمهات النبي أمهات الخلفاء أبناء الخلفاء سيرة معاوية وبني أمية سيرة النبي كتاب الخلفاء	هشام هشام هشام هشام عوانة الكلبي محمد بن اسحاق محمد بن اسحاق

على أن كتب التراجم التي ألفت في نهاية القرن الثاني الهجري تعكس

اهتماماً أكبر بميدان المعرفة والنشاط الذي برع فيه الأشخاص.  
 إن هذه المؤلفات تعتمد في الأساس تصنيفاً زمنياً يُرتَّب ضمنه الأشخاص  
 الذين تميزوا في ميدان معين بالاستناد لتاريخ وفاتهم.  
 وبما أن الأشخاص الذين عاشوا في فترة واحدة يشكلون طبقة، أطلق  
 على هذه المؤلفات اسم الطبقات.

يرى بعض المؤرخين المعاصرين أن تنظيم التراجم حسب الطبقة بدأ أولاً  
 ضمن مؤلفات الحديث. إلا أن هيفنغ يرى أن طبقات المحدثين ليست إلا  
 استخداماً خاصاً لهذا الشكل من التنظيم، ذلك أن سلسلة كبيرة من كتب  
 الطبقات ظهرت قبل كتاب «الطبقات الكبرى» الشهير لمحمد بن سعد (ت  
 ٢٣٠ / ٨٤٥) أو كانت معاصرة له. وقد اهتمت هذه الكتب بالقراء والفقهاء  
 والشعراء والمغنين وفئات أخرى من الناس. ومن المؤلفات التي يعددها هيفنغ  
 لدعم رأيه:

- طبقات أهل العلم والجهل، لواصل بن عطاء (ت ١٣١ / ٧٤٨).
- طبقات الشعراء، لليزيدي (ت ٢٠٠ / ٨١٥).
- طبقات الفقهاء والمحدثين، وطبقات من روى عن النبي، للهيثم بن عدي  
 (ت ٢٠٧ / ٨٢٢).
- طبقات الفرسان، لأبي عبيدة (ت ٢٠٨ / ٨٢٣).
- طبقات الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ / ٨٤٥) (٣٤).

(٣٤) E.I. Suppl., p. 230, art: Tabakat. par Heffening.  
 ملاحظة بخطى، هيفنغ في تاريخ وفاة اسماعيل بن يحيى بن المبارك المعروف بابن  
 اليزيدي الذي ينسب إليه كتاب «طبقات الشعراء». ويرجح أن تكون  
 وفاته في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري لأن ابن خلكان يذكر  
 في ترجمته أنه مدح علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم (ت  
 ٨٨٨ / ٢٧٥).

ووجهة النظر هذه تدعم الرأي الذي اثبتناه في بداية الفصل، والذي يقول إن العرب حافظوا على الكثير من اهتمامهم الجاهلية بعد الإسلام، وان هذه الاهتمامات سارت جنباً الى جنب مع الاهتمامات الدينية فترة طويلة الى أن تغلبت الاهتمامات الدينية في النهاية.

وبما أننا لا نهدف من هذه اللوحة التاريخية إلا الى تفسير سيطرة أدب التراجم على التأريخ العربي والتنبيه الى جذوره العميقة، فاننا سنتعرض للمراحل التالية بصورة سريعة. وهذه المراحل معروفة بصورة جيدة نظراً لوصول عدد كبير من المؤلفات التي تمثلها الينا.

فمن حيث الشكل نرى أن الترتيب الهجائي حلّ محل الترتيب الزمني في القرن الرابع والخامس.

وفي فترة لاحقة عمل بعض المؤلفين على التوفيق بين الترتيبين الهجائي والزمني باعتماد الترتيب الهجائي ضمن فترات محددة متساوية كالعقود والقرون. مثال ذلك كتاب «تاريخ الاسلام» لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ / ١٣٤٨) الذي صنفت التراجم فيه على العقود حتى نهاية القرن السابع الهجري، وكتاب «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ / ١٤٤٩) حيث يستخدم المؤلف الترتيب الهجائي ضمن قرن واحد.

اما من حيث المضمون فتكفينا الاشارة لناحيتين:

الأولى، ظهور كتب التاريخ المحلي (تاريخ المدن او البلدان). ويمكن تفسير ذلك بالنزعات الاقليمية، ذلك أن أهمية كل منطقة (إقليم أو مدينة أو قرية) كانت تقاس بعدد علمائها وشهرتهم. إلا أن ذلك قد يعود من جهة

أخرى الى اتساع العالم الإسلامي . وازدياد عدد العلماء لدرجة لا يستطيع معها المؤلف الذي ينتمي لمنطقة معينة من الاحاطة بأسماء العلماء في المناطق الأخرى وانشطتهم بصورة دقيقة، لذلك كان يكفي بالحديث عن علماء منطقته .

ولكننا يجب أن تنبه هنا الى أن انتقال الطلبة والاساتذة الذي لم ينقطع بين أرجاء العالم الإسلامي استدعى أن يدرج المؤرخون في مؤلفاتهم هذه معلومات حول حركة علماء منطقتهم في الأقطار الأخرى، وحركة علماء الأقطار الأخرى الذين يزورون منطقتهم . وهكذا اتسعت آفاق كتب التاريخ المحلي من حيث الانتاء الجغرافي للأفراد .

والثانية، اتساع آفاق كتب التاريخ المحلي من حيث ميدان النشاط الذي مارسه الأفراد . ذلك أن إبراز أهمية المنطقة يتطلب الترجمة لجميع الأشخاص النابيين الذين سكنوها أو مروا بها . وهكذا ضمت هذه المؤلفات جميع الأشخاص البارزين في ميادين السياسة والحرب والفكر ، وضاعت الشقة بين التواريخ العامة والتواريخ المحلية .

وأهم مثالين على هذه الظاهرة كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ / ١٠٧١)، و« تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر (ت ٥٧١ / ١١٧٦) .

ولنلاحظ أنه بالرغم من ظهور كتب التاريخ المحلي، فضل بعض المؤرخين الاستمرار في كتابة مؤلفات عامة .

وأشمل هذه المؤلفات « وفيات الأعيان » لابن خلكان (ت ٦٨١ / ١٢٨١) الذي يجمع الأعلام في جميع ميادين النشاط وفي أرجاء العالم الإسلامي .

كما أن عدداً من المؤرخين فضل تحديد أشخاصه بميدان معين من ميادين النشاط. وقد ظهرت في القرن السابع مؤلفات هامة من هذا الطراز هي: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقنطري (ت ٦٤٦ / ١٢٤٨) و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ / ١٢٧٠) و«معجم الأدباء» لياقوت الرومي (ت ٦٢٦ / ١٢٢٩).

## ٢ - المؤلف والمؤلف

### أ- لمحة تاريخية

الاسم الكامل للمؤلف: المحافظ ثقة الدين أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر.

ولد في دمشق عام ٤٩٩/١١٠٥ ، وتوفي فيها عام ٥٧١/١١٧٦ .

والعنوان الكامل للمؤلف: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها.

امتدت كتابة هذا المؤلف على ثلاثين عاماً. فقد بدأه ابن عساكر حوالي عام ٥٢٩/١١٣٤ ، وقرأه القراءة الأولى عام ٥٥٩/١١٦٤<sup>(١)</sup>. ولكنه استمر يعمل فيه إضافة وتصحيحاً حتى نهاية حياته.

يتكون المؤلف من ثمانين كتاباً، جمعت في مخطوطي الظاهرية في تسع عشرة مجلدة. عالجت الأولى منها فضائل الشام وفتحها على يد العرب المسلمين. وخصص القسم الأول من المجلدة الثانية لوصف مدينة دمشق،

---

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (منجد)، ج ١، ص ٥٠.

والقسم الثاني منها لترجمة النبي الكريم (ص). ثم وردت أسماء الأعلام مرتبة ترتيباً هجائياً بادئة بأحد، إكراماً لاسم الرسول (ص). وقد جمعت أسماء النساء في المجلدة الأخيرة<sup>(٢)</sup>، حسب العادة المتبعة في معاجم التراجم<sup>(٣)</sup>.

ونظراً لأن الغرض من تقديم المؤلف والمؤلف يتمثل في تحليل اتخاذ « تاريخ مدينة دمشق » مرجعاً رئيساً لدراسة التربية الإسلامية في الشام والجزيرة، سيقنصر هذا التقديم على الإشارة إلى العوامل التي تجعل من ابن عساكر خبيراً في عدة جوانب من هذه التربية من بداية الإسلام حتى وفاة المؤلف، ومن « تاريخ مدينة دمشق » مرآة صادقة تعكس هذه الجوانب<sup>(٤)</sup>.

إن انتماء ابن عساكر لدمشق مولداً ومسكناً يرتدي أهمية خاصة بالنسبة لموضوعنا. ذلك أن دمشق كانت خلال تلك الحقبة أهم مدن الشام، وأول مركز استقبال صحابة الرسول (ص) خارج الجزيرة العربية وحظي بتعليمهم. وكانت دمشق من ناحية أخرى عاصمة الدولة العربية الإسلامية أثناء خلافة الأمويين، كما احتلت مكانة كبرى في ظل الزنكيين والأيوبيين<sup>(٥)</sup>. أضف إلى ذلك موقع دمشق الجغرافي في قلب العالم العربي الإسلامي، الذي ساعدها

---

(٢) المصدر نفسه: ج ١٩، ص ص ١٩٠ - (١) ٣١٠ (١).

(٣) كمثال على ذلك أنظر، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى.

(٤) للحصول على معلومات وافية عن ابن عساكر وتاريخه، أنظر:

- E. I. 2, vol. III, P. 736, art: Ibn Asakir, par N. Elisséeff;
- N. Elisséeff: La Description de Damas d'Ibn Asakir, Introduction;
- Brockelmann, Gal, vol, I, 331, P. 403.
- E. I. 2, vol. II, P. 386, art: Dimashq, par N. Elisséeff. (٥)

على ربط شرقه بغيره من الناحية الثقافية على الأقل. ويتجلى هذا الدور بشكل خاص في القرن السادس الهجري الذي يتميز، من جهة، بالتوسع السلجوقي في العراق وسورية ومصر الذي أدى إلى توحيد تلك المنطقة بعد أن تمزقت في القرون السابقة إلى إمارات ودويلات تتطاحن فيما بينها، ومن جهة أخرى، بانتشار العقائد السنية وتحديد مضمونها على يد طائفة من العلماء، تدعمهم السلطات الرسمية بافتتاح المدارس، على غرار المدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك قبل ذلك بنصف قرن<sup>(٦)</sup>، للتدريس فيها وترسيخ هذه العقائد. وقد ازدهر التأريخ في هذه الفترة بكل أشكاله، ولاسيما أدب التراجم الذي يلبي بصورة أكبر من غيره رغبة العلماء في الإشادة بفضائل كبار رجال الإسلام، وجمع المواد الضرورية للتعليم. ويأتي ابن عساكر في طليعة هؤلاء المؤرخين.

إن ثقافة المؤلف تعكس هذا الانسجام الذي يلفت النظر بين العناصر التي استقاها من وسطه العائلي، وتلك التي طلبها في مراكز الثقافة الإسلامية في عصره. ويتكون وسطه العائلي من آل عساكر (أسرة أبيه) - وآل القرشي (أسرة أمه) وآل السلمى (أسرة زوج أخته). وقد تميزت هذه الأسر الثلاث بأنها سنية شافعية على درجة عالية من الثقافة، وأنها أعطت دمشق عدداً كبيراً من علمائها في مجال العلوم الدينية. وقد تلقى مؤرخنا دروسه الأولى في هذا الوسط.

---

(٦) أول مدرسة ظهرت في دمشق هي المدرسة الصادرة عام ١٠٩٨/٤٩١. فيما يتعلق بإنشاء المدارس في الشام، أنظر:

- N. Elisséeff: Nur ad-Din, T. I, P. 258;

- أحمد ثلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص ١٠١ وما يليها،

- عبد القادر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس.

اختار ابن عساكر أساتذته الذين بلغ عددهم ١٣٠٠ عالم. وأستأذاته اللواتي بلغ عددهن ٨٠٠ عالمة، في الشام والجزيرة العربية والعراق والمشرق الإسلامي بصورة ترسخ الاتجاهات الأولى. وقد درس على هؤلاء العلوم الدينية (القرآن، التفسير، الحديث، الفقه، التصوف)، واللغة والأدب والتاريخ. وإذا كان قد تعرّف، خلال دراسته، على الآراء المخالفة للسنة، فذلك بدافع العمل على تجنبها ودحضاها.

ويبدو معجم ابن عساكر، نتيجة لهذه الثقافة، معجماً عاماً يترجم للأعلام الذين عملوا في عدد من المجالات الثقافية (مع تركيز خاص على المحدثين لأنه واحد منهم) والذين انتموا لسائر أقطار العالم الإسلامي، نظراً لموقع الشام في قلب هذا العالم. فمعظم الذين اهتموا بالعلم جاءوا الشام أو مروا بها خلال طلبهم أو تدريسهم. لذلك يقترح بعض المؤرخين تسمية كتاب ابن عساكر «تاريخ العالم الإسلامي من بداية الإسلام حتى نهاية القرن السادس الهجري»<sup>(٧)</sup>.

ولكن هذا الاقتراح، بالرغم مما يبرره، مبالغ فيه إلى حد ما. ذلك أن ثقافة ابن عساكر، على اتساعها في المجالات التي ذكرناها، تتضمن ثغرات في مجالات أخرى من مجالات الثقافة العربية الإسلامية، ولاسيما في مجال الفلسفة والعلوم كالطب والرياضيات والطبيعة والفيزياء والكيمياء والفلك وغيرها. وينعكس ذلك في احتواء «تاريخ مدينة دمشق» على عدد قليل جداً من الشخصيات النابهة في هذه المجالات، وفي ضالة المعلومات المتعلقة بثقافة الشخصيات التي ذكرها منها ونشاطها.

---

(٧) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق (منجد)، ج ١، المقدمة، ص (هـ) بقلم محمد كرد علي.

كما أن المؤلف قد أهمل الكثير من الفعاليات الثقافية التي قامت بها الشخصيات غير السنية. فنحن لا نجد فيه إلا القليل عن نشاط الحمدانيين والفاطميين مثلاً والأعلام الذين داروا في فلکهم. أما عرضه للعقائد غير السنية فتتجلى فيه الرغبة في بيان جوانب الزيغ فيها وإيراد الأدلة التي تثبت بطلانها. وأوضح مثال على ذلك، عرضه لآراء القدرية، مع ذكر مواقف الخليفة عمر بن عبد العزيز وكبار أهل السنة منها.

إن ابن عساکر، كما يبدو في تاريخ مدينة دمشق، مُربُّ أكثر منه مؤرخاً. وتاريخ مدينة دمشق يتجلى كوسيلة تربوية لدعاة العقائد السنية.

إن هذه الملاحظات التي أوردناها لا تقلل من شأن تاريخ مدينة دمشق فيما يتعلق بدراسة الثقافة العربية الإسلامية، في بلاد الشام والجزيرة، في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. ذلك أن العلوم الدينية واللغة والأدب والتاريخ كانت تسيطر بالفعل على اهتمام أهل الشام والجزيرة في هذه الفترة، كما أن الاتجاهات غير السنية لم تكن واسعة الانتشار فيها خلالها. أما الاسماعيلية الذين تركز نشاطهم في القرن الثالث الهجري في السلمية، فقد أحاطوا أنفسهم بسرية جعلت من العسير على كتاب التراجم الحصول على المعلومات التي يحتاجونها في ترجمتهم لأعلامهم؛ وأما الخوارج الذين استقروا فترة طويلة في الجزيرة فقد غلب عليهم النشاط الحربي.

## ب: الوضع الحالي للمرجع

تتضمن المواد المتعلقة بالمرجع، والمتوافرة في دمشق، ما يلي<sup>(٨)</sup>:

(٨) للحصول على معلومات وافية عن المواد المطبوعة والمخطوطة أنظر:  
= - N. Elisséeff: La Description de la ville de Damas, Introduction;

## ١ - المواد المطبوعة

إن الأجزاء المطبوعة حتى الآن من تاريخ مدينة دمشق لا يمكن أن تعوّض عن المخطوط. وهي تضم ما يلي:

١- طبعة عبد القادر بدران وأحمد عبيد، التي ظهرت بين ١٩١١ و١٩٣٢ م في سبع مجلدات، تغطي التاريخ من بدايته حتى قسم من حرف العين.

ونظراً لأن هذه الطبعة تشكل «تهدياً» يهمل الأسانيد وعدداً من الروايات، فلا يمكن الاستفادة منها إلا في فهم المخطوط وضبط الكلمات.

٢- طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق التي ظهر منها حتى الآن أربع مجلدات. حقق الأولى والثانية منها الأستاذ صلاح الدين المنجد، وظهرتا عامي ١٩٥١ و١٩٥٤ م. وهما تغطيان فضائل الشام وقروحها وخطط مدينة دمشق.

أما المجلدة الثالثة فقد حققها الأستاذ محمد أحمد دهمان وظهرت عام ١٩٦٣ م، وهي تغطي قسماً من المعجم بيتديء ببشر بن أبي أرطاة وينتهي بثابت بن أقرم.

- 
- = - صلاح الدين المنجد: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ١، ص ص ٤٤ - ٤٧؛  
- شكري فيصل: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ص ص ٣٠ - ٣١؛  
- يوسف العشي: فهرس مخطوطات الظاهرية - التاريخ وملحقاته، المجمع العلمي العربي بدمشق، ص ص ١٠٩ - ١٣٠.

وقد حقق المجلدة الرابعة لجنة يرئسها الأستاذ شكري فيصل، وظهرت عام ١٩٧٧، وهي تغطي قسماً من حرف العين، من عاصم إلى عايد.

## ٢ - المواد المخطوطة

تحتوي دار الكتب الظاهرية بدمشق نسختين متماثلتين من حيث التفاصيل والنواقص، ولكنها تختلفان في الخط:

فقد نسخت الأولى منها، والتي تشير إليها ب(ظ<sup>١</sup>) حوالى ١٧٠٦/١١١٨، كما تشير إلى ذلك حاشية في نهاية المجلدة (١٢)، وهي من وقف سليمان باشا العظم والي دمشق. ويبدو أنها الأساس الذي استندت إليه النسخة الثانية<sup>(٩)</sup>.

أما نسخة الظاهرية الثانية (ظ<sup>٢</sup>)، فقد كتبت حوالى ١٧٤٨/١١٦١، كما تشير إلى ذلك حاشية في نهاية المجلدة (١٦)<sup>(١٠)</sup>. وقد وقفها والي دمشق في حينه، أسعد باشا العظم، على مدرسة والده إسماعيل باشا بالخطاطين بدمشق.

ونظراً لأن الخط أفضل في هذه النسخة، فقد اعتمدت عليها بدرجة أكبر خلال قراءة المخطوط، ما عدا المجلدتين الأوليين فإنها مفقودتان في (ظ<sup>٢</sup>). إلا أن ظروف حرب تشرين ١٩٧٣، استدعت حفظ المخطوطات الثمينة مدة طويلة، لذلك اضطرت آنذاك للاستعانة ببعض الأفلام والصور

---

(٩) تظهر النسخة الأولى في فهرس مخطوطات الظاهرية - تاريخ - تحت الأرقام التي تبدأ ب ٣٣٦٧ وتنتهي ٣٣٨٣.

(١٠) أرقام النسخة الثانية في نفس المصدر من ٣٣٨٤ - ٣٣٩١.

المأخوذة عن النسخ المحفوظة في المكتبات العربية والأجنبية. والأجزاء التي استعنت بها هي:

- نسخة أحمد الثالث - استانبول، القسم الأول والثاني. رمزت لها بالحرفين (س أ).

- مختصر ابن منظور محمد بن المكرم الأنصاري الكاتب، مكتبة أحمد الثالث، استانبول. رمزت لها بالحرفين (من).

- نسخة كامبردج، الأقسام الأول والثاني والثالث. رمزت لها بالحرف (ك).

- نسخة باريس، المكتبة الوطنية، وهي تشكل المجلد الأخيرة من المخطوط أو ذيلاً له<sup>(١١)</sup>. وقد رمزت لها بالحرف (ب).

- نسخة بيل، القسم الأول والثاني. رمزت لها بالحرف (ي).

- نسخة مراكش، عدة أقسام. رمزت لها بالحرف (م).

وقد استعنت بهذه الصور والأفلام في ترميم ثغرات نسختي الظاهرية، عندما أفرج عنها بعد الحرب. كما استعنت لذلك ببعض المعاجم المطبوعة، ولاسيما «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، «والأعلام» لخير الدين الزركلي، و«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحاله.

---

(١١) تبدو نسخة باريس وكأنها ذيل لتاريخ مدينة دمشق، كتبه ابن المؤلف، القاسم. ذلك أننا نقع، ابتداء من الورقة ٧٦، على عدة مواضع يروي فيها القاسم معلومات عن أبيه قائلاً: قال أبي رحمه الله.

أما الثغرات الموجودة في (ظ<sup>١</sup>) و (ظ<sup>٢</sup>)، فأبرزها:

- المجلدة (٢): الحرف ألف، تنقص فيه الأسماء من أحمد بن أحمد إلى أحمد بن عتبة<sup>(١٢)</sup>.

- بين المجلدتين (٧) و (٨)، ينقص حرفي السين والشين الأسماء من سليمان ابن يسار إلى شداد بن أوس<sup>(١٣)</sup>.

- المجلدة (٩): ينقص حرف العين فيها الأسماء من عبد الله بن عباس إلى عبد الرحمن<sup>(١٤)</sup>.

- بين المجلدتين (١٧) و (١٨): ينقص حرف الهاء كله تقريباً<sup>(١٥)</sup>.

- المجلدة (١٨): ينقصها قسم من حرف الياء، وقسم من الأسماء التي تبدأ ب (أبو) من يزيد بن مصاد إلى... أبو توبة<sup>(١٦)</sup>.

- المجلدة (١٩): الأسماء التي تبدأ ب (أبو) تنقص من: أبو الحسن المعاني،

---

(١٢) رمت هذه النواقص بالاعتماد على (من)، ق: ٢ - ٦٨.

(١٣) رمت هذه النواقص بالاعتماد على (م)، دون ترقيم.

(١٤) تنقص هذه التراجم في جميع النسخ التي ذكرتها، وذلك مؤسف بالفعل لأن هذا القسم يضم عدداً من الخلفاء وكبار رجال الدولة والمحدثين.

وقد حصل الجمع العلمي العربي بدمشق مؤخراً على صورة كاملة لنسخة الأزهر، لم أستفد منها إلا بالنسبة لترجمة الخليفين المنصور والمأمون.

(١٥) ينقص هذا القسم في جميع النسخ التي ذكرتها، وهو يضم ترجمة الخليفة هرون الرشيد وعدداً من الأعلام.

(١٦) رمت هذه النواقص بالاستعانة بنسخة (ب)، ق ١ - ١٠٨.

إلى ... أبو دوس<sup>(١٧)</sup>، ومن: أبو علي بن أبي موسى، إلى ... أبو محمد بن أبي  
الأعين<sup>(١٨)</sup>.

ولاعطاء فكرة عن حجم المؤلف، ثبت في الصفحة التالية قائمة تبين عدد  
الأوراق في كل مجلدة، وعدد الأوراق الكلي.

ملاحظة: رمزنا خلال الدراسة كلها للورقة بالحرف ق، تُميّزاً لها عن  
الصفحة ص، لأن كل ورقة تضم صفتين: الوجه الأول (١) والوجه الثاني  
(٢).

•

---

(١٧) رمت هذه النواقص بالاستعانة بنسخة (ب)، ق ١١٩ - ١٣٢.

(١٨) رمت هذه النواقص بالاستعانة بنسخة (ب)، ق ١٩٧ - ٢٣٤.

ملاحظات	عدد الأوراق	الجلدة
قرئت في ظ <sup>١</sup>	٢٩٣	١
قرئت في ظ <sup>١</sup>	٤٣٩	٢
قرئت في ظ <sup>٢</sup>	٢٣٧	٣
قرئت في ظ <sup>٢</sup>	٤٠٠	٤
قرئت في ظ <sup>٢</sup>	٢٦٧	٥
قرئت في ظ <sup>٢</sup>	٢٦٥	٦
قرئت في ظ <sup>٢</sup>	٢٧٩	٧
قرئت في ظ <sup>٢</sup>	٣٣٥	٨
وهي مجموعتان في ظ <sup>٢</sup> في مجلدة واحدة.	٥٦٤	٩ + ١٠
وهي مجموعتان في ظ <sup>٢</sup> في مجلدة واحدة.	٥٤٤	١١ + ١٢
وهي مجموعتان في ظ <sup>٢</sup> في مجلدة واحدة.	٦٥٢	١٣ + ١٤
جمعت المجلدة ١٥ في ظ <sup>٢</sup> مع قسم من المجلدة ١٦ ، رمز له ب ١٦ (١).	٥٢٢	١٥ + ١٦
جميع القسم الثاني من المجلدة ١٦ في ظ <sup>٢</sup> مع المجلدة ١٧ ، رمز له ب ١٦ (٢).	٥٠٠	١٦ + ١٧

حدثنا عن علي بن محمد بن محمد بن عبد الباقي نا الحسن بن علي نا ابو عبد الله جيو بيا نا احمد بن معروف نا  
 الحسين بن فقه نا ابن سعد نا احمد بن محمد بن محمد نا يحيى بن عبد الله بن ابي عمرو عن ابيه قال  
 صلى عليه عروة بن الزبير ودفنه بالجعرانة يومئذ حية ثم توفيت بعد ذلك با شهر  
 بالمدينة اخبرنا ابو القاسم بن السميرى نا ابو الفضل بن المغال نا ابو الحسن بن بشر نا  
 انا عثمان بن احمد نا حنبل بن اسحق حدثني ابو عبد الله قال ابن الزبير سنة ثلث وسبعين  
 بغير قتل وميتت اسما بعد ابتعا اخبرنا ابو غالب بن الناهض نا ابي عليه عن ابي عمرو بن جيو بيه  
 انا احمد بن معروف نا الحسين بن فقه نا ابن سعد قلة الروايات اسما بنت ابي بكر الصديق  
 بعد قتل ابنتها محمد بن بلال وكان قتله يوم الثلاثاء لاسم عشرة ليلة خلت من جمادى  
 الاولى سنة ثلث وسبعين اخبرنا ابو غالب المارديني نا ابو الحسن السيرافي نا احمد بن  
 اسحق نا احمد بن محمد نا موسى نا خلفه قال وفي سنة ثلث وسبعين ماتت اسما بنت  
 ابي بكر الصديق فماتت علي ابي محمد السلمي عن ابي محمد التميمي نا مكي بن محمد نا ابو  
 سليمان بن زبير نا سنة ثلث وسبعين فيماتت اسما بنت ابي بكر الصديق بعد  
 ابتعا بلال اسمها بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشي المعروف بالرواحا بالبطان  
 امير الران سمعت جدها الامام القاسم نا الفضل جيو بن علي القرشي وماتت خالي  
 الصغرى وروح اخي ابي عبد الله محمد الحسن رحمه الله وام اولاده الاكابر حجت مع  
 احتضا امه سنة خمس وخمسين وخمسة وسمع منها اولادها وغيرهم وتوفيت في  
 شوال سنة خمس وتسعين وخمسة اسمها بنت واثة من الاستيع اللبيثي حدثت  
 عن ابيها روي عنها محمد بن عبد الرحمن المقدسي نا ابو علي الهمداني وغيره قالوا  
 لنا ابو بكر بن ربه نا خير نا سليمان بن احمد نا اسماعيل بن فخر نا سليمان بن عبد الرحمن  
 نا محمد بن عبد الرحمن نا اخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل نا ابو بكر محمد ابن عمر  
 العمري نا الطوسي نا ابو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ابي شريح نا ابو جعفر محمد بن احمد  
 ابن عبد الجبار البرز نا ابي نا حميد بن زنجويه نا ابو ابو يعقوب سليمان بن عبد الرحمن  
 نا محمد بن عبد الرحمن القديسي نا ابي حدث نا اسماء بنت واثة من الاستيع عن ابياته  
 كان وفي حديث الفروية قالت كان ابي يصوم الاثنين والخميس ويقول كان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وفي حديث الفروية قتلت ما هذا الصوم الذي لا تدعه وان كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومها وقول بقدر من جميع الاعمال على ابي عمرو جل  
 امه نا ابو علي وخبره قالوا نا ابن ربه نا سليمان بن احمد نا اسماعيل بن فخر نا سليمان  
 ابن عبد الرحمن القديسي واخبرنا ابو عبد الله الفروية نا ابو بكر العمري نا ابن ابي شريح  
 نا محمد بن احمد نا ابن زنجويه نا ابو ابو يعقوب نا محمد بن عبد الرحمن من اهل بيت المقدس نا  
 هو مشهور نا ابي حدث نا اسماء بنت واثة من الاستيع قال كان ابي انا صلى صلاة الصبح جلس  
 مستقبلا القبلة يتكلم حتى تطلع الشمس ونزى الحكمة في الحاجة فلا يجلي وقال النبي  
 فلم يكلمني فقلت اذ العمري نا ابو عبد الله نا هذا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن احمد

يقول



### ٣ - إطار البحث

#### أ- الإطار الجغرافي

إذا أخذ الباحث بعين الاعتبار الانتاء الجغرافي للأعلام الذين ترجم لهم « تاريخ مدينة دمشق »، فقد يفكر في الاعتقاد على هذا المرجع لدراسة التربية العربية الإسلامية ككل. ولكنه إذا توقف عند عنوان المؤلف، تملكته الحيرة.

فعنوان الكتاب كما رأينا هو: « تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها ». ومصدر الحيرة بالدرجة الأولى هو مفهوم ابن عساكر لنطاق نواحي مدينة دمشق.

وقد تبين لنا بعد الاطلاع على المخطوط أن هذه النواحي تضم ما يلي:

١ - إقليم الشام أو الشامات، الذي يمتد من الفرات شمالاً إلى عريش مصر جنوباً، ومن جبلي طيء (أجا وسلمى) اللذين يقعان شمال الجزيرة العربية شرقاً إلى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) غرباً<sup>(١)</sup>.

---

(١) أنظر: ابن عساكر: ج ١ (منجد)، ص ١٨٨؛

- ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣١١، فقرة الشام.

ويُقسم هذا الإقليم إلى خمسة أقسام إدارية، سميت في الفترة الأولى أجناداً وهي: جند دمشق، وجند حمص، وجند فلسطين، وجند الأردن، وجند قسرين. أما الأجناد الأربعة الأولى فقد أوجدها الخليفة أبو بكر الصديق الذي نظم جند فتح الشام، وأما الجند الخامس فقد فصله الخليفة الأموي يزيد بن معاوية عن جند حمص وجعل منه جنداً مستقلاً<sup>(٢)</sup>.

٢- إقليم الجزيرة. الذي يقع بين نهري دجلة والفرات في الشمال الشرقي من الشام. لقد حُكم هذا الإقليم في الواقع بصورة متصلة مع الشام خلال ولاية معاوية الأول ثم خلافته، وفي أيام خلفائه يزيد الأول ومعاوية الثاني ومروان الأول. واستقل أيام عبد الملك بكوره الثلاث: ديار ربيعة في الشرق، وديار مضر في الغرب، وديار بكر في الشمال، التي أخذت أسماء القبائل التي سكنتها قبل الإسلام وفي بدايته<sup>(٣)</sup>. ثم ضُمَّت مدينة الموصل إلى الجزيرة<sup>(٤)</sup>، وأصبحت عاصمتها في حكم مروان الثاني (ابن محمد)<sup>(٥)</sup>.

واستمرت هذه الصلات الوثيقة بين الشام والجزيرة خلال العهد العباسي بسبب موقع الجزيرة المتوسط بين بغداد والشام من جهة، وبين بغداد ومنطقة الثغور والعواصم التي تشكل امتداداً لإقليمي الشام والجزيرة من جهة أخرى؛ تلك المنطقة التي كانت منطقة مواجهة الدولة العربية-الإسلامية مع الروم. فقد كوّن المهدي جيشاً للصائفة يضم أهل فلسطين

---

- E. I. 2, Vol. II, P. 616, art: Djund, par D. Sourdel. (٢)

- E. I. 2: Vol. II, pp. 536-537, art: Djazira, par M. Canard. (٣)

- M. A. Shaban: Islamic History, T. I, p. 106. (٤)

- E. I. 2, op. cit., art. Djazira. (٥)

والأردن ودمشق وحمص وقسرين والجزيرة والموصل، وكان أهل قسرين والجزيرة تحت قيادة ابن مدحرج الربيعي<sup>(٦)</sup>. كما أوكل المأمون ولاية الشام والجزيرة معاً إلى عبد الله بن طاهر<sup>(٧)</sup>.

٣- الثغور والعواصم: عندما انتهى العرب المسلمون من فتح الشام توقف جيشهم أمام السلسلة الأولى لجبال طوروس، كما اتخذت قوات الروم مواقعها خلف السلسلة الثانية من هذه الجبال. تاركين المنطقة الفاصلة بين السلسلتين منطقة عازلة بين قوات الطرفين<sup>(٨)</sup>. ولكن كلاً من الطرفين حاول تقوية مواقعه عن طريق ترميم الحصون القديمة وبناء حصون جديدة في هذه المنطقة. وهكذا أنشأ الأمويون تحصينات تمتد من مدينة طرسوس على طول جبال طوروس حتى نهر الفرات تضم: أذنه والمصيصة ومرعش وحصوناً أخرى أقل أهمية.

وعندما انتقل مركز الخلافة إلى العراق في العهد العباسي، ازدادت اعتداءات الروم. لذلك عمد الخليفة هرون الرشيد إلى فصل مدن الحدود من إقليمي الشام والجزيرة، وجمعها في جند واحد هو جند العواصم، وجعل مركزه منبج<sup>(٩)</sup>. وألغيت الثغور المتقدمة مؤقتاً، إلا أن الحاجة إليها ألحّت من جديد فعادت إلى الظهور.

ويعدّ «الدمشقي» من الثغور الشامية: طرسوس وأذنه والمصيصة

---

(٦) ابن عساكر: ج ٨، ق ٢٠٩ (٢)، ترجمة: عاصم بن محمد بن بحدل الكلبي.

(٧) - E. I. 2, op. cit, art. Djazira.

(٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٩) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥.

والهارونية وبيس وأياس، ومن الثغور الجزرية: ملطية وكمخ وشمشاط  
والبيرة وحصن منصور وقلعة الروم والحدث ومرعش<sup>(١٠)</sup>.

ومن نافلة القول إن الحدود الشامية - البيزنطية كانت تتغير حسب قوة  
كل من الطرفين ونشاطه الحربي.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الحصون جزر البحر الأبيض المتوسط التي  
احتلها العرب وأقاموا فيها بعض الوقت كأرواد وقبرص وروودس  
وكريت<sup>(١١)</sup>.

هكذا يتحدد الإطار الجغرافي الذي يطلق عليه ابن عساكر اسم نواحي  
مدينة دمشق.

## ب - الإطار الزمني

اخترنا معالجة القرون الثلاثة الأولى للإسلام لأن هذه الفترة من تاريخ  
الشام والجزيرة غير واضحة المعالم في أذهان الكثيرين. ذلك أن الكتب التي  
ألفت خلالها ضاع معظمها. ومعظم ما وصلنا عنها يشوبه التحيز للخلفاء  
العباسيين، أو يتسم بنزعات مذهبية.

ومن المعروف أن ابن عساكر اعتمد على المراجع الشامية التي ضاعت فيما

---

(١٠) - E.I., Vol. IV, p.777, art.: al-Thughur par E.Honigmann;

- فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ص ٤٤ - ٤٥.

(١١) فيليب حتي: المصدر نفسه، ص ٤٨.

بعد، ولذلك استطاع أن ينقل لنا صورة أكثر وضوحاً عن العهد الأموي من جهة، وعن وضع هذه المنطقة في الفترة التي تلتها من جهة أخرى.

أضف إلى ذلك أن هذه القرون شهدت نشأة الثقافة والتربية العربية الإسلامية، لذلك نستطيع بالاستناد إلى دراستها فهم المراحل التالية.

وقد اضطررنا للتوقف عند بداية القرن الرابع، ذلك أن هذا القرن يفتح عهد التجزئة في هذه المنطقة على الصعيدين السياسي والعقائدي، ويدخل متغيرات لا يمكن الاعتماد في دراستها كلياً على ابن عساکر نظراً لاتجاهاته الفكرية التي ذكرناها. أما القرون الثلاثة الأولى فتتصف نسبياً بالوحدة السياسية والمذهبية والعقائدية، فيما عدا الحركات التي أشرنا إليها فيما سبق وهي حركات الخوارج والقدرية والاسماعيلية. وفيما يتعلق بهذه الحركات لا يعطي «تاريخ مدينة دمشق» معلومات واسعة وجديدة إلا عن حركة القدرية.

وهناك ملاحظة صغيرة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن اعتمادنا على تاريخ الوفاة في ترتيب الأشخاص أضرباً بالصورة التي نقدمها عن النشاط الفكري والتربوي في نهاية القرن الثالث، ذلك أن عدداً من الأعلام الذين ساهموا في هذا النشاط توفوا في القرن الذي يليه، ولذلك أدرجت فعاليتهم في ذلك القرن.

## ج- الإطار البشري

شهدت الشام والجزيرة خلال تلك الفترة تغيراً كبيراً في بنية السكان وثقافتهم. فعندما تم الفتح الإسلامي غادرها البيزنطيون ولحق بهم أتباعهم من

أهل البلاد<sup>(١٢)</sup>. وعندما رأى الفاتحون المساكن والمزارع المهجورة، اغتنموا هذه الفرصة للانتشار في معظم أرجاء الاقليمين<sup>(١٣)</sup>، لأسباب عسكرية واقتصادية. وهكذا قامت علاقة مبكرة بين الفاتحين وأهل البلاد ساعدت على اندماج السكان بعضهم ببعض.

وقد كان للشام والجزيرة، على كل حال، وضع متميز (فيما يتعلق بأصل سكانها) أدى إلى تسارع اندماج السكان، ويتمثل هذا الوضع في أن العناصر العربية كانت تشكل هناك جاليات هامة قبل الإسلام.

كان عدد أفراد هذه الجاليات العربية يتجاوز كثيراً عدد الجيش الفاتح. فعدد جيش الفتح، كما تقول المصادر، كان يبلغ من (٢٤) إلى (٢٧) ألف محارب<sup>(١٤)</sup>، ثم ازداد إلى (٤٠) ألفاً في نهاية عهد الخلفاء الراشدين، وإلى (٦٠) ألفاً أيام معاوية الأول، تضاف إليهم عائلاتهم<sup>(١٥)</sup>. وهذا العدد يماثل عدد أفراد قبيلة واحدة من تلك التي استوطنت هذه المنطقة قبل الإسلام كقبيلة غسان التي شكلت دولة في حوران في القرن الخامس الميلادي<sup>(١٦)</sup>.

---

(١٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ص: ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٦، ٢٠٥.

(١٣) المصدر نفسه: ص ص: ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩.

(١٤) المصدر نفسه: ص ص: ١٥٠، ١٥٣، ١٨٤.

(١٥) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ص: ٧٨ حاشية، ١٨١؛ أنظر أيضاً:

- فيليب حقي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ٩٦، أنظر أيضاً  
- Lammens: La Syrie, vol. I, p. 120.

(١٦) البلاذري: المصدر السابق، ص ١٨٦، يذكر أن الأمير الغساني جبلة بن الأيهم ترك الشام بعد الفتح مع ٣٠ ألفاً من رجاله.

وترجع الهجرات العربية إلى الشام في الواقع لعهود بعيدة. يذكر «لامنس» أن بلاد الشام الخصبة كانت تجذب البدو الذين يجاورونها منذ القديم. لقد زحف هؤلاء إليها أحياناً على صورة قبائل كاملة. وأخرى على صورة مجموعات صغيرة سكنت الأماكن المتاخمة للبادية وأنشأت دويلات في حمص وتدمر والبتراء منذ القرن الثاني قبل الميلاد<sup>(١٧)</sup>.

لقد دخل التنوخيون الشام في بداية العصر الميلادي<sup>(١٨)</sup>، واستقروا في جهات حلب<sup>(١٩)</sup>، وتبعهم بنو سليخ عن كلب<sup>(٢٠)</sup>. أما الغسانيون فقد استقروا في حوران في القرن الخامس الميلادي. وفي القرن السادس كان هناك عدد من القبائل يجوبون البادية بين الشام والحزيرة العربية. بينها كلب ولحم وجذام<sup>(٢١)</sup>. ويذكر حديث نبوي شريف بني عاملة بين القبائل العربية التي تقطن الشام<sup>(٢٢)</sup>. وتذكر مصادر عدة أن بطوناً من طيء استقرت في جهات قنسرين<sup>(٢٣)</sup>، وأخرى من ربيعة ومضر استقرت في الحزيرة. في المناطق التي

---

– E.I: vol. IV, p. 312, art: Shám, par H. Lammens (١٧)

– Dussaud: Les Arabes en Syrie avant l'Islam, p. 9. (١٨)

(١٩) البلاذري: المصدر السابق، ص ١٩٧.

– E. I. op. cit, art: Shám. voir aussi. (٢٠)

– Dussaud: op. cit.

– E. I. op. cit., art: Shám. (٢١)

(٢٢) ابن عساكر: ج ١٨، ق ١٢٦ (٢)، ترجمة: يزيد بن حصن بن نير الكوفي الحمصي.

(٢٣) شكري فيصل: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، ص ٢٧، نقلاً عن: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٠٨.

عرفت فيما بعد باسميها: ديار ربيعة وديار مضر<sup>(٢٤)</sup>.

وبالرغم من أن عدداً من هؤلاء العرب دخل في النصرانية، وأن لغتهم تحرّفت نوعاً ما نتيجة الاتصال باللغة الآرامية<sup>(٢٥)</sup>، فقد انضم معظمهم تدريجياً إلى العرب الفاتحين المسلمين بسبب سمات الأصل والثقافة التي تجمع بينهم. وقد شكّل تحالفهم هذا العامل الأول في عملية اندماج السكان، مما جعل منهم القوة الأولى في الدولة العربية - الإسلامية الناشئة<sup>(٢٦)</sup>.

إن الأعلام الذين يترجم لهم ابن عساكر في مؤلفه يشتملون على عرب الفتح، وعلى سكان الشام والجزيرة الأصليين من عرب وآراميين وغيرهم بعد أن يعتنقوا الإسلام ويتكلموا لغة قريش، لغة الوحي. ذلك أن هذين العنصرين كانا يمثلان شرطين أساسيين لاندماج الأفراد في الأمة الناشئة، ولساهمتهم في نظام التربية كطلبة ومعلمين.

وقد أدرج ابن عساكر في تاريخه أعلاماً من غير العرب ومن غير المسلمين. لقد دخل الموالي المسلمون هذه المنطقة في القرن الأول الهجري بأعداد محدودة، وساهموا في النشاط الثقافي القائم. ثم تزايدوا في القرنين الثاني والثالث. ولكن نسبتهم إلى مجموع السكان بقيت خلال القرون الثلاثة أدنى بكثير من نسبة العرب.

---

(٢٤) المصدر نفسه: نقلًا عن، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٩.

(٢٥) - E. I.: art. Shām.

(٢٦) ابن عساكر، ج ١ (منجد)، ص ٣٦٢، يروي عن أبي سفيان الحميري أن جيش الأمويين كان يضم ٣٥٠ ألف شامي و١٥٠ ألف عراقي.

أما غير المسلمين فقد تجلّى جلّ نشاطهم في ميدان الكتابة والفلسفة والعلوم. وقد ذكر ابن عساكر عدداً من كتبهم. ولكن ضعف اهتمامه بالعلوم والفلسفة دعاه الى استبعاد أسماء لامعة ساهمت في عمليتي الترجمة والتأليف في هذين المجالين.

ونظراً لأن التبادل الثقافي كان سمة بارزة من سمات التربية العربية الإسلامية، وللدور الكبير الذي لعبه الوافدون على الشام والجزيرة من الأقطار الإسلامية الأخرى، ترجم ابن عساكر لهؤلاء الوافدين، وتحدث عن تنقلاتهم ونشاطهم داخل الشام والجزيرة وخارجها.

لذلك يمكننا أن نقول إن الإطار البشري للدراسة يضم فئتين من الأعلام: سكان الشام والجزيرة ووارديها أو زائريها.

## ٤ - طريقة البحث

الطريقة التي استخدمت في البحث خلاصة محاولات متتالية لحل المشكلات التي ظهرت خلاله. وقد أخذت شكلها النهائي بعد الخطوات التالية:

### أ- الخطوات التمهيدية

وتتضمن قراءة عدد من التراجم (الطويلة والقصيرة) ووضع قائمة بالعناصر التي تشتمل عليها، ثم استعراض ميدان التربية ووضع قائمة بالعناصر التي يقوم عليها نظام تربوي ما.

### ب- وضع دليل لجمع المعلومات

أفادت الخطوات التمهيدية في وضع الدليل التالي:

### دليل جمع المعلومات

- طول الترجمة: عدد الأوراق أو الأسطر.

- رقم الأوراق في المخطوط.

## I - المعلومات الخاصة:

- ١- الاسم والشهرة:
  - اسم الشخص.
  - اسم الأب والجد.
  - الكنية (أبو..).
  - اللقب (في حال وجوده).
  
- ٢- الانتماء القومي والقبلي:
  - عربي أم مولى.
  - القبيلة: قريش، لخم، شيبان....
  
- ٣- الصلة بالرسول(ص):
  - صحابي أو تابعي (لا سيما بالنسبة للقرن الأول).
  
- ٤- الانتماء الجغرافي:
  - مكان الولادة والاقامة:
    - الإقليم: الشام، الأندلس...
    - الجند أو الكورة: فلسطين، جولان...
    - المدينة: دمشق، الكوفة...
    - القرية: داريا، عكبرا...
  - تنقلات الشخص، أو تنقلات عائلته في صغره.
  
- ٥- العمل أو المهنة:
  - وظيفة رسمية أو عمل خاص.

٦- العلاقة بالشام والجزيرة:

- شامي أو جزري.
- يقيم خارج الإقليمين.
- أقام في أحد الإقليمين في فترة من حياته.
- جاء أحد الإقليمين أو كليهما للدراسة أو التدريس.
- جاء أحد الإقليمين لأغراض سياسية أو دينية أو شخصية.
- تنقلات الشخص داخل الإقليمين.

٧- الدراسة: أسلوبها، مكانها، الرحلة في طلب العلم.

٨- المعلمون الذين درس عليهم، الطلبة الذين درّسهم.

٩- مواد الدراسة.

١٠- النشاط والانتاج:

- الكتب، المذكرات، المناظرات، المراسلات...

١١- المذهب الفقهي والمعتقد الديني والفكري.

١٢- الصفات التي ذكرت عنه:

- الذكاء، الذاكرة، الصدق...

١٣- من ذكره من الإخباريين والمؤرخين والأدباء....

١٤- تاريخ الوفاة، وتاريخ الولادة (في حال وجودها).

II - المعلومات العامة:

أ- أهداف التعليم.

٢- أهمية العلم في المجتمع، ودوره في الصعود الاجتماعي.

٣- تمويل التعليم:

- المرتبات، الأوقاف، الهبات.

٤- المواد الدراسية.

٥- القيم والقواعد الخلقية التي تنظم التعليم.

٦- أماكن التعليم:

- المدارس، المساجد، المكتبات، القصور، البيوت، حوانيت  
الوراقين..

٧- طرائق التعليم والكتب التي تستخدم فيه.

٨- مراكز الثقافة العربية - الإسلامية.

٩- الحياة الثقافية:

- المشكلات والقضايا التي تشغل رجال الفكر.  
- الاتجاهات الدينية والفلسفية.

ج- قراءة المؤلف بكامله مع تسجيل

المعلومات على بطاقات عادية

وقد اضطررت لاستعمال البطاقات العادية بسبب التباين في طول التراجم  
والعناصر الواردة فيها من جهة، ولعدم وجود نظام لإيراد العناصر من جهة  
أخرى. فقد يرد عنصر ما في أول الترجمة أو في منتصفها أو في آخرها، وقد

لا يرد مطلقاً. أضف إلى ذلك تكرار المعلومات، وإيرادها حسب عدد من الروايات، ورداءة الخط، ووجود ثغرات ونواقص في النسخ المتوافرة، مما جعل من الضروري متابعة النص كلمة كلمة، وتسجيل ما ينفع البحث منه في حينه.

#### د- الترتيب الزمني للتراجم

بما أن البحث يندرج في ميدان تاريخ التربية، فقد كان من الضروري ترتيب تراجم الأشخاص حسب الزمن الذي عاشوا فيه. ولما كان يقتصر على القرون الثلاثة الهجرية الأولى، وجب عزل الأشخاص الذين عاشوا خلال هذه الفترة.

وقد تبين أن هذه الخطوة أصعب خطوة في البحث، لأن أكثر التراجم لا تذكر تاريخ ولادة الشخص أو وفاته. مما اضطرني إلى الرجوع لمعاجم أخرى قديمة وحديثة كطبقات القراء، وطبقات الصوفية، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، ومعجم البلدان لياقوت، والأعلام لخير الدين الزركلي، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله، وغيرها.

وفي الأحوال التي لم أعر فيها على تاريخ للشخص كنت ألتجأ لتحديد الفترة التي عاش فيها بصورة تقريبية بالاستناد إلى حياة أبيه أو جده أو أحد أساتذته أو طلابه، أو بالاستناد لحدث تاريخي عاصره. وهكذا استطعت تسجيل تاريخ الوفاة لأكثر الأعلام.

ولدى الانتهاء من هذا العمل أصبح من الممكن إجراء ترتيب هجائي زمني للأشخاص يحصر الذين ينتمون لقرن واحد في صندوق خاص، ويرتبهم هجائياً ضمن نفس الصندوق.

## هـ- نقل المعلومات إلى جداول

بعد عزل أعلام القرون الثلاثة الأولى، أصبح من الممكن إجراء تصنيف للمعلومات الواردة في تراجمهم يفرد كل عنصر منها على حدة.

وقد تضمن التصنيف ستة عشر مدخلاً بالإضافة إلى الرقم التسلسل للشخص ضمن أعلام القرن، واسمه.

ونظراً للتباين الشديد في حجم المعلومات المتعلقة بكل عنصر، فقد لجأت لاستخدام جداول كبيرة بحجم ٧٠ × ٥٠ سم.

وفيما يلي مخطط يوضح هذه العملية:

الرقم المتسلسل	الاسم والشهرة والقبلي	الانتاة القومي والقبلي	الانتاة الجغرافي والتنقلات ضمن العالم الإسلامي	تاريخ الولادة والوفاة العلاقة بالشام والجزيرة والتنقلات الدراسة فيها	مكان الدراسة	مواد الدراسة	الطرائق والكتب
١	أحمد بن الحسن أبو محمد	-	حرّان	-	سكن حرّان زار دمشق	-	المحدث
٢	إبراهيم بن عبد رهمي قرشي الرحمن - أبو إسحاق	المدينة	ت ٧١٤/٩٦ عاش ٧٥ سنة	المدينة	-	المحدث	-
٣	أبي بكر كعب أنصاري خزرخي	المدينة	ت ٦٥٢/٣٢	حضر المعية حضر الجابية ودخل بيت المقدس مع عمر بن الخطاب	المدينة	الكتابة القرآن الحديث	-

عدد الملحقين وأشهرهم	عدد الطلبة النشيط والإنتاج وأشهرهم	الصفات العقلية والخلقية	المذهب الفقهي والاعتقاد الديني والفكري	العمل أو المهنة	الوضع الاقتصادي الإخباريين والمؤرخين	من ذكره من ملاحظات
-	-	-	-	-	-	-
٦	رؤى الحديث	تابعي ثقة	-	-	-	-
الرسول (ص)	عدد كبير أشهرهم - كان يكتب في سيد القراء عبد الله بن عباس الجاهلية - كتب للرسول (ص) - روى الحديث في مسجد المدينة. - جمع القرآن على عهد الرسول اقرأ القرآن - يروى أنه كان له مصحف	سيد القراء	-	-	-	- ذكره عمر بن الخطاب في الجابية على أنه المرجع الأول في قراءة القرآن. - روى أن الرسول سمح سبع قراءات للقرآن. - ذهب جماعة من أهل دمشق إلى المدينة لمرض فقرأتهم على الخليفة عمر، وكانوا قد أخذوها عن أبي فاعترض عمر على بعض ما جاء فيها.

## و- علاج المعلومات

بعد تصنيف المعلومات على هذا الشكل، أصبح من الممكن استخدامها حسب طبيعتها. فمنها ما عولج كميّاً ومنها ما عولج كيفيّاً.

أما العناصر التي عولجت كيفيّاً فهي:

أهداف التربية، مراحل التعليم، التعليم الابتدائي، التعليم العالي، مواد الدراسة. وأما العناصر التي عولجت كميّاً فهي:

وأما العناصر التي عولجت كميّاً فهي:

بالنسبة لأهل الشام: الانتماء الجغرافي، الانتماء القومي والقبلي، المهنة، الجنس، موضوع الدراسة ومكانها، فئات المعلمين، الرحلة في طلب العلم.

بالنسبة لواردى الشام: الانتماء الجغرافي، دوافع الورد، الرحلة في طلب العلم.

هناك نقطة يجدر الاشارة اليها فيما يتعلق بطريقة البحث، وهي قيام مشروع فرنسي- ايطالي سنة ١٩٦٩، تحت اسم: « أونوماستيكون آراييكوم Onomasticon Arabicum، يهدف إلى تسجيل عناصر التراجم المتضمنة في معاجم التراجم وكتب التاريخ والجغرافيا العربية الإسلامية، المخطوطة والمطبوعة. على الحاسب الالكتروني<sup>(١)</sup>. مما يوفر على الباحثين جهوداً

(١) للحصول على معلومات حول هذا المشروع، أنظر:

- C.N.R.S.: Documents sur la mise en ordinateur des données biographiques, Paris 1971.

- C. N. R. S.: Nouveaux documents sur la mise en ordinateur des données biographiques, Paris, 1973.

طويلة، كثيراً تعيق البحث في هذه الكتب.

وقد اهتم القائمون على هذا المشروع، في هذه المرحلة، بتسجيل اسم الشخص وجنسه ونسبه وتاريخ ولادته ووفاته ومكانها ومكان اقامته. وهذه المعلومات تخدم البحوث الاحصائية العامة التي تهتم بالانتماء القبلي أو القومي للأشخاص وانتاتهم الجغرافي وتوزعهم حسب الجنس. إلا أنهم استبعدوا حالياً عدداً من المعلومات الهامة كأسماء الاساتذة الذين درس عليهم الشخص المترجم له، واسماء التلاميذ الذين درسوا عليه، وعناوين الكتب التي رواها أو ألفها. كما استبعدوا تسجيل الصفات العلمية او الخلقية التي نسبت للشخص، تلك الصفات التي تدل دلالة كبيرة على قيم العصر الذي عاش فيه.

لذلك يمكن القول إن البحوث التي تهتم بتاريخ التربية لا تستطيع الإفادة من هذا المشروع، في المرحلة الحاضرة على الأقل، بصورة كافية لأن قضايا التربية التي أشرنا الى بعضها في دليل جمع المعلومات، لا يمكن أن تتضح إلا من خلال الملاحظات والتعليقات التي تظهر هنا وهناك خلال التراجع، والقصص التي تمثل سلوك الأشخاص وعلاقاتهم الشخصية والعامة، والأقوال التي ترد على لسانهم أو على ألسنة الآخرين فيما يتعلق بهم.

وإلى أن يتمكن هذا المشروع أو غيره من وضع تقنيات ملائمة لعزل هذه العناصر وتصنيفها حسب مجالات النشاط المختلفة، سيضطر الباحثون في تاريخ التربية للاعتماد على جهودهم الشخصية، والقيام بهذا العمل الطويل المضي بالطرائق البدائية، كهذه التي عرضتها أعلاه، عاملين في الوقت نفسه على تحسين هذه الطرائق وتطويرها.



القسم الثاني

دور القائمين على السلطة  
في الثقافة والتربية



## تمهيد

لم تكن الثقافة العربية التقليدية، عشية ظهور الإسلام، قادرة على تلبية الحاجات الثقافية للمجتمع العربي الذي أتاحت له التجارة فرصة الاحتكاك مع مجتمعات أخرى أكثر تقدماً. لذلك لم يلبث العرب - بعد فترة من المقاومة تبدو قصيرة إذا قيست بالمقياس التاريخي - أن استقبلوا الدين الجديد الذي كان في الحقيقة تلبية لحاجاتهم الروحية والاجتماعية. وسرعان ما تجلت تلك الظاهرة التي تميز حالات التغير الثقافي، بغية إقامة الانسجام بين القديم والجديد. لقد أخذ الإسلام بعين الاعتبار الإطار الثقافي الذي اتجه إليه، وطرأت تعديلات متعددة على الثقافة العربية بحيث تتكيف مع الدين الجديد. وهكذا واجه هذان العنصران المنسجان العالم الخارجي كمكونتين رئيسيتين لثقافة واحدة سميت فيما بعد بالثقافة العربية الإسلامية.

وعندما فاز الإسلام واتصل العرب بقارات العالم القديم الثلاث: آسيا وإفريقيا وأوروبا عن طريق الفتوحات التي تمت خلال قرن واحد، اهتم الفاتحون بعناصر ثقافية جديدة كالإدارة والفنون والعلوم والفلسفة وغيرها. وتبع ذلك عملية اكتساب ثقافي، لاءمت بين هذه العناصر والحاجات القائمة وتمثلتها. وهكذا ظهرت المكوّنة الثالثة للثقافة العربية الإسلامية، وهي المكوّنة العلمية - الفلسفية - الفنية. ولكن هذه المكوّنة واجهت، لسوء الحظ، استقبلاً فاتراً من البعض، وصدوداً من البعض الآخر، وبقيت موضع

أخذ ورد فترة طويلة. وعندما ضعف المجتمع العربي الإسلامي وأصابه التمزق، لفظ الجانب الأكبر من هذه المكوّنة.

إن التربية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة تعكس هذا الانتقال من الثقافة العربية التقليدية إلى الثقافة العربية الإسلامية. وخلال هذه العصور التي وضعت فيها الثقافة الجديدة مكوّنتها الرئيسية، عكست التربية هذه العملية، وتجلت فيها الجهود التي بذلتها الفئات المختلفة في سبيل توكيد هذه العناصر أو إبعادها. إنها تمثل لعبة حقيقية للقوى الثقافية، قادها الأمراء تارة، والعلماء أخرى، وتجاوزت نتائجها أحياناً الأهداف المقدرة لها، والأغراض السياسية التي رافقتها.

لنأخذ على سبيل المثال خلافة بني أمية: لقد اتهمت هذه الخلافة بأنها أعلنت من شأن العناصر العربية على حساب العناصر الإسلامية في الثقافة<sup>(١)</sup>. ولكن كل الأمثلة التي تطالعنا تشهد باندفاع معظم أفراد هذه الأسرة، خلفاء وولاة وأمراء، رجالاً ونساء، سادة وموالي<sup>(٢)</sup>، في نشر الدين الجديد. ولسنا نبرر ذلك بعمق إيمانهم الديني، فذلك أمر لا يستطيع أحد إثباته أو نفيه. يكفي أنهم اعتلوا الحكم باسم الإسلام، وأخذوا على عاتقهم الذود عنه والجهاد في سبيله. لذلك نستطيع أن نقول: إن وصول الأمويين إلى السلطة كان كسباً لقضية الدين الإسلامي كما كان كسباً لقضية التراث العربي.

---

(١) - E. I. vol. IV, P. 1052, art: Umayyades, par Levi Della

Vida.

يشير ليفي ديلا فيدا في هذا البحث إلى آراء عدد من المستشرقين مثل قلهاوزن وغولدتسيهر وكيثاني..

(٢) ابن عساکر: تراجم بني أمية.

وتعليقاً على الوضع الثقافي للمجتمع الإسلامي خلال الفترة الأولى من الحكم العباسي، يمكننا أن نقول: إن وصول العباسيين إلى الحكم بمساعدة انفرس لم يؤدي إلى تراجع التراث العربي التقليدي، بل إن الأمر على تقيض ذلك:

لقد تعرّف الموالي خلال قرن كامل على الثقافة العربية الإسلامية الناشئة، التي حظي العنصر الديني منها بعناية الخلفاء الراشدين، بصورة خاصة، وعمل الأمويون على التوفيق بين مكوناتها الثلاث.

وعندما حصل هؤلاء، في العهد العباسي، على وضع متميز ضمن الجماعة الإسلامية، وضعوا كل إمكاناتهم الفكرية في خدمة الثقافة الناشئة بجميع جوانبها: الدينية واللغوية والأدبية والعلمية والفلسفية والفنية<sup>(٣)</sup>. ولا أحد يستطيع أن يميز اليوم أثر كل من الموالي والعرب في ضبط اللغة العربية وتطويرها، وفي إحياء الآداب والتراث العربي القديم عامة وتطويره. بل لا أحد يستطيع اليوم أن يتبين أصل رجال من أمثال سيويه وأبي نواس وبنار ابن برد وابن المقفع وابن الرومي وغيرهم. لقد ارتبط هؤلاء بالثقافة الناشئة، وتفتحت عبقرياتهم من خلالها، وعن طريقهم، استعرب الملايين قلباً وقالباً بالرغم من شعوبية بعضهم حينئذ.

يهدف هذا القسم من البحث إلى إعطاء صورة عن تطور الثقافة العربية - الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة من خلال نشاط الرجال الذين تعاقبوا على الحكم فيها خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

---

(٣) ابن عساکر: تراجم بني العباس والرجال الذين رافقوا الخلفاء في زياراتهم للشام وجلهم من الموالي.

ولسنا نغني بذلك أن الفضل في نشوء هذه الثقافة وتطورها يعود إليهم  
وحدهم، بل نفترض أن اهتمامات الحكام وجهودهم قدّمت إطاراً عمل ضمنه  
المعلمون والطلاب، ونشأت فيه مؤسسات التعليم، وتمايزت مواضيع الدراسة.

ويتوزع هؤلاء الرجال زمنياً كما يلي:

- الخلفاء الراشدون من ٦٣٢/١١ - ٦٦١/٤٠
  - الخلفاء الأمويون من ٦٦١/٤١ - ٧٥٠/١٣٢
  - الخلفاء العباسيون من ٧٥٠/١٣٢ - ٩١٢/٣٠٠
- وخلال هذه الفترة الأخيرة استولى على الشام والجزيرة.
- الأمراء الطولونيون من ٨٧٨/٢٦٤ - ٩٠٥/٢٩٢

## ١ - الخلفاء الراشدون

١١ / ٦٣٢ - ٤٠ / ٦٦٧

### جدول زمني

١١ / ٦٣٢	١ - أبو بكر الصديق
١٣ / ٦٣٤	٢ - عمر بن الخطاب
٢٣ / ٦٤٤	٣ - عثمان بن عفان
٣٥ / ٦٥٦ - ٤٠ / ٦٦١ <sup>(٤)</sup>	٤ - علي بن أبي طالب

## أ - فتح الشام والجزيرة

### التواريخ الهامة

١ - أثناء حياة الرسول (ص):

٨ / ٦٢٩

- غزوة مؤتة

- C. E. Bosworth: The Islamic Dynasties, P. 3.

(٤)

- غزوة تبوك ٦٣٠ / ٩
- مفاوضات مع أهل أيلة ومقنا وأذرح وتبالة ٦٣٠ / ٩
- إسلام أهل جرش وتبالة ٦٣٠ / ٩
- إعداد بعث أسامة بن زيد ٦٣٣ - ٦٣٢ / ١١

### ٢- أثناء خلافة أبي بكر:

- إرسال ثلاثة جيوش إلى الشام ٦٣٣ / ١٢
- موقعة أجنادين ٦٣٤ / ١٣

### ٣- أثناء خلافة عمر بن الخطاب

- فتح بصرى ٦٣٤ / ١٣
- فتح دمشق وحمص ٦٣٥ / ١٤
- موقعة اليرموك ٦٣٦ / ١٥
- إعادة فتح دمشق والمدن الداخلية: حمص، حاة، شيزر، حلب.. ٦٣٦ / ١٦
- فتح المدن الساحلية ٦٣٧ / ١٦
- فتح بيت المقدس ٦٣٨ / ١٧
- فتح الجزيرة ٦٤٠ / ١٩
- فتح قيسارية ٦٤٠ / ١٩ (٥)

(٥) تعتمد هذه المعلومات والتواريخ على:

- ابن عساکر: تاريخ، ج ١ (منجد)، ص ٣٨٤ وما يليها.
- البلاذري: فتوح البلدان.

- Nikita Elisséeff: L'Orient Musulman au Moyen-Age.

لقد اقتصررت علاقات العرب المسلمين بالشام، أثناء حياة الرسول (ص). على غزوة مؤتة<sup>(٦)</sup> عام ٦٢٩/٨، التي لم يكتب لها النصر، وعلى المفاوضات التي أجراها الرسول في العام التالي، بعد غزوة تبوك<sup>(٧)</sup>، مع مدن الشام الجنوبية. أما أهل أيلة وأذرح والجرباء، من نصارى ويهود، فقد قبلوا دفع الجزية مقابل احترام المسلمين لممتلكاتهم وعقائدهم. وأما أهل تباله وجرش فقد دخلوا في الإسلام، وولي أبو سفيان بن حرب مدينة جرش، بأمر من الرسول (ص)<sup>(٨)</sup>.

يعلل بعض المؤرخين التوسع العربي بعد الإسلام بعوامل مختلفة، ولا يهمننا في هذا المجال مناقشة تفسيراتهم. إلا أننا نؤكد بأن الغزوات التي قام بها العرب آنذاك ارتدت طابعاً دينياً. كان هدفها إزالة العوائق التي تحول بين المؤمنين وتأدية فرض أساسي من فروض دينهم، ألا وهو نشر الدين الإسلامي على أوسع نطاق ممكن.

وهذا ما يفسر سياسة الرسول وخلفائه التي تمثلت بالاتصال، بمختلف الوسائل، بالقبائل والشعوب المجاورة ودعوتهم إلى الإسلام. فعندما كان هؤلاء يقبلون الدعوة، كان العلماء يتجهون إليهم لتعليمهم أركان الدين. ولكن عندما كانوا يرفضون، كان على المسلمين أن يشقوا طريقهم بالسلاح. على أن فتح بلد من البلدان كان إيذاناً للفاتحين بالانتقال إلى المرحلة التالية، وهي تعليم

---

(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١٩، مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام.

(٧) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٤، تبوك: موضع بين وادي القرى والشام.

(٨) البلاذري: المصدر السابق، ص ٧٩.

الدين الإسلامي والقرآن الكريم، الذي نزل بلغة العرب. وهكذا ارتبط  
تعليم العربية بتعليم الدين منذ البداية.

وعلى طريق الشام، كان جيش اليرموك يضم قاضياً، هو أبو الدرداء،  
وقاصاً، هو أبو سفيان بن حرب<sup>(٩)</sup>، وقارئاً هو المقداد بن الأسود. وكان  
المقداد يتلو سورة الجهاد (الأنفال)<sup>(١٠)</sup>، أثناء المعركة، جرباً على السنة التي  
سنّها الرسول بعد معركة بدر<sup>(١١)</sup>. كما كان هذا الجيش يضم ألفاً من أصحاب  
الرسول، بينهم مئة بدري<sup>(١٢)</sup>.

وعندما استقر الجيش في أرض الشام، انتقل جميع أفرادها، قادة  
وجنوداً، إلى التعليم والتعلم، على النهج الذي اختطه الرسول، معلم الإسلام  
الأول، في المدينة المنورة.

على أننا يجب أن نلاحظ أن هذه الغزوات كانت من جهة أخرى  
مناسبات تجلت فيها ثقافة العرب التقليدية. لقد كان جيش اليرموك نفسه  
يضم، بالإضافة إلى القاضي والقاص والقاري، شعراء يرتجلون الشعر  
ويقولونه على طول طريقهم. وقد أشاد الخليفة أبو بكر بأحدهم وهو القعقاع  
ابن عمرو التميمي قائلاً: «إن صوت القعقاع في الحرب خير من ألف

---

(٩) ابن عساکر: ج ٨، ق ٧٨ (٢)، ترجمة: صخر بن حرب (أبو سفيان). أنظر أيضاً:  
- الطبري: ج ٣، ص ٣٩٧.

(١٠) القرآن الكريم: سورة ٨.

(١١) الطبري: المصدر السابق.

(١٢) ابن عساکر: ج ١ (منجد)، ص ٥٢٩. والبدري هو من شارك بغزوة بدر  
(٦٢٣/٢).

رجل» (١٣). ويذكر ابن عساكر عن شاعر حجازي أنه كان شاعر المسلمين أثناء الغزو (١٤).

ونظراً للتطورات التي حدثت فيما بعد، نرى من المفيد هنا أن نشير إلى دور الأسرة الأموية خلال فتح الشام.

فمن المعروف أن هذه الأسرة المكيّة، التي تميزت في الجاهلية في ميادين الثقافة والتجارة، عارضت الرسول (ص) في بداية الدعوة. ولكنها سرعان ما دخلت في الإسلام عند فتح مكة، وتبوأت مكانة تقارب تلك التي كانت تتمتع بها في الجاهلية. وشاهد ذلك اتخاذ الرسول (ص) معاوية بن أبي سفيان كاتباً له، وتوليته أبا سفيان جرش، ثم تسمية الخليفة أبي بكر بعد وفاة الرسول (ص) ليزيد بن أبي سفيان قائداً لأحد الجيوش الثلاثة التي بعث بها لفتح الشام. لقد ضمّ هذا الجيش بالإضافة إلى يزيد، أخاه معاوية الذي حمل له اللواء، وأباه أبا سفيان الذي كان يقصّ على الناس ويخطب فيهم طول الحملة، وعدداً كبيراً من رجال الأسرة ونسائها.

وعندما ظفر المسلمون، وأصبح قادة الجيش ولاة لأجناد الشام، تسلّم يزيد بن أبي سفيان ولاية دمشق. وبعد وفاة أبي عبيدة بن الجراح عام ٦٤٠/١٨، امتدت ولايته إلى الشام كلها بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب. وعندما توفي يزيد بن أبي سفيان، بعد بضعة أشهر، جعل الخليفة ولاية الشام لمعاوية أخي يزيد. أما الخليفة الثالث عثمان بن عفان فقد أولى معاوية مزيداً

---

(١٣) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٨٣ (١)، ترجمة: القعقاع.

(١٤) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٠٣ (٢)، ترجمة: شاعر من الحجاز.

من الثقة بتقليده ولاية الجزيرة بالإضافة إلى الشام. ومنذ ذلك الحين حكم معاوية الاقليمين بصورة شبه مستقلة.

## ب- علاقات الخلفاء الراشدين بالشام والجزيرة

### ١- عمر بن الخطاب

لقد أحاط الخليفة عمر بن الخطاب الشام برعاية خاصة، وجاءها ثلاث مرات أو أربعاً بعد فتحها<sup>(١٥)</sup>، وعقد اجتماعاً في الجابية عام ١٦ / ٦٣٧، ليناقدش الأمور الدينية والمشاكل الإدارية مع قادة الشام، وعدد كبير من الرجال الذين جاءوا للقاءه من العراق، أو قدموا بصحبته من الجزيرة العربية. وقد ألقى الخليفة أثناء هذا الاجتماع خطاباً هاماً تطرّق فيه لموضوع القدر، وأكد أن القدر خيرُه وشره من الله تعالى<sup>(١٦)</sup>.

كان الخليفة عمر بن الخطاب يريد أن يعمل المؤمنون فيما يعود عليهم بالنفع. فما إن تمّ الفتح حتى أرسل رسولاً إلى قائد جيشه أبي عبيدة بن الجراح بكتاب يقول فيه: «علموا غلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمي»<sup>(١٧)</sup>. ولا نعرف ما إذا كان أهل الشام قد علموا أبناءهم العوم أم لا، نظراً لأن الماء لا يتوافر في كل مكان. إلا أن حامل الرسالة وهو أسعد بن سهل بن حنيف، أبو أمانة الأنصاري يؤكد أن القادة اهتموا بتعليم مقاتلتهم الرمي، وأن غلاماً أصيب خلال الرمي وقتل<sup>(١٨)</sup>.

(١٥) المصدر نفسه: ج ١٢، ق ٥٣٧ (٢)، ترجمة: عمر بن الخطاب.

(١٦) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٨ (١)، ترجمة: عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي.

(١٧)، (١٨) المصدر نفسه: ج ٢ (ك)، ق ٣٠٠ (٢)، ترجمة: أسعد بن سهل بن حنيف.

وفيما يتعلق بتعليم الكتابة، احتذى قادة الجيش في عهد الخليفة الثاني حذو الرسول (ص). فقد طلبوا من أسرى الشام الذين يجيدون الكتابة تعليمها للمسلمين. مثال ذلك ما يروي البلاذري من أن أسرى قيسارية وُضعوا في الجُرف (وهو معسكر المسلمين في فلسطين) وطلب منهم تعليم المسلمين الكتابة<sup>(١٩)</sup>. كما نرى أن المسلمين عمدوا بعد الفتح مباشرة إلى إرسال أبنائهم لتعلم الكتابة في الكتاتيب القائمة والتي كان يديرها المعلمون النصارى<sup>(٢٠)</sup>. إن تدبيراً من هذا القبيل لا يمكن أن يتخذه والي الشام ما لم يحصل على موافقة مسبقة من الخليفة.

أما تعليم القرآن والدين فقد كان له شأن آخر. لقد أرسل الوالي يزيد بن أبي سفيان رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب منه إيفاد المعلمين لتعليم أهل الشام. وهذا هو نصّ الخبر:

قال محمد بن كعب القرظي: «... ولما كان عمر، كتب يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام كثير، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فقال عمر لأصحابه: أعينوني بثلاثة. فقالوا (عن أبي أيوب الأنصاري) هذا شيخ كبير، (وعن أبي بن كعب) هذا سقيم. فخرج معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء. فقال عمر: ابدأوا بجمص، فإن رضيتم عنها فليخرج

---

(١٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٣.

(٢٠) ابن عساكر: ج ٢ (س أ - ٣)، ق ٥٥٠ (١)، ترجمة: أدهم بن محرز، وهو أول طفل ولد للمسلمين بجمص، وأول صبي مسلم التحق بالكتاب فيها، أنظر أيضاً: - المصدر نفسه: ج ٣، ق ١١١ (٢)، ترجمة: إياس بن معاوية، التحق بأحد هذه الكتاتيب في الشام ودارت بينه وبين صبي نصراني من صبية الكتاب مناقشة حول الحياة الآخرة.

واحد إلى دمشق وآخر إلى فلسطين. فأقام عبادة بمحمص، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين. ومات معاذ عام طاعون عمواس، فصار عبادة بعدها إلى فلسطين ومات بها. ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات «(٢١)».

قال محمد بن سعد: «عبادة بن الصامت أول من ولي قضاء فلسطين... وكان أخرجه إليها عمر بن الخطاب معلماً» «(٢٢)».

وقد أرسل الخليفة عمر بن الخطاب، إلى الشام، بعد وفاة معاذ بن جبل، أحد تلامذة معاذ وهو عبد الرحمن بن غنم، وطلب منه أن يفقه أهلها في الدين «(٢٣)». كما اتخذ، فيما يتعلق بتنظيم العبادات والتعليم الديني، موقفاً تجب الإشارة إليه. يقول ابن عساکر:

«لما افتتح عمر بن الخطاب (رض) البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً ويتخذ للقبائل مسجداً، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجمعة. وكتب إلى سعد بن أبي وقاص، وهو على الكوفة، بمثل ذلك. وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، بمثل ذلك. وكتب إلى أمراء أجناد الشام: لا يتبدؤا إلى القرى ويتركوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً. ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة ومصر. وكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده» «(٢٤)».

---

(٢١)، (٢٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٦٦ (٢)، ترجمة: عبادة بن الصامت.

(٢٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٧٠ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن غنم.

(٢٤) المصدر نفسه: (منجد - ج ٣) ص ص: ٩٤ - ٩٥.

وهكذا أنشأ المسلمون في الشام في كل مدينة فتحوها مسجداً واحداً، كانوا يجتمعون فيه للصلاة وتعلم أمور الدين وتعليمها.

## ٢ - عثمان بن عفان

أدى وصول مصحف عثمان إلى الشام إلى تنظيم تعليم القرآن ونشره إلى حد كبير، نظراً لكثرة النسخ التي أخذت عنه. يدل على ذلك أن أهل الشام رفعوا في معركة صفين خمسمائة نسخة<sup>(٢٥)</sup>. وقد وقعت هذه المعركة كما نعرف عام ٦٥٧/٣٧، أي بعد حوالي عشر سنوات من نسخ المصحف وتوزيعه على الأمصار.

كما ازدهرت القراءة العثمانية في الشام، بوصول قارئ قرشي قرأ على الخليفة عثمان نفسه، وهو المغيرة بن شهاب الخزومي (ت ٧١٠/٩١).

وإذا كنا لا نعرف الكثير عن هذا القارئ، فإننا نملك أخباراً كثيرة عن تلميذه، القارئ الكبير، عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ٧٣٦/١١٨)<sup>(٢٦)</sup>. وهو الذي نشر القراءة العثمانية على نطاق واسع في الشام، لدرجة أنها سميت بالقراءة الشامية، واستمرت فيها دون منازع تقريباً أكثر من خمسة قرون<sup>(٢٧)</sup>.

وهكذا جمعت الصلات التربوية بين أهل الشام والخليفة عثمان، أكثر مما جمعت بينهم الصلات السياسية التي اقتصر المؤرخون على ذكرها.

---

(٢٥) عز الدين إسماعيل: المكوّنات الأولى للثقافة العربية، ص ٢٢٢.

(٢٦) ابن عساكر: ج ٩، ق ١٤٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن عامر اليحصبي.

(٢٧) ابن الجزري: طبقات القراء، ج ١، ص ٢٩٢.

شهدت التربية في بلاد الشام، عقب مقتل عثمان وامتناع والي الشام والجزيرة معاوية بن أبي سفيان عن مبايعة علي، انحرافات ضارة بالتربية العربية - الإسلامية. فقد انتشر القصص، تحت وطأة الصراع السياسي، انتشاراً كبيراً استمر فترة طويلة بعد تمكن الأمويين من السلطة.

ومن المعروف أن عمر بن الخطاب لم يقبل دخول القصص إلى المسجد إلا بصورة محدودة ولأغراض دينية وأخلاقية<sup>(٢٨)</sup>. إلا أن القصص انتشر في هذه الفترة لأغراض سياسية بالدرجة الأولى. فقد كان الجيش الذي يسير مع معاوية لقتال خصومه يضم عدداً كبيراً من القصاص، يقصون كل يوم، بخصون أهل الشام عند كل صلاة<sup>(٢٩)</sup>.

هذا الانحراف الخطير لم يمنع، على كل حال، من ازدهار التربية الدينية، فقد رأينا أن جيش صفين كان يحمل معه المصاحف لقراءة القرآن وتعلمه حين تباح له الفرصة لذلك. كما أنه لم يمنع من الاهتمام بموضوعات أخرى كما سنرى في بحثنا عن الأمويين.

---

(٢٨) ابن عساکر: ج ٣ (دهان)، ص ٤٤٦، ترجمة: تميم الداري، سمح له الخليفة عمر ابن الخطاب أن يقصّ مرة في الأسبوع بعد صلاة الجمعة.

(٢٩) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ١٣٠ (٢)، ترجمة: معاوية بن أبي سفيان.

## ٢ - الخلفاء الأمويون

٧٥٠ / ١٣٢ - ٦٦١ / ٤١

### جدول زمني

- |                                      |                                  |
|--------------------------------------|----------------------------------|
| ٦٦١ / ٤١                             | ١ - معاوية الأول (ابن أبي سفيان) |
| ٦٨٠ / ٦٠                             | ٢ - يزيد الأول (ابن معاوية)      |
| ٦٨٣ / ٦٤                             | ٣ - معاوية الثاني (ابن يزيد)     |
| ٦٨٣ / ٦٤                             | ٤ - مروان الأول (ابن الحكم)      |
| ٦٨٥ / ٦٥                             | ٥ - عبد الملك بن مروان           |
| ٧٠٥ / ٨٦                             | ٦ - الوليد الأول (ابن عبد الملك) |
| ٧١٥ / ٩٦                             | ٧ - سليمان بن عبد الملك          |
| ٧١٧ / ٩٩                             | ٨ - عمر بن عبد العزيز            |
| ٧٢٠ / ١٠١                            | ٩ - يزيد الثاني (ابن عبد الملك)  |
| ٧٢٤ / ١٠٥                            | ١٠ - هشام بن عبد الملك           |
| ٧٤٣ / ١٢٥                            | ١١ - الوليد الثاني (ابن يزيد)    |
| ٧٤٤ / ١٢٦                            | ١٢ - يزيد الثالث (ابن الوليد)    |
| ٧٤٤ / ١٢٦                            | ١٣ - إبراهيم بن الوليد           |
| ٧٥٠ / ١٣٢ - ٧٤٤ / ١٢٧ <sup>(١)</sup> | ١٤ - مروان الثاني (ابن محمد)     |

- Bosworth: Islamic Dynasties, P. 5.

(١)

## آ - معاوية والسفانيون

تتميز فترة الحكم الأموي بنقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، قلب الشام ومدينتها الأولى.

وهذا الإجراء الذي اتخذهُ الأمويون لأغراض سياسية، من دون شك، يتضمن شيئاً من المخاطرة إذا ما نظرنا إليه من الزاوية الثقافية. ذلك أن هذه المنطقة تعرضت فيما مضى لتأثيرات ثقافية يونانية - رومانية - سريانية - عريقة، كان من الممكن أن تسيطر على الثقافة العربية الإسلامية الناشئة. إلا أن شخصية معاوية بن أبي سفيان جمعت بين الإحساس العميق بالقيم الفكرية والخلقية للتراث العربي التقليدي، والمعرفة الواسعة بالدين الإسلامي الجديد، والرغبة العارمة في أداء الواجبات الرئيسة لأمر المؤمنين والتي تتمثل في حماية الدين الإسلامي والعمل على انتشاره. أضف إلى ذلك انفتاح عقله واستعداده الطبيعي للإفادة من خبرات الآخرين، وإيمانه بالتربية وسيلة فعالة لتحقيق أهدافه. لذلك استطاع معاوية أن يشغل دوراً كبيراً في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة وتطويرها بصورة تستطيع معها أن تحل محل الثقافات القديمة.

كان الواجب الأول الذي تصدى له معاوية يتمثل في توحيد الثقافة في العالم الإسلامي. ذلك أن وصول الأمويين إلى الحكم هزَّ الجماعة الإسلامية بعنف وفرقتها إلى فرق كالخوارج<sup>(٢)</sup> والشيعنة<sup>(٣)</sup> والمرجئة<sup>(٤)</sup>. كما أن

(٢) (٣) (٤) الخوارج: فرقة تقول بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان في سنيه الأولى، وتقر بصحة خلافة علي، ولكنها ترى خطأه في التحكيم، وتحكم بكفره نتيجة =

احتكاك المسلمين في الشام بغيرهم من أبناء الأديان الأخرى أثار اهتمامهم بمسائل فلسفية، ولا سيما مسألة القدر، وقد أدى ذلك بدوره الى ظهور فرقة القدريّة (٥).

وقد عملت الفرق السياسية والعقائدية على تبرير مواقفها، معتمدة على حجج أصبحت فيما بعد الأساس الذي قام عليه التفكير الفلسفي والاجتماعي والسياسي ضمن الثقافة العربية الإسلامية.

ويلام معاوية، في كثير من الأحيان، على أنه في سبيل التغلب على

ذلك، كما تحمك بكفر معظم الخلفاء الذين أتوا بعده. الشيعة فرقة ترى أن علياً أولى بالخلافة من سبقه إليها. كما تعتقد بأن الرسول (ص) أوصى لـعلي بالفعل، وتؤيد اعتقادها بنصوص المرجئة. فرقة ترى إرجاء أمر الأحزاب التي اختلفت في الرأي واقتتلت إلى يوم الحساب. وقد قاد هذا الموقف إلى مسألة الحكام وعدم الثورة عليهم، ذلك أن الإمام الذي يرتكب معصية يبقى مؤمناً في رأيا وتجب له الطاعة.

(٥) القدريّة: جماعة تقول بجزئية الإرادة معارضة في ذلك الفكرة الشائعة بأن الإنسان مسير لا مخير.

ويتمثل الموقف الأخلاقي لهذا المذهب في ضرورة اتباع الإنسان مبادئه للسلوك القويم توجهه نحو الخير، وتبعده عن الشر.

أما موقفه السياسي فيستند إلى المبدأ القائل بأن الحاكم مسؤول عن أعماله، وأنه يجب أن يخلع، أو يتنازل عن الحكم إذا ما أساء.

وأما موقفه اللاهوتي فيستند إلى الفكرة القائلة بأنه لا يمكن أن ينسب الشر إلى الله.

وقد ظهر في هذه الجماعة فئة معتدلة وأخرى متطرفة. أنظر:

-E. I. 2, Vol. IV, PP. 384-388, art: Kadariyya, par J. Van Ess-

خصومه، لجأ إلى الدهاء معهم تارة وإلى التنديد بهم تارة أخرى . إلا أن ذلك لا يهيم بحثنا في قليل أو كثير . إن ما يهمننا هنا هو ما قدّمه في مجال الثقافة والتربية، وهو ليس بالشيء القليل . فقد تبنى عدداً من أساليب العمل والمؤسسات تركت أثراً كبيراً لا في الشام فحسب، بل في الثقافة والتربية العربية - الإسلامية ككل . وأهمها:

١- الاعتدال على الكتابات العربية المحلية لتعليم الكتابة لأبناء المسلمين، إلى جانب أقرانهم من أبناء الديانات الأخرى، ولا سيما النصرانية . وقد ذكرنا مثاليين لهذه الكتابات في كلامنا عن الخليفة عمر بن الخطاب حين كان معاوية ما يزال والي الشام . على أن المسلمين لم يتأخروا في إنشاء كتابات خاصة بهم لتعليم الكتابة وأخرى لتعليم القرآن . ولنا على النوع الأول مثال أم الدرداء التي علمت الصبيان القراءة والكتابة بدمشق<sup>(٦)</sup> . ولكننا لا نملك مع الأسف مثلاً صريحاً على النوع الثاني .

٢- إقامة مجالس سر في قصر الخليفة<sup>(٧)</sup>، يدعى إليها أعلام الفكر والأدب في جميع أرجاء العالم الإسلامي، ويستمع الخليفة خلالها إلى « أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتهما، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة »<sup>(٨)</sup> . كما كان يستمع فيها إلى الشعر والأدب، وإلى مناقشات في اللغة ومعلومات في العلوم المختلفة، وإلى الأحاديث النبوية .

---

(٦) ابن عساکر: ج ١٩، ق ٤٠٨ (١)، ترجمة: هُجَيْمَة بنت حُيَيٍّ أم الدرداء .

(٧) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٠٩ (٢)، ترجمة: رجل غساني، رواية الشامي .

(٨)، (١٠) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٥٦، عن السمودي: مروج الذهب، القاهرة، ١٣٤٩، ج ٢، ص ٧٢ .

٣- إقامة مكتبة خاصة، أو شبه خاصة في القصر دعيت «بيت الحكمة»<sup>(٩)</sup>، يجمع فيها الكتب التي يأتيه بها أعوانه، والكتابات التي يسجلها له كتابه. ويعنى بها «غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها»<sup>(١٠)</sup>.

٤- العناية باللغة العربية وآدابها، والإلحاح على دورها الهام في تكوين الناشئة. يتجلى ذلك في الكتاب الذي أرسله لزياد بن أبيه والذي يقول له فيه: «ما منعك أن تُروِّيه (يقصد بذلك ابنه) الشعر؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيرّ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل»<sup>(١١)</sup>. كما يتجلى في فتح أبوابه للنحويين والشعراء والخطباء والفصحاء وتكريمهم. ومن هؤلاء أبو الأسود الدؤلي، الذي وضع علم النحو وتم على يديه أول إصلاح للكتابة العربية بإضافة الحركات، بناء على طلب والي البصرة في أيامه، زياد بن أبيه (ت ٦٧٣/٥٣)<sup>(١٢)</sup>.

٥- الاهتمام بالفروسية، فقد بدأ معاوية تقليداً اتبعه جميع الخلفاء الأمويين فيما بعد، يتمثل في إقامة سباق للخيل في دمشق على غرار الأسواق

---

(٩) - Youssef Eche: Bibliothèques, pp. 11-12.

بالاستناد إلى «رد الدارمي على بشر المريسي»، القاهرة، ١٣٥٥، ص ١٣٥.

(١١) ابن عساكر: ج ١٠، ق ٥٣١ (١)، ترجمة: عبيد الله بن زياد: أنظر أيضاً:

ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٦، ص ١٠٨.

(١٢) ابن عساكر: ج ٨، ق ١٩١ (٢)، ترجمة: ظالم بن عمرو، أبي الأسود الدؤلي. أنظر أيضاً:

فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ص ١٤٦، عن: طبقات النحويين للزبيدي

١٣ - ١٤، نقت المصحف للداني ١٣٢ - ١٣٣، مقدمة على الجامع لابن عطية ٢٧٦.

العربية القديمة، يشترك فيه فرسان من جميع أطراف الدولة. وكان هؤلاء يدخلون الحلبة وهم يقولون الشعر في الفخر بأنفسهم وخيلهم، وعند انتهاء السباق كان الخليفة يقدم جوائز ثمينة للراجلين<sup>(١٣)</sup>.

٦- الإبقاء على المدارس السريانية، المسيحية والوثنية، في نصيبين وحران وغيرها، وعدم التعرض لنشاطها. ومما يدل على ذلك استمرارها في عمليات الترجمة لكعب اليونان العلمية والفلسفية.

وقد اشتهر من السريان في عصر معاوية يعقوب الرهاوي (٦٤٠/١٩ - ٧٠٨/٨٩) الذي ترجم كثيراً من كتب الإلهيات اليونانية. ويؤثر عن يعقوب هذا أنه أفتى رجال الدين من المسيحيين بأنه محلّ لهم أن يعلّموا أولاد المسلمين التعليم الراقي. وهذه الفتوى تدل من غير شك على إقبال بعض المسلمين في ذلك العصر على دراسة الفلسفة عليهم، وتردد المسيحيين أولاً في تعليمهم<sup>(١٤)</sup>.

٧- الاستعانة بأهل البلاد من عرب وغيرهم في المجالات الجديدة بالنسبة للحياة العربية، كالحرب في البحر والإدارة والطب والبناء وغيرها، والاعتماد على تدريب المسلمين على أيديهم. ومن أمثلة ذلك اتخاذ سرجون بن منصور رئيساً للديوان<sup>(١٥)</sup>، وقنان بن متى كاتباً<sup>(١٦)</sup>، وابن أثال طبيباً<sup>(١٧)</sup>.

---

(١٣) ابن عساكر: ج ١٩، ق ٣١١ (١)، ترجمة: رجل همداني من اليمن. أنظر أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣١٣ (٢)، ترجمة: رجلان وامرأة من غير.

(١٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٣٢.

(١٥) ابن عساكر: ج ٧، ق ٢٨ (١)، ترجمة: سرجون بن منصور الرومي.

(١٦) ابن النديم: الفهرست، ص ١٢٢.

(١٧) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ١، ص ١١٧.

٨- اتخاذ معاوية المؤدبين لتربية ابنه، ولي عهده<sup>(١٨)</sup>. وقد أدى ذلك إلى نشوء ازدواجية في التربية العربية - الإسلامية، تتمثل في تقديم تربية واسعة لأبناء الخاصة تضم دراسة الدين واللغة والأدب والعلوم والفنون والفروسية وقواعد السلوك، وبكلمة موجزة كل ما يؤهل هؤلاء للوظائف الجليلة التي يتوقع منهم أن يشغلوها. أما أبناء العامة فكان تعليمهم يقتصر على القرآن ومبادئ الدين وبعض مبادئ النحو الضرورية لقراءة القرآن. وهذا التعليم كان يمثل التعليم العام الضروري لكافة المؤمنين، ويعد واجباً رئيساً من واجبات أميرهم. لذلك كان يوجه ويمول جزئياً أو كلياً من قبل السلطة.

ونظراً لأهمية هذا النوع من التعليم سنتوقف قليلاً لنرى مدى مساهمة معاوية فيه.

يتجلى حرص معاوية على أن يؤدي واجباته في هذا المجال بالدرجة الأولى في اتخاذه مسكناً ملاصقاً للجامع، على غرار ما فعل الرسول (ص) بصورة يستطيع معها أن يشارك في فعاليات الجماعة الدينية والتربوية، وأن يوجهها بصفته صحابياً وكاتباً من كتاب الرسول (ص).

وبما أن المسلمين كانوا قد انتشروا في المدن الصغيرة والقرى، نظراً لكثرة المساكن والمزارع الخالية من السكان فيها، ولضرورة تأمين الحياة الاقتصادية للجماعة، فإن معاوية حرص على أن يجتمعوا مرة في الأسبوع في المدن الكبرى، ويلتقوا به أو بمثليه. وكانت أفضل مناسبة لذلك هي صلاة الجمعة.

---

(١٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٣، أنظر أيضاً:

- ابن عساكر: ج ٦، ق ٣٥ (٢)، ترجمة: دغفل بن حنظلة السدوسي، عالم باللغة والأنساب والنجوم، أدب يزيد بن معاوية.

ففي دمشق كان يوم الجمعة يوماً مشهوداً. كان فضالة بن عبيد الأنصاري يقف بالناس ويعظهم قبل خروج معاوية. ثم يخرج الخليفة فيخطب ويصلي بالناس<sup>(١٩)</sup>. وخلال الخطبة، كان معاوية يذكر المسلمين الذين يسكنون في أطراف دمشق بواجبهم في الحضور إلى المدينة وأداء الصلاة في جامعها. ومن شواهد ذلك ما يروى عن طلحة بن أبي قنان من أنه سمع معاوية يقول: «يا أهل قردا<sup>(٢٠)</sup>، يا أهل جَوْلان<sup>(٢١)</sup>، الجمعة الجمعة! فإنما نحبيها لثلاث قوتكم<sup>(٢٢)</sup>». وما يروى عن مهاجر بن أبي مسلم من أن معاوية كان يخاطب في جامع دمشق ويقول: «يا أهل قردا، يا أهل زاكية<sup>(٢٣)</sup> وأقاصي الغوطة لا تدعن الجمعة قوتكم بدمشق<sup>(٢٤)</sup>». وما يروى عنه أيضاً من «أن معاوية كان يصلي يوم الجمعة بنهار طويل. وكان أهل القرى من مرج الصفر<sup>(٢٥)</sup> يشهدونها معه ثم ينصرفون إلى أهلهم فيأتونهم قبل غروب الشمس<sup>(٢٦)</sup>».

وتضيف رواية يونس بن ميسرة بن حليس إلى المناطق التي كان يذكرها معاوية في خطبه قريتي قَيْن<sup>(٢٧)</sup> والبشنية<sup>(٢٨)</sup>.

- (١٩) ابن عساكر: ج ١٩، (ب)، ق ٢٢٥ (٢)، ترجمة: أبو قنان، طلحة بن أبي قنان.
- (٢٠) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٦. قردا: قرية في الغوطة.
- (٢١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٨٨. جولان: جبل وقرية في حوران.
- (٢٢) ابن عساكر: ج ١٩ (ب)، ق ٢٢٥ (٢)، ترجمة: أبو قنان، طلحة بن أبي قنان.
- (٢٣) المصدر نفسه: ج ١ (منجد)، ص ٣٥٣. زاكية: قرية في حوران.
- (٢٤)، (٢٦) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣١٧ (٢)، ترجمة: المهاجر بن أبي مسلم.
- (٢٥) ياقوت: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠١. مرج الصفر: مكان في أطراف دمشق.

(٢٧) ابن عساكر: ج ١ (منجد)، ص ٣٥٣. قَيْن: ضاحية من دمشق.

(٢٨) ياقوت: ج ١، ص ٤٩٣. البشنية: قرية بين دمشق وأذرع.

كما يروى عن عبد الله بن ثوب، أبي مسلم الخولاني، أنه كان يحضر كل جمعة من داريا<sup>(٢٩)</sup>، لحضور الصلاة الجامعة في دمشق<sup>(٣٠)</sup>.

وفي سبيل إيقاظ الرغبة في التعلم عند المؤمنين. كان معاوية يروي في خطبه الحديث الشريف الذي يقول: «أيها الناس! إنما العلم بالتعلم. والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، إنما يخشى الله من عباده العلماء»<sup>(٣١)</sup>.

كانت التربية الدينية تشتمل خلال حياة الرسول (ص) على تعليم القرآن ومبادئ الدين والعبادات. وقد أولى معاوية تعليم القرآن في الجامع اهتماماً خاصاً.

فمن المعروف أن أبا الدرداء (ت ٦٥٣/٣٢)، الذي كان على صلة طيبة بالخليفة، نظم تعليم القرآن في جامع دمشق في ولاية معاوية بصورة أصبح معها مثلاً يحتذى<sup>(٣٢)</sup>.

وعندما توفي أبو الدرداء، عين معاوية على الإقراء فضالة بن عبيد الأنصاري. ولا يستبعد أن يكون التقليد القاضي بتعيين مشيخة للجند. والذي رأينا نموذجاً له في جيش اليرموك قد استمر في عهد معاوية. لأن قارئ دمشق الكبير، عطية بن قيس الكلبي (٧ / ٦٢٨ - ١١٠ / ٧٢٩)

---

(٢٩) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٣١. دارياً: قرية كبيرة في غوطة دمشق.

(٣٠) ابن عساكر: ج ٩، ق ٨ (١)، ترجمة: عبد الله بن ثوب الخولاني.

(٣١): المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٤٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن عامر اليحصبي.

(٣٢) المصدر نفسه: ج ١ (منجد)، ص ٣١٥.

يذكر في رواية على أنه كان يدخل مع مشيخة الجند على معاوية (٣٣).

وإذا صحت هذه الرواية فإن ذلك يعني أن السلطة كانت تأخذ على عاتقها تعيين علماء يُقرئون الجند ويفقهونهم في الدين، وكان الجند، كما هو معروف، يشكلون غالبية المسلمين في تلك الفترة.

كما حرص معاوية على تعليم رعيته العبادات. ويتجلى ذلك فيما يروي يونس بن ميسرة بن حليس من « أن معاوية توضع للناس وضوء رسول الله ثلاثاً ثلاثاً » (٣٤). وما يروي ورّاد أبو الدر، كاتب المغيرة بن شعبة ومولاه من « أن معاوية كتب إلى المغيرة أن اكتب إليّ بشيء سمعته من رسول الله. فكتب إليه المغيرة أن الرسول (ص) كان يقول بعد انصرافه من الصلاة (دعاءً) وأنه حين وفد على معاوية بعد ذلك سمعه على المنبر يأمر الناس بذلك القول ويعلمهموه » (٣٥).

ولكن المواد التي تتعلق بالتربية الدينية ازدادت واتسعت بعد وفاة الرسول (ص). فظهرت علوم الحديث والفقه والفرائض وغيرها. وكان على الخليفة اتخاذ موقف، لا سيما إزاء الحديث، يضمن له الوحدة الثقافية والسياسية للجماعة.

وتتفق معظم المصادر على أن معاوية اتخذ، على غرار الخليفة عمر بن الخطاب، موقف الحيطة والحذر فيما يتعلق برواية الحديث. هذا على الأقل

---

(٣٣) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢١٣ (٢)، ترجمة: عطية بن قيس الكلبي - رواية الهيثم بن عمران.

(٣٤) المصدر نفسه: ج ١٨ (ب)، ق ٧٠ (٢)، ترجمة: يونس بن ميسرة.

(٣٥) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٢٢ (٢)، ترجمة: ورّاد أبي الدر.

خلال الفترة الأولى لخلافته. فقد اكتفى برواية عدد قليل من الأحاديث. ونهى الناس عن الإكثار منها. يروي عبد الله بن عامر اليحصبي أن معاوية وقف في مسجد دمشق يخطب، فقال: «إياكم والأحاديث عن رسول الله إلا حديثاً واحداً ذكر على عهد عمر، فإن عمر رحمه الله كان يخيف الناس في الله». ثم روى الحديث: «... ومن أراد الله به خيراً يفقهه في الدين...» (٣٦).

ولكن هذا الموقف السلي لم يُجد نفعاً، كما لم تُجد قبله شدة عمر (٣٧). عند ذلك، اتجه معاوية، كما يبدو، اتجهاً إيجابياً، فطلب من أهل الثقة الجلوس في المساجد ورواية الأحاديث الصحيحة. وشاهد ذلك أن معاوية كتب إلى عبد الرحمن بن شبل الأنصاري الذي كان يسكن حمص، قائلاً: «إنك من قدماء أصحاب رسول الله وفقهائهم. فإذا صليت ودخلت فسطاطك فقم في الناس فحدثهم بما سمعت من رسول الله». فاستجاب الصحابي إلى ذلك (٣٨).

وهناك شواهد تشير إلى أن معاوية أمر بتدوين بعض الأحاديث التي يروها الثقات وحفظها في مكتبته. ويشكك البعض في هذه الشواهد (٣٩).

---

(٣٦) ابن عساکر: ج ٩، ق ١٤٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن عامر اليحصبي.

(٣٧) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٦٧ (١)، ترجمة: أبوهريرة الدوسي، يروي عنه فيها قوله: ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله... حتى قبض عمر بن الخطاب. كنا نخاف الشياطين.

(٣٨) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٣١٠ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن شبل.

(٣٩) - Youssef Eche: Les Bibliothèques Arabes..., P. 11.

= يذكر يوسف العثرد الدارمي على بشر المريسي، وفيه يتهم الدارمي خصمه بأنه =

ولكننا لا نرى مبرراً لذلك، ولا نرى فيه ما يسيء إلى معاوية، ذلك أن الرغبة في جمع الحديث وتسجيله كانت قوية في تلك الفترة، لدرجة أن مروان ابن الحكم والي معاوية على المدينة، لجأ إلى الحيلة لتسجيل أحاديث أبي هريرة وفقه زيد بن ثابت.

فقد دعا مروان بن الحكم أبا هريرة وجعل يسأله. وطلب من مولاه سالم أبي الزعيرة، الذي كان يجلس خلف ستر، أن يكتب ما يقول الصحابي. حتى إذا كان رأس الحول، دعا الوالي أبا هريرة مرة أخرى وأعاد عليه نفس الأسئلة ليتأكد من صدقه<sup>(٤٠)</sup>.

وفي رواية للشعبي « أن مروان بن الحكم دعا زيد بن ثابت وأجلس له قوماً خلف ستر، وأخذ يسأله وهم يكتبون. فظن لهم زيد فقال: يا مروان أعذر، إنما أقول برأبي »<sup>(٤١)</sup>.

ونظراً لما نعرفه عن مراعاة معاوية للأعراف السائدة، واطلاعه على تصرفات ولاته، فإنه من غير الممكن أن يقوم مروان بن الحكم بهذا التصرف لولا تأكده من موافقة الخليفة عليه. ويمكن أن نذكر بهذه المناسبة أن زيد بن ثابت نفسه كتب الفرائض في نفس الفترة. وعن ذلك يقول الزهري: « لولا أن زيداً كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس »<sup>(٤٢)</sup>.

---

= يورد خيراً كاذباً على لسان « أبي الصلت » يقول فيه إن معاوية كان لديه بيت للحكمة، وإنه كلما عثر على حديث حفظه هناك، ثم رواه حين الحاجة. ولا نرى وجهاً للفرابة في هذا الخبر.

(٤٠) ابن عساکر: ج ٧، ق ١٦ (٢)، ترجمة: سالم أبو الزعيرة.

(٤١)، (٤٢) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٢١٣ (١)، ترجمة: زيد بن ثابت.

لذلك، علينا ألا ندهش إذا رأينا هنا وهناك شواهد متعددة تبين الخليفة معاوية وهو يسمع الحديث، ويسجله، ويرويه، ويذاكر به.

ومن هذه الشواهد ما يرويه «البيان والتبيين» من أن معاوية كتب إلى عائشة أن اكتبي لي بشيء سمعته من أي القاسم. فكتبت إليه: سمعت أبا القاسم يقول: «من عمل بما يسخط الله عاد حامده من الناس له ذاماً»<sup>(٤٣)</sup>.

ومنها ما يذكره سالم بن سلمة الهذلي البصري من أنه وفد على معاوية رسولاً من زياد بن أبيه، فلقي عنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فحدثه مما سمع من رسول الله وأملى عليه الحديث، فكتب سالم بيده لم يزد حرفاً ولم ينقص حرفاً. وعندما عاد إلى البصرة أخذ زياد بن أبيه الصحيفة التي كتب فيها الأحاديث وحبسها عنده<sup>(٤٤)</sup>.

ومنها أيضاً ما يذكره أبو هند البجلي عن مذاكرة في موضوع الهجرة في مجلس معاوية، روى فيها الخليفة حديثاً سمعه من رسول الله (ص)<sup>(٤٥)</sup>.

وبالإضافة إلى القرآن والحديث، لا بد أن نذكر أن الخليفة معاوية أولى القصص اهتماماً خاصاً.

روى الليث بن سعد «أن معاوية ولى رجلاً على القصص، فإذا سلم من

---

(٤٣) أحد زكي صفوت: جهرة رسائل العرب، ج ٢، ص ٥٢. عن البيان والتبيين للجاحظ.

(٤٤) ابن عساكر: ج ٧، ق ٨ (٢)، ترجمة: سالم بن سلمة.

(٤٥) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ - ٢)، ق ٤٥٠ (٢)، ترجمة: إبراهيم بن أيوب الشامي الحوراني الزاهد.

صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمّده ومجّده، وصلى على النبي (ص)، ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحُسمه وجنوده، ودعا على أهل حربته وعلى المشركين كافة»<sup>(٤٦)</sup>. وروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب «أن علياً (رض) قنّت فدعا على قوم من أهل حربته. فبلغ ذلك معاوية، فأمر رجلاً يقصّ بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولأهل الشام»<sup>(٤٧)</sup>.

هذه هي المعلومات التي حصلنا عليها فيما يتعلق بنشاط معاوية بن أبي سفيان الثقافي واهتماماته.

ومن الجدير بالذكر أن آل أبي سفيان كانوا يضمون عدداً من الشخصيات على درجة كبيرة من الكفاءة، ترك لنا تاريخ التربية شواهد عديدة على مساهمتهم في الميدان الذي يعيننا.

ومن أبرز هذه الشخصيات عتبة بن أبي سفيان (ت ٦٦٤/٤٤) أخو معاوية ووالي مصر في خلافته، وخالد بن يزيد (ت ٧٠٨/٩٠) حفيد الخليفة الأموي الأول.

أما أهمية عتبة في تاريخ التربية العربية الإسلامية فتعود إلى الوصية التي أعطها لعبد الصمد مؤدب ولده، والتي يقول له فيها: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك. فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما فعلت، والقبيح عندهم ما تركت. علّمهم كتاب الله ولا تملّهم منه فيكرهوه، ولا تدعهم منه فيهجروه. روّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر

---

(٤٦) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٥٩، عن خطط المقرئ، ج ٢، ص ٢٥٣، طبعة أميرية.

(٤٧) المصدر نفسه: ص ١٦٠.

أعفّه، ولا تخرجهم من باب من العلم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفهم. وأدّبهم دوني وكن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يعمل بالدواء حتى يعرف الداء. جنبهم محادثة النساء واشغلهن بسير الحكماء، واستزدني بأدابهم ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلتُ على كفاية منك» (٤٨).

وتتجلى أهمية هذه الوصية في أنها الأولى من هذا النوع، وهي تبرز بين التعليم الديني الإسلامي والتعليم التراث الأدبي العربي بصورة تثير الإعجاب، وتهتم بطرائق التربية كما تهتم بموضوعها، وتعطي النموذج والمثال الصالح مكانة توازي التعليم المنهجي.

وأما أهمية خالد بن يزيد فتتجلى في اتساع ثقافته اتساعاً سبق به عصره بقرن كامل، مما جعل أخباره تبدو أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، حتى لقد قيل: إن خالد علم علم العرب والعجم (٤٩).

لقد أشرف على تربية خالد الدينية، وتربية أخويه عبد الرحمن ومعاوية، التابعي المحدث عمر بن نعيم العنسي (٥٠).

---

(٤٨) ابن عساكر: ج ١١، ق ١٨ (١)، ترجمة: عتبة بن أبي سفيان. أنظر أيضاً: ابن عبيد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٤٣. وهو ينسب الوصية إلى عمرو بن عتبة.

(٤٩) ابن عساكر: ج ٥، ق ٢٠٩ (١)، ترجمة: خالد بن يزيد.

(٥٠) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٠٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن يزيد. أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٣٤ (١)، ترجمة: عمر بن نعيم.

وكان خالد خطيباً شاعراً فصيحاً<sup>(٥١)</sup>، ولكننا لا نعلم من أشرف على تنشئته اللغوية والأدبية.

أما تنشئته العلمية فقد قام بها راهب نصراني اسمه مريانوس<sup>(٥٢)</sup>.

وقد اهتم خالد بصورة خاصة بالكيمياء والطب والنجوم، وجمع حوله العلماء الذين ترجوا له الكتب فيها<sup>(٥٣)</sup>.

والشواهد التي تتحدث عن نشاطه الفكري كثيرة جداً:

منها قول محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص (قريب زوجته) له: «لقد قدم قوم من أهل المدينة (يقصد المروانيين) فنكحوا أمك وسلبوك ملكك، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وطلب ما لا يقدر عليه، يعني الكيمياء»<sup>(٥٤)</sup>.

ومنها ما يرويهِ سعيد بن عبد العزيز من أن خالداً كان إذا لم يجد من يحدثه يحدث جواريه، ثم يقول: إني لأعلم أنكن لستن له بأهل<sup>(٥٥)</sup>.

وما يرويهِ عبد الرحمن بن سلمان الخولاني من أنه رأى خالداً يحاضر عمر ابن عبد العزيز في صحن بيت المقدس، وأن عمراً سأل خالد بن يزيد سؤالاً واستمع إلى إجابته<sup>(٥٦)</sup>.

---

(٥١) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٣٣، عن ابن النديم: الفهرست، ص ٣٥٤.

(٥٢) المصدر نفسه: عن ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢١١.

(٥٣) المصدر نفسه: عن ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٤.

(٥٤) ابن عساكر: ج ١٥، ص ٢٥٦ (٢)، ترجمة: محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص.

(٥٥) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٣٠٩ (١)، ترجمة: خالد بن يزيد.

(٥٦) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٣٠٤ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن سلمان.

وما يذكره خالد نفسه من أنه كانت له حاجة بالجزيرة، واتخذ بها طريقاً مستخفياً، فالتقى بشامسة ورهبان وسألهم عن سبب تجمعهم، فأجابوه بأن لهم شيخاً سياحاً يلقونه كل عام مرة في هذا المكان ويعرضون عليه دينهم، وينتهون فيه إلى رأيه. وعندما جاء من ينتظرون دنا خالد منهم ليستمع إلى ما يقوله، فانتبه الراهب إليه وسأله عن دينه وعلمه. ولما عرف أنه مسلم دار بينهما الحوار التالي:

الراهب: أستم تزعمون في كتابكم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون؟.

خالد: نعم نقول ذلك وهو كذلك. فإن لهذا مثلاً في الدنيا.

الراهب: وما هو؟

خالد: مثل هذا الصبي في بطن أمه يأتيه رزق الرحمن بكرة وعشياً، لا يبول ولا يتغوط.

الراهب: أستم تزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا ينتقص مما في الجنة شيء؟

خالد: نقول ذلك وهو كذلك. ولهذا مثل في الدنيا، مثل رجل أتاه الله علماً وحكمة وعلمه كتابه. فلو اجتمع جميع من خلق الله فتعلموا منه ما نقص من علمه شيء.

فعلق الراهب مخاطباً خالد بن يزيد: ما رأيت من أمة محمد من هو أعلم منك (٥٧).

---

(٥٧) المصدر نفسه: ترجمة خالد بن يزيد.

وفي رواية عن المعتز بن سليمان عن أبيه أنه كان عند عبد الملك بن مروان، فذكروا الماء، فقال خالد بن يزيد: منه من السماء، ومنه ما يستقيه الغيم من البحر فيعذبه البرق والرعد. فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات. وأما النبات فما كان من ماء السماء. وقال: إن شئت أعذبتُ ماء البحر. فأمر بقلال من ماء ووصف كيف يصنع به حتى يعذب<sup>(٥٨)</sup>.

وعندما كان الناس يتدحون خالداً لعلمه، كان يجيبهم بتواضع: كنت معنياً بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجهال<sup>(٥٩)</sup>.

هذه الشواهد وغيرها دفعت يوسف العث إلى القول، في دراسته القيمة حول المكتبات العربية، بأن خالد بن يزيد احتفظ بمكتبة جده معاوية (بيت الحكمة)، وأغناها بمجموعات الحديث، وكتب الكيمياء والفلك والطب والفلسفة، وأنه أنشأ حركة لترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، وجمع حوله العلماء في كل مجال... وهذه الأعمال تجعل منه الرجل الذي أعطى لمؤسسة بيت الحكمة طابعها الخاص الذي تطور واتضح في عهد المأمون<sup>(٦٠)</sup>.

## ب- المروانيون

### لمحة عامة

أمضى رأس الأسرة، مروان بن الحكم، حياته كلها في المدينة. فقد كان كاتباً لعثمان بن عفان، ثم والياً على المدينة في عهد معاوية. وكانت له هناك

(٥٨)، (٥٩) المصدر نفسه: ترجمة خالد بن يزيد.

(٦٠) - Youssef Eche: Les Bibliothèques Arabes, p. 17.

اتصالات وثيقة بالأوساط الدينية، واهتمام كبير بالحديث والفقہ، وهو كما رأينا من الأوائل الذين عمدوا إلى تدوين هذه الموضوعات.

وقد نشأ أولاده جميعاً في هذا الجو، وتشبعوا بالقيم الإسلامية الجديدة. لذلك كان من الطبيعي أن يزداد الاتجاه الديني وضوحاً مع وصول هذه الأسرة إلى الخلافة، وأن يُعطي أفرادها من شأن رجال الدين ويكلوا إليهم أعلى المناصب في الدولة.

وقد واجه الروانيون، عند اعتلائهم السلطة، ظروفاً عسيرة. ذلك أن الخلافات السياسية التي استطاع معاوية احتواءها نسبياً، تفجرت بعد وفاته. مما أدى إلى زيادة نشاط الفرق المختلفة على الصعيد الفكري، واضطرار كافة العلماء إلى تحديد مواقفهم من المسائل المطروحة، وتبريرها بالحجج المقنعة. ولما كانت كل فرقة تسعى إلى اكتساب الأنصار، دخلت هذه المناقشات ميدان التربية.

وقد أيد معظم الروانيين أهل السنة والجماعة، وأظهروا لأعلامهم الكثير من الاحترام والتقدير، وحاولوا استرضاءهم بالوقوف في وجه القدرية والتنكيل بهم بالسجن والنفي والتعذيب والقتل في بعض الحالات<sup>(٦١)</sup>.

وجدير بالذكر أن آزدیاد الحماسة الدينية في هذه الفترة أدى بدوره إلى آزدیاد المنافسة بين ممثلي كل من العلوم الدينية والتراث العربي التقليدي في الأوساط العليا. وكان البلاط يقع حيناً تحت تأثير المحدثين والفقهاء (كما حدث في خلافة عمر بن عبد العزيز)، وحيناً تحت تأثير الشعراء والرواة (كما

---

(٦١) تعالج هذه المسألة بشيء من التفصيل، خلال الحديث عن هشام بن عبد الملك، وعن السنة والبدع.

حدث في خلافة يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد). أما عبد الملك بن مروان وأبناؤه الوليد وسليمان وهشام فقد عملوا على التوفيق بين العنصرين، والسير في الطريق الذي اختطه معاوية.

وقد اتخذت مسألة الانتماء القومي مظهراً جديداً في هذا العهد، نظراً لازدياد مشاركة غير العرب في الأنشطة الثقافية. فبينما كان التمييز بين العرب وغيرهم يتم في بداية الفتوح بالاستناد إلى الدم، ظهرت دلائل على تبني الفئة الحاكمة لمفهوم جديد للعروبة يفسح المجال لانتماء الموالي إليها واندماجهم في الثقافة العربية - الإسلامية.

أما فيما يتعلق بالتعليم، فإن الروائيين تبناوا نظام التعليم المزدوج الذي دشنته السفيانيون، والذي يتوزع إلى طريقتين:

طريق الكتاب والمسجد لأبناء العامة.

وطريق مؤدب القصر لأبناء الخاصة.

#### ١ - عبد الملك بن مروان

جمع عبد الملك في تربيته بين الثقافة العربية التقليدية والثقافة الدينية الناشئة، لذلك حرص أثناء خلافته على إحاطة نفسه بجو فكري راق، وتشجيع رعيته على طلب المعرفة الدينية والدنيوية على السواء.

ولنبداً بالمظهر الديني لتربيته ونشاطه.

كان عبد الملك يسمى في المدينة «حمارة المسجد» لاجتهاده في العبادة<sup>(٦٢)</sup>. عن نافع قال: «لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشد تشميراً ولا

(٦٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٨، ص ٥٧.

أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان» (٦٣). وكان أحد فقهاء المدينة الأربعة: سعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وهو (٦٤).

وعندما وصل إلى السلطة، جهد في المحافظة على هذه السمعة، واتباع السياسة الثقافية لمعاوية بن أبي سفيان. ولذلك اتباع من خالد بن يزيد قصر الخضراء المتاخم للجامع، وشارك في حياة الجماعة الدينية، وأمّ المؤمنين في صلاتهم، وخطب على منبر المسجد، وروى الحديث الشريف.

كان عبد الملك يولي تعليم القرآن اهتماماً خاصاً ويلح على ضرورة جعله بداية وأساساً للتربية الدينية (٦٥). وكان يقرؤه بانتظام، تشهد على ذلك دراسة القرآن المسماة « السبع » في جامع دمشق والتي بدأت في عهده.

فقد وفد عليه والي المدينة هشام بن اسمعيل المخزومي وجلس في الجامع بانتظار دخوله على الخليفة. فأخبر أن عبد الملك يقرأ القرآن، فقرأ هشام بن اسمعيل، وجعل عبد الملك يقرأ في قصره بقراءة هشام، ثم تبعه مولى لهشام جاء معه، ثم من يليه من أهل المسجد (٦٦).

---

(٦٣)، (٦٤) ابن عساكر: ج ١٠، ق ٤٨٥ (٢)، ترجمة: عبد الملك بن مروان.

(٦٥) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

- سأله عبد الملك: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال عبد الملك: بإعرايه وما ينبغي فيه من وجوهه وعالله، قال: نعم...

فأمر عبد الملك له بمجازة، وحثه على متابعة طلب العلم.

(٦٦) المصدر نفسه: (منجد ج ٢)، ص ٤٩.

وكان عبد الملك يهتم أيضاً بدراسة الحديث ويقرب المحدثين اليه ويستمع إليهم ويذاكرهم. وقد تصل بهم المذاكرة الى حديث لا يعرفه الحاضرون، فيبحث الخليفة خارج المجلس عن يستطيع إسماعه الحديث المطلوب<sup>(٦٧)</sup>.

وهكذا كانت صلوات الخليفة بالمحدثين وثيقة جداً. ومن العلماء الذين أدناهم اليه عبد الرحمن بن عسيلة الصُناجحي، وكان يجلس مع عبد الملك على السرير<sup>(٦٨)</sup>، وقبيصة بن ذؤيب<sup>(٦٩)</sup>، وابن شهاب الزهري<sup>(٧٠)</sup>، ورجاء بن حيوة<sup>(٧١)</sup>، ولا سيما أم الدرداء عالة الشام. فقد كان يستضيفها في قصره، ويذهب الى مؤخرة المسجد لتحيتها والحديث معها. وعندما فقدت بصرها في شيخوختها، كان هناك مولى يقودها خلال أسفارها بين دمشق وبيت المقدس. وفي الفترات التي كانت تمضيها في بيت المقدس، كان عبد الملك يذهب لإحضارها من قبة الصخرة، ويرافقها الى المسجد الأقصى وهي متكئة على ذراعه، ثم يوصلها الى صفوف النساء في مؤخرة المسجد، ويعود الى الصف

---

(٦٧) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.  
- بعث عبد الملك الى الجامع يسأل عن يعرف حديثاً في أمهات الأولاد. فتبين أن الزهري يعرفه. فأخذه قبيصة بن ذؤيب الى الخليفة وكانت تلك فرصة لتعارف الرجلين.

(٦٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٢ (١)، ترجمة: عبد الرحمن بن عسيلة الصُناجحي.

(٦٩) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٦٦ (٢)، ترجمة: قبيصة بن ذؤيب.

(٧٠) المصدر نفسه: ترجمة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

(٧١) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٠٩. عن البلاذري: أنساب الأشراف، ص

. ١٩٣

الأول ليوم الناس في الصلاة<sup>(٧٢)</sup>.

لقد كان سلوك عبد الملك تجسيداً رائعاً للقيم الإسلامية الجديدة الداعية لاحترام العلم وإجلال العلماء.

وقد تَوَجَّح عبد الملك نشاطه في المجال الديني ببناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى في بيت المقدس عام ٦٩١ / ٧٢. وإذا كان البعض قد رأى في ذلك العمل محاولة لتحويل أنظار أهل الشام عن مكة والمدينة اللتين كانتا حينئذ تحت سيطرة خصمه عبد الله بن الزبير، فإنه لا يشكل في الواقع إخلالاً بالتقليد الذي يرقى لأيام الرسول (ص). فقد كان بيت المقدس قبلة المسلمين في بداية الإسلام. وقد أبرز الخليفة عمر بن الخطاب أهميته بزيارته بعد الفتح، كما نصَّب معاوية نفسه خليفة هناك.

هذه هي الشواهد التي توافرت لنا فيما يتعلق بنشاط عبد الملك في المجال الديني. فما دوره في دعم الثقافة العربية التقليدية؟

كان عبد الملك بن مروان من فصحاء العرب وخطبائهم، شاعراً وراويَةً للشعر ولأيام العرب وأسابهم. لذلك لم يدع فرصة أو وسيلة إلا استغلها لإعطاء هذه العناصر الثقافية مكانة بارزة في التربية والحياة الفكرية للمجتمع.

---

(٧٢) ابن عساکر: ج ١٩، ق ٤٠٨ (١)، ترجمة هُجيمة بنت حُيَيٍّ، أم الدرداء. وأيضاً: - المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٨٥ (٢)، ترجمة: عبد الملك بن مروان. وأيضاً: - المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٥٠ (١)، ترجمة: سليمان بن عبد الله، الرجل الذي كان يقود أم الدرداء.

كان الشعور القومي واضحاً عند عبد الملك كل الوضوح. وكان اهتمام الموالى بطلب العلم يشغل باله بدرجة كبيرة، ويوحى إليه بأن وراءه دافعاً سياسياً.

يروى الزهري أن عبد الملك استفسر منه عن أكابر العلماء في الأمصار. وعندما علم أن عدداً وفيراً منهم يتكوّن من الموالى حَزَّ ذلك في نفسه وقال: «والله لتسودن الموالى على العرب في هذا البلد حتى يحطّب لها على المناير والعرب تحتها» (٧٣).

ولكن اللغة العربية، لحسن الحظ، كانت تجذب الموالى كما تجذبهم العلوم الدينية. فقد راح هؤلاء يتعلمونها بحماسة كبيرة، ويتقنونها الى الحد الذي جعل الخليفة يختار أحد الموالى، وهو اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، لتعليم أبنائه العربية. ويعزى إلى عبد الملك القول التالي: «ما رأيت مثلنا ومثل هذه الأعاجم. كان الملك فيهم دهرأ طويلاً فوالله ما استعانوا منا إلا برجل واحد (يعني النعمان بن المنذر) ثم عدوا عليه قتلوه. وإن الملك فينا مذهب هذه المدة وقد استعانهم برجال. هذا اسمعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر يعلم ولد أمير المؤمنين العربية» (٧٤).

إن هذه الدهشة، التي يعبر عنها عبد الملك، طبيعية جداً. ذلك أن انتشار اللغة العربية في تلك الفترة تجاوز وظائفها الدينية والإدارية حتى غدت دعامة الأمة والرباط الذي يربط بين أفرادها.

---

(٧٣) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢٠١ (١)، ترجمة: عطا بن أبي رباح.

(٧٤) المصدر نفسه: ج ٢ (ك - ٢)، ق ٣١٨ (٢)، ترجمة: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر.

فقد سأل الخليفة يوماً رجلاً دخل عليه: أمن العرب أنت أم من الموالي؟ فأجاب الرجل: يا أمير المؤمنين، إن تكن العربية أبا فلست منها، وإن تكن لساناً فإني منها. قال عبد الملك: صدقت. وعندما خرج التفت عبد الملك الى الزهري وقال: ويحك يا زهري، ما ناظرتني أحد بمناظرة إلا علّوته فيها، خلا هذا الرجل (٧٥).

اللغة العربية قوام العروبة، ومن تعلّم اللغة العربية أصبح عربياً. لقد لاقى هذا المفهوم رواجاً واسعاً في تلك الفترة. ولا نعلم مدى صلته بالحديث الذي تنوّل في الفترة نفسها عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الزهري، ومفاده: جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال: هذا الأوس والخزرج قد نصرّوا هذا الرجل (الرسول (ص))، فما بال هؤلاء القوم؟ فقام معاذ بن جبل، فأخذ قيس بن مطاطية الى النبي فأخبره بمقالته. فقام النبي قائماً يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودي إن الصلاة جامعة، وقال: «يا أيها الناس، إن الربّ واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان. فمن تكلم بالعربية فهو عربي» (٧٦).

كان استخدام اللغات الأجنبية في الدواوين مجزّاً في نفس عبد الملك أيضاً. وقد أراد أن ينيه والده إلى خطورة استمرار ذلك الوضع، ولكن قصر خلافة مروان وانشغاله في قمع الفتن والاضطرابات جعل عبد الملك

---

(٧٥) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣١٥ (٢)، ترجمة: رجل فصيح.

(٧٦) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١٤٨ (٢)، ترجمة: سلمان الفارسي: حديث مرسل، رواه أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف ولم يتابع عليه، نثبته هنا للدلالة على الاتجاهات الفكرية التي ظهرت آنذاك.

يعدل عن ذلك في حينه .

وعندما اعتلى عبد الملك الحكم، تحيّن فرصة وفاة رئيس ديوانه سرجون آبن منصور الرومي، ليجعل سليمان بن سعد الخُشني على ديوان الشام ويكلفه بنقله الى العربية<sup>(٧٧)</sup>. واحتذى الحجاج هذا المثل وطلب من صالح بن عبد الرحمن تعريب ديوان العراق<sup>(٧٨)</sup>.

وجدير بالذكر أن كلا الشخصين كان من الموالي، وكان قد أتقن اللغة العربية الى جانب اليونانية (بالنسبة لسليمان) أو الفارسية (بالنسبة لصالح)، وهذا ما ساعدها على إتمام هذا العمل.

كانت اللغة العربية تحمل، بالنسبة لعبد الملك، إمكانات أوسع وأعمق مما ذكرنا. فإلى جانب كونها الرابطة التي تربط بين أبناء الأمة، والأداة التي تحمل تعاليم الدين والتربية والادارة، كان عبد الملك يرى فيها نبعاً ثراً للعواطف النبيلة تنبعث من خلال الشعر والكلمة الفصيحة والحكم والأمثال ... وكانت هذه الموضوعات تحتل مكانة بارزة في مجلسه حيث كان يستقبل كبار الشعراء والفصحاء والخطباء والرواة<sup>(٧٩)</sup>، كما كانت تحتل مكانة بارزة

---

(٧٧) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٤٥ (٢)، ترجمة: سليمان بن سعد.

(٧٨) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٦٦ (٢)، ترجمة صالح بن عبد الرحمن.

(٧٩) يذكر ابن عساكر من بين الأشخاص الذين كانوا يغدون على عبد الملك وبحضرون مجلسه:

- الأخطل وجريراً (شعراء): ج ١٤، ق ٣٥٩ (١) ترجمة: غياث بن غوث - الأخطل.

- كُثَيِّر عَزَّة (شاعر): ج ١٤، ق ٥٠١ (٢)، ترجمة: كُثَيِّر .. =

في الولايم التي كان يقيمها باستمرار ويدعو إليها عدداً كبيراً من رجال الشام ووفود الأمصار الأخرى.

- يروي رجل من أهل العراق أنه وفد على عبد الملك. وكان الخليفة قد نصب الموائد يطعم الناس ويتجول بينهم. فوقف على مائدة وسأل، من القائل:

إذا الأرطى توسد أبرديه خدود جوازيء بالرمل عين  
وما معنى البيت؟ ووعد من يجيب إجابة حسنة بجائزة (٨٠).

- كما أن رجلاً من بني عذرة (من الحجاز)، فصيحاً شاعراً وراوية للشعر، وفد على عبد الملك وحضر إحدى ولايمه وروى للخليفة أشعاراً لجرير. وكان جرير في القوم (٨١).

هذا الجو الغني بالأدب والروايات لم يرو غليل عبد الملك، فبعث الى

- 
- = - عمر بن أبي ربيعة (شاعر): ج ١٣، ق ٥٨ (٢)، ترجمة: عمر..  
- الفضل بن قدامة العجلي (شاعر): ج ١٤، ق ٤٠٢ (٢)، ترجمة: الفضل..  
- كُتير بن هراسة الكلابي (فصيح): ج ١٤، ق ٥٢٠ (١)، ترجمة: كُتير..  
- غضبان بن القُبعتري (فصيح، إخباري): ج ١٤، ق ٣٥٢ (٢)، ترجمة: غضبان..  
- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (محدث وعالم بالأنساب): ج ٩، ق ٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن ثعلبة بن صُعير. كان الزهري يأخذ عنه الأنساب ويعلمها للخليفة.  
- عمر بن المنتثر المرادي (راوية للشعر): ج ١٣، ق ١٣٣ (١)، ترجمة: عمر..  
حضر مجلس عبد الملك، فسأل الخليفة الحاضرين عنم يحفظ إحدى قصائد النابغة، فألقاها عمر بن المنتثر كاملة.  
(٨٠) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣١٧ (١)، ترجمة: رجل من أهل العراق.  
(٨١) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣١٥ (١)، ترجمة: رجل من عذرة.

الحجاج، واليه على العراق، أن يرسل إليه رجلاً جامعاً للعلم والفقہ، عاقلاً  
ليبياً، فاضلاً في أخلاقه ومروءته، يكون مع ولده<sup>(٨٢)</sup>، فبعث إليه بعامر  
الشعبي.

وعندما وصل الشعبي الى دمشق قال له الخليفة: يا شعبي! عهدي بك  
وإنك لغلّام في الكتاب، فحدثني فما بقي معي شيء إلا مللته سوى الحديث  
الحسن. وأنشد:

ومللت إلا من لقاء محدّث حسن الحديث يزيدني تعليماً<sup>(٨٣)</sup>

وقد عمل عبد الملك على أن يوقظ هذا الاهتمام باللغة والأدب عند جميع  
الذين يحيطون به.

أما ابناؤه فكان يمتحنهم من حين لآخر ويوجه لهم الملاحظات. يروي  
عامر بن صالح أن عبد الملك جمع بنيه ذات يوم، الوليد ومسلمة وسليمان،  
فاستقرأهم فقرأوا فأحسنوا، واستنشدهم فأنشدوا فأجادوا لكل شاعر غير  
الأعشى. فقال لهم: قرأتم فأحسنتم وأنشدتم فأخذتم لكل شاعر غير الأعشى،  
فما لكم تهجرونه، وقد أخذ من كل فن حسن فأحسن، وما امتدح رجلاً قط  
إلا تركه مذكوراً، ومدح عامر بن الطفيل فرفعه<sup>(٨٤)</sup>.

وأما جواريه فكان يطلب منهم سماع الشعر وتعلمه. فبعد أن استمع من

---

(٨٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢١٦ (١)، ترجمة: عامر الشعبي.

(٨٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٨٥ (٢)، ترجمة: عبد الملك بن مروان.

(٨٤) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣٢٨ (١)، ترجمة: ميمون بن قيس، الأعشى.

عزة بنت حميل الأشعار التي قالها فيها كثيراً، طلب إدخالها على الجواري ليأخذن من أديها<sup>(٨٥)</sup>.

ويبدو أن المسجد الجامع فتح أبوابه للشعراء في عهده، فلأول مرة في تاريخ المسجد نصادف خبراً عن التقاء الناس فيه بشاعرين هما جرير والفرزدق. ويذكر الخبر أن الفرزدق كان في عصابة من خندف، والناس عنق على جرير، وموالي بني أمية يسلمون عليه وذلك لمديحه الموالي في إحدى قصائده<sup>(٨٦)</sup>.

ومن المعروف أن معاوية كان يقف موقف الحذر من دخول الشعر الى المسجد، ولا سيما من إلقاءه على المنبر أسوة بموقف عمر بن الخطاب من هذا الموضوع<sup>(٨٧)</sup>.

ويتجلى موقف عبد الملك في التوفيق بين العناصر الإسلامية والعربية في التربية، في وصيته الى مؤدب ولده. وهي موجهة في رواية للشعبي، وفي أخرى لإسماعيل بن عبيد الله، وكلاهما عمل في تأديب أبناء الخليفة.

يقول عبد الملك: «علم أولادي الصدق كما تعلمهم القرآن، وعلمهم الشعر يجدوا وينجدوا، وجنبهم السفلة فانهم أسوأ الناس رعة وأقلهم أدباً، وجنبهم

---

(٨٥) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٧٦ (٢)، ترجمة: عزة بنت حميل.

(٨٦) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٩٩ (٢)، ترجمة: هرون بن ابراهيم الأهوازي.

(٨٧) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣١٠ (١)، ترجمة: رجل كان في زمان معاوية. جاء فيها أن معاوية خطب على منبر جامع دمشق فذكر بيتاً من الشعر، فروى نصفه ولم ينه (تخرجاً من إلقاء الشعر على المنبر)، فظن هذا الرجل أن الخليفة لا يعرف تسمية البيت وقال: يا أم عمار صديق مساعف. فضحك معاوية ولقبه: أم عمار.

الحشم فانهم لهم مفسدة، وجالس بهم عليه القوم يناطقوهم الكلام، واحف شعورهم تغلظ رقابهم، واطعمهم اللحم يقووا، ومرهم أن يستاكوا عرضاً ويمصوا الماء مصاً ولا يعبوا عباً، وإذا احتجت أن تناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهنونوا عليهم<sup>(٨٨)</sup>.

وفي محاولة لتقويم أثر عبد الملك والروانيين عامة في الثقافة العربية الإسلامية، يمكننا أن نقول إن معاوية بن أبي سفيان وأسرته كانوا أكثر اتصالاً بالثقافات القائمة في الشام قبل الإسلام وفي بدايته، لذلك اتخذوا موقفاً أكثر انفتاحاً إزاءها. فقد جمع معاوية وحفيده خالد الكنب الأجنبية واطلعوا على جانب منها ودشنوا حركة الترجمة، إن لم يكن التأليف، في ميدان العلوم.

ونحن لا ننكر أن هذا الموقف كان يتضمن شيئاً من المخاطرة بمستقبل الثقافة الناشئة، لا سيما وأن عنصرها الرئيسين (العلوم الدينية الإسلامية، وعلوم اللغة العربية وآدابها) لم يكونا قد نضجا بعد النضج الكافي لاستيعاب العناصر الخارجية. ولكن شخصيات من مستوى معاوية وخالد بن يزيد كانت تستطيع إقامة توازن يحقق تفاعلاً مثمرًا بين جميع هذه العناصر.

وعندما كبح عبد الملك هذا الانفتاح على الثقافات الأجنبية، وعمل على دعم الإسلام والعروبة، أكد على الطابع المميز للثقافة العربية الإسلامية، ولكنه أحر تقدمها في مجال العلوم والفلسفة قرناً كاملاً.

وفي سبيل تحقيق سياسته هذه استعان عبد الملك بشخصيات على درجة

---

(٨٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٨٥ (٢)، ترجمة: عبد الملك بن مروان.

كبيرة من الكفاءة. نخص بالذكر منها الحجاج بن يوسف الثقفي، واليه على العراق، وعبد العزيز بن مروان، أخاه وواليه على مصر.

اشتهر الحجاج بالفصاحة والخطابة ورواية الشعر ومعرفته الجيدة بالقرآن والحديث. وقد مارس في بداية عهده التعليم، ثم انتقل الى المراكز الادارية الكبرى في الدولة بفضل ذكائه وعلمه. وهذا ما جعله يقدر الكفاءات الفكرية وينتقي أصحابها لشغل المناصب الكبرى في الجيش والادارة.

وكان الخليفة يتكل عليه في اختيار ذوي الكفاءة لإلحاقهم بصحبته، أو تكليفهم المهمات الجسام. فقد اختار له من هؤلاء، عامر بن شراحيل الشعبي<sup>(٨٩)</sup>، ومعبد بن عبد الله الجهني<sup>(٩٠)</sup>، اللذين بعثهما في مهام الى ملك الروم، وكلفهما بتأديب أبنائه.

وتظهر المعايير التي اتخذها الحجاج لانتقاء الكفاءات المثل العليا التي كان أولو الأمر يرغبون في غرسها عند شباب ذلك العصر. ويمكن التعرف الى هذه المعايير من الخبر الآتي:

- « عن الشعبي قال: لما قدم الحجاج الكوفة قال لابن أبي مسلم: إعرض عليّ العرفاء. فعرضهم عليه، فرأى فيهم وخشاً من وخش الناس<sup>(٩١)</sup>. قال: وَيْحَكَ! هؤلاء خلفاء الغزاة في عيالهم؟! قال: نعم. قال: إطرحهم واغد عليّ بالقبائل. فغدا عليه بالقبائل على راياتها. فجعلوا يعرضون عليه، فاذا وقعت

---

(٨٩) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢١٦ (١)، ترجمة: عامر بن شراحيل الشعبي.

(٩٠) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ١٦٧ (١)، ترجمة: معبد بن عبد الله الجهني.

(٩١) الوخش: رذالة الناس وصغارهم وغيرهم. «اللسان: وَخْش».

عينه على رجل دعاه. فدعا بالشعبيين. فمرت به السن الأولى فلم يدع أحداً منهم، ومرت به السن الثانية فدعاني. فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: اجلس، فجلست.

قال: قرأت القرآن؟

قلت: نعم.

قال: فرضت الفرائض؟

قلت: نعم.

قال: فما تقول في كذا وكذا في قول أبي تراب؟

فأخبرته، فقال: أصبت.

قال: نظرت في العربية؟

قلت: نعم.

قال: رويت الشعر؟

قلت: قد نظرت في معانيه.

قال: نظرت في الحساب؟

قلت: نعم.

فقال ابن أبي مسلم: أنا لنحتاج إليه في بعض الدواوين.

قال الحجاج: رويت مغازي رسول الله (ص)؟

قلت: نعم.

قال: حدثني بحديث بذر.

فابتدأت له من رؤيا عاتكة، حتى أذن المؤذن الظهر. ثم دخل وقال لي: لا تبرح. فخرج فصلّى الظهر وأتممتها له. فجعلني عريفاً على الشعبيين، ومنكباً<sup>(٩٢)</sup> على جميع همدان، وفرض لي في الشرف. فلم أزل عنده بأحسن

(٩٢) المنكب: عريف القوم: «القاموس: نكب».

منزلة حتى .. « (٩٣) .

لقد كانت تكتنف الكتابة العربية في تلك الفترة بعض الصعوبات . وكان الحجاج ، وهو المعلم السابق ، مطلقاً على هذه الصعوبات . فقد أدت قلة الحروف المعروفة الى استخدام نفس الحرف للتعبير عن عدة أصوات ، كاستخدام الحرف (ب) للتعبير عن الباء والتاء والثاء .. الخ .

وقد رأينا أن أبا الأسود الدؤلي قام بالإصلاح الأول للخط بإضافة الحركات ، بناء على أمر زياد بن ابيه ، والي العراق أيام معاوية .

وعندما جاء الحجاج « فزع الى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المتشابهة علامات تميزها بعضها عن بعض ، فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً ، وخالف بين أماكنها ، فغير الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً .. » (٩٤) .

ومن آثار الحجاج في ميدان التربية ما يروى من أنه أول والٍ أمر بنسخ عدة نسخ من مصحف عثمان وتوزيعها على الأمصار (٩٥) . ولا تخفى أهمية هذا العمل في جمع الكلمة على مصحف عثمان ، وتوفير نسخ دقيقة منه في المساجد يرجع إليها الناس في تصحيح ما بين أيديهم من المصاحف الخاصة . كما ينسب الى الحجاج تقسيم القرآن الى أجزاء مختلفة (٩٦) .

---

(٩٣) ابن عساکر: ج ٨ ، ق ٢١٦ (١) ، ترجمة: عامر بن شراحيل الشامي .

(٩٤) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣ ، ص ٦١ . عن ابن خلكان: ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٩٥) المصدر نفسه: ج ٣ ، ص ٦٦ ، عن المقرئ: ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٩٦) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ج ١ (مترجم)، ص ١٤٦ .

أما والي مصر فهو عبد العزيز بن مروان أخو الخليفة. وقد نشأ في المدينة، وحصل فيها على تربية دينية وأدبية تماثل تربية أخيه. وكان له أثر جليل في مجال التربية.

ويعد عبد العزيز بن مروان من الولاة الذين اهتموا بنشر مصحف عثمان. فعندما أرسل الحجاج نسخة من هذا المصحف الى مصر غضب وقال: « أيعت الى جند أنا فيه بمصحف؟ »، وأمر فكتبوا له مصحفاً آخر بالغ في ضبطه، وأعلن بعد الفراغ من كتابته أن من وجد فيه حرفاً خطأ فله رأس أحمر (جل) وثلاثون ديناراً. فوجد فيه أحد قرّاء الكوفة لفظة « بجنة » بدلاً من « نعة »، فنال الجائزة<sup>(٩٧)</sup>.

وفي مجال الحديث، هناك عدة شواهد تبين اهتمامه بجمع حديث الرسول والصحابة وتدوينه.

منها ما يرويه يزيد بن أبي حبيب من أن عبد العزيز بن مروان سأل عن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجالية، فأخبروه بسفيان بن وهب الخولاني. فأرسل اليه وسمعها منه<sup>(٩٨)</sup>.

وعن يزيد بن أبي حبيب أيضاً أن عبد العزيز بن مروان كتب الى كثير ابن مرة الحضرمي، وكان قد أدرك بجمص سبعين بديراً من أصحاب رسول الله، أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله من أحاديثهم، إلا حديث

---

(٩٧) جرحي زيدان: ج ٣، ص ٦٦، عن القرظي: ج ٢، ص ٥٤.

(٩٨) ابن عساكر: ج ١٩، ق ١٩٩ (٢)، ترجمة: أبو حديرة، ويقال: أبو حدير الجذامي.

وعندما نبحت عن نموذج للتربية الدينية الكاملة، فإن أول ما يتبادر الى الأذهان تلك التربية التي وقّرها عبد العزيز لولده عمر. فقد جعله يتعلم القرآن بصورة متقنة في طفولته. وعندما بلغ المراهقة، أرسله ليتعلم الحديث والفقّه في المدينة، منبعمها الأول. وقد اختار لتأديبه المحدث والفقّه عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة، أحد فقهاء المدينة السبعة<sup>(١٠٠)</sup>.

وإذا انتقلنا الى نشاطه في مجال اللغة والأدب، طالعنا أخبار تقول بأن عبد العزيز كان يلحن في بداية ولايته. فنبهه كاتبه الى ذلك، فأقام في البيت أسبوعاً لا يظهر إلا ومعه من يعلمه العربية. فصلّى بالناس الجمعة وهو أفصح الناس. وقد جعله ذلك فيما بعد يحث على تعلم العربية بأن يقصر عطاءه على الفصحاء<sup>(١٠١)</sup>.

## ٢ - الوليد بن عبد الملك

يُظهر المؤرخون، ومنهم ابن عسّاكر، هذا الخليفة الأموي على أنه ضعيف الثقافة<sup>(١٠٢)</sup>. ويبدو لنا أن هذا الوصف ينطوي على تجاوز كبير للواقع، لأن

---

(٩٩) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥١٨ (٢)، ترجمة: كثير بن مرة الحضرمي الحمصي.

(١٠٠) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٩٣ (٢)، ترجمة: عمر بن عبد العزيز، وأيضاً: - محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ص ٥١٨.

(١٠١) ابن عسّاكر: ج ١٠، ق ٤٤٩ (١)، ترجمة: عبد العزيز بن مروان.

(١٠٢) E. I.: T. IV, P. 1170, art: al-Walid, par H. Lammens. Et:

- ابن عسّاكر: ج ١٧، ق ٤٥٢ (١)، ترجمة: الوليد بن عبد الملك.

ابن عساكر نفسه يورد في أمكنة متفرقة معلومات تخالف ذلك .

صحيح أن الوليد كان لحانة . وهذا ما يفسره عبد الملك بأن شدة تعلقه بابنه جعلته يهمل إرساله الى البادية<sup>(١٠٣)</sup> ، حيث اعتاد أهل المدن أن يكتسبوا الفصاحة . ولكن الثقافة في ذلك العصر لم تكن تنحصر في الفصاحة . وهناك شواهد تدل على اهتمام الوليد بالعلوم الدينية والأدبية وتشجيعه لها سيراً على خطى أبيه .

كان الوليد على معرفة جيدة بالقرآن . وفي رواية أنه امتحن شخصاً في قراءة القرآن وقضى عنه دينه مكافأة له على حفظه ، ورفض قضاء دين قريب له لأنه لم يحفظ كتاب الله . وكان الوليد يقرأ القرآن باستمرار ، ويعطي القراء بسخاء<sup>(١٠٤)</sup> .

يروى أن الوليد قال لأخيه عبد الله : كيف أنت والقرآن ؟ فقال عبد الله : أختمه في كل جمعة ، فأنت يا أمير المؤمنين ؟ قال الوليد : وكيف مع ما أنا فيه من الشغل ؟ إني أختمه مرة في كل ثلاث جمع<sup>(١٠٥)</sup> .

وقال ابراهيم بن أبي عبلة : كان الوليد يختم القرآن سبعاً وعشرين مرة في شهر رمضان<sup>(١٠٦)</sup> ، وكان يعطيني قصاع الفضة أقسمها على قرآء بيت المقدس<sup>(١٠٧)</sup> .

---

(١٠٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ١٦٠ .

(١٠٤) المصدر نفسه : ج ٥ ، ص ١٦١ .

(١٠٥) ، (١٠٦) ابن عساكر : ج ٩ ، من ١٥٧ (٢) ، ترجمة : عبد الله بن عبد الملك .

(١٠٧) المصدر نفسه : ج ١٧ ، ق ٤٥٢ (١) ، ترجمة : الوليد .

وكان الوليد يهتم بتعليم القرآن في المسجد الجامع والكتاتيب. فقد طلب من عبد الله بن عامر اليحصي أكبر قرّاء الشام في عصره أن يتخذ مكانه لتعليم القرآن في الجامع بين الجنانة والقنطرة<sup>(١٠٨)</sup>. ومرّ على معلم كتاب فوجد عنده صبيّة، فقال له: ما تصنع هذه عندك؟ فقال: أعلمها الكتابة والقرآن. فأشار عليه الخليفة بأن يجعل من يعلمها أصغر منها سناً<sup>(١٠٩)</sup>.

وجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأولى التي نسمع فيها (بعد الإسلام) عن فتاة تلتحق بالكتاب في الشام. وإن دلّ هذا الحادث على شيء فأنما يدل على أن العائق الأول لتعليم البنات لم يكن موقف الدين الإسلامي إزاء هذا الموضوع بل وضع المرأة في المجتمع بصورة عامة.

لقد كان الوليد يهتم أيضاً بالحديث والمحدثين. فقد كان يستقبل المحدثين الكبار ويجمع العلماء للاستماع إليهم. وهذا ما دفع الصحابي أنس بن مالك إلى الهجاء إليه في حاشية تضم أربعين شخصاً. وقد استقبله الوليد في الجابية، حيث كان الخلفاء الأمويون يعقدون اجتماعاتهم ومؤتمراتهم. واستمع الحضور إلى الصحابي الجليل يحدث الخليفة بأحاديث سمعها من الرسول (ص)<sup>(١١٠)</sup>.

وقد وفد عليه أيضاً سليمان بن موسى بن عبد الله، وبقي معه في حوارين مدة شهرين أو ثلاثة، أفاد فيها الكثيرون من علمه<sup>(١١١)</sup>.

---

(١٠٨) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٤٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن عامر.

(١٠٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٦١.

(١١٠) ابن عساکر: ج ١٠، ق ٤٦٥ (١)، ترجمة: عبد الكريم بن محمد اللخمي.

(١١١) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: سليمان بن موسى.

أما صالح بن كيسان والزهري فقد كانا من أصحابه، وقد كلفها تعليم أبنائه<sup>(١١٣)</sup>.

كما سار الوليد على درب من سبقه فيما يتعلق بتدوين الحديث. فقد طلب من الزهري أن يحدثه فحدثه. وعندما خرج الزهري إلى الناس حدثهم بالأحاديث، فاجتمعوا عليه وكثروا، فقال: «كلكم لا يقدر على أن يأخذ هذه (نسخته الخاصة على ما يبدو)، ولكن خذوها من ديوان الوليد». فأتوا ديوان الخليفة فأخذوها منه<sup>(١١٣)</sup>.

وتَوَجَّح الوليد بن عبد الملك جهوده في نشر التعليم الديني باعادة بناء جامع دمشق وتوسيعه بين أعوام ٧٠٥ / ٨٧ و ٧١٥ / ٩٦، فوفّر للمعلمين بذلك مكاناً فسيحاً لعقد حلقاتهم ومجالسهم، كما أمر بتوسيع مسجد المدينة<sup>(١١٤)</sup>.

أما اهتمامات الوليد بالعربية، فتتجلى على الأخص في متابعته خطة أبيه في تعريب الدواوين. فبعد تعريب الدواوين في الشام والعراق، أمر الوليد بتعريب ديوان مصر<sup>(١١٥)</sup>.

وإذا كان هذا الخليفة الأموي لم يكسب الفصاحة، بالرغم من أنه حبس نفسه مع معلمي النحو مدة ستة أشهر<sup>(١١٦)</sup>، فإنه استقبل الشعراء واستمع

---

(١١٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٦٩ (٢)، ترجمة: صالح بن كيسان. أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم.

(١١٣) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢٣١ (١)، ترجمة: عقيل بن خالد الأيلي.

(١١٤)، (١١٥) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢١٦.

(١١٦) ابن عساكر: ترجمة الوليد بن عبد الملك.

إليهم وأجازهم بسخاء<sup>(١١٧)</sup>. كما حفظ الأشعار وروى بعضها في  
المناسبات<sup>(١١٨)</sup>.

ومن مآثر الوليد أنه اعتنى بتكوين مكتبة ضمت مصاحف وأشعاراً  
وقصصاً<sup>(١١٩)</sup>، كان صاحب المصاحف يجمعها ويعنى بها ويعطيها للنساخ  
فيكتبونها بخط جيد<sup>(١٢٠)</sup>. كما ضمت كتباً أجنبية كان قواده يعودون بها من  
الفتوح، كتلك التي عاد بها طارق بن زياد من الأندلس، والتي ضمت كتباً في  
الدين المسيحي والكيمياء والعلوم الطبيعية<sup>(١٢١)</sup>.

ومن مآثره أيضاً، انه عمل على توفير تربية جيدة لأبنائه. فقد كانت  
تربية العباس بن الوليد تشتمل على كل الآداب بما في ذلك الرقص  
والموسيقا<sup>(١٢٢)</sup>. وكان بشر بن الوليد واسع المعرفة الى الحد الذي جعلهم  
يلقبونه «عالم بني مروان»<sup>(١٢٣)</sup>.

---

(١١٧) المصدر نفسه: ج ٦، ق ١٠٩ (١)، ترجمة: رؤبة بن المعاج: شاعر وخطيب.

- المصدر نفسه: ج ٢ (س أ- ٢)، ترجمة: أبو نخيلة بن حزن التميمي: شاعر.

(١١٨) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٦١.

(١١٩) Youssef Eche: Bibliothèques..., p. 18.

عن ابن النديم: الفهرست، ص ٦.

(١٢٠) المصدر نفسه: عن السعدي: كتاب الأنساب، ج ٥، ص ٥٣١.

(١٢١) المصدر نفسه: ص ١٩، عن ابن عبد البر: القصد والأهم، القاهرة،

١٣٥٠، ص ٣٤.

(١٢٢) ابن عساكر: ج ٨، ق ٣١١ (٢)، ترجمة: العباس بن الوليد.

(١٢٣) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ١٣١، ترجمة: بشر بن الوليد.

لذلك أرى أن ابن عساكر وغيره من المؤرخين لا ينصفون هذا الخليفة عندما يؤكدون أن أبا الوليد وأمه كانا يقربانه فنشأ بلا أدب<sup>(١٢٤)</sup>.

### ٣- سليمان بن عبد الملك

لم يكن سليمان شخصاً متميزاً. ومع ذلك فإن ابن عساكر يعلمنا بأنه كان شاعراً<sup>(١٢٥)</sup>، فصيحاً<sup>(١٢٦)</sup>، وأن مجلسه كان يضم الشعراء كرؤية بن العجاج<sup>(١٢٧)</sup>، والفضل بن قدامة العجلي<sup>(١٢٨)</sup>، والمحدثين كسليمان بن موسى بن عبد الله<sup>(١٢٩)</sup>، ورجاء بن حيوة<sup>(١٣٠)</sup>.

وقد برز تدخل رجال الدين في سياسة الدولة بصورة سافرة في عهد سليمان، ولا سيما عندما تمكن رجاء بن حيوة من الوقوف في وجه أسرة عبد الملك ونقل الخلافة منهم إلى عمر بن عبد العزيز<sup>(١٣١)</sup>.

---

(١٢٤) المصدر نفسه: ترجمة الوليد بن عبد الملك.

(١٢٥) المصدر نفسه: ج ١٩، ص ٤٣٦ (٢)، ترجمة: جارية لسليمان بن عبد الملك، يذكر فيها أن الخليفة قال مرة نصف بيت من الشعر، وسأل الشعراء عنده أن يجيزوه فلم يقدروا، فجازته الجارية.

(١٢٦) المصدر نفسه: ج ٧ (من)، دون ترقيم، ترجمة سليمان بن عبد الملك.

(١٢٧) المصدر نفسه: ج ٦، ق ١٠٩ (١)، ترجمة: رؤية بن العجاج.

(١٢٨) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٠٢ (٢)، ترجمة: الفضل بن قدامة العجلي.

(١٢٩) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: سليمان بن موسى بن عبد الله.

(١٣٠) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٦٦.

(١٣١) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، صص ٢٥٦ - ٢٥٨، عن الطبري: ج ٢، ص ١٣٤٠ فما بعدها.

يحتل هذا الخليفة مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي. ويؤكد معظم المؤرخين أن عمر بن عبد العزيز أعاد سيرة الخلفاء الراشدين.

والواقع أن عمر بن عبد العزيز اختطّ اتجاهًا متميزاً عن سبقه وخلفه في هذا المنصب. فقد صرف نظره عن الفتوحات الخارجية، وعمل على كسب النفوس إلى الإسلام، ووضع مبادئ للفكر وأسلوب للسلوك تحقق للمؤمن راحة الضمير، وللأمة الإسلامية الوحدة والسلام.

ويرجع ذلك، على الأغلب، لحدة شعوره الخلقي والتربية التي حصل عليها والظروف التي واجهها حين ولي الخلافة.

لقد قرأ عمر القرآن في طفولته<sup>(١٣٢)</sup>، وتعلّم العربية على ما يبدو، لأنه كان يعدّ من فصحاء قريش. وعندما عُيّن أبوه عبد العزيز بن مروان والياً على مصر، سأل عمر أباه أن يبعث به إلى مدينة الرسول ليطلب العلم على كبار شيوخها<sup>(١٣٣)</sup>. وقد تأدّب هناك على يد عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وهو من التابعين وأحد الفقهاء السبعة الكبار في المدينة<sup>(١٣٤)</sup>.

اشتهر عمر في المدينة بعلمه وعقله مع حداثة سنه، ولكن اتجاهه في الزهد والتعمق في العلم برزا بصورة واضحة عندما أقيمت على عاتقه مسؤولية الحكم، خشية الانحراف عن الطريق الصحيح. ولم يكتف بذلك، بل إن شدة

---

(١٣٢) ابن عساکر، ج ١٠، ق ٤٤٩ (١)، ترجمة: عبد العزيز بن مروان.

(١٣٣) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٩٣ (٢)، ترجمة: عمر بن عبد العزيز.

(١٣٤) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ص ٥١٨.

حرصه على التقيد بمبادئ الإسلام دفعته لأن يجمع حوله العلماء على هيئة مجلس استشاري لئلا ينفرد بتفسير النصوص الدينية، واستخلاص تطبيقاتها في الحياة العملية<sup>(١٣٥)</sup>.

وقد توصل عمر نتيجة تبادل الآراء مع علماء الإسلام الى قناعة كاملة

---

E.I.: Vol. III, P. 1044, art: Omar b. Abd al-Aziz, par (١٣٥)  
Zetterstein.

ونرى في تاريخ ابن عساكر أسماء عدد من العلماء الذين كانوا يحيطون بعمر بن عبد العزيز، نذكر منهم:

- لاحق بن حميد بن شعبة (البصرة): ج ١٨، ق ٢ (١).
  - موسى بن وردان (مصر): ج ١٧، ق ٣١٠ (١).
  - صالح بن كيسان (المدينة): ج ٨، ق ٦٩ (٢).
  - سليمان بن موسى بن عبد الله (المدينة): ج ٧، ق ٢٦٤ (١).
  - أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص (مكة): ج ٣، ق ٦٨ (٢).
  - رياح بن عبيدة (الحجاز): ج ٦، ق ١٢١ (٢).
  - محمد بن علي بن الحسين، الباقر (المدينة): ج ١٥، ق ٢١٤ (٢).
  - زيد بن أسلم (المدينة): ج ٦، ق ١٢١ (٢).
  - ميمون بن مهران (الجزيرة): ج ١٧، ق ٣٢٩ (٢).
  - رجاء بن حيوة (فلسطين): ج ٦، ق ٨٧ (٢).
  - عبد الله بن زيد، أبو قلابة الجرمي (البصرة، انتقل الى دمشق): ج ٩، ق ٩٧ (١).
  - فُرات بن مُسلم الجزري (الرقّة): ج ١٤، ق ٣٨٤ (٢)
- وهناك علماء آخرون أقل شهرة من هؤلاء.

بأن حياة الأمة يمكن ان تنتظم بالاعتدال كليا على القرآن والحديث، لذلك يجب تعليمها على نطاق واسع. ونظراً لأن جمع القرآن واتحاد الكلمة على مصحف عثمان قد حسمت المشكلات المتعلقة بتعليم القرآن، فقد انصرف همه بالدرجة الأولى لجمع الحديث والحث على تعليمه.

وفما يتعلق بهذا الموضوع نعثري في تاريخ مدينة دمشق على عدد من الشواهد، تبين أن خطة عمر تتفق مع سياسة من سبقه من خلفاء بني أمية من حيث الأسلوب، ولكنها تختلف أحياناً عنها من حيث المحتوى. وقد تضمنت هذه الخطة ما يلي:

أ- استقبال العلماء في دمشق أو خُناصرة لسماح الأحاديث التي يعرفونها، وتدوين بعض الأحاديث عنهم. وهذه هي بعض الشواهد على ذلك:

- بعث عمر بن عبد العزيز الى أبي سلام الحبشي، فحمل على البريد. فلما قدم على عمر قال: يا أمير المؤمنين، لقد شقّ عليّ حمل البريد، ولقد أشفقت على رحلي. فقال عمر: ما أردنا بك المشقة يا أبا سلام، ولكن بلغني عنك حديث ثوبان مولى رسول الله في الحوض فأحببت أن أشافهك به. فروى أبو سلام الحديث (١٣٦).

- قال إياس بن معاوية: كنا عند عمر بن عبد العزيز، فذكر (الحيا؟)، فقال الحاضرون للخليفة بأن إياساً يعرف حديثاً حول ذلك، عن أبيه، عن جده. فطلب الخليفة سماع الحديث، فحدثته به، فأمرني فأمليته عليه وكسبه بخطه (١٣٧).

---

(١٣٦) ابن عساکر: ج ١٧، ق ٢٣٥ (١)، ترجمة: معطور، أبو سلام الحبشي.

(١٣٧) المصدر نفسه: ج ٣ (ظ ١)، ق ١١١ (٢)، ترجمة: إياس بن معاوية.

- عن بعض بني طلحة بن عبيد الله (او عبد الله) قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فدخل عليه أبو بردة، ابن أبي موسى الأشعري، فقال له عمر: حدثنا بأحاديث أتتك عن رسول الله، فحدثه، فدعا عمر بن عبد العزيز بقرطاس ودواة، فكتب حديثاً وسجّل اسم المحدث (١٣٨).

- عن رجل من أهل الشام قال: كنا جلوساً عند عمر بن عبد العزيز، فقبل له: ها هو رجل قد رأى الرسول. فقام عمر وقمنا معه، فقال له: أنت رأيت الرسول؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت منه شيئاً، أو رأيته يصنع شيئاً؟ فحدث الرجل (١٣٩).

- استقدم عمر بن عبد العزيز وهو بختناصرة محمد بن كعب القرظي من المدينة ليحدثه حديثاً عن ابن عباس (١٤٠).

٢- الكتابة لشخصيات من المناطق الأخرى لارسال بعض الأحاديث إليه. وشاهد ذلك:

- عن مالك... قال: «ولي أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم المدينة. فكتب إليه عمر أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن، والقاسم بن محمد (أي السنن). فكتبها له. فسألتُ ابنه عبد الله بن أبي بكر عن تلك الكتب، فقال: ضاعت» (١٤١).

---

(١٣٨) المصدر نفسه: ج ٨، ق ١٨٤ (١)، ترجمة: طلحة بن يحيى بن طلحة.

(١٣٩) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٠٣ (٢)، ترجمة: رجل رأى الرسول وصحبه.

(١٤٠) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٢٧٦ (٢)، ترجمة: محمد بن كعب القرظي.

(١٤١) المصدر نفسه: ج ١٨ (ب)، ق ٩١ (١)، ترجمة: أبو بكر بن محمد بن عمرو بن

حزم.

على أن بعض الاختصاصيين بعلم الحديث يرجحون أن الخليفة عمر بن عبد العزيز اضطلع بمشروع كبير يهدف الى تدوين الحديث بصورة رسمية، وتوزيع نسخ منه على الأمصار على غرار العمل الذي اضطلع به الخليفان أبو بكر وعثمان فيما يتعلق بالقرآن.

وقد جمع محمد عجاج الخطيب في كتابه « السنة قبل التدوين » عدداً من الشواهد التي تؤيد ذلك، ومفادها أن الخليفة افتتح مشروعه بالكتابة الى الأمصار قائلاً: « انظروا حديث رسول الله فاجمعوه »<sup>(١٢٢)</sup>. وكان فيما كتبه لأهل المدينة: « انظروا حديث رسول الله فاكسبوه، فاني خفت دروس العلم وذهاب أهله »<sup>(١٢٣)</sup>.

ومن ساهم في هذا الجمع:

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت ١١٧ / ٧٣٥)، والي المدينة وقاضياها،

والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٧ / ٧٢٥)، أحد الفقهاء السبعة في المدينة،

ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ / ٧٤١)، عالم الحجاز والثام في عصره<sup>(١٢٤)</sup>.

---

(١٤٢) المصدر نفسه: ج ١٨ (ب)، ق ٩١ (١)، ترجمة: أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

(١٤٣) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ص ٣٢٩. عن شهاب الدين بن حجر السنقلائي: فتح الباري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨ / ١٩٥٩.

(١٤٤) المصدر نفسه: عن، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: السنن، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩، ج ١، ص ١٢٦، ٣٣١.

وقد رافق جمع الحديث، عملية تدقيق ونقد أشرف عليها الخليفة بنفسه. عن أبي الزناد، عبد الله بن ذكوان (ت ١٣١ / ٧٤٨) قال: « رأيت عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء، فجمعوا له أشياء من السنن. فإذا جاء الشيء الذي ليس العمل عليه، قال: هذه زيادة ليس العمل عليها »<sup>(١٤٥)</sup>.

ويروي ابن عساكر خبراً يشير إلى قيام عمر بن عبد العزيز بتدقيق الأحاديث التي يتناقلها الناس. فقد كتب لأهل الشام أن « انظروا الأحاديث التي رواها مكحول في الديات واحرقوها ». « فأحرقت »<sup>(١٤٦)</sup>.

ويذكر محمد عجاج الخطيب أن الخليفة عمر أمر - بعد الجمع والتدقيق - بنسخ الأحاديث في دفاتر، مستنداً إلى قول ابن شهاب الزهري: « أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً »<sup>(١٤٧)</sup>.

ويستخلص المؤلف من هذه الشواهد أن ما تمّ في عهد عمر بن عبد العزيز يمثل التدوين الرسمي للحديث، ذلك أن تقييد الحديث في الصحف والرقاع والعظام من قبل الأفراد قد بدأ في حياة الرسول، ولم ينقطع بعد وفاته<sup>(١٤٨)</sup>.

ونحن لا نشك في صحة هذه الشواهد ولا في سداد هذا الاستنتاج،

---

(١٤٥) المصدر نفسه: ص ٣٣٠، عن، أبو القاسم، عبد الله بن أحمد البلخي: قبول الأخبار ومعرفة الرجال (مخطوط)، دار الكتب المصرية، ق ٣٠.

(١٤٦) ابن عساكر: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢)، ترجمة: مكحول بن كسرى.

(١٤٧) محمد عجاج الخطيب: المصدر السابق، ص ٣٣٢، عن ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٧٦؛ وابي نعم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٦٣.

(١٤٨) المصدر نفسه: ص ٣٣٢.

ولكننا تتساءل عما اذا كان التدوين الرسمي لمجموعة من الاحاديث في نهاية القرن الأول يكفي لسد حاجة الأمة الإسلامية للاستهداء بسيرة الرسول(ص) وخلفائه في مواجهة الظروف والأحداث التي مرت بها؛ ولا سيما أن الجميع يعرفون بأن هناك عشرات الآلاف من الرجال والنساء رأوا الرسول او الصحابة واستمعوا إليهم، ورووا ما رأوا وسمعوا أمام أشخاص آخرين.

إن هذا التدوين الرسمي، في حال وقوعه، لم يكن ليثني طلاب العلم عن الرحلة والسؤال في سبيل جمع المزيد من الأحاديث التي كانت الأمة تتعطش لمعرفة.

وقد منع الخليفة تداول بعض الأحاديث بحجة عدم اجماع الأمة عليها. أما الأحاديث التي انعقد حولها الإجماع فكان يثبتها ويشجع على تناقلها. يدل على ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الذي يقول فيه: «أما بعد، فامروا أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم، فإن السنة كانت قد أميتت»<sup>(١٤٩)</sup>. وأمره لعاصم بن عمر بن قتادة بأن يجلس في مسجد دمشق ويحدث الناس بغازي الرسول ومناقب أصحابه، ذاكراً أن بني مروان كانوا يكرهون هذا وينهون عنه<sup>(١٥٠)</sup>.

إن هذه الأقوال لا يمكن أن تعني مجال من الأحوال، أن تعليم السنة كان مهملاً أو محظوراً في عهد من سبق عمر من الخلفاء الأمويين، ولكنها تدل على أن العوامل السياسية دفعت فيما مضى الى إبراز فضائل بعض رجال

---

(١٤٩) أحمد زكي صفوت: جهرة رسائل العرب، ج ٢، ص ٣٥٧، عن ابن الجوزي: سيرة عمر، ص ٩٤.

(١٥٠) ابن عساكر: ج ٨، ص ٢٠٧ (١)، ترجمة: عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري.

الإسلام، واغفال مناقب البعض الآخر، والتعريض بجماعة أخرى منهم. لذلك حرص عمر بن عبد العزيز على التخفيف من أثر هذه العوامل عن طريق التربية.

ويحدثنا ابن عساكر عن استمرار هذا التحيز بعد وفاة عمر بن عبد العزيز بأكثر من نصف قرن.

فهو يروي في ترجمة الليث بن سعد (ت ١٧٥ / ٧٩١) أن أهل مصر كانوا ينتقصون عثمان بن عفان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد، فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك، وكان أهل حمص ينتقصون علي بن أبي طالب حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله، فكفوا عن ذلك<sup>(١٥١)</sup>.

لذلك نرى أن مناداة عمر بن عبد العزيز بأحياء السنة تعني العمل على تصحيح هذه الانحرافات الخطيرة في تعليم الحديث، تلك الانحرافات التي كانت ترسخ الخلافات بين المسلمين، وتثير البغضاء والحقد في كل جانب تجاه الجانب الآخر.

ومما يدل على إيمان عمر بن عبد العزيز بالتربية، لجوؤه الى الحوار والمناظرة مع الفرق السياسية. فقد ناقش المرجئة في موقفهم<sup>(١٥٢)</sup>، إلا أن الأثر الخالد الذي تركه في هذا الباب هو مناظرته لشوذب الخارجي<sup>(١٥٣)</sup>. وهي قطعة رائعة من روائع الفكر العربي - الإسلامي، ودّرس في المنطق

---

(١٥١) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥٧٥ (١)، ترجمة: الليث بن سعد.

(١٥٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٦٠ (٢)، ترجمة: موسى بن الصباح، أحد مرجئة الكوفة.

(١٥٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢١٥.

والسياسة يجب أن يتعلمه أبناء الأمة جيلاً بعد جيل.

وإلى جانب الفرق السياسية، كان هناك القدرية كما رأينا. وكان هؤلاء قليلي العدد، ضعيفي الأثر حتى الربع الأخير من القرن الأول، ولكنهم نشطوا في نهاية القرن. وعندما ظهروا في عهد عبد الملك بن مروان، وقف منهم موقفاً قاسياً، وُصِّبَ رأسهم معبداً الجهنى (١٥٤).

وعندما اصطدم عمر بن عبد العزيز بهذه الفئة، يبدو أنه استشار أصحابه فيما يجب عليه أن يعمل تجاههم. فقال له أحد علماء المدينة، نافع بن مالك الأصبحي: «يا أمير المؤمنين، إستبهم، فإن تابوا، وإلا فاعرضهم على السيف». فقال عمر: «ذلك هو رأيي فيهم» (١٥٥).

والحقيقة أن عمر لم يكن يستطيع تطبيق الشق الثاني من الوصية، يشهد على ذلك تصرفه إزاء اثنين من القدرية وهما: غيلان بن أبي غيلان (مولى عثمان بن عفان) (١٥٦)، وصالح بن سويد (من حرس الخليفة) (١٥٧). فقد سلك معها سبيل النصيح والمناظرة والتحذير. وفيما يتعلق بغيلان، بصورة خاصة، لأنه كما يروى ترك الجند في أمواج كأمواج البحر، دعاه ونبهه الى أنه يحدث بدعة في الإسلام. كما طرح عليه عدداً من الأسئلة لبيِّن له ما يترتب على مقالته، وجمعه مع إياس بن معاوية (قاضي البصرة وأحد علماء ذلك العصر) ليتناظرا بحضور الخليفة. وكأنا شعر عمر بن عبد العزيز بأن غيلان بن أبي

---

(١٥٤) ابن عساكر: ج ١٦ (٢)، ق ١٦٧ (١)، ترجمة: معبد الجهنى.

(١٥٥) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣٤٢ (٢)، ترجمة: نافع بن مالك الأصبحي.

(١٥٦) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٧٥ (١)، ترجمة: غيلان بن أبي غيلان.

(١٥٧) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٦٥ (١)، ترجمة: صالح بن سويد.

غيلان يعاني من أزمة داخلية أورثته المرض والشحوب، فانتزع منه وعداً بأن يكف عن مقاله، راجياً أن يتغلب على أزمته مع الوقت<sup>(١٥٨)</sup>.

وجدير بالذكر أن عمر بن عبد العزيز كتب رسالة موجهة الى الذين يكذبون بالقدر<sup>(١٥٩)</sup>.

لقد عرضنا حتى الآن موقف عمر بن عبد العزيز فيما يتعلق بالعنصر الديني في الثقافة العربية - الإسلامية. فما موقفه تجاه التراث العربي التقليدي، والثقافات الأجنبية؟

الواقع اننا لا نستطيع أن نجزم بشيء حول هذا الموضوع. ولكن ذلك لا يمنعنا من استنتاج موقفه بالاستناد إلى اتجاهه العام وبعض التصرفات التي تروى عنه.

اتجه اهتمام الخليفة الورع بالدرجة الأولى للحياة الآخرة، لذلك لا يتوقع منه أن يعطي النشاط الثقافي الدنيوي مكانة كبيرة في حياته وحياة الجماعة. ولكن عمر لم يصر على فرض وجهة نظره على الآخرين. كما أنه وافق أحياناً على هذا النشاط نزولاً عند رغبة أقربائه ورعيته.

- ومن ذلك ما يروي كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (كثير عزة) من أنه استعان بمسلمة بن عبد الملك للدخول على عمر بن عبد العزيز وانشاده قصيدة في مدحه<sup>(١٦٠)</sup>.

---

(١٥٨) المصدر نفسه: ترجمة غيلان.

(١٥٩) أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج ٢، ص ٣٦٠، عن ابن الجوزي: سيرة عمر، ص ٦٨.

(١٦٠) ابن عساکر: ج ١٤، ق ٥٢٢ (٢)، ترجمة: كثير بن عبد الرحمن.

- ومنه ما يروى من أن سليمان بن عبد الملك أمر أهل مملكته أن يقودوا الخيل للسباق، فجاء إليه أناس من جميع أنحاء المملكة، ولكنه مات قبل أن يجري الحلبة. فلما ولي عمر ابى أن يجربها، فقيل له: «يا أمير المؤمنين، إن الناس تكلفوا مشاق عظاماً، وقادوا خيلهم من بلاد بعيدة، وفي ذلك غيظ للعدو. فلم يزالوا يكلمونه حتى أجرى الحلبة، وأعطى الذين سبقوا، ولم يخيب الذين لم يسبقوا إلا أنه أعطاهم دون أولئك..»<sup>(١١١)</sup>، وفي رواية الأصمعي: «أراد عمر بن عبد العزيز أن يمنع الحلبة، فقيل له سوق من أسواق العرب، فتركها (أبقاها)»<sup>(١١٢)</sup>.

وفي مجال العلوم، يروى أن الخليفة عمر أمر ماسرجويه بترجمة كتاب في الطب لأهرن بن أعين الى العربية. وفي رواية أخرى، ان ماسرجويه هذا ترجم الكتاب بأمر من مروان بن الحكم. وعندما ولي عمر بن عبد العزيز وجده في خزائن الكتب فأمر باخراجه ووضع في مصلاه، واستخار الله في إخراجه الى المسلمين ليُنتفع به، فلما تم له في ذلك أربعون يوماً أخرجه الى الناس وبثه في أيديهم<sup>(١١٣)</sup>. وسواء أصحت هذه الرواية أم تلك، فإن ذلك يشير الى اهتمام عمر بن عبد العزيز بالطب. ويؤكد هذا الاهتمام ما لجأ اليه عمر من نقل معاهد الطب من الاسكندرية الى أنطاكية وحران<sup>(١١٤)</sup>.

---

(١٦١) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٢٣ (١)، قصة عن حب خلفاء بني أمية للخيل والسباق.

(١٦٢) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٢٣ (١)، ترجمة: أعرابي من كلب.

(١٦٣) القفطي: تاريخ الحكماء، ص ٣٢٤.

(١٦٤) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج ١، ص ١١٦.

كانت سياسة عمر بن عبد العزيز التربوية تتمثل في توفير التعليم الديني للمسلمين، وافساح المجال لهم لمتابعة دراسات أخرى، لا تتعارض مع مبادئ الدين، اذا رغبوا في ذلك. ففي جامع البصرة مثلاً كان طلاب العربية، يجتمعون حلقاتاً حلقاتاً في عهد عمر. ولم يلق ذلك أية معارضة من الخليفة أو الوالي (١٦٥).

وقد أدى عمر واجبه في نشر التعليم الديني خير أداء. ونظراً لأن العطاء كان قد أوقف عن غير المحاربين، طلب من ولاته أن يعطوا العلماء من بيت المال لينصرفوا الى التعليم في المساجد.

يقول عمر في كتابه الى والي حمص: «أنظر الى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقهاء، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فاعط كل رجل منهم مائة دينار، يستعينون بها على ما هم عليه، من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا، وإن خير الخير أعجله والسلام عليك».

وفي رواية أخرى: «مُر لأهل الصلاح من بيت المال بما يُغنيهم، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث» (١٦٦).

وبما أن أهل العلم كانوا قلة بين البدو، بعث الى هؤلاء علماء كباراً يعلمونهم القرآن ويفقهونهم في الدين، ورتب لهم رواتب كافية (١٦٧).

---

(١٦٥) ابن عساكر: ج ٣ (دهان)، ص ٣٧٣، ترجمة: بلال بن أبي بردة الأشعري، والي البصرة حينذاك.

(١٦٦) أحمد زكي صفوت: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٤.

(١٦٧) ابن عساكر: ج ٤، ق ٥٢ (١)، ترجمة: الحارث بن يعجد الأشعري. أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ١٨، ق ١٥٦ (٢)، ترجمة: يزيد بن عبد الرحمن (أبي مالك).

وقد شهد عصر عمر اتساع حركة الدخول في الإسلام بفضل إعفائه الداخلين في الإسلام من الجزية. ولذلك عمد الخليفة الى إرسال العلماء للبلاد المفتوحة لنشر التعليم الإسلامي بين أهلها. ومثال ذلك تكليفه اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر بولاية إفريقية، وارساله اليها مع عشرة من كبار الفقهاء لتعليم أهلها. وقد أعطت هذه السياسة نتائج باهرة، فقد أسلم معظم أهل إفريقية آنئذ<sup>(١٦٨)</sup>.

إلا أن عمر بن عبد العزيز ضيق فيما يبدو على أبنائه. فقد وضع لهم منهاجاً اقتصر على القرآن والرمي، وأحاطهم بجو صارم الى حد بعيد. هذا على الأقل ما نستنتجه من الوصية التي كتبها لسهل، مولاه ومؤدب ولده.

يقول عمر في هذه الوصية:

« من عمر بن عبد العزيز، أمير المؤمنين، إلى سهل مولاه:

أما بعد، فاني اخترتك عن علم مني بك لتأديب ولدي، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصة بي. فخذهم بالحفا فهو أضمن لأقدامهم<sup>(١٦٩)</sup>، وترك الصُحبة فإن عاداتها تكسب الغفلة، وقللة الضحك فإن كثرت تُميت القلب. وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن. فانه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع

---

(١٦٨) المصدر نفسه: ج ٢ (ك)، ق ٣١٨ (٢)، ترجمة: اسماعيل بن عبيد الله. أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ٧، ق ٧١ (١)، ترجمة: سعد بن مسعود التجيبي.

(١٦٩) في الجمهرة: فخذهم بالجفاء فهو أضمن لأقدامهم.

الأغاني واللّهج بها يُنبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء . ولعمري لتَوَقِّي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء ينتفع به . وليفتتح كلُّ غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت في قراءته ، فإذا فرغ تناول قوسه ونبله ، وخرج الى الغرض حافياً فرمى سبعة أرشاق ، ثم انصرف الى القائلة . فان ابن مسعود (رض) كان يقول: يا بَنِي قَيْلِوا ، فان الشياطين لا تقيل ، (١٧٠) .

هذه هي التربية المثالية في نظر عمر بن عبد العزيز . إنها تبدو كردة فعل متطرفة بعض الشيء على التربية التي شهدنا في قصور الخلفاء والأمراء المروانيين .

لقد كان عمر شخصية فذة ، وكانت مآثره أكبر من أن تحصى ، ولكن وصيته لمؤدب ولده لا تشكل نموذجاً للتربية العربية الإسلامية في أي عصر من العصور .

## ٥ - هشام بن عبد الملك

بعد عمر بن عبد العزيز انتقلت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك ، الذي تضعه الروايات التاريخية في صف يزيد بن معاوية ، من حيث الانغماس في

---

(١٧٠) ابن عساكر: ج ٧ (من) دون ترقيم ، ترجمة: سهل ، مولى عمر بن عبد العزيز . أيضاً:

- أحمد زكي صفوت: جبهة رسائل العرب ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، عن ابن الجوزي: سيرة عمر ، ص ٢٥٧ .

مناعم اللهو والموسيقا. لذلك سندرج تحليل الوضع الثقافي في أيامه في ترجمة ابنه الوليد، الذي سار بعيداً في هذا الاتجاه. وستكون وقتنا الآن عند هشام.

يعدّ غابرييلي Gabrieli خلافة هشام « عهد مجد للعروبة وازدهار للايمان والثقافة الإسلامية »<sup>(١٧١)</sup>. وهذا صحيح الى حد بعيد.

ففيما يتعلق بالعلوم الدينية، كان هشام داعية كبيراً لنشر السنّة. لذلك اهتم بتعليم الحديث. يذكر في هذا المجال أنه كلّف ابن شهاب الزهريّ تعليم الحديث لأبنائه في الرصافة، حيث كان يقضي معظم أيامه. وهناك كان المحدث الكبير يروي الأحاديث، وكان كتاب الخليفة يسجلونها، كما كان عدد من الأمراء والمقربين يستمعون إليها ويحفظونها. وهكذا انقلب قصر هشام الى مدرسة حقيقية للحديث تجاوز أثرها الرصافة والشام الى بقية أقطار العالم الإسلامي.

ويذكر لنا ابن عساكر من كتاب الخليفة، الذين أصبحوا فيما بعد مراجع في حديث الزهري، عبد الرحمن بن نمر اليحصبي<sup>(١٧٢)</sup>، وشعيب بن أبي حمزة، الذي كتب ١٧٠٠ حديث عن عالم الحجاز والشام<sup>(١٧٣)</sup>؛ ومن المقربين محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري، ابن أخي الشيخ، الذي جمع كما قال ثلاثين عميراً

---

E.I.2: Vol III, P. 510, art Hisham b. Abd al-Malik, par (١٧١)  
Gabrieli

(١٧٢) ابن عساكر: ج ١٠، ق ٣٩٩ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن نمر اليحصبي.

(١٧٣) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٧ (١)، ترجمة: شعيب بن أبي حمزة.

مملوءة ظهورها وبطنها كتباً من حديث عمه<sup>(١٧٤)</sup>. وقد لحق معمر بن راشد بالزهري الى الرصافة، وسمع منه وكتب عنه الكثير، حتى سمي معمر الزهري<sup>(١٧٥)</sup>. والأرجح أنه سمع منه خارج القصر.

كان هشام على صلة وثيقة بالمحدثين والفقهاء. كانوا يفدون اليه من مختلف الأقطار الإسلامية وكان يستقبلهم ويستمع إليهم. ومن هؤلاء يذكر تاريخ مدينة دمشق عبد الله بن ذكوان المعروف بأبي الزناد<sup>(١٧٦)</sup>، وعطاء ابن أبي مسلم الخراساني<sup>(١٧٧)</sup>، وعطاء بن أبي رباح<sup>(١٧٨)</sup>، وخصيف بن عبد الرحمن الجزري<sup>(١٧٩)</sup>، ومكحول بن كسرى<sup>(١٨٠)</sup>... كما كان يكتب لبعضهم مستفراً عن بعض الأحاديث، ومن هؤلاء رجاء بن حيوة<sup>(١٨١)</sup>.

وفي موسم الحج كان هشام يذهب بنفسه، أو يرسل أحد أبنائه، مع نفر من أكابر علماء الشام والجزيرة. وكان هؤلاء يجلسون للتحديث في مكة والمدينة وينشرون علم بلدهم.

---

(١٧٤) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٦٨ (١)، ترجمة: محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري.

(١٧٥) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ١٨٠ (٢)، ترجمة: معمر بن راشد.

(١٧٦) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٥٥ (٢)، ترجمة: عبد الله بن ذكوان (المدينة).

(١٧٧)، (١٧٨) المصدر نفسه: ج ١١، ق ١٩٧ (١). ترجمة: عطاء بن أبي رباح (مكة).

(١٧٩)، (١٨٠) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٢٢٥ (٢)، ترجمة: خصيف بن عبد الرحمن (الجزيرة).

(١٨١) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٨٧ (٢)، ترجمة: رجاء بن حيوة (فلسطين).

ويذكر ابن عساكر من العلماء الذين رافقوا هشاماً الى الحج (سنة ١٠٦-١٠٧ / ٧٢٥) غيلان بن أبي غيلان. ويبدو أنه تكلم في القدر، خلال قيامه بالافتاء والتحديث، فشكاه أهل المدينة الى عالمهم محمد بن كعب بن حيان القرظي (١٨٢).

كما يذكر من الذين رافقوا محمد بن هشام: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، والوليد بن هشام المغيطي، ويحيى بن يحيى الغساني، ويزيد بن يزيد بن جابر، وعبد الكريم بن مالك الجزري، وخصيف الجزري، وابراهيم بن أبي حرّة الحرّاني، وسليمان بن موسى (١٨٣). وقد حدّث هؤلاء جميعاً، وسمع منهم من حضر الموسم.

وقد رافق اهتمام هشام بنشر السنة، تشدد إزاء من خرجوا عليها، ولا سيما القدرية. فقد لاحقهم وشتتهم. فنفي بعضهم إلى دَهْلَك (١٨٤). وصلب منهم غيلان بن أبي غيلان وصالح بن سويد (١٨٥)، وكاد فقيه الشام، مكحول الدمشقي، يلقي نفس المصير لولا أن شفع به أحد المقربين من هشام (١٨٦). أما الآخرون فاضطروا للهروب الى العراق (١٨٧) ومن لاحقهم هشام، الجعد بن

---

(١٨٢) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٧٥ (١)، ترجمة: غيلان بن أبي غيلان.

(١٨٣) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٥٦ (٢)، ترجمة: سليمان بن موسى. يذكر فيها اساءة الوفد المرافق للأمير.

(١٨٤) ابن عساكر: ج ١٣، ق ١٧٤ (٢)، ترجمة: عمرو بن شراحيل العنسي الداراني.

(١٨٥) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٧٥ (١)، ترجمة: غيلان الدمشقي.

(١٨٦) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٧٤ (٢)، ترجمة: عبّاد بن الريّان اللخمي.

(١٨٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٠٢ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن يزيد بن قيس السلميّ.

درهم، الذي اتهم بالقول بالقدر وخلق القرآن<sup>(١٨٨)</sup>.

لكن هذا التشدد لم يمنع هشاماً من الاهتمام بالجوانب الثقافية الأخرى. فقد شجّع الفروسية، تلك الرياضة التي عُني بها الأمويون أشد العناية. ويروى أن (٤٠٠٠) فرس اشتركت في إحدى المباريات التي نظمت في عهده<sup>(١٨٩)</sup>. وشجّع الغناء والموسيقا<sup>(١٩٠)</sup>.

وتمّ في عهده تطوير أسلوب كتابة الرسائل على يد كاتبه، أبي العلاء سالم، الذي قام أيضاً بترجمة رسائل وكتب عن اليونانية<sup>(١٩١)</sup>.

وقد وفد على مقره الشعراء، ومنهم الفضل بن قدامة العجلي<sup>(١٩٢)</sup>، وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان<sup>(١٩٣)</sup>، والنحويون ومنهم أبو عمرو بن العلاء<sup>(١٩٤)</sup>، والرواة ومنهم النضر بن شميل الحميري، العارف بمناقب العرب

---

(١٨٨) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١١٤، عن ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٦٠.

(١٨٩) فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ٩٢. عن المسعودي: ج ٥، ص ٤٦٦.

(١٩٠) المصدر نفسه: ص ١٢١.

(١٩١) ابن النديم: الفهرست، ص ١١٧، أيضاً:

ابن عساكر: ج ٧، ق ١٥ (١)، ترجمة: سالم بن عبد الله.

(١٩٢) ابن عساكر: ج ١٤، ق ٤٠٢ (٢)، ترجمة: الفضل بن قدامة العجلي.

(١٩٣) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٠ (٢)، ترجمة: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.

(١٩٤) المصدر نفسه: ج ١٩ (ب)، ق ٢٠١ (١)، ترجمة: أبو عمرو بن العلاء.

وأمثالها<sup>(١٩٥)</sup>، وخالد بن صفوان، وهو من رواة الاخبار والأشعار<sup>(١٩٦)</sup>.

ويتجلى مفهوم هشام بن عبد الملك عن الثقافة العربية الإسلامية في الوصية التي كتبها لسليان الكلبي، مؤدب ابنه محمد. وفيها يضع منهاجاً للتربية يتجاوز فيه القرآن والمغازي والحديث والفقه. مع الشعر واللغة والأنساب وحسن التصرف في الحياة العامة. يقول هشام:

« ... إن أول ما أمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتُقرّيه في كل يوم عشرًا ليحفظ القرآن حفظ رجل يريد الكسب به. وروّه من الشعر أحسنه، وتخلّل به في أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم من هجاء ومدح فانه ليس من قوم إلا وقد هجوا ومُدِّحوا، وروّه جماهير أحياء العرب. ثم تخلّل به في مغازي النبي (ص) وحفظ من كان معه وحسن بلائهم، وبصره طرفاً من الحلال والحرام والخطب، وما يحتاج إليه في قدره وموضعه. ثم اجلسه للناس في كل يوم، وادخل عليه أشراف قريش والعرب وعلية الناس... وادخل عليه أهل الفقه والدين... ولا تجلسه مع حشمه فإنّهم له مفسدة... وخذ خدمته باللين وطلاقة الوجه على بابه، والبشاشة بالناس والتألف لهم. وإذا أعطيتهم فاعطوا حملة القرآن وحملة العلم وأهل الفضل... »<sup>(١٩٧)</sup>.

---

(١٩٥) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣٦٢ (٢)، ترجمة: النضر بن شميل الحميري.

(١٩٦) المصدر نفسه: ج ٥، ق ١٦٦ (١)، ترجمة: خالد بن صفوان.

(١٩٧) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٤٨ (٢)، ترجمة: سليمان بن سليم بن كيسان (مولى كلب).

## ٦ - يزيد بن عبد الملك، وابنه الوليد

ذكرنا أن السياسة الثقافية التي سار عليها الأمويون منذ معاوية كانت تتمثل في التوفيق بين العناصر الدينية والدنيوية. إلا أن عمر بن عبد العزيز تجاوز ذلك وركز جلَّ اهتمامه على العنصر الديني.

وقد حدث تجاوز آخر لهذه السياسة في عهد يزيد الثاني وابنه الوليد الثاني، ولكن في الاتجاه المعاكس.

فبينما اهتم عمر بجمع الحديث وجعله مركز الثقافة، شجّع الوليد، بصورة خاصة، جمع التراث العربي التقليدي بما فيه من أخبار وأيام وأساب ومعارف وأشعار وغيرها.

أما الرجل الذي برز في هذا الميدان فهو حماد بن أبي ليلى، الملقب بالراوية (٧١٤/٩٥ - ٧٧٢/١٥٥). فقد طاف في البادية باحثاً عن هذه الموضوعات للتقرب بالدرجة الأولى من الخليفة والأمراء، لأن الملك، كما يقول المثل العربي، سوق يُجلب إليه ما ينفق فيه. وقد غدا حماد الراوية صاحب المفضل ليزيد الثاني، حسب ابن عساکر<sup>(١٩٨)</sup>. أما المصادر الأخرى فتري أنه كان صاحب الوليد بن يزيد<sup>(١٩٩)</sup>، وهذا هو الأرجح، فقد تولى يزيد الخلافة بين ٧٢٠/١٠١ - ٧٢٤/١٠٥، وكان حماد آنذاك طفلاً. وقد جمع حماد، على ما يقال، السبع الطوال، وأشعار أكثر القبائل، وأكثر شعراء بني أمية<sup>(٢٠٠)</sup>.

---

(١٩٨) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٩٨ (٢)، ترجمة حماد بن أبي ليلى.

(١٩٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٩٠.

(٢٠٠) بطرس البستاني: أذنباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، ص ٥٢١.

ومن الأشخاص الذين ساهموا في إحياء التراث آنثذ، الكُميت بن زيد ابن خُنيس الأَسدي (٦٧٩/٦٠ - ٧٤٣/١٢٦). فقد وفد هذا الشاعر على يزيد الثاني وعلى أخيه هشام، بالرغم من أنه كان شيعياً. قال عنه ابن عبدة النسابة: ما عرف النسابون أنساب العرب على حقيقتها حتى قال الكُميت النزاريات فأظهرها بها، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها<sup>(٢٠١)</sup>. وقال أبو عبيد الله السَّكوني النسابة: فلما سمعت هذا جمعت شعره فكان عوني على التصنيف لأيام العرب<sup>(٢٠٢)</sup>.

إن التوفيق بين العناصر الدينية والدينيوية في الثقافة الإسلامية بدأ - كما نعرف - في عهد الرسول (ص) وبتشجيعه، واستمر أيام الخلفاء الراشدين، واشتد أيام الأمويين. لذلك لا يمكن أن يشكل إحياء التراث العربي أزمة تهدد وحدة الثقافة، إلا إذا كان هناك عامل آخر، تجلّى في هذه الفترة إلى حد أنه عرّض المنجزات السابقة للخطر. ولتوضيح ذلك لا بد من العودة بضع خطوات إلى الوراء.

لقد نجح بعض خلفاء بني أمية في اقناع المسلمين بقيمة التراث العربي لأنهم أظهروا الجانب الوضّاء منه. فالنصائح التي كانوا يقدمونها للشعراء والمؤدبين كانت تلحّ على العناية بالحكم والأمثال والأشعار التي تمجد الفضائل الفردية والجماعية، وعلى الابتعاد عن الأقوال المقذعة والأشعار التي تنافي

---

(٢٠١) ابن عساكر: ج ١٤، ق ٥٥٢ (٢)، ترجمة: الكُميت بن زيد.

نرجح أن الكلام هنا لأبي عبيدة، معمر بن المثني، لأننا لم نعر على ذكر لابن عبدة النسابة في المصادر المعروفة.

(٢٠٢) المصدر نفسه: ترجمة: الكُميت بن زيد.

الحُصَّة والفضيلة. مثال ذلك نصيحة معاوية لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص فيما يتعلق بالشعر، والتي يقول فيها:

« أراك تعجب بالشعر، فإن فعلت فأياك والتشبيب بالنساء فإنك تغري به الشريفة وترمي به العفيفة، وتقرّ على نفسك بالفضيحة، وإياك والهجاء فإنك تحقّق به كريماً وتستشير به لئياً، وإياك والمدح فإنه كسب الوقاح وطعمة السؤال. ولكن افخر بماخر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وشعرك وتؤدّب به غيرك... » (٢٠٣).

وكان ولاية بني أمية إذ يحثون الناس على تعلم العربية يبينون لهم الصلة الوثيقة بينها وبين التعلم الصحيح للقرآن. وأبرع من عبّر عن حجتهم على ذلك، عمر بن هبيرة الفزاري، والي عمر بن عبد العزيز على الجزيرة، إذ قال: « والله ما استوى رجلان دينهما واحد وعقلها واحد ومروءتها واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يلحن. إن أفضلها في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ». وعندما قاطعه مُسلم بن قتيبة قائلاً: « أصلح الله الأمير! هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته، أما الآخرة فما باله أفضل فيها؟ » ردّ عليه « إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزله الله، وإن الذي يلحن يجعله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج منه ما هو فيه ». قال مسلم: صدق الأمير (٢٠٤).

كما كان معظم خلفاء بني أمية يحرصون على إحاطة أنفسهم بجو حاد، رفيع، وجعل مجالسهم أشبه ما تكون بالندوات الفكرية. وعندما دخل

---

(٢٠٣) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٩١ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص.

(٢٠٤) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٣٧ (٢)، ترجمة: عمر بن هبيرة الفزاري.

الغناء الى بعض هذه المجالس كان ينظر إليه على أنه يزيد الشعر العربي جمالاً ووقعاً في النفوس، كما قال عبد الله بن جعفر لمعاوية يوماً: « يا أمير المؤمنين، إنما هو مختار الشعر، يركب عليه مختار الألحان، فهل ترى به بأساً؟ » قال: « لا، لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان » (٢٠٥).

لقد أخلّ يزيد بن معاوية بهذه المعايير، ولكن عهده كان قصيراً. وجاء بعده عبد الملك والوليد الأول فقوماً الاعوجاج. ولكن يزيد بن عبد الملك، ولاسيما ابنه الوليد، ضربا بهذه المعايير عرض الحائط. لقد كانت الموسيقى في زمن الوليد بن يزيد تركب على الخمريات وغيرها من الأشعار العابثة. كما كانت معظم مجالسه تقام في قصور البادية، ويحضرها المغنون والجواري، ويسيطر فيها الجون. لذلك كان من الطبيعي أن تنقطع الأسباب بين هذا الخليفة وبين العلماء، وأن يظهر الشعر في زمانه بمظهر متعارض مع الدين.

ولكننا يجب أن نذكر، بالرغم من ذلك، بأن يزيد بن عبد الملك حصل في طفولته على تربية دينية جيدة، كسائر أبناء عبد الملك. وهو أول أمير أموي يروى عنه أنه كان يحضر حلقات التدريس في الجامع الأموي (٢٠٦). ويبدو أن مجالسه لم تكن كلها مجالس لهو وعبث. فقد وفد عليه المحدث عبد الرحمن بن هرمز، وهو من أصحاب أبي هريرة (٢٠٧). وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي فيمن كان يحدث من بني أمية (٢٠٨).

كما أن حظ الوليد بن يزيد من التأديب لم يكن بأقل من حظ والده.

---

(٢٠٥) محمد أحمد جاد المولى، وآخرون: قصص العرب، ج ٤، ص ١٠.

(٢٠٦)، (٢٠٨) ابن عساكر: ج ١٨، ق ١٦١ (١)، ترجمة: يزيد بن عبد الملك.

(٢٠٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٠٠ (١)، ترجمة: عبد الرحمن بن هرمز المدني.

يقول أحد الشواهد: إن خالاً للوليد من أهل الحجاز وفد عليه وهو ما يزال ولياً للمهد في خلافة هشام. وكان الوليد يلعب الشطرنج، فتوقّف عن اللعب وأقبل على ضيفه يسيره. فقال له: يا خال، كيف حفظك لمغازي أهل بلدك، لعلك أن تقيدنا منها أحرفاً.

فقال الخال: ما أحفظ منها شيئاً.

قال: ولم؟

قال الخال: لأن أبوي أضاعا ذلك مني.

قال الوليد: فكيف علمك بالسنة ونظرك في الفرائض؟

قال الخال: ما نظرت في شيء من ذلك.

قال الوليد: فكيف روايتك لشعر قومك وغيرهم من الشعراء؟

قال الخال: ما أروي منه شيئاً.

قال الوليد: فكيف علمك بأيام العرب وما تقدم من أخبارها وآثارها؟

قال الخال: والله لقد أغفل ذلك خالك.

قال الوليد: فعسى أن يكون همك مصروفاً إلى لون آخر من مفاكها

أهل المدينة ومزاحاتهم؟

قال الخال: خالك قد هرب بنفسه عن ذلك.

فقال الوليد: يا غلام! هات الشطرنج، وعاد إلى اللعب، فانصرف

الرجل (٢٠٩).

وقد كان للوليد أيضاً مجالس جادة يحضرها الشعراء فيسمع أشعارهم ويجزل لهم العطاء، ومن هؤلاء: الحسين بن مطير بن مكمل، الذي وفد عليه

---

(٢٠٩) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٢٤ (٢)، ترجمة: شيخ من ثقيف من أهل الحجاز، خال الوليد بن يزيد.

مع عدد من الشعراء ومدحه. وامتنع لأنه رأى حماد بن أبي ليلى ينقد الشعراء (٢١٠).

وقد ذكر أبو زرعة الدمشقي الوليد بن يزيد فيمن كان يحدث من بني أمية (٢١١). وذكر ابن عساكر عن... عن معمر بن راشد أنه عندما قُتل الوليد أخرجت الكعب التي كانت تحوي أحاديث الزهري من خزائنه، وحملت على الدواب لكثرتها (٢١٢).

وقد تابع الوليد الثاني سياسة هشام بن عبد الملك في التشدد ضد القدرية، لذلك كانوا في طليعة من حمل لواء الثورة ضده (٢١٣).

#### ٧ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك

اتصف يزيد بالورع والتقوى، لذلك أيده معظم جند الشام (٢١٤)، وحملوه إلى الخلافة في ثورة انتهت بمقتل سلفه الوليد بن يزيد. كما أن القدرية الذين بقوا حتى خلافة هشام بعيدين نسبياً عن المنازعات السياسية دعموا يزيد

---

(٢١٠) المصدر نفسه: ج ٥، ق ١٤٧ (١)، ترجمة: الحسين بن مطير بن مكمل.

(٢١١) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧٩ (١)، ترجمة: الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

(٢١٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ١٨٠ (٢)، ترجمة: معمر بن راشد.

(٢١٣) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٧٤ (٢)، ترجمة: عمرو بن شراحيل الغنسي الداراني.

(٢١٤) - M. A. Shaban: Islamic History, Vol. I, P. 157.

الثالث لأبعد الحدود<sup>(٢١٥)</sup>، لا لأن الوليد الثاني تابع إزاءهم سياسة القمع التي سار عليها هشام فحسب، بل لأن يزيد الثالث كان يؤيد معظم آرائهم، ولا سيما على الصعيد السياسي.

يقول يزيد بن الوليد في الخطبة التي افتتح بها عهده:

«... أيها الناس إن لكم عندي إن وليت أموركم أن لا أضع لبنة على لبنة ولا حجراً على حجر، ولا أنقل مالاً من بلد حتى أسد ثغره وأقسم بين مسالحه ما يقوون به. فإن فضل فضل، رددته إلى البلد الذي يليه حتى تستقيم العيثة وتكون فيه سواء. فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم، وإن ملت فلا بيعة لي عليكم. وإن رأيتم أحداً أقوى مني عليها فأردتم بيعته فأنا أول من يبايع ويدخل في طاعته...»<sup>(٢١٦)</sup>.

إن اجتماع الكلمة على خلافة يزيد الثالث، كان من الممكن أن يفسح المجال لحوار فكري بين أهل السنة والقدرية، فكلا الطرفين كان يرى فيه خليفة لعمر بن عبد العزيز من حيث تأييده للمساواة والعدالة الاجتماعية ورفضه للتوسع والسلطة المطلقة. ولكن عهده كان قصيراً جداً. وعندما توفي احتدم الصراع القبلي والسياسي والعقائدي، وأسدل الستار على هذه التجربة التي لم تتح لها الفرصة لتنضج وتعطي بعض الثمار.

---

(٢١٥) من القدرية الذين اشتركوا في الثورة على الوليد بن يزيد، يذكر ابن عساکر الأسماء الآتية:

- الوليد بن علي الكلبي، ج ١٧، ق ٤٦٧ (٢).
- صالح بن الأصهب الكلبي، ج ٨، ق ٦٢ (١).
- يزيد بن يزيد بن جابر الأزدي، ج ١٨ (ب)، ق ١ (٢).
- (٢١٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ١٨٩.

وعندما جاء الخليفة العباسي، المأمون، وتبنى آراء المعتزلة<sup>(٣١٧)</sup> (وهي تتفق مع آراء القدرية فيما يتعلق بجزئية الإنسان ومسئوليته عن أعماله) وأعلنها عقيدة رسمية للدولة، قاد المحنة ضد علماء السنة بنفسه. وهكذا دخل المجتمع العربي - الإسلامي في دوامة التصلب الفكري.

(٢١٧) المعتزلة: فئة لها موقف سياسي خالف الأقوال السابقة في مرتكب الكبيرة. ذلك أن المرجئة يقولون إنه مؤمن، والخوارج يقولون إنه كافر. وكان الحسن البصري يقول إنه منافق. فخالف واصل بن عطاء هذه الأقوال وقال: إنه ليس بالمؤمن ولا بالكافر. وهو قول ترتبت عليه نتائج سياسية خطيرة. فقد طبق المعتزلة نظريتهم على الأعمال التي قامت منذ نشب الخلاف بين المسلمين، وتعرضوا للرجال الذين اشتركوا في الخلاف، كعثمان وعلي وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص، بالنقد بجرأة بالغة. ولهذا الفرقة آراء لاهوتية بالإضافة إلى ذلك.

وتتلخص آراء المعتزلة فيما يلي:

١- القول بالمنزلة بين المنزلتين، أي أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا بمؤمن. بل في منزلة بينهما.

٢- القول بالتوحيد، نفى المعتزلة أن يكون لله صفات أزلية من غير ذاته، بل لله عالم وقادر وحيّ وسميع وبصير بذاته. ومن هنا قولهم بخلق القرآن، لأن قدمه يتعارض في رأيهم مع وحدانية الله.

٣- القول بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقيبح.

٤- القول بالعدل، أي أن الله لا يخلق أفعال الناس وإنما هم الذين يخلقون أعمالهم، وأنهم من أجل ذلك يثابون ويعاقبون. وهذا ما يبرر صفة العدل في الله.

راجع:

- أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ص ٢٨٧ - ٣٠٣.

- E. I.: Vol. III, pp. 841-47, art: Mu'tazila par H.S. Nyberg.

لم تدع الثورات، التي اندلعت في كل أرجاء العالم الإسلامي في نهاية العهد الأموي، لهذا الخليفة مجالاً لمزاولة النشاط الثقافي والتربوي. إلا أن التقاليد التي سار عليها الأمويون منذ وصولهم للحكم كانت تفرض عليهم واجبات ثقافية يجب أن يسهر عليها الخليفة بنفسه أو أن يكلف شخصاً ما بأدائها. ومن هذه التقاليد استقبال رجال العلم والأدب وتوزيع العطاء عليهم.

وقد كلف مروان بن محمد عريقاً يقوم بهذه المهمة في مقره بجرّان. وكان هذا العريق يستمع إلى الشعراء ويجازي الحسن منهم<sup>(٢١٨)</sup>.

أما من الناحية العقائدية، فيتهم البعض مروان بن محمد بالزندقة، وتبني آراء مؤدبه الجعد بن درهم<sup>(٢١٩)</sup>، ويعزو البعض الآخر إليه موقفاً متشدداً ضد القدرية<sup>(٢٢٠)</sup>.

على أنه مهما كان الأمر، فإن الدولة الأموية في الشرق كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولم يكن شخص الخليفة ليؤثر في مجريات الأمور.

---

(٢١٨) ابن عساکر: ج ١٦، ق ٤٩٦ (٢)، ترجمة: مروان بن محمد.

(٢١٩) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٩٥، أيضاً:

خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١١٤، ترجمة: الجعد بن درهم. عن ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٦٠: «كان مروان يلقب بالجمعي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر».

(٢٢٠) E.I.2.Vol. IV, pp. 385-388, art. Kadariyya, par J. van Ess.

لقد أصاب الأمويين بعد ذلك ما أصابهم من القتل والتشريد. ولم ينسج منهم غير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، الذي نجح في اعتلاء الحكم في الأندلس، ومتابعة التقاليد الثقافية للأسرة الأموية هناك<sup>(٢٢١)</sup>.

وفي بقية أرجاء الدولة، انتقلت الخلافة إلى بني العباس، وتولّى هؤلاء مهمة تطوير الثقافة العربية الإسلامية ونشرها على نفس الأسس التي بدأها الأمويون.

---

(٢٢١) ابن عساکر: ج ١٠، ق ٣٩٠ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام.

### ٣- الخلفاء العباسيون

١٣٢/٧٥٠ - ٣٢٠/٩٣٢

#### جدول زمني

٧٥٠/١٣٢	١ - السفاح
٧٥٤/١٣٦	٢ - المنصور
٧٧٥/١٥٨	٣ - المهدي
٧٨٥/١٦٩	٤ - الهادي
٧٨٦/١٧٠	٥ - الرشيد
٨٠٩/١٩٣	٦ - الأمين
٨١٣/١٩٨	٧ - المأمون
٨٣٣/٢١٨	٨ - المعتصم بالله
٨٤٢/٢٢٧	٩ - الواثق بالله
٨٤٧/٢٣٢	١٠ - المتوكل على الله
٨٦١/٢٤٧	١١ - المنتصر بالله
٨٦٢/٢٤٨	١٢ - المستعين بالله
٨٦٦/٢٥١	١٣ - المعتز بالله
٨٦٩/٢٥٥	١٤ - المهدي بالله
٨٧٠/٢٥٦	١٥ - المعتمد على الله
٨٩٢/٢٧٩	١٦ - المعتضد بالله
٩٠٢/٢٨٩	١٧ - المكتفي بالله
٩٠٨/٢٩٥	١٨ - المقتدر بالله
٩٣٢/٣٢٠ <sup>(١)</sup>	١٩ - القائم بالله

(١) - C.E. Bosworth: The Islamic Dynasties, p. 7.

## آ- تاريخ الأسرة العباسية وتربية أفرادها

من المعروف أن جد الأسرة العباسية، عبد الله بن عباس (ت ٦٨/٦٨٧)، وقف أولاً بجانب الخليفة علي بن أبي طالب في حربه لإخضاع والي الشام معاوية بن أبي سفيان لسلطته. ولكنه، بعد مقتل علي، بايع معاوية ووفد عليه في دمشق.

ونظراً لسعة علم عبد الله بن عباس، أمر معاوية ابنه يزيد بأن يأتي الضيف الكبير، فأتاه في منزله، فرحب به ابن عباس وحدثه. ولما خرج يزيد. قال ابن عباس: «إذا ذهبت بنو حرب ذهب علماء الناس»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا سوّيت الأمور بين الرجلين، وعاد عبد الله إلى المدينة، وانصرف كلياً للعلم.

وقد سمع ابن عباس وروى عنه عدد كبير من أهل الشام منهم: عايد الله ابن عبد الله أبو إدريس الخولاني، وخالد بن اللجلاج، وشهر بن حوشب<sup>(٣)</sup>.

وقد دفعت هذه العلاقات الوطيدة بين الأسرتين القرشيتين، علي بن عبد الله بن عباس (٦٦٠/٤٠ - ٧٣٦/١١٨)، إلى مغادرة المدينة والسكنى في قرية صغيرة في الشّراة، جنوبي الشام، تسمى الحُميمة، واقتناء دار في دمشق (قبلي سوق الدواب) للنزول بها حين يكون بالعاصمة<sup>(٤)</sup>.

---

(٢) ابن عساکر: ج ١٨، ق ١٨٥ (١)، ترجمة: يزيد بن معاوية.

(٣) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٤٨ (٢)، ترجمة: عبد الله بن عباس.

(٤) المصدر نفسه: ج ١٢، ق ٤٤٠ (٢)، ترجمة: علي بن عبد الله بن عباس.

وقد حدث هذا الانتقال حسبما يستنتج من « تاريخ مدينة دمشق » في عهد معاوية، لأن ابن عساكر يقول في ترجمة محمد بن علي، بأن هذا الأخير ولد بالحريمة سنة ٦٧٧/٥٨<sup>(٥)</sup>. أما فلهاوزن فيروي عن الطبري، أن علي بن عبد الله انتقل إلى دمشق في عهد عبد الملك بن مروان. ولكن الوليد بن عبد الملك أساء به حين وليّ الخلافة، فانتقل سنة ٧١٤/٩٥ مكرهاً، وسكن الحريمة عند أذرح على طريق الحج الآتي من الشام<sup>(٦)</sup>.

وقد توطدت الصلات بين محمد بن علي بن عبد الله، وأحد أفراد أسرة علي بن أبي طالب، وهو عبد الله بن محمد بن الحنفية، المكنى أبا هاشم، فاختره أبو هاشم لخلافته في إمامة فرقة شيعية متطرفة تسمى « الهاشمية »، سنة ٨١٥/٨٧ حسب ما يذكر ابن عساكر<sup>(٧)</sup>. وسنة ٧١٦/٩٨، كما تروي مصادر أخرى<sup>(٨)</sup>.

ويترجم ابن عساكر لأشخاص هذه الأسرة على أنهم من أهل الشام، فعلي ابن عبد الله من تابعي أهل الشام ومحدثيهم، ومحمد بن علي في الطبقة الرابعة من أهل الشامات، وهكذا... إلى أن يغادر أبو العباس، عبد الله بن محمد،

---

(٥) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٢٣٢ (١)، ترجمة: محمد بن علي بن عبد الله.

(٦) فلهاوزن: تاريخ الدولة العريية، ص ص ٤٧٤ - ٤٧٥، الحاشية. عن الطبري: ج ٢، ص ١٥٩٢.

(٧) ابن عساكر: ترجمة محمد بن علي بن عبد الله.

(٨) E.I.2: Vol.I, pp. 15-24, art: « Abbasides. par B. Lewis. »

فلهاوزن، ص ٤٧٦، يفترض أن أبا هاشم كان بالحريمة قبل بني العباس، وانضم هؤلاء إليه سنة ٩٥ هـ. وعندما توفي سنة ٩٨ هـ أوصى بالإمامة لمحمد بن علي.

الحميمة سرّاً سنة ٧٤٩/١٣٢ مع ثلاثة عشر فرداً من أسرته، وينتقل إلى الكوفة، حيث يصبح أول خليفة عباسي.

ويذكر ابن عساكر شيئاً عن تربية أفراد الأسرة وثقافتهم قبل وصولها إلى الخلافة، وخلال الفترة التي تلت ذلك.

فعميد الأسرة، عبد الله بن عباس، كان يسمى البحر لسعة علمه. وكان يعلم في مسجد المدينة علوم الدين واللغة العربية والشعر... وحرصاً على إفادة طلابه الكثيرين وتلبية طلباتهم، كان يخصص يوماً للقرآن والتفسير، وثانياً لمغازي الرسول، وثالثاً لأيام العرب، ورابعاً للأنساب، وخامساً للشعر والنحو<sup>(٩)</sup>.

أما ابنه علي الذي انتقل إلى الحميمة، فقد كان محدثاً قليل الحديث. روى عن أبيه وأبي سعيد الخدري، ولكنه اشتهر بالعبادة والورع فلُقّب «بالسجّاد». وكان إذا قدم مكة معتمراً أو حاجاً، عطّلت قريش مجالسها في المسجد الحرام وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلسه إعظاماً له، حتى يخرج من الحرم<sup>(١٠)</sup>. وقد عُرف أبناء عليّ بالفصاحة ورواية الأحاديث عن أبيهم.

وقد تميّز من هؤلاء الأبناء محمد بن علي الذي أرسله أبوه، حسب رواية ابن عساكر، يطلب العلم عند أبي هاشم. فقد كان ذكياً طموحاً، وهذا ما جعل أبا هاشم يوصي إليه بكتبه وخلافته في رئاسة جماعته الخراسانية<sup>(١١)</sup>.

---

(٩) ابن عساكر: ترجمة عبد الله بن عباس.

(١٠) المصدر نفسه: ترجمة علي بن عبد الله.

(١١) المصدر نفسه: ترجمة محمد بن علي.

ومنذ اللحظة التي قرر فيها محمد بن علي الانضمام إلى المؤامرة ضد الأمويين، بدا العباسيون وكأنهم شكّلوا حلقة مغلقة تتناقل أحاديث معينة من جيل إلى جيل. ونظراً لأن جماعتهم كانت توصف بأنها فئة شيعية متطرفة، خيل للبعض أن هذا التعليم الذي يتناقلونه مخالف للسنة.

ولكن الشواهد تدل على أن المصالح السياسية للعباسيين كانت في جانب، وكانت عقائدهم في جانب آخر. ومن هذه الشواهد ما يلي:

- بعد ارتقاء المنصور الخلافة، جمع أفراد أسرته وسألهم عما إذا كانوا ما يزالون يذكرون الرؤيا التي رآها عندما كانوا في الشراة، فأجابوه بالنفي، فلماهم على ذلك وروى لهم أنه رأى في منامه أنه زار مكة ودخل المسجد الحرام حيث التقى بالرسول وأصحابه أبي بكر وعمر وبلال الحبشي. وهناك أعلمه الرسول بأنه سيكون خليفة للمسلمين. ثم طلب المنصور من أقربائه أن ينقشوا هذه الرؤيا على ألواح الذهب ويلقوها في أعناق الصبيان العباسيين<sup>(١٢)</sup>.

ونرى المنصور يذكر هاهنا اسمي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب بعد الرسول (ص). وفي لقاء للخليفة نفسه مع أحد المحدثين يسأل الخليفة عن أفضل الصحابة بعد الرسول، فيجيبه المحدث: أبو بكر ثم عمر ثم... فيقول له الخليفة: أصبت، وهذا هو رأي أمير المؤمنين<sup>(١٣)</sup>.

- قال محمد بن إبراهيم الإمام: أرسل المنصور بكرة، واستعجلني الرسول فدخلنا، فإذا الربيع واقف عند الستر، وإذا المهدي ولي العهد في الدهليز

---

(١٢)، (١٣) المصدر نفسه: (نسخة الأزهر، ٢٩، ق ٦ (١)، ميكروفلم حصل عليه الجمع العلمي العربي بدمشق حديثاً)، ترجمة: عبد الله بن محمد، أبو جعفر المنصور.

جالس و (معه) عبد الصمد بن علي، وداود بن علي، واسماعيل بن علي، وسليمان بن علي و... فقال الربيع: اجلسوا مع بني عمكم. فجلسنا... ثم دخلنا على المنصور وسلّمنا وأخذنا مجالسنا. فقال للربيع: هات دُويًّا وما يكتبون فيه، فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورقة، ثم التفت إلى عبد الصمد ابن علي فقال: يا عم! حدّث ولدك وإخوتك وبني أخيك حديث البرّ والصلة<sup>(١٤)</sup>.

- قال الرشيد لابنه: كان أبو العباس، عيسى بن علي، راهبنا وعالمنا أهل البيت. ولم يزل في خدمة أبي محمد عليّ بن عبد الله إلى أن توفي هذا، ثم خدم أبا عبد الله إلى وقت وفاته، ثم إبراهيم الإمام وأبا العباس والمنصور فحفظ جميع أخبارهم وسيرهم وأمورهم.... ولذلك أنصحك ببلأزمته والسماع منه لأنه أفضل من يعرف تاريخنا الآن<sup>(١٥)</sup>.

وقد حدّث عيسى هذا عن أبيه علي، وأخيه محمد بن علي<sup>(١٦)</sup>.

أما ابنه اسحق بن عيسى، الذي كان والياً على دمشق أيام الرشيد، فقد حدّث عن أبيه وعن عمه أبي جعفر المنصور<sup>(١٧)</sup>.

وهناك أفراد آخرون من بني العباس كانت لهم صلوات بالشام والجزيرة قبل وصول الأسرة إلى الخلافة وفي بدايتها، عرفوا برواية الأحاديث التي تتناقلها الأسرة. ومن هؤلاء:

---

(١٤) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٣٢ (٢)، ترجمة: عبد الصمد بن علي.

(١٥) المصدر نفسه: ج ٢ (ك)، ق ٢٩٠ (١)، ترجمة: اسحاق بن عيسى.

(١٦) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٠٥ (١)، ترجمة عيسى بن علي.

(١٧) المصدر نفسه: ترجمة اسحق بن عيسى.

- عبد الله بن علي (١٠٣ / ٧٢١ - ١٤٧ / ٧٦٤)، وصالح بن علي (٧١٤ / ٩٦ - ٧٦٨ / ١٥١). قادا الجيش العباسي إلى الشام، وتسلموا إحدى الولايات فيها بعد نجاح الدعوة العباسية.

رويا الحديث عن أبيهما<sup>(١٨)</sup>.

- محمد بن إبراهيم الإمام (٧٣٧ / ١٢٠ - ٨٠١ / ١٨٥). ولي دمشق أيام المهدي والرشيد. روى الحديث عن ابن عمه المنصور، وكان يجمع أبناءه وأحفاده كل خميس فيعظهم ويروي لهم الأحاديث<sup>(١٩)</sup>.

- عبد الله بن صالح بن علي (ت ٨٠٢ / ١٨٦). ولي الجزيرة ثم العواصم. روى الحديث عن عمه سليمان بن علي<sup>(٢٠)</sup>.

- سليمان بن عبد الله (ابن أبي جعفر المنصور)، ولي دمشق سنة ٨٠٣ / ١٨٧. روى الحديث عن أبيه<sup>(٢١)</sup>.

- عبد الملك بن صالح بن علي (ت ٨١١ / ١٩٦)، ولي دمشق ثم الصوائف. روى الحديث عن أبيه وعمه سليمان<sup>(٢٢)</sup>.

لقد توقعنا قليلاً عند هذه الشواهد لأنها تلقي بعض الضوء على مضمون تربية أوائل العباسيين.

---

(١٨) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٦٩ (١)، ترجمة: صالح بن علي.

(١٩) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٦٢٦ (٢)، ترجمة: محمد بن إبراهيم.

(٢٠) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٣٠ (٢)، ترجمة: عبد الله بن صالح.

(٢١) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٤٩ (٢)، ترجمة: سليمان بن عبد الله.

(٢٢) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٧٣ (١)، ترجمة: عبد الملك بن صالح.

وقد تبين لنا أن الموضوعات التي اهتموا بها هي الحديث وتاريخ الأسرة من حيث صلتها بالرسول الكريم، وأعلامها، وبداية الدعوة لها، وأنصارها، والحركة التي أوصلتها للخلافة..

كما يتبين لنا أن الأحاديث التي كانوا يتناقلونها يسند معظمها إلى أبي سعيد الخدري الذي سمع منه جدهم علي بن عبد الله، وإلى عمر بن عبد العزيز الذي سمع منه محمد بن علي، وأن عدداً من علماء الحديث سمعوا علي ابن عبد الله وابنه محمداً ورووا عنهم ومنهم الزهري وفضالة بن المبارك وهشام ابن عروة.

ولا بد لنا هنا من التساؤل عن صلة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ومحمد بن علي بالحزب الذي عمل لها. ذلك أن أبا هاشم أوصى بكتبه لمحمد ابن علي. وفي رأينا أن هذه الكتب لا تضم شيئاً من التعاليم المتطرفة كتعاليم السبئية أو الراوندية، وأن الاتفاق بين الطرفين كان مجرد اتفاق سياسي أراد كل منها استغلاله لتحقيق أغراضه، فما إن وصل العباسيون إلى الحكم حتى أعلنوا رفضهم للآراء المخالفة للسنة.

وقد تبني معظم العباسيين هذه السياسة ما عدا المأمون الذي بدأ بموالاته الشيعة، ثم انحاز إلى المعتزلة وأعلن عقيدتهم عقيدة رسمية للدولة، وتبعه في ذلك المعتصم والواثق.

والواقع أن سيطرة هذا الاتجاه لم تدم أكثر من خمسة عشر عاماً<sup>(٢٣)</sup>.

---

(٢٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ١٣ وما يليها.

## ب- الأوضاع السياسية والثقافية

### في بداية الخلافة العباسية

استعان الأمويون أثناء حكمهم بالموالي في الأعمال الإدارية والحربية للدولة. ولكن وصول العباسيين إلى الحكم مكّن الموالي من حقوقهم السياسية. فقد ارتقوا إلى أعلى مناصب الدولة، وشاركوا مشاركة فعالة في الدفاع عنها ضد أعدائها في الداخل والخارج.

وهكذا حققت الثورة، إلى حد ما، غرضها السياسي في إزالة التمييز بين أبناء الأمة. وقد شجع ذلك على تسارع حركة الدخول في الإسلام بين سكان الأقاليم الشرقية والغربية على السواء، ولكنه أوجد وضعاً جديداً اضطر الخلفاء لمواجهته.

ذلك أن دعاة بني العباس وعدوا أنصارهم بتحقيق العدل الاجتماعي بالإضافة إلى المساواة السياسية. ولم يعمل نظام الحكم على تحقيق ذلك، مما أدى إلى ظهور تدمير ومطالب على الصعيد الاجتماعي - الاقتصادي. كما أن الكثيرين من أهل المشرق الذين دخلوا في الإسلام كانوا ما يزالون متشبثين بثقافتهم وقيمهم الأصلية، مما أدى إلى ظهور تدمير ومطالب على الصعيد الثقافي.

وقد تجلّت جميع هذه المطالب على صورة فرق دينية انبعثت من خلالها أديان الفرس القديمة كالزردكية والمانوية. وقد أطلق المجتمع الإسلامي آنذاك على هذه الفرق اسم الزنادقة<sup>(٢٤)</sup>.

---

- E. I.: Vol. IV, P. 1298, art: Zandaqa, par L. Massignon. (٢٤)

ويبدو أن هذه الأشكال من الزندقة انتشرت انتشاراً واسعاً، وخرقت المبادئ التي قام عليها الإسلام، لدرجة أنها كانت تشكل تهديداً لكيان الثقافة العربية - الإسلامية الناشئة، وضرباً لوحدة الأمة. فما كان من الخلفاء العباسيين، الذين يعدون أنفسهم رؤساء دينيين للأمة ويمثلين للعروبة، إلا أن تدخلوا باظهار العقيدة الرسمية للدولة، وتحديد الأنشطة الثقافية الملازمة لها بصورة تمكّن لدعامتي الثقافة العربية - الإسلامية الأساسيتين: الإسلام والعروبة.

وبما أن الخلفاء العباسيين أخذوا على عاتقهم دور الحكم في المسائل العقائدية والثقافية، كان عليهم أن يزودوا أنفسهم بثقافة واسعة تجعلهم على مستوى هذه المسؤولية. وهكذا تبنا نظام المؤدبين الذي لجأ إليه الأمويون من قبلهم، ووفروا لأبنائهم تربية أرقى مما يحصل عليه العامة، وجعلوا من قصورهم مراكز حقيقية للثقافة، يجتمع فيها أعلام الفكر في جميع الميادين ويناقشون جميع المسائل المطروحة بحضور الخليفة. كما أعيد إنشاء بيت الحكمة وتنظيمه بصورة تستخدم فيها جميع الكفاءات المتوافرة في الدولة، لدعم الاتجاهات الثقافية التي يؤيدها الخلفاء.

ومن الجدير بالذكر، أن الاهتمامات الفكرية التي أبداها أوائل الخلفاء العباسيين ساعدت على دمج فئة من مواطني الدولة في أنشطتها الثقافية، بعد أن كانت مشاركتها محدودة في عهد الروانيين. ونعني بذلك المثقفين من أهل البلاد المفتوحة الذين لم يدخلوا في الإسلام، ومعظمهم من السريان الذين كانوا يقطنون الشام والجزيرة والعراق.

كان هؤلاء، حتى ذلك الحين، يقومون بدراسة العلوم والفلسفة اليونانية وترجمتها في أديرتهم ومدارسهم في أنطاكية وحران وقنسرين وجنديسابور

وغيرها. وكان تمكنهم من اللغات اليونانية والسريانية والعربية يجعلهم أقدر من يستطيع فتح الثقافة العربية - الإسلامية على التراث اليوناني. وعندما بعث العباسيون بيت الحكمة، اتصلوا بهذه الفئة وطلبوا منها المساهمة في نشاطه.

وقد أدت هجرة سريان الشام والجزيرة إلى بغداد إلى إضعاف مراكزهم الثقافية في هذه المناطق إلى حد كبير.

ومن الضروري أن نشير أيضاً إلى أن تطور الدراسات اللغوية والعلمية والفلسفية في العصر العباسي الأول، أدى تدريجياً إلى تمايز تيارين فرعيين داخل الثقافة العربية - الإسلامية، تيار النقل وتيار العقل، وظهور ممثلين وأنصار لكل من هذين التيارين دون أن تحدث بينهما قطيعة كاملة.

كان التيار الأول يتكوّن في معظّمه من أبناء العامة الذين توافر لهم الوقت والمال اللازمان للتعقّق في الدراسات الدينية، أما الثاني فيتكوّن من أبناء الخاصة الذين زوّدهم مؤدّبوهم بثقافة واسعة في مجالات الدين واللغة والأدب والعلوم وغيرها.

وقد اتسعت فئة «الخاصة» أيام العباسيين لتضم أبناء الإقطاعيين وكبار الموظفين الإداريين والعسكريين في جميع الأقاليم. فتضخّم تيار العقل نسبياً، وأدى ذلك إلى احتكاك التيارين وظهور محاولات للتوفيق بينهما، ولكن العلاقة بينهما اتخذت غالباً شكل النزاع والتجريح المتبادل.

ومن الطبيعي أن يؤيد جمهور العامة التيار الأول، فالإيه ينتمي معلومهم وأئمتهم الذين كانوا يلتقون بهم في الكتاتيب والمساجد حيث يتعلمون مبادئ

## ج - علاقة الخلفاء العباسيين بالشام والجزيرة

عندما نقل العباسيون عاصمة الدولة إلى العراق خسرت الشام مكانتها كمركز للدولة الإسلامية، ولكنها لم تفقد، على أي حال، أهميتها الخاصة التي تعود لموقعها الجغرافي المتوسط بين العراق والمناطق الغربية من الدولة، وحدودها الطويلة مع الروم التي جعلت منها مسرحاً للمواجهة معهم. لهذه الأسباب، ولانتشار الفتن والاضطرابات فيها في بداية الحكم العباسي، قام الخلفاء العباسيون الأوائل بزيارات عدة للشام والجزيرة، وأقام بعضهم فيها فترة من الوقت. كما أنهم حرصوا على إرسال أفضل رجالهم لتولي الأمور فيها.

كانت المنطقة التي نتحدث عنها، وهي الشام والجزيرة، تضم في بداية الخلافة العباسية سبعة أقسام إدارية وهي: فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنّسرين، والجزيرة والموصل<sup>(٢٦)</sup>، وجند العواصم الذي أضافه الرشيد<sup>(٢٧)</sup>. وقد ضُمت المنطقة كلها أحياناً تحت إمرة والٍ واحد، ولكنها توزعت في

---

(٢٥) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ص ص ٩٧ - ٩٨.  
يحاول المؤلف في هذه الصفحات تفسير موقف العامة العدائي من أنصار العلوم العقلية. تنبّه إليها لأنها المحاولة الأولى، على ما نعرف، من هذا النوع.  
(٢٦) ابن عساكر: ج ٨، ق ٢٠٩ (٢)، ترجمة: عاصم بن محمد الكليبي.

(٢٧) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥.

معظم الأحيان على عدد من الولاة لمواجهة الفتن وضبط الأمن فيها. وقد راعى العباسيون في البداية أن يكون ولايتها من أفراد الأسرة العباسية نفسها، ولكنهم أهملوا ذلك فيما بعد فجاءها ولاة من الفرس، منذ عهد الرشيد، ومن الترك منذ عهد الواثق.

## ١ - السفاح

لم يكن العباسيون قد انتهوا من ملاحقة الأمويين وأنصارهم والتنكيل بهم، حين بدأ عبد الله بن علي سياسة ترمي إلى استرضاء علماء الشام.

ونظراً لجو الذعر الذي ساد دمشق، حين دخول العباسيين، اختفى فقيه الشام، الأوزاعي، مدة من الزمن، ثم هرب إلى بيروت. فبعث عبد الله بن علي إليه رسولاً يسأله المجيء إلى حماه ومقابلته هناك. وقد أجاب الأوزاعي عن أسئلة عبد الله بن علي بصراحة تامة، وبيّن له دونما مجاملة أنه لا يؤيد الأسلوب الذي عامل به العباسيون بني أمية. وعندما وصل الأوزاعي إلى بيروت، عائداً من حماه، وجد رسولاً على بابه أخبره أن الوالي يعتذر إليه لسهوه عن تقديم العطاء له، وبيعت إليه بمئتي دينار. فقبل الأوزاعي المال ووزّعه فوراً على الفقراء<sup>(٢٨)</sup>.

وبالرغم من أن أبا العباس السفاح اتخذ مجالس للسمر، على طريقة بني أمية، فإننا لا نملك شاهداً يدل على حضور أحد من علماء الشام أو شعرائها هذه المجالس.

---

(٢٨) ابن عساکر: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

ولقد سار المنصور أبعد من سلفه في سياسة استرضاء العلماء من أهل السنة. ذلك أنه، هو نفسه، كان محدثاً فقيهاً. وقد طلب العلم حينما كانت الأسرة العباسية تسكن الشام.

وبعد أن تقلد المنصور الخلافة جاء مرتين للشام، وزار دمشق وبيت المقدس والجزيرة<sup>(٢٩)</sup>. كما دعا بعض علماء الشام لزيارته ببغداد، ومنهم الوّضين بن عطا<sup>(٣٠)</sup>، والأوزاعي<sup>(٣١)</sup>، وهشام بن الغاز الجرشي وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر<sup>(٣٢)</sup>.

وقد حرص المنصور على إقامة علاقات طيبة مع الأوزاعي، وأرسل له الرسائل. ففي إحدى هذه الرسائل، قال الخليفة لفقّيه الشام: «أما بعد، فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته، فتلك في عنقه... فاكتب إليه بما رأيت فيه المصلحة، وبما أحببت، وبما بدا لك». فأجاب الأوزاعي يعظه بعمل الخير<sup>(٣٣)</sup>.

وفي رسالة أخرى طلب الخليفة من الأوزاعي أن يأتيه ببغداد. فذهب الأوزاعي إليه فقال له: «أريد الأخذ عنكم والاقْتباس منكم». فوعظه الأوزاعي، واستعفى من لبس السواد لأنه لا يرتاح إليه<sup>(٣٤)</sup>.

(٢٩) المصدر نفسه: (نسخة الأزهر)، ترجمة: عبد الله بن محمد، أبو جعفر المنصور.

(٣٠) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٣٢ (٢)، ترجمة: الوّضين بن عطا.

(٣١) المصدر نفسه: ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(٣٢) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٠٣ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر.

(٣٣)، (٣٤) المصدر نفسه: ترجمة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

على أن احترام الخليفة للأوزاعي لم يمنع المسؤولين العباسيين في بيروت من مضايقته. فقد كان هؤلاء يضيّقون ذرعاً بنقده.

عن ابن أبي العشرين: سمعت أميراً بالساحل كان يقول في الأوزاعي: «رحمك الله يا أبا عمرو، فلقد كنت أخافك أكثر من ولّائي» (٣٥).

وهذا هو السبب، على ما يبدو، في إبعادهم الناس عنه.

عن أبي مُنهر قال: «ما مات الأوزاعي حتى جلس وحده ما يجلس إليه أحد، وحتى ملّيت أذنه شتاً وهو يسمع» (٣٦).

على أن موقف المسؤولين العباسيين من الأوزاعي في حياته، لم يمنع سكان بيروت من التعبير عن عواطفهم تجاه الفقيد الكبير بعد وفاته. فقد خرجوا جميعاً في جنازته. مسلمون ونصارى ويهود و (نبط أو قبط؟) (٣٧).

وقد تكون حالة الأوزاعي حالة فردية. ذلك أن العباسيين، ولاسيما أوائلهم، كانوا يبدون اهتماماً كبيراً بالعلوم الدينية ومثلها. فعندما جاء صالح ابن علي والياً على الشام، في أيام المنصور، كان بصحبته بعض العلماء منهم اسحق بن عبد الله بن أبي فروة المدني. وقد روى هذا المحدث أحاديث بالشام، وروى عنه أهلها (٣٨). كما أن أبا جعفر لم يغفل في وصيته لابنه المهدي، أن يذكره باجلال أهل العلم والدين (٣٩).

وقد اشتهر أبو جعفر أيضاً بالفصاحة والخطابة وحب الشعر. وكان

---

(٣٥-٣٧) المصدر نفسه: ترجمة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(٣٨) المصدر نفسه: ج ٢، (ك)، ق ٢٨٥ (٢)، ترجمة اسحق بن عبد الله بن أبي فروة.

(٣٩) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٣٥.

صاحب أخبار وآداب وله كتاب فيها<sup>(٤٠)</sup>. لذلك عمل على تزويد ابنه المهدي بتربية عربية إسلامية جيدة، واختار لتأديبه أبا سعيد محمد بن مسلم (وكان محدثاً)، وأبا محمد سفيان بن حسين بن حسن (وكان فقيهاً)<sup>(٤١)</sup>، والمفضل الضبي (وكان شاعراً، نحويّاً، عالماً بأشعار العرب وأمثالها وأيامها)<sup>(٤٢)</sup>. وعندما ولى ابنه الرّبيّ ضم إليه الشرقيّ بن القطامي، الشاعر الكلبي المعروف، وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب ومكارم الأخلاق ودراسة الأخبار وقراءة الأشعار<sup>(٤٣)</sup>.

كما يذكر عن المنصور أنه عُني بنقل الكتب القديمة ولكنه اقتصر منها على الطب والهندسة والنجوم<sup>(٤٤)</sup>. وهذا ما دفع بعضهم إلى القول بأنه هو الذي أنشأ بيت الحكمة ببغداد<sup>(٤٥)</sup>.

وهكذا تابعت الثقافة العربية - الإسلامية سيرها في نفس الطريق الذي اختطته في بداية نشأتها، والذي يستهدي نماذج ثقافية ثلاثة:

- النموذج الإسلامي كما تجلّى في عهد الرسول وخلفائه الراشدين.

- النموذج العربي الجاهلي.

(٤٠) جرجي زيدان: تمدن، ج ٣، ص ١٩٠. عن الجاحظ: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٥٤.

(٤١) أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، ص ٢١٣.

(٤٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٣٥.

(٤٣) محمد أحمد جاد المولى، وآخرون: قصص العرب، ج ٢، ص ٥٤، حاشية.

(٤٤) جرجي زيدان: تمدن، ج ٣، ص ١٥٥ - ١٥٧.

(٤٥) سعيد الديوه جي: بيت الحكمة، ص ٣١.

- نموذج الحضارات القديمة التي سادت في المنطقة قبل الإسلام.

وإذا كان حرص المنصور في النفقات قد خيَّب آمال أهل العلم والأدب، الذين كانوا يلقون التشجيع من البلاط الأموي، إلى الحد الذي جعل العلماء يتندرون عليه<sup>(١٦)</sup>، ودفع بعض الشعراء إلى هجاء بغداد والعباسيين<sup>(١٧)</sup>، فإن البلاط العباسي سرعان ما فتح أبوابه لهؤلاء مع وصول المهدي إلى الخلافة، وأخذ على عاتقه رعاية العلوم والآداب وأصحابها.

### ٣- المهدي

لم يكن العباسيون قد وطدوا حكمهم بعد، حين بدأت الفرق الدينية في إثارة المتاعب لهم.

فخلال عهد المنصور ثار الراوندية في خراسان<sup>(١٨)</sup>. وعندما ولي المهدي الخلافة بعد ربع قرن من الانتصار العباسي، كانت الأزمة العقائدية في الدولة قد اتخذت أبعاداً تثير القلق.

وقد أحس المهدي بما يكمن وراء هذه العقائد الجديدة، التي أطلق عليها اسم الزندقة، من خطر على الإسلام والعروبة ووحدة الجماعة، لذلك قاد

---

(٤٦) ابن عساكر: ج ١٧، ق ٤٣٢ (٢)، ترجمة: الوضين بن عطا.

(٤٧) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ٧٥ (١)، ترجمة مطيع بن إبّاس الليثي الشاعر.

(٤٨) حن إبراهيم حن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٩١.

ضدها حملة تقوم على الملاحقة والاضطهاد من جهة، وعلى الحوار والإقناع من جهة أخرى<sup>(٤٩)</sup>.

وبما أننا نتحدث عن الوسائل الثقافية والتربوية، فإن هذا البحث لا شأن له « بديوان الزندقة » الذي أنشأه الخليفة لأغراض الملاحقة. ولكن ما يهمنا هو تشكيل الخليفة لجنة من الفقهاء تعمل على تنظيم المناظرات وكتابة الرسائل في الرد على حجج الزنادقة؛ ذلك العمل الذي يعد عاملاً من عوامل نشوء علم الكلام، والذي ساهم فيه المعتزلة بنصيب كبير<sup>(٥٠)</sup>.

وإذا ما بدا للبعض أن يتساءل عن علاقة الشام بهذه الحركات. ومعظم سكانها كما نعرف يتكونون من العرب والسريريان. ولا شأن لهم بديانات الفرس القديمة وبالعقائد الجديدة، فإن جواب ذلك هو أن الشام لم تكن بؤرة للزندقة بالمعنى الذي اتخذته هذه الكلمة في بداية العصر العباسي. على أن أصداء هذا الصراع الفكري - السياسي وصلت إلى دمشق حيث التجأ أحد المهتمين بالزندقة وهو صالح بن عبد القدوس.

كان صالح رجلاً بارزاً في هذه الحركة. له شعر وأمثال وحكا وآداب ومناظرات مع أبي الهذيل العلاف أحد رؤساء المعتزلة.

وقد اجتمع المهدي بهذا الرجل وخاطبه في معتقداته، ثم أخلى سبيله لما رأى من حكمته وعلمه، فجاء دمشق. وكان يكثر الجلوس فيها في حانوت عطار أو قطّان، فُنمي إلى الخليفة أن صالحاً استمر في الدعوة لمذهبه والجدال عنه. فأرسل أحد عماله على البريد. فقبض عليه عند الحانوتي، وعاد به إلى

---

(٤٩) المصدر نفسه: ج ٢، ص ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٥٠) المصدر نفسه: ج ٢، ص ص ١٠٥ - ١٠٦.

بغداد حيث أمر المهدي بصلبه على الجسر. وكان ذلك حوالى  
٧٧٧/١٦٠<sup>(٥١)</sup>.

وعلى غرار ما فعل المنصور، زار ابنه المهدي الشام والجزيرة سنة  
٧٨٠/١٦٣، فاطلع على أوضاع الحدود مع البيزنطيين، وأنشأ قاعدة  
عسكرية في الرقة<sup>(٥٢)</sup>. وقد توقف في جولته هذه في قنّسرين حيث التقى  
بالتنوخيين ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا<sup>(٥٣)</sup>، وفي بيت المقدس. واجتمع في  
دمشق بالمحدثين والفقهاء، وروى لهم الحديث عن أبيه وغيره.... عن جد  
الأسرة، عبد الله بن عباس<sup>(٥٤)</sup>.

هذه العلاقات المتينة التي أقامها المهدي مع علماء الشام والجزيرة جذبت  
عدداً منهم إلى بغداد. فقد ذهب إليها محمد بن عبد الله بن علّانة العُقَيْلي (من  
حرّان)، وعُيّن قاضياً هناك، وكان يلقّب بالقاضي الشامي<sup>(٥٥)</sup>. كما ذهب إليها  
المحدّث مروان بن شجاع الخصيفي (من حرّان أيضاً)، وعُيّن مؤدّباً للأمير  
موسى بن المهدي، الذي خلف أباه تحت اسم الهادي<sup>(٥٦)</sup>.

ويجب ألا ننسى عاملاً آخر ساهم في جذب العلماء والأدباء إلى بغداد،

---

(٥١) ابن عسّكر: ج ٨، ق ٦٦ (٢)، ترجمة: صالح بن عبد القدوس.

(٥٢) - M. A. Shaban: Islamic History, Vol, II, P. 25.

(٥٣) اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٥٤) ابن عسّكر: ج ١٥، ق ١٣٧ (٢)، ترجمة: محمد بن عبد الله، المهدي.

(٥٥) المصدر نفسه: ج ١٥، (ي)، ق ١٣٢ (٢)، ترجمة: محمد بن عبد الله بن علّانة  
العُقَيْلي.

(٥٦) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٤٩٢ (٢)، ترجمة: مروان بن شجاع الخصيفي.

وهو سخاء الخليفة. فني إحدى زيارات المهدي لمدينة الرسول وقد عليه «القرآء فوصلهم، ثم المحدثون فوصلهم، ثم الفقهاء فوصلهم، ثم القصاص فوصلهم، ثم الشعراء فوصلهم»<sup>(٥٧)</sup>. ومن الشعراء الذين مدحوا المهدي شاعر من أهل الجزيرة اسمه «ربيعة الرقي»<sup>(٥٨)</sup>. ولا يخفى أن ازدهار الأدب في تلك الفترة كان مرتبطاً بتشجيع رجال الدولة.

#### ٤ - الرشيد

اطلع الرشيد على مشكلات الشام قبل اعتلائه الحكم، فقد كلفه أبوه، المهدي، بولاية المناطق الغربية للدولة ومن ضمنها منطقة الثغور والعواصم التي قام الرشيد بتنظيمها في خلافته بإحداث جند العواصم<sup>(٥٩)</sup>.

ونظراً لاندلاع الثورات في هذه المناطق في بداية خلافته<sup>(٦٠)</sup>، أرسل الرشيد إليها عام ١٧٩/٧٩٥ هـ بمهمة استطلاعية للتعرف على حاجات هذه المناطق والقيام بالإصلاحات اللازمة<sup>(٦١)</sup>.

---

(٥٧) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٨١ (٢)، ترجمة: الحكم بن ميمون (حكم الوادي).

(٥٨) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٥٩) - M. A. Shaban: op. cit., Vol II, p. 25.

(٦٠) من هذه الثورات: ثورة الخوارج في الجزيرة (١٧٨ - ١٧٩/٧٩٥ - ٧٩٦)، والفتنة التي قامت بين القيسية واليبانية في أطراف دمشق (١٧٦ - ١٨٦/٧٩٣ - ٨٠٢). أنظر:

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤١١.

(٦١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ٤١١.

وقد قادته رغبته في أداء واجباته الدينية كأمر للمؤمنين إلى المجيء للشام والجزيرة، مرة كل عامين، للقيام بالجهاد، فقد كان يناوب بينه وبين الحج<sup>(٦٢)</sup>.

على أنه جاء حوالي عام ٨٠٢/١٨٦ للاقامة في مدينة الرقة<sup>(٦٣)</sup>. ويفسر هذا الانتقال أحياناً بأنه يمكّن الخليفة من قيادة الحملات ضد الروم، ومعالجة الثورات والفتن الداخلية التي اندلعت في أرمينية وأذربيجان. كما يفسر أحياناً أخرى بأنه يبعد الخليفة عن العاصمة خلال النكبة التي أنزلها بالبرامكة، ذوي الأصل الأعجمي<sup>(٦٤)</sup>، وبذلك يتفادى الاضطرابات التي قد يحدثها هذا العمل بين الفرس الذين كانت تعج بهم العاصمة بغداد<sup>(٦٥)</sup>.

ويرى البعض وراء نكبة البرامكة عوامل سياسية، كخوف الخليفة من ازدياد سلطتهم مثلاً، ولكننا لا نستبعد إمكانية وجود عوامل ثقافية وراء هذا الحدث. ويتطلب شرح ذلك وقفة قصيرة:

من المعروف أن هرون الرشيد كان إنساناً ذا ثقافة واسعة، كثير الاهتمام بأهل العلم والأدب، واسع الاغداق عليهم.

تذكر المصادر أن الرشيد كان مهتماً بالطب، وأنه حصل في إحدى

---

(٦٢) حسن إبراهيم حسن: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣.

(٦٣) البقوي: تاريخ، ج ٢، ص ٤١٥.

(٦٤) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ٢٠، ذلك أن جعفر البرمكي قتل عام ٨٠٣/١٨٧.

(٦٥) - N. Elisséeff: L'Orient Musulman au Moyen Age, p. 136.

غزواته لمدن الروم على كتب طيبة، فطلب من طبيبه يوحنا بن ماسويه أن ينقلها إلى العربية<sup>(٦٦)</sup>.

ويقول الخطيب البغدادي: «لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد. وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه إلى أعلى درجة. وكان فاضلاً شاعراً راوية للأخبار والآثار والأشعار، صحيح الذوق والتمييز، مهيباً عند الخاصة والعامة»<sup>(٦٧)</sup>.

ويذكر ابن عساكر خبراً يلخص اهتمامات الرشيد ومثله الثقافية، يقول فيه: عندما التقى الرشيد بالشافعي أول مرة أعجب بفصاحته وذكائه. فسأله عن معارفه في موضوع القرآن ثم الفقه ثم الطب ثم النجوم ثم الشعر ثم أنساب العرب. وعندما سمع منه ما سره سأله أن يعظه، ثم أمر له بخمسين ألفاً وبفرس حمل عليها وركب بين يدي الخليفة<sup>(٦٨)</sup>.

إلا أن الثقافة العربية الإسلامية كانت تتطور في ذلك الوقت تطوراً يتجاوز الحدود التي كان الخليفة يعرفها أو يوافق عليها.

كانت العاصمة تعج برجال الفكر الذين وفدوا عليها من جميع أرجاء الدولة. وقد جمع هؤلاء بين المعرفة بالعلوم القديمة والقدرة على التعبير باللغة العربية، فراحوا ينشرون علومهم وآراءهم وينبهون الأذهان اليها. وقد رأى

(٦٦) جرجي زيدان: تمدن، ج ٣، ص ١٥٧.

(٦٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٥.

(٦٨) ابن عساكر: ج ١٤، ق ٦٣٣ (٢)، ترجمة: محمد بن إدريس الشافعي.

أصحاب الفرق الدينية الإسلامية في هذه العلوم والفلسفات عوناً لهم على دعم مواقفهم السياسية واللاهوتية وبلورة مذاهبهم.

وقد قدّم البرامكة - على ما يبدو - لأصحاب هذه المذاهب كل رعاية وعون، ففتحوا لهم قصورهم وسمحوا لهم بإجراء المناقشات والمناظرات الحرة حول مختلف المواضيع<sup>(٦٩)</sup>. فرأى الخليفة في هذا التصرف تطاولاً من هؤلاء على وظائفه الدينية كأمر للمؤمنين، يضاف إلى تطاولهم على وظائفه السياسية.

وبدلاً من أن يواجه الرشيد أهل المذاهب مباشرة، بطش بمن كانوا يشجعونهم عسى أن يرتدع منهم من يرتدع، وعند ذلك يهتّم صاحب الزنادقة بأمر الخطرين منهم.

ورغبة الخليفة في عدم مواجهة هذه الفئات دفعته على الأغلب إلى الابتعاد عن العاصمة في تلك الظروف العصبية.

لقد كان من المفروض أن يكسب الرشيد ولاء أهل الشام والجزيرة نظراً لإقامته بينهم، واتفاقه معهم في الاتجاه الفكري والديني. ولكن الشام كانت تعاني حينئذ من مصاعب اقتصادية. وما ثورات الخوارج، والفتن القبلية، والدعوة إلى «سفياني» يعيد الحق إلى نصابه، إلا مظاهر أخطأت التعبير عن هذه المصاعب.

وقد امتنع معظم علماء الشام عن الاشتراك في هذه الفتن بالطبع، لأن طاعة أولي الأمر من المبادئ الرئيسة لأهل السنة<sup>(٧٠)</sup>، ولكنه كان من العسير

(٦٩) - D. et J. Sourdel: La Civilisation de l'Islam classique, p. 71.

(٧٠) عملاً بالآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. سورة النساء ٥٩/٤.

عليهم أن يقفوا في صف الحكام. لقد انصرف بعضهم للتعليم، والتحق البعض الآخر بالرباط والجهاد، ونذر آخرون أنفسهم للعبادة والتأمل. ومن هؤلاء الأخيرين تشكلت حركة الزهد والتصوف التي انتشرت انتشاراً واسعاً في الشام، في بداية القرن الثالث الهجري، جاذبة إليها جميع الذين أرادوا أن يناوؤا بأنفسهم عن الصراع السياسي والعقائدي من جميع أطراف العالم الإسلامي.

وبالرغم من أن هرون الرشيد انتقل إلى الجزيرة في أواخر أيامه، إلا أنه باختياره مدينة الرقة الصغيرة المنعزلة، استطاع أن يتحرر من جميع أنواع الضغط، وأن يحيط نفسه بالجو الثقافي الذي يروقه، والأشخاص الذين يركن إليهم. ومن هؤلاء يذكر ابن عساكر:

- اسحاق بن إبراهيم الموصلي (٧٦٧/١٥٠ - ٨٥٠/٢٣٥) نديم الخليفة. وقد اشتهر بالغناء والموسيقا وقول الشعر وروايته، ولكنه كان مطلعاً على معظم علوم عصره كالحديث والفقه والقرآن والكلام والنحو والأنساب. وينسب إليه كتاب عنوانه «الأغاني»<sup>(٧١)</sup>.

- عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي (ت ٨٣١/٢١٦)، الذي اشتهر بالفصاحة ورواية الأخبار والأشعار والأنساب والمعرفة الواسعة بأمور اللغة والنحو والحديث والقراءات. وله عدة مؤلفات أشهرها «الأصمعيات» الذي جمع فيه أشعار العرب، وكتاب يضم كل المفردات المتعلقة بالخيال.

ويروي ابن عساكر أن اسحق الموصلي نقل معه إلى الرقة /١٦/ صندوقاً من الكتب. وعندما ذكر له الأصمعي أنه لم يحضر إلا قمطراً واحداً استهان

---

(٧١) ابن عساكر: ج ٢ (ك)، ق ٢٦٨ (٢)، ترجمة: اسحاق بن إبراهيم الموصلي.

بذلك، فقال له الأصمعي: « قمطر واحد من حق (أو من صدق)، أليس كثيراً؟ » (٧٢).

وتروي مصادر أخرى أن بعض شعراء الجزيرة اتصلوا ببلاط الخليفة وأنشدوه القصائد في مدحه، منها ربعة الرقي (٧٣)، ومنصور النمرى (٧٤).

على أن أهم حدث شهدته بلاط الرشيد بالرقعة، هو المناظرة التي جرت بين محمد بن إدريس الشافعي ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، حوالي ٨٠٢/١٨٦. ولبيان أهمية هذا الحدث لا بد لنا من إعطاء فكرة سريعة عن الإطار الذي تمت فيه هذه المناظرة.

لقد نشأ علم الفقه في حياة الرسول (ص) بتطبيق نصوص القرآن والحديث على الأحوال الخاصة. وفي الأحوال التي لم يرد فيها نص مباشر سمح الرسول لبعض الصحابة بإعمال الرأي (٧٥).

وبعد وفاة الرسول، لجأ كبار الصحابة والتابعين في المدينة إلى التشاور في هذه الأحوال، والعمل بما تم عليه إجماعهم، خوفاً من شطط الرأي (٧٦).

---

(٧٢) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٧٧ (٢)، ترجمة: عبد الملك بن قريب الأصمعي.

(٧٣) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٧٤) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٣٣.

(٧٥) فيما يتعلق بنشأة علم الفقه وتطوره، أنظر:

E.I.2: Vol II, pp. 906-908. art: Fikh par J. Schacht.

(٧٦) يتجلى هذا التطور بمقارنة القولين اللذين صدرا عن الرسول وعمر بن الخطاب في الترجمتين التاليتين:

ابن عساكر: ج ١٦ (٢)، ق ٧٨ (١)، ترجمة: معاذ بن جبل، جاء فيها: =

وقد عمل أهل الشام، بصورة عامة، بهذه المبادئ، وساعدهم على ذلك الاتصال المباشر بينهم وبين المدينة عن طريق مجيء الصحابة والتابعين إلى الشام واستقرار عدد كبير منهم فيها، ورحلات أهل الشام إلى المدينة لطلب العلم والمشورة. وأدى ازدهار علم الحديث إلى الاعتماد عليه بصورة متزايدة في الفقه. فكبار علماء الشام محدثون فقهاء في الوقت نفسه، نذكر منهم: معاذ ابن جبل، أبا الدرداء، عبادة بن الصامت، فضالة بن عبيد الأنصاري، عايد الله بن عبد الله أبا إدريس الخولاني، رجاء بن حيوة الكندي، ميمون بن مهران، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

---

= عندما بعث الرسول معاذاً إلى اليمن، قال معاذ: يا رسول الله، أرأيت إن سئلت عما لا أجد في كتاب الله ولم أسمعه منك؟ قال الرسول: اجتهد رأيك، فإن الله إذا علم منك الحق وفقك للحق.

- المصدر نفسه: ج ٨، ق ١٣ (٢)، ترجمة: شُريح بن الحرث الكندي، قاضي الكوفة، جاء فيها:

عن الشعبي قال: لما بعث عمر بن الخطاب شريحاً على قضاء الكوفة قال: «أنظر ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبين في كتاب الله فابتغ فيه السنة، وما لم يتبين لك في السنة فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في الكتاب ولم يكن فيه سنة ولم يتكلم فيه أحد قبلك، فاجتهد فيه رأيك.

- وقد جاء في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦/٧٢٥)، ج ٧، ق ٩ (٢)، ما يلي:

قال عبد الله بن المبارك: «كان فقهاء أهل المدينة الذين يصدرون عن رأيهم: سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد بن ثابت. وكانوا إذا جاءتهم المسألة دخلوا فيها جميعاً فنظروا فيها، ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم فينظرون فيها فيصدرون.»

وقد كوّن الأوزاعي في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي مذهباً فقهياً يرجع إلى القرآن والحديث. ويفسر البعض اختفاء مذهب الأوزاعي تدريجياً بعد نشوء مذهب مالك بن أنس (٧١٢/٩٣ - ٧٩٥/١٧٩) الذي يقوم على نفس المبادئ، بأن مذهب مالك كان أكثر شمولاً ودقة من سابقه.

وعندما تسلم العباسيون الخلافة، واتبعوا السنة، كان من المتوقع أن يقفوا في مجال الفقه موقف أهل الحديث، نظراً لعناية أوائلهم بالحديث عناية كبيرة كما رأينا. ولكنهم في الواقع أيدوا مدرسة الرأي التي قامت آنذاك في العراق.

ويرى البعض دوافع سياسية وراء هذا الموقف، ذلك أن مالك بن أنس أحلّ أهل المدينة من بيعتهم للمنصور فخلعوه، واضطر هذا الخليفة إلى محاربتهم حتى أذعنوا له. عند ذلك دعا المنصور، أبا حنيفة (٦٩٩/٨٠ - ٧٦٧/١٥٠) إلى بغداد وأيد مذهبه<sup>(٧٧)</sup>. كما أن المهدي والهادي جملا أبا يوسف (ت ٧٩٥/١٨٢) على القضاء، وهو أحد تلامذة أبي حنيفة<sup>(٧٨)</sup>. وبالرغم من أن الرشيد أقام علاقات طيبة مع مالك بن أنس، وكرّمه في آخر حياته، إلا أنه رَفَعَ أبا يوسف إلى منصب قاضي القضاة<sup>(٧٩)</sup>. وكان الرشيد يقرب تلميذاً آخر لأبي حنيفة، هو محمد بن الحسن (ت ٨٠٤/١٨٩)<sup>(٨٠)</sup>.

---

(٧٧) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ٧٩. عن ابن خلكان، ج ١، ص ٤٣٩.

(٧٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٠. عن ابن خلكان، ج ٢، ص ١٦٥.

(٧٩) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٨٠) جرجي زيدان: المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٣. عن السيوطي: المزهري، ٢ - ص ٣١١.

أما محمد بن إدريس الشافعي، وهو الطرف الثاني في المناظرة، فقد كان في البدء تلميذاً من تلامذة مالك بن أنس مؤيداً لمدرسة الحديث.

وقد زار الشافعي بغداد فيما بعد والتقى بعلمائها، وأنشأ مذهباً فقهياً أقرب إلى مذهب أهل الحديث منه إلى مذهب أهل الرأي. ونشط نشاطاً كبيراً نشره في العالم الإسلامي مستعيناً بمهارته الفائقة في المناظرة وقوة حجته. وقد جرَّ الشافعي - على ما يروي ابن عساكر - معظم الذين يخالفون أهل السنة إلى الدخول في نقاش معه، محاولاً إما إعادتهم إلى حظيرة الجماعة، أو الإقلال من شأنهم في أعين أنصارهم بصورة تجعل هؤلاء يرفضون من حولهم، ومن هؤلاء حفص الفرد<sup>(٨١)</sup> وبشر المريسي<sup>(٨٢)</sup>. وقد حَزَّ في نفسه أن يرى هذا التأييد الواسع لأهل الرأي في العراق ولدى المسؤولين، فعزم على التصدي لهم وإضعافهم.

لقد بدأ عمله هذا في بغداد، فجلس في الجامع « وكان فيه ما ينوف على أربعين أو خمسين حلقة لأهل الرأي، فما زال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم: قال الله وقال رسول الله، وهم يقولون: قال أصحابنا، حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره »<sup>(٨٣)</sup>.

وهكذا دعم الشافعي موقف جماعة الحديث ببغداد فأجلّوه وعلى رأسهم أحمد بن حنبل، ولقبوه « ناصر الحديث »<sup>(٨٤)</sup>.

وقد شجعه هذا الانتصار الكاسح بين صفوف العامة على محاولة التأثير في الخليفة نفسه. فرتّب هذه المناظرة مع محمد بن الحسن، أحد أعلام أهل

(٨١)، (٨٢) ابن عساكر: ج ١٤، ق ٦٣٣ (٢)، ترجمة: محمد بن إدريس الشافعي.

(٨٣)، (٨٤) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٦٣٣ (٢)، ترجمة: محمد بن إدريس الشافعي.

الرأي في ذلك الوقت، وأكثرهم صلة بهرون الرشيد. يقول الشافعي حول هذه المناظرة:

« وجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار، وقلت له: إجمع لي الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إلي. فكُتبت لي في ليلة ووجه بها إلي... ثم إنا دخلنا في مجلس، أنا ومحمد بن الحسن، على هرون. وكان موضع على بابه يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم. فاجتمعنا في ذلك المكان وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار، والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكنه منه. فاندفع يعرض بي ويذم أهل المدينة... »<sup>(٨٥)</sup>.

لقد غلب الشافعي خصمه في هذه المناظرة<sup>(٨٦)</sup>، وساهم هذا الفوز في إعلاء شأنه في جميع أرجاء العالم الإسلامي. وفي الشام لقي مذهب الشافعي نجاحاً كبيراً، وحل مكان مذهب الأوزاعي في فترة قصيرة<sup>(٨٧)</sup>.

أما على الصعيد الرسمي، فلا يبدو أنه كانت لهذا الفوز نتائج مباشرة. ولكن تقدير الشافعي في أوساط أهل السنة، جعل الخليفة المتوكل، بعد خمسة وثلاثين عاماً، يخطب ود الشافعية، ويعين واحداً منهم، وهو يحيى بن أكرم<sup>(٨٨)</sup>، لمنصب قاضي القضاة في الدولة، وذلك في سبيل طهانة الأوساط التي عانت من محنة المأمون وخلفائه المعتصم والواثق.

---

(٨٥)، (٨٦) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٦٣٣ (م)، ترجمة: محمد بن إدريس الشافعي.

(٨٧) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ٤٣.

(٨٨) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٥٢.

نظراً للمكانة التي يشغلها المأمون في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، نرى من الضروري تقديم لمحة عن صفاته ونشاطه الثقافي، وعن التوترات التي واجهها قبل وصوله للحكم وأثناءه. وهذه المعلومات تفيدنا أيضاً في إيضاح علاقاته مع الشام والجزيرة.

وصف ابن طباطبا المأمون بقوله: «واعلم أن المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال. وله اختراعات كثيرة في مملكته. منها أنه أول من فحص منهم علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العزبية وشهرها، وحلّ أقليدس، ونظر في علوم الأوائل، وتكلم في الطب، وقرب أهل الحكمة..»<sup>(٨٩)</sup>.

وقال عنه حسن إبراهيم حسن: «كان المأمون يقرب الشعراء، وقد حذق هو نفسه الشعر حتى نفقت سوقه. وقد كثر الشعراء والمغنون وعلماء الكلام في عصره... وكان المأمون يميل إلى الإقناع في الجدل والمناقشة، واحتمال آراء المتناظرين إذا لم تتفق مع آرائه وميوله»<sup>(٩٠)</sup>.

ويكتب عنه زتر شتاین: «لقد حظي الشعر والعلوم في ظل المأمون بعصر ذهبي... وكان الخليفة يهتم بصورة خاصة بالفلسفة والعلوم البحتة. وقد أنشأ في بغداد مرصداً فلكياً جهز بمكتبة ضخمة، وما هي إلا فترة قليلة حتى كانت مؤلفات الأطباء والفيزيائيين اليونان قد ترجمت إلى العربية عبر

---

(٨٩) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥٨.

(٩٠) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٦٤.

الترجمات السريانية. وقد ترجم في عهد المأمون أكثر مما ترجم في أي عصر آخر»<sup>(٩١)</sup>.

ويعود الفضل في اتصاف المأمون بهذه الصفات إلى التربية التي وفّرها له والده، من جهة، وإلى جهده الشخصي من جهة أخرى.

فقد حرص الرشيد على إحاطة أبنائه بالعلماء في مجالات القرآن والحديث والفقه واللغة والشعر والأدب والكلام<sup>(٩٢)</sup>.

كما كان المأمون من العاملين بمبدأ التربية المستمرة والداعين له. ويتجلى موقفه هذا في الحوار الذي دار بينه وبين عمه المنصور بن المهدي، الذي برّر جهله بالفقه بعدم حصوله على فرص التعلم في الصغر، وفوات الوقت عليه في الكبر. وسأل المنصور بن المهدي الخليفة: أحسن بمثلي طلب العلم؟ فأجابه المأمون: والله لأن يموت المرء طالباً للعلم خير من أن يعيش قانعاً بالجهل. فسأله عمه من جديد: يا أمير المؤمنين، وإلى متى يحسن؟ قال المأمون: ما حسنت بك الحياة<sup>(٩٣)</sup>.

لقد طبق المأمون هذه القاعدة بأمانة، وبقي طالباً للعلم طول حياته.

---

(٩١) – E. I.: Vol. III, PP. 236-237, art: al-Ma'mun, par Zetterstein.

(٩٢) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ١، ص ص ٢١١ و ٣٥٤. أيضاً:

- اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ٤١٥.

(٩٣) ابن عساكر: ج ١٧، ق ٢٤٩ (٢)، ترجمة: منصور بن المهدي.

إن خليفة يتمتع بهذه الصفات الفكرية ينتظر منه الكثير، ولكن الظروف التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية آنئذ وضعته في دوامة لم يستطع الخروج منها بسهولة.

ولنذكر أن المشكلات الرئيسة التي مزقت الأمة في ذلك الوقت اتخذت مظهرين: أحدها سياسي والآخر عقائدي.

فعلى الصعيد السياسي، كانت السلطة موضع تنازع بين القرشيين من أمويين وعباسيين وعلويين، من جهة، وبين غيرهم ممن يرفضون حصر السلطة في قريش كالخوارج، من جهة أخرى. أضف إلى ذلك أن الشعوب التي تتألف منها الأمة كانت تتنازع السيادة ولا سيما العرب والفرس.

وعلى الصعيد العقائدي، وقفت الفرق الدينية المتعددة كالسنة والشيعة والمعتزلة، مواقف متباينة من التطورات التي كانت تجري في صميم الثقافة العربية - الإسلامية. فمنها من أيدها ومنها من عارضها. وقد زاد ذلك في حدة الصراع بين هذه الفرق.

وقد وضع الرشيد قبل وفاته وصية بولاية عهده إلى ابنه الأمين، ومن بعده إلى المأمون، على أن يلي المأمون الولايات الشرقية في حياة أبيه وبعد وفاته<sup>(٩٤)</sup>. وقد أراد الرشيد بذلك طمأنة الخراسانيين لأن أم المأمون خراسانية. فالتحق المأمون بمرور سنة ١٩٣/٨٠٩ قبل وفاة والده بقليل<sup>(٩٥)</sup>.

ثم قام الصراع بين الأخوين وقتل الأمين، وانتقلت الخلافة إلى المأمون.

---

(٩٤) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ٤١٦ - ٤٢١.

(٩٥) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٣٠.

لقد قرر المأمون أولاً البقاء في مرو، فباعد بينه وبين العرب، ونقل الخلافة من بعده إلى علي بن موسى الرضى، أحد أفراد الأسرة العلوية، فقطع بذلك صلته مع أنصار البيت العباسي. ولكنه ما إن عرف بالنتائج الخطيرة التي أدت إليها هذه السياسة حتى رجع عن هذين القرارين وقفل عائداً إلى بغداد سنة ٨١٩/٢٠٤<sup>(٩٦)</sup>.

وجدير بالذكر أن الفترة المرّوية أو الخراسانية من حكم المأمون، والتي دامت أكثر من عشر سنوات، كانت فترة عقيمة فيما يتعلق بالنشاط الثقافي. فقد بدا هذا الخليفة، الذي يتمتع بذكاء عالٍ وتربية عربية إسلامية متينة، وكأنه مقتلع من جذوره في بلاد كانت اللغة العربية فيها غريبة عن معظم السكان، وكان الدين الإسلامي فيها قد تلّون بتقاليد محلية شديدة التنوع.

صحيح أن عدداً من الأفراد النابهين من أهل تلك البلاد توصلوا إلى المشاركة في الثقافة العربية - الإسلامية، ولكن ذلك لم يتأتّ لهم إلا بارتحالهم خلال القرون الأولى للإسلام إلى الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر، وطلبهم هذه الثقافة في مراكزها الأصيلة. كما أن البعض منهم جاب البوادي واختلط بالقبائل العربية للتعرف على لغتها وأدبها وتراثها بصورة عامة.

إن عبقرية المأمون لم تتفتح إلا عندما عاد إلى بغداد وعاش في جوها الثقافي. هناك فقط استطاع أن يغني الثقافة العربية - الإسلامية ذلك الإغناء الذي أشاد به المؤرخون إلى الحد الذي أصبح معه عصر المأمون رمزاً للتقدم العربي الإسلامي في مجالات الأدب والعلم والفلسفة.

ولنعد الآن إلى علاقات المأمون ببلاد الشام.

---

(٩٦) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٥٣.

إن الشام لم تتدخل في الصراع الذي قام بين المأمون وأخيه وانتهى بفوزه، بالرغم من أنه كانت هناك وشائج تجعلها نظرياً أقرب إلى الأمين منها إلى المأمون. فقد كانت أم الأمين عربية قرشية، وبذلك كان الأمين يمثل الاتجاه العربي مقابل الاتجاه الفارسي الذي مثله المأمون في بداية عهده<sup>(٩٧)</sup>. ولكن علماء الشام لم يكونوا راضين عن انصراف الأمين للحياة الخفيفة وعدم اكتراثه بعلوم الدين<sup>(٩٨)</sup>. وقد اضطر والي الأمين على دمشق، وهو سليمان بن منصور، إلى مغادرة المدينة حين احتلها أبو العميطر، السفياني، علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، سنة ١٩٦/٨١١-٨١٢، وادعى الخلافة<sup>(٩٩)</sup>.

كما أن أهل الشام لم يرحبوا بخلافة المأمون. فقد اندلعت الثورات في كل مكان، ولا سيما في الشمال حيث أراد نصر بن سبث العقيلي الاحتجاج ضد سيطرة الخراسانيين على أجهزة الدولة. وقد أرسل المأمون لقمع الثورة طاهر ابن الحسين، ثم ابنه عبد الله بن طاهر<sup>(١٠٠)</sup>.

ويمكننا إيضاح العلاقات بين المأمون وأهل الشام خلال تلك الفترة بالحكاية التالية:

اعترض رجل من أهل الشام طريق المأمون وقال: «يا أمير المؤمنين،

---

(٩٧) - N. Elisséeff: L'Orient Musulman..., p. 136.

(٩٨) ابن عساكر: ج ١٦، ق ٣٧٣ (٢)، ترجمة: محمد بن هرون الأمين.

(٩٩) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٤٩ (٢)، ترجمة: سليمان بن منصور، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٥ (ي)، ق ٣ (١)، ترجمة: محمد بن خريم أبو قنطم المري.

(١٠٠) اليعقوبي: ج ٢، ص ٤٥٦.

أنظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان». فقال له: «أكثرَ عليّ! والله ما أنزلتُ قيساً عن ظهور خيولها إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد (يعني فتنة ابن العامري)، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحببني قط، وأما قضاة فساداتها تنتظر السفياقي حتى تكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على ربهَا مذ بَعَثَ اللهُ نبيّه من مُضَرَ، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريّاً. إعرف، فعل الله بك!»<sup>(١٠١)</sup>.

على أن انتقال المأمون إلى بغداد قرّبه من الولايات الغربية وجعله أقدر على فهم مشكلاتها. ويتجلى اهتمامه بهذه الولايات بنوعية العمال الذين أرسلهم إليها. ومن هؤلاء يذكر ابن عساكر:

- عبد الله بن طاهر، والي المناطق الغربية للدولة من ٨٢١/٢٠٦ - ٨٤٤/٢٣٠. وقد قدّم هذا الوالي، الذي كان يتمتع بثقافة عربية إسلامية راقية، خدمات جليّة للثقافة والتربية في الشام، وحظي بتقدير العلماء والطلبة والأدباء.

ففي الرقة حيث أقام، وحيث كان طلبة الحديث يفدون من مختلف الأقطار الإسلامية، كان عبد الله بن طاهر يعطيهم سخاء ليتمكنوا من تأمين مصروفاتهم<sup>(١٠٢)</sup>. وقد اجتمع حوله عدد من شعراء الشام، وسافر بعضهم معه إلى دمشق فمصر، ومنهم بطين<sup>(١٠٣)</sup>، والعلاء بن عاصم الغساني<sup>(١٠٤)</sup>.

---

(١٠١) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ١، ص ص ٢١٧ - ٢١٨.

(١٠٢) ابن عساكر: ج ٩، ق ١٣٦ (٢)، ترجمة: عبد الله بن طاهر.

(١٠٣) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٩٥ (١)، ترجمة: بطين.

(١٠٤) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٨٦ (١)، ترجمة: العلاء بن عاصم.

- عمرو بن مسعدة أبا الفضل الصولي، وزير المأمون. وهو محدث وشاعر وكاتب مجيد، كلفه المأمون مهمة استقصاء الحقائق في بلاد الشام، والاتصال بالجماعات الثائرة لمعرفة مطالبها واقتراح الاصلاحات اللازمة. وقد وُفق في هذه المهمة إلى حد بعيد<sup>(١٠٥)</sup>. ويروي أهل الشام عنه بعض الأحاديث<sup>(١٠٦)</sup>.

وجدير بالذكر أن المأمون لجأ منذ عام ٨٢٩/٢١٤ إلى الاستعانة بأفراد أسرته لولاية الشام والجزيرة. فقد كلف ابنه العباس ولاية الجزيرة، وأخاه المعتصم الولايات الغربية<sup>(١٠٧)</sup>.

وعندما ساءت الحالة على الحدود الشمالية جاء المأمون بنفسه ليقود الحملات ضد الروم عام ٨٣٠/٢١٥ - ٨٣١. وقد أدى ذلك إلى نشوء علاقات مباشرة بين الخليفة ورعاياه من أهل الشام والجزيرة استمرت حتى وفاته عام ٨٣٣/٢١٨ في إحدى هذه الحملات<sup>(١٠٨)</sup>.

وفي زيارته الأولى إلى الشام، أقام المأمون فترة في دمشق وبيت المقدس، وأعجب بمسجدها<sup>(١٠٩)</sup>، إلى الحد الذي دفعه لإزالة اسم عبد الملك بن مروان عن قبة الصخرة ونقش اسمه بدلاً عنه<sup>(١١٠)</sup>.

---

(١٠٥) اليعقوبي: ج ٢، ص ٢١٠.

(١٠٦) ابن عساكر: ج ١٣، ق ٢٣٠ (٢)، ترجمة: عمرو بن مسعدة.

(١٠٧) - M. A. Shaban: Islamic History, Vol. II, P. 55.

اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ٤٦٤.

(١٠٨) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٦٩.

(١٠٩) ابن عساكر: ج ١٨، ق ١٢ (١)، ترجمة: يحيى بن أكرم.

(١١٠) فيليب حنّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ١٣٠.

وفي سبيل استرضاء أهل دمشق، وزع المأمون فيها مبلغاً ضخماً يبلغ (٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم<sup>(١١١)</sup>). وبما أن علماء الشام يهتمون بالحديث بصورة خاصة، كلف الخليفة قاضي قضاته يحيى بن أكرم، وهو شافعي المذهب عربي النسب، أن يقيم علاقات طيبة معهم. وقد قام ابن أكرم بذلك على أفضل وجه، فقابل البعض منهم في الجامع الأموي، وأجرى معهم مناظرات ومذاكرات في الفقه والحديث. ومن هؤلاء هشام بن عمار أبرز علماء دمشق في تلك الفترة<sup>(١١٢)</sup>. وعلماً من قاضي القضاة بالنفوذ المتزايد للزهّاد على عامة أهل دمشق، استدعى إليه أحد أعلامهم وهو أحمد بن أبي الحواري، وطلب منه أن يحدثه ويعظه، ثم قدّم له الرداء الرسمي للعلماء العباسيين، الذي يشتمل على الطيلسان والقلنسوة، ومبلغ خمسة آلاف درهم. وقد لقي أحمد بن أبي الحواري مضايقات من زملائه لإذعانه للسلطة فاضطر إلى خلع هذا الزي<sup>(١١٣)</sup>.

على أن الجو العام الذي ظهر آنذاك يدل على التفاهم بين الخليفة والعلماء. فقد اتخذ من بينهم مؤدباً لأبنائه، اسمه أبو العالية الشامي<sup>(١١٤)</sup>، ولم يعترض هؤلاء بدورهم على تسمية يحيى بن صالح الوحاظي قاضياً لحمص، بالرغم من كونه من أهل الرأي<sup>(١١٥)</sup>.

ويتجلى اهتمام المأمون بالأدب والعلوم في أسماء الرجال الذين اختارهم

(١١١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٦٤.

(١١٢) ابن عساكر: ترجمة يحيى بن أكرم.

(١١٣) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٤٤ (١)، ترجمة: القاسم بن عثمان الجوعلي.

(١١٤) المصدر نفسه: ترجمة يحيى بن أكرم.

(١١٥) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٦٣ (١)، ترجمة: يحيى بن صالح الوحاظي.

لصحته في الشام. ومن هؤلاء: يحيى بن أكرم، وعمرو بن مسعدة الصولي. وقد ذكرناها فيما سبق، وإبراهيم بن يحيى اليزيدي<sup>(١١٦)</sup>، وإسحق بن إبراهيم الموصلي<sup>(١١٧)</sup>، وجميع هؤلاء من الشعراء ورجال الأدب.

أما العلماء الذين رافقوه فهم: يحيى بن أبي منصور، والعبّاس بن سعيد الجوهري، وعلي بن عيسى الإصطرلابي، وخالد بن عبد الملك المروروزي، وكلهم فلكيون. وقد كلّفهم المأمون إقامة مرصد فلكي على جبل قاسيون بدمشق، والتحق من القياسات التي أجريت سابقاً في بغداد وجنديسابور. وتكوين جداول فلكية مضبوطة<sup>(١١٨)</sup>.

ويبدو أيضاً أن أبناء موسى بن شاعر قدموا على المأمون في تلك الفترة لأنه يُروى من جهة، أن محمد بن موسى انضم إلى جماعة الفلكيين التي كلفت قياس محيط الأرض في سهل سنجار، أو تدمر<sup>(١١٩)</sup>. كما يُروى من جهة أخرى، أن حسن بن موسى (الرياضي)، دخل في نقاش مع أحد زملائه، في دمشق وفي حضور الخليفة بشأن هندسة اقليدس<sup>(١٢٠)</sup>.

وقد يتساءل البعض: لماذا لم يتشجع الأدباء والعلماء من أهل الشام للاتصال بالخليفة والمساهمة في هذا الجو الثقافي؟

---

(١١٦) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ - ٢)، ق ٥١٤ (٢)، ترجمة: إبراهيم بن يحيى بن المبارك.

(١١٧) - G. Sarton: Introduction to the History of Science, PP. 562 et 566.

(١١٨) زيفريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص ص ١٨١ - ١٨٢.

(١١٩) المصدر نفسه: ص ٧٩.

إن الشواهد التي بين أيدينا تبين أن موقف المأمون من شعراء الشام لم يكن مشجعاً بالفعل:

فقد ذكر أحد المعاصرين وهو أبو حشيشة، محمد بن علي بن أمية بن عمرو قال: كنا قدام أمير المؤمنين المأمون بدمشق، فغنى علويه:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا  
ولكنهم لما رأوك سريعة إليّ تواصلوا بالنميمة واحتالوا

فقال المأمون: يا علويه، لمن هذا الشعر؟ فقال: للقاضي. قال: أي قاض ويحك؟ قال: قاضي دمشق. فقال: يا أبا إسحاق عزله، فما كنت أولي رقاب المسلمين من يبدأ في هزله بالبراءة من الإسلام... فعزل القاضي وأحضر إلى الخليفة، وأقسم أنه قال هذا الشعر منذ ثلاثين عاماً، وأنه لم يقل بعد ذلك إلا في زهد أو معاتبة صديق. ولكن الخليفة أصر على عزله، وعدل بيت الشعر، وطلب من المغني أن يغنيه في صورته الجديدة<sup>(١٢٠)</sup>.

كما ذكر أن أبا تمام جاء المأمون بعد انتصاره في إحدى حملاته ضد البيزنطيين ومدحه بقصيدة طويلة. ولكن المأمون لم يرتح لشكل أبي تمام البدوي ولباسه الخشن وصوته الأجش وألفاظه الجزلة<sup>(١٢١)</sup>. ولا ندري ما إذا كان وصله أم لا، على أن الشاعر الطائي لم يعد إليه.

ويوحى هذان المثالان بأنه كان للمأمون ذوق خاص فيما يتعلق بموضوعات الشعر وأسلوبه، استقاه من جو بغداد الذي سيطر عليه آنذاك شعر الموالي،

---

(١٢٠) أحمد فريد الرفاعي: غصر المأمون، ج ١، ص ٣٦٣.

(١٢١) - E.I.2: Vol. I, p. 157, art: Abu Tammam, par H. Ritter.

لذلك لم يستسغ شعر عرب الشام. وهكذا انتظر أبو تمام، الذي أحيا الشعر العربي الأصيل وطوره، عهد خلفاء المأمون ليفرض نفسه، واكفى في عهد المأمون بمدح العرب من أهل الشام ومنهم: مالك بن طوق، ونوح بن عمرو السكسكي<sup>(١٢٢)</sup>.

كما أن المهتمين بالعلوم والفلسفة من أهل الشام من مسيحيين وصابئة، لم ينضموا في عهد المأمون إلى حركة الترجمة والتأليف، فقد غلب الفرس على بيت الحكمة في بداية عهده. ويبدو أن حنين بن اسحق (٨١٠/١٩٤ - ٨٧٣/٢٦٠) وهو سرياني من أهل الحيرة، هو الذي فتح لهم أبوابه. وقد كان فتى السن حين أحضره المأمون وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربية، وإصلاح ما ينقله غيره<sup>(١٢٣)</sup>.

وقبل الانتهاء من الحديث عن منجزات المأمون الثقافية، لا بد لنا من التوقف عند « المحنة » التي قادها عام ٨٣٣/٢١٨ ضد الفقهاء لإرغامهم على القول بخلق القرآن. هذه المحنة لا تبدو منجمة مع تسامح الفكري وخبه للجدل والمناظرة. ومهما تكن الأغراض التي أراد تحقيقها عن طريقها، فإنها أعطت عكس ما توقَّعه منها. ولنستعرض هذه الأغراض واحداً واحداً:

٦- إذا كان المأمون يريد من وراء المحنة، كسب ود الشيعة الذين نعموا عليه لعدوله عن نقل الخلافة إلى آل علي، فإنه قد خاب في مساعاه. ذلك أن الشيعة كانوا عاكفين في محافلهم الخاصة على بلورة عقائدهم، مستعينين بالعلوم والفلسفات التي ترجمت وأصبحت في متناول أيديهم.

---

(١٢٢) ابن عساكر: ج ١٩ (ب)، ق ١٢٢ (٢)، ترجمة: أبي حلحلة بن الرواد الشاعر.

(١٢٣) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ١، ص ٣٧٧.

٢- وإذا كان المأمون يرى في آراء المعتزلة، كما يقول نايجرغ Nyberg<sup>(١٢٤)</sup>، حلاً وسطاً يقرب بين أهل السنة والشيعة ويوحد الجماعة الإسلامية، فإن فرض هذه الآراء بالقوة على أهل السنة جعلهم يجابهونها بالتوكيد على كون « القرآن كلام الله غير مخلوق »، وعلى بطلان كل محاولة لتأويل ما جاء فيه. وهكذا بعدت الشقة بين الطرفين بدلاً من أن تضيق.

٣- إذا كان المأمون يهتم باعلاء شأن العقل، لإعطاء العلوم والفلسفة مكانة بارزة ضمن الثقافة العربية الإسلامية، فإن مجرد اتباع أسلوب القمع الفكري لإعلاء شأن الفكر ينطوي على تناقض كبير.

إن الخليفة لم يلحظ من دون شك الازدواجية القائمة في نظام التربية العربية - الإسلامية والتي ترجع إلى العهد الأموي. فقد كانت هذه التربية كما ذكرنا أكثر من مرة تتضمن طريقتين: طريقاً للعامة يقتصر على تعليم القرآن ومبادئ الدين، وطريقاً للخاصة يتسع لجميع العلوم والآداب والفنون.

على أن الفجوة بين الطريقتين لم تكن كبيرة جداً أيام الأمويين، لأن العلوم المختلفة كانت في بداية نشأتها من جهة، ولأن جلّ الخلفاء وعمّالهم كانوا يتدخلون مادياً ومعنوياً لتوفير التعليم لأبناء العامة بصورة تناسب معايير العصر. ومن ذلك تعيينهم القراء والفقهاء للجند، وتكليفهم علماء الحديث الرواية في المساجد.

وقد وجدنا أن العلوم الدينية والدينية تطورت تطوراً كبيراً في العهد

---

- E. I.: Vol. III, PP. 841-47, art: Mutazila, par H.S. (١٢٤)

Nyberg.

- أيضاً: M. A. Shaban: Islamic History, Vol. II, PP. 254-56.

العباسي. ومع هذا التطور ازدادت الشقة بين العامة والخاصة من جهة، وبين الفئات المثقفة نفسها من جهة أخرى.

ذلك أن التعليم الابتدائي الذي يشترك به الجميع في الكتاتيب لم يكن يضم إلا تعليم القراءة والكتابة والنحو بصورة متصلة مع تعليم القرآن الكريم.

وبعد ذلك كان النابهنون من الأفراد يفترون، فمنهم من يركز اهتمامه على علوم الدين، ومنهم من يلتفت إلى اللغة والأدب، ومنهم من يضيف إلى منهاجه بعض العلوم القديمة كالطب والنجوم والهندسة والفلسفة. ومعنى ذلك أن دراسة العلوم البحتة كانت تقتصر على فئة محدودة جداً.

فإذا كان المأمون يهدف، فيما يهدف، إلى نشر هذه العلوم، فقد كان من الأجدى له وللمجتمع أن يحاول إدخالها إلى الكتاتيب والمساجد بصورة يتمكن معها الأفراد من الاطلاع عليها في سن مبكرة والإفادة منها.

ولكن المأمون بدلاً من ذلك اكتفى باتخاذ الإجراءات الآتية:

عندما عاد الخليفة من مرو إلى العاصمة بغداد سنة ٢٠٤ / ٨١٩، أمر أعوانه بأن يجمعوا له فقهاء بغداد ليتعرف عليهم ويناقش معهم الأمور المتصلة بالعقيدة. فجمعوا له أربعين رجلاً حسب إحدى الروايات<sup>(١٢٥)</sup>، ومئة رجل حسب رواية أخرى<sup>(١٢٦)</sup>. وكان المأمون يجلس إليهم مرة في الأسبوع، يوم الثلاثاء، ويبيح لهم مناقشة كل الموضوعات، حتى تلك التي كان البحث فيها

---

(١٢٥) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ١، ص ٣٦٩.

(١٢٦) المصدر نفسه: ج ١، ص ٣٦٠.

منوعاً كعلاقة الإنسان بخالقه، وطبيعة الألوهية وغيرها<sup>(١٢٧)</sup>، في جو من الحرية والاحترام المتبادل للآراء الشخصية. وأثناء ذلك كان الخليفة يحتبر هؤلاء الرجال ويستبعد بعضهم حتى بقي حوله عدد قليل، تدل اسماؤهم على أنه اتخذ موقفاً محمداً من المسائل المطروحة. ومن هؤلاء: أحمد بن أبي دواد، وبشر المريسي، وثامة بن الأشرس، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم بن سيار النظام، وكلهم من المعتزلة. ثم أعلن عام ٨٢٧/٢١٢ تبنيه للاعتزال كعقيدة رسمية للدولة.

على أن الأمون لم يلجأ لفرض هذه العقيدة إلا عام ٨٣٣/٢١٨، قبل وفاته بعدة شهور، وكان آنذاك مقيماً بدمشق.

فقد أرسل إلى إسحق بن إبراهيم المصعبي، نائبه في بغداد ورئيس شرطته ثلاث رسائل يأمره فيها بأن يمتحن القضاة والأئمة والفقهاء وأهل الفتوى والحديث في خلق القرآن، ويجمع إجاباتهم. فإذا أقرؤا به (بخلق القرآن) تركهم في أعمالهم، وإلا فعليه أن يرسلهم إلى دمشق ليدلوا بإقرارهم أمام الخليفة.

ويبدو أن الخليفة قام بنفسه بامتحان بعض علماء الشام. فهو يقول في رسالته الثالثة التي بعث بها إلى نائبه، من الحدود الشامية - البيزنطية، بعد أن غادر دمشق، ما يلي: «وقد كان أمير المؤمنين وجّه إليك المعروف بأبي مُسهر (عبد الأعلى بن مُسهر، من كبار علماء الشام)، بعد أن نصّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، فجمجم عنها ولجلج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف فأقرّ ذمياً، فأنصصه عن إقراره. فإن كان مقيماً عليه فأشهر ذلك وأظهره إن شاء الله...».

(١٢٧) المصدر نفسه: ج ١، ص ٣٩٦.

وتضيف الرسالة انه في حال رجوع أبي مُسهر عن إقراره، فعلى إسحق ابن إبراهيم المُصعبي أن يحمله مع الآخرين إلى عسكر الخليفة لينصّبهم أمير المؤمنين بنفسه. فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم على السيف جيماً<sup>(١٢٨)</sup>.

وقد تُوفي أمير المؤمنين بعد ذلك بقليل. ولكن أبا مسهر بقي في سجن بغداد مئة يوم، حتى توفي<sup>(١٢٩)</sup>، لأن المأمون أوصى أخاه المعتصم بإكمال ما بدأه.

لم تُضعف المحنة أنصار العقل والتطور العلمي والفلسفي على الفور. ولكنها زادت الضغائن بينهم وبين أنصار النقل. وعندما آلت السيطرة على الثقافة العربية - الإسلامية إلى هؤلاء، وجّهوا إلى خصومهم نفس السلاح الذي استخدموه ضدّهم أيام المأمون.

## د - الخلافة العباسية بعد المأمون

### ١ - الظروف السياسية

رأينا أن العباسيين استندوا في بداية حكمهم إلى الفرنس. ولكن المعتصم سنّ خطة جديدة بتجنيد المرتزقة من الأتراك للقيام بحراسته الشخصية والاضطلاع بمسؤوليات الأمن. إلا أن الأمور سارت خلافاً لما أراد هو وخلفاؤه. فبدلاً من أن يهتم الأتراك بالسهر على أمن الدولة واستقرارها،

---

(١٢٨) المصدر نفسه: ج ٣، ص ٥ - ١٦، نص كامل لرسائل المأمون.

(١٢٩) خير الدين الزركلي: ج ٤، ص ٤٢، ترجمة: عبد الأعلى بن مُسهر.

تدخلوا بأمور الحكم وحاكوا المؤامرات ضد الحكام مما أدى إلى ازدياد الفوضى وتمزق الدولة.

وأول ضحايا هذه السياسة الخليفة المتوكل. فقد تآمر عليه قواده الأتراك وقتلوه سنة ٨٦١/٢٤٧. وتلا مقتله عشر سنوات من الفوضى الشاملة، تقلب خلالها على الحكم المركزي أربعة خلفاء<sup>(١٣٠)</sup>. فانتهمز أحد الضباط الأتراك، أحمد بن طولون، هذه الفرصة ليعلن استقلاله بمصر، وينشئ دولة محلية حكمت قرابة أربعين عاماً، وتتابع حكامها على النحو التالي:

٨٦٨/٢٥٤	أحمد بن طولون
٨٨٤/٢٧٠	خارويه بن أحمد
٨٩٥/٢٨٢	جيش بن خارويه
٨٩٦/٢٨٣	هرون بن خارويه
٩٠٥/٢٩٢ <sup>(١٣١)</sup>	شيبان بن أحمد

بدأت الصلات بين الشام والأتراك عن طريق الولاة والقادة العسكريين. ولكن أحمد بن طولون انتهز الصعوبات التي كانت تمر بها الخلافة العباسية ليمد سلطانته على الشام عام ٨٧٨/٢٦٤. أما ابنه خارويه فقد تمكن من عقد معاهدة مع الخليفة المعتضد<sup>(١٣٢)</sup> عام ٨٩٢/٢٧٩، تخلى الخليفة بموجبها له ولورثته عن مصر والشام والثغور والجزيرة (ما عدا الموصل)، مقابل جزية سنوية هزيلة<sup>(١٣٣)</sup>.

- 
- E.I.2 art. Abbasides, op. cit. (١٣٠)
  - Bosworth: Islamic Dynasties, P. 43. (١٣١)
  - Elisséeff: L'Orient Musulman au M.A., PP. 194-95. (١٣٢)

ولكن الطولونيين ضعفوا خلال السنوات التالية، ولم يتمكنوا من إيقاف القرامطة الذين غزوا الشام في نهاية القرن الثالث الهجري. وأهمية هذا الحدث تتطلب وقفة قصيرة لشرح ملابساته:

بعد وفاة جعفر الصادق، الإمام الشيعي السادس، عام ٧٦٥/١٤٨، قرّر بعض أنصاره اعتبار ابن إسماعيل، الذي توفي في حياة والده، إماماً سابعاً لهم، مما أدّى إلى نشوء فرقة شيعية جديدة سميت الإسماعيلية أو السّنية.

وما لبثت هذه الفئة أن انقسمت أيضاً. فقد رأى فريق منها أن الإمام السابع، إسماعيل، لم يمت وأنه هو المهدي المنتظر، في حين اعتقد آخرون بإمامة محمد بن إسماعيل بعد وفاة والده. ومن هؤلاء فرقة سميت القرامطة، نسبة إلى رئيسها حمدان قرمط الذي قاد نشاطها ابتداء من ٨٧٧/٢٦٩ في جنوب العراق.

أما الحركة الإسماعيلية ككل، فيبدو أن قيادتها اتخذت الأهاز في البداية مركزاً لها. ثم انتقلت هذه القيادة إلى البصرة فألى «السلمية» من بلاد الشام، عندما استقر فيها أحد رؤسائها، عبيد الله، هرباً من عيون العباسيين.

وحوالي عام ٨٩٩/٢٨٦، أعلنت جماعة السلمية عبيد الله إماماً للطائفة، فلم يُقرّ حمدان قرمط هؤلاء على ذلك، ولكنه لم يعلن الحرب عليهم. فاستغل أحد دعاة القرامطة، زكرويه، هذا الخلاف وتنطع للقيادة، ثم أرسل ابنه إلى بادية الشام حيث استطاع تأليب بعض القبائل (جماعة من كلب، وأخرى من

---

= أيضاً: E. I.: Vol. IV, P. 877, art: Tulunides, par H.A.R. Gibb.

بني الأصبغ)، وتوجيهها لمهاجرة مدن الشام من ٩٠٢/٢٨٩ - ٩٠٧/٢٩٤ .  
وقد نجح هؤلاء خلال تلك الفترة في احتلال حمص وحماه ومعرة النعمان  
وبعلبك والسلمية، مركز عبيد الله. ولكن عبيد الله هرب من الشام إلى  
المغرب حيث تمكن أحد مساعديه، واسمه أبو عبد الله الشيعي، من الحصول  
على تأييد قبيلة كتامة. وهكذا استطاع عبيد الله إعلان الخلافة الفاطمية في  
المغرب عام ٩١٠/٢٩٧ (١٣٣).

وعندما يئس أهل الشام من قدرة الطولونيين على الدفاع عن بلادهم في  
وجه القرامطة، لجأوا إلى الخلافة العباسية التي كانت قد استعادت شيئاً من  
هيبتها بعد نجاحها في سحق ثورة الزنج في جنوب العراق. وهكذا بعث  
المكتفي جيوشه إلى الشام واستطاع إعادة سلطة الخلافة عليها بصورة مؤقتة  
(٩٠٢/٢٨٩ - ٩٠٨/٢٩٥) (١٣٤). ذلك أنه لم يستطع القضاء على العوامل  
الأساسية في تمزق الدولة، فالحملات التي أعادت الشام إلى حظيرة الخلافة،  
كانت تحمل معها بذور ضياع هذه البلاد مرة أخرى.

وعندما أشرف القرن الثالث الهجري على نهايته، كانت هناك أسرتان

---

(١٣٣) أيضاً: - Elisséeff: L'Orient Musulman..., p. 197.

أيضاً: - E.I.2: Vol. IV, pp. 687-92, art: Karmati, par W.

Madelung

- Ibid: Vol. IV, PP. 206-216, art: Ismailiyya par W. Madelung.

(١٣٤) أيضاً: - E. I.: Vol. IV, P. 877, art: Tulunides, par H.A.R.

Gibb.

- بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ٧٥.

تتطلعان للقيام بدور بارز في تاريخ الشام والجزيرة وهما: الأسرة الحمدانية، والأسرة الإخشيدية. وقد استطاعتا تكوين دويلات محلية تختلف من حيث الاتساع والقوة حسب الظروف التي أحاطت بها.

أما الحمدانيون فهم من قبيلة تغلب العربية. وقد استعان الخليفة ببعضهم، بالرغم من نزعتهم الشيعية، في صراعه ضد الخوارج والقرامطة. وقد اشترك كبيرهم، الحسين بن حمدان، أيضاً في الحملة التي نظمها الخليفة المكتفي عام ٢٩٢/٩٠٤ لسحق الطولونيين. وعندما استقرت الأمور للخليفة، ولّى في نفس العام أبا الهيجاء، عبد الله بن حمدان على الموصل. وخلفه فيها ابنه ناصر الدولة سنة ٣٠٨/٩٢٠.

وقد استغل ناصر الدولة القلاقل التي كانت تعصف بالخلافة لتكوين دولة شبه مستقلة في الموصل، كما نجح أخوه سيف الدولة في الاستقلال بحلب سنة ٣٣٣/٩٤٤<sup>(١٣٥)</sup>.

وأما الإخشيديون فهم من أتراك فرغانة، ومن أهل السنة. وقد أمضى كبير أسرته، محمد بن طفج الإخشيد، شبابه في الشام حيث ولي أبوه دمشق وطبرية في ظل الطولونيين<sup>(١٣٦)</sup>، ونجح في إبعاد القرامطة عن دمشق<sup>(١٣٧)</sup>. كما برز محمد بن طفج نفسه، حين ولي جنوب الشام سنة ٣٠٦/٩١٨ وضرب القبائل التي داهمت قوافل الحجاج<sup>(١٣٨)</sup>. ثم تقلد ولاية مصر والشام عام

---

(١٣٥) بروكلمان: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٨.

(١٣٦) - N. Elisséeff: L'Orient Musulman, P. 195.

(١٣٧) فيليب حتمي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ١٩٠.

(١٣٨) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٣٧.

٩٣٥/٣٢٣ فوطد مركزه فيها وصدّ غزوات الفاطميين. وعندما علم الإخشيد أن الخليفة العباسي أرسل والياً آخر محله، قطع صلته به (١٣٩)، وشكّل دولة مستقلة في مصر والشام على غرار الطولونيين.

ويعد هذا الانقسام الذي شهدته المنطقة في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بين الحمدانيين والإخشيديين بداية لتمزق دام أكثر من قرنين. فقد توزعت في النصف الثاني من ذلك القرن بين الفاطميين والمرداسيين والقرامطة والسلجوقيين وعدد آخر من الدويلات الصغيرة. وأضيف إلى ذلك، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، اقتطاع الصليبيين لعدد من الإمارات. وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بدأ الزنكيون محاولاتهم لإعادة توحيدها. وقد حالفهم النجاح إلى حد كبير.

## ٢- الظروف الثقافية

في نهاية عهد المأمون، كان تطور الثقافة العربية - الإسلامية، بعناصرها الرئيسة الثلاثة، قد بلغ حداً يصعب معه إيقافه أو تعديل اتجاهه. وقد ساهم أهل الشام في هذا التطور مساهمة بارزة، كما ساهمت بقية الأقطار الإسلامية، وازداد التبادل الثقافي فيما بينها.

وعلى الصعيد العقائدي، ازدادت حدة الجاهلية بين خليفتي المأمون، المعتصم والواثق، اللذين سارا على خطاه، وعلما السنة. وساندت الجماهير كما هو متوقع، هؤلاء العلماء بإثارة الفتن والقتال في وجه السلطة. فما كان من

---

(١٣٩) المصدر نفسه: ج ٣، ص ١٤٥.

المتوكل إلا أن أوقف « المحنة »، ومنع المناقشات حول خلق القرآن. وقد يكون للصعوبات التي كان المتوكل يلاقها مع قواده الأتراك بعض الأثر في محاولته كسب علماء الدين وجمهور العامة إلى صف الخلافة.

وفي ظل عدم الاستقرار الذي آل إليه أمر خلفاء المتوكل، أقلع هؤلاء كلياً عن فكرة التدخل في المعتقدات والمذاهب، واكتفوا بالبحث عن حلفاء لهم بين الأمراء المتغلبين على المناطق المختلفة، مها كان معتقدتهم. وقد استفادت الفرق الدينية من هذه الظروف لتقوية مراكزها.

ومن الضروري أن نلفت الانتباه هنا إلى ظاهرة هامة لا نستطيع تحديد بداياتها، ولكنها اتضحت في هذه الفترة. إنها ظاهرة استقلال العلوم الدينية استقلالاً كاملاً عن سلطة الخليفة.

لقد حدث ذلك، كما نعتقد، نتيجة جمع الحديث بعد القرآن ووضعه في متناول الجماعة، وتوفر البعض على حفظ النصوص والتعمق في مضمونها. لقد أصبح هؤلاء خزنة العلم ونقلته إلى المؤمنين، لذلك كان من الطبيعي أن يشعروا بأنهم المرجع الأول في العلوم الدينية، والمسؤولون الوحيدون عن تقدمها وبيان ما يصح وما لا يصح فيها. وقد لجأ بعضهم إلى الابتعاد كلياً عن السلطة ورفض المناصب والأعطيات التي تقدمها لهم لتوكيد استقلالهم عنها.

وهذا الشاهد الذي نوقه بين المكانة العليا التي حصل عليها بعض هؤلاء العلماء، إلى الحد الذي جعل السلطة تلجأ إليهم بدلاً من أن يلجأوا إليها ويستعينوا بها:

يقول أبو بكر بن جابر خادم سليمان بن الأشعث، أي داود السجستاني (٨١٧/٢٠٢ - ٨٨٨/٢٧٥): « كنت مع أي داود ببغداد، فصلينا المغرب

إذ قُرع الباب ففتحته، فإذا خادم يقول: هذا الأمير، أبو أحمد الموفق<sup>(١٤٠)</sup> يتأذن. فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه، فأذن له فدخل وقعد. ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خلال ثلاث، فقال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطناً ليرحل إليك طلبية العلم من أقطار الأرض فتعمر بك، فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس لما جرى عليها من محنة الزنج.

فقال أبو داود: هذه واحدة، هات الثانية.

قال الموفق: وتروي لأولادي في كتاب «السنن».

قال أبو داود: نعم، هات الثالثة.

قال الموفق: وتفرد لهم مجلساً للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة.

قال أبو داود: أما هذه فلا سبيل لي إليها، لأن الناس شريفهم ووضعهم في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك ويسمعون مع العامة ويضرب بينهم وبين الناس ستر<sup>(١٤١)</sup>.

أما العلوم الدنيوية (الآداب والعلوم والفلسفة)، فقد كان ازدهارها يتوقف على تشجيع السلطة ورعايتها.

وقد سار المعتصم والواثق على سياسة المأمون في تشجيعها جميعاً. أما

---

(١٤٠) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٣٣٠: طلحة، أبو أحمد الموفق، أمير عباسي، أخو الخليفة المعتد. كان المعتمد ضعيفاً فولّى أخاه الجيش، ثم سلّمه أمور الدولة كلها، فقام بها على أتم وجه.

(١٤١) ابن عساكر: ج ٧، ق ٢٠٩ (٢)، ترجمة: سليمان بن الأشعث.

التوكل فقد خالفه في جانب منها وتابعه في جانب آخر.

لقد وقف التوكل موقفاً سلبياً من علم الكلام (ولا سيما الاعتزال) والفلسفة<sup>(١٤٢)</sup>، ولكنه شجع الأدب والعلوم تشجيعاً كبيراً. فقد أحاط نفسه بالشعراء ورجال الأدب والعلم<sup>(١٤٣)</sup>، وأنشأ داراً للترجمة برئاسة حنين بن إسحق (١٩٤/٨١٠ - ٢٦٠/٨٧٣)<sup>(١٤٤)</sup>. وقد قام رجال هذه الدار بترجمة عدد كبير من الكتب، شكلت أساس المعارف الإسلامية (ولا سيما في الطب) حتى الأزمنة الحديثة<sup>(١٤٥)</sup>.

ولكن خلفاء التوكل لم ينعموا بالظروف التي تساعدهم على العناية بالشؤون الثقافية. فاهتم بذلك بعض الخاصة، وأبرزهم بنو مونسى بن شاذان، أولئك الرجال الثلاثة الذين نشأهم الأمان حسب معاييره. وكان هؤلاء يتمتعون آنذاك بالمعرفة والثروة والمكانة والأمن، فرحلوا في طلب المخطوطات القديمة، وأوفدوا أشخاصاً لنفس الغرض، كما أحضروا المترجمين من الأقطار الإسلامية ودفنوا لهم الأجر السخية. وكان المترجمون يقيمون معهم في مسكنهم ببغداد، أو في الدار التي قدمها لهم الخليفة التوكل بجوار قصره في سامراء<sup>(١٤٦)</sup>.

---

(١٤٢) - Sarton: Introduction to the History of Science, p. 559.

(١٤٣) أنظر: الرجال الذين جاءوا في صحبة التوكل إلى دمشق، في الصفحات القادمة.

(١٤٤) - Sarton: Op. cit, p. 611.

(١٤٥) أحمد فريد الرفاعي: عصر الأمان، ج ١، ص ص ٣٨١ - ٣٨٧.

(١٤٦) أيضاً: - Sarton: Op. cit, P. 560.

زيفريد هونكه: شمس العرب...، ص ص ١٨٣ - ١٨٥.

وأهم من الجهود التي بذلها الخاصة في عاصمة الخلافة، نشوء مراكز لرعاية الثقافة في الولايات والمناطق الأخرى. فقد حذا الأمراء والسلاطين في المناطق التي سيطروا عليها حذو الخلفاء، وأحاطوا أنفسهم برجال الدين والأدب والعلم. ومن هؤلاء الطولونيون الذين استقلوا بمصر والشام في النصف الثاني من القرن الثالث<sup>(١٤٧)</sup>. على أن الاستقرار النسبي الذي عاد للحكم المركزي منذ خلافة المعتضد (٢٧٩/٨٩٢) ساعد الخلفاء على الاهتمام من جديد بالأمور الثقافية.

وهكذا تغلبت الثقافة العربية-الإسلامية، في تلك الفترة، على المشكلات السياسية والاجتماعية. وتقدمت العلوم الدينية والدينية بصورة متوازية. إلا أن محاولات التوفيق بين تيارَي النقل والعقل لم تلق نجاحاً كبيراً.

ومن الضروري الإشارة، إلى أنه بالإضافة إلى هذين التيارين، كان تيار ثالث يشق طريقه ببطء خلال القرنين الأولين للهجرة. وعندما تمخض القرن الثالث عن التمزق والفوضى على الصعيدين السياسي والاجتماعي، ارتفعت أصوات أنصاره داعية إلى الزهد بشؤون الحياة الدنيا بجميع أشكالها، وإلى اللجوء للقلب والحدس في سبيل الوصول إلى الحقيقة، بدلاً من العقل والنقل.

وكانت علاقات هذا التيار مع كل من التيارين الآخرين مختلفة تمام الاختلاف. فقد اصطدم أنصاره في البداية مع أنصار النقل، وألب هؤلاء

---

(١٤٧) فيما يتعلق بالنشاط الثقافي للطولونيين، أنظر:

أيضاً:  
- Sarton: Op. cit, P. 598.

- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣، ٣٩١.

السلطات عليهم، كما حدث بالنسبة لذي النون المصري في عهد المتوكل<sup>(١٤٨)</sup>، والحلاج أيام المقتدر<sup>(١٤٩)</sup>. ولكنهم ما لبثوا أن كسبوا أنصاراً بين علماء الدين من السنة والشيعة على السواء، كما كسبوا الحكام إلى جانبهم، وحصلوا منهم على التأييد المادي والمعنوي.

وعلى العكس من ذلك، لم يتعرض تيار العقل لهؤلاء في البداية، مع أنهم شكلوا على المدى البعيد عائقاً أمام انتشاره، لأن رؤيتهم للكون وطريقهم إلى المعرفة تناقض الطرائق العلمية والتفكير الفلسفي. وعندما ترسخ مركز الصوفية في أوساط علماء الدين والجمهور والسلطة، قادوا صراعاً مكثوفاً ضد الفلاسفة والعلماء، كان النصر فيه بجانبهم، لأن لغتهم كانت قد وصلت إلى مسامع الجميع.

## هـ - علاقات الخلفاء العباسيين (بعد المأمون)

### والأمراء الطولونيين مع الشام والجزيرة

قامت صلات متينة في هذه الفترة بين أهل الشام والخلفاء العباسيين، ولا سيما في عاصمتيهم بغداد وسامراء.

ففي مجال الشعر، استفاد الشعراء من توزيع السلطة على مراكز متعددة، فراحوا ينتقلون من مركز إلى آخر يلقون قصائدهم في المديح ويحصلون على

---

(١٤٨) ابن عساكر: ج ٦، ق ٥٨ (١)، ترجمة: ذو النون المصري.

(١٤٩) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ٨٥.

الجوائز بصورة لم يسبق لها مثيل.

ومن شعراء الشام الذين أفادوا من هذا الجو عبد السلام بن رغبان، المعروف بديك الجن (٧٧٧/١٦١ - ٨٤٩/٢٣٥)، وهو شاعر من مدينة حمص، جاء إلى دمشق أيام المتوكل ومدح واليها أحمد بن محمد بن المدبر<sup>(١٥٠)</sup>.

أما حبيب بن أوس، أبو تمام (٨٠٤/١٨٨ - ٨٤٦/٢٣١)، من قرية جاسم<sup>(١٥١)</sup>، فقد ارتبط اسمه بالخليفة المعتصم. ولكنه مدح أيضاً الواثق.

وأما الوليد بن عبيد البحرّي (٨٢١/٢٠٦ - ٨٩٨/٢٨٤)، من مَنبج<sup>(١٥٢)</sup>، فقد ارتبط اسمه بالمتوكل، ولكن علاقته ببني العباس استمرت في ظل المنتصر والمستعين والمهتدي والمعتز والمعتد.

وفيما عدا الخلفاء، توجه أبو تمام والبحرّي بقصائدهما إلى عدد كبير من رجالات العرب والفرس والأتراك وغيرهم، فيهم حكام المناطق والولاة والقادة العسكريون والقضاة والوزراء والكُتّاب، وحصلوا من هؤلاء على مكافآت كبيرة، مما شجّع غيرهم من الشعراء على الاقتداء بهم.

وفي مجال العلوم، خرج من الشام والجزيرة إلى بغداد وسامراء عدد كبير من العلماء، أدوا خدمات جُلّي للثقافة العربية الإسلامية بترجماتهم من اللغات السريانية واليونانية إلى العربية، ومؤلفاتهم التي عالجوا فيها مواضيع علمية مختلفة. يذكر التاريخ من هؤلاء:

---

(١٥٠) ابن عساكر: ج ١٠، ق ٤٢٦ (٢)، ترجمة: عبد السلام بن رغبان.

(١٥١) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٥٤ (٢)، ترجمة: حبيب بن أوس.

(١٥٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٥٦ (٢)، ترجمة: الوليد بن عبيد.

- عبد المسيح بن ناعمة الحمصي: اشهر حوالي (٨٣٥/٢٢٠) بترجمته بعض الكتب الفلسفية من اليونانية إلى السريانية والعربية<sup>(١٥٣)</sup>.

- هلال بن أبي هلال الحمصي (ت ٨٣٣/٢٧٠): ترجم كتباً في الهندسة، لأحمد بن موسى بن شاكر<sup>(١٥٤)</sup>.

- قسطا بن لوقا البعلبكي (٨٢٠/٢٠٥ - ٩١٢/٣٠٠): كان طبيباً، فيلسوفاً، فلكياً، رياضياً، قام بزيارة لبلاد الروم وجلب معه مخطوطات يونانية قديمة قيمة. ترجم عدداً من الكتب وأصلح ترجمات أخرى، كما كتب مؤلفات، وعمل في تحسين بعض الأجهزة الفلكية<sup>(١٥٥)</sup>.

- ثابت بن قرّة الحرّاني (٨٣٦/٢٢١ - ٩٠١/٢٨٨): التقى به محمد بن موسى بن شاكر في حرّان أثناء عودته من زيارة لبلاد الروم، فأعجب بفصاحته ومعرفته باللغات الأجنبية ومهارته بالحساب (فقد كان في شبابه صرافاً). فاصطحبه إلى بغداد، وزوّده بثقافة علمية جيدة، ثم ألحقه بدار الترجمة. وفيما بعد قدّمه محمد بن موسى للخليفة المعتضد فأدخله في جملة منجميه.

وقد ترجم ثابت بن قرّة لبني موسى بن شاكر كتباً كثيرة في الفلك والرياضيات والطب. كما أصلح ترجمات قام بها حنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين. وله (١٥٠) مؤلفاً باللغة العربية وعشر مؤلفات باللغة السريانية. وبفضل مؤلفاته في الرياضيات والفلك والطب، وأرصاده

---

(١٥٣) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ١، ص ٣٧٩.

- Sarton: Op. cit., P. 598. (١٥٤)

- Ibid: P. 602. (١٥٥)

الفلكية، احتل ثابت بن قرّة مكان الصدارة بين علماء الدولة الإسلامية، ليس في زمانه فحسب بل في جميع الأزمان<sup>(١٥٦)</sup>.

- حُبَيْش بن الحسنَ الدمشقي (ت ٩١٢/٣٠٠): هو ابن أخت حُنين بن اسحاق وتلميذه، وشريكه في ترجمة عدد كبير من الكتب، ولا سيما الكتب الطبية. وقد أكمل تأليف كتاب في الطب بدأه حُنين. وقد غمط حق هذا العالم بصورة عامة لأن بعض الترجمات التي قام بها نُسبت إلى حُنين<sup>(١٥٧)</sup>.

- أبو عثمان، سعيد بن يعقوب الدمشقي: طبيب ورياضي، برز اسمه في بغداد في خلافة المقتدر (٩٠٨/٢٩٥ - ٩٣٢/٣٢٠). ترجم كتباً في الطب والهندسة والفلسفة، وكُلّف تفتيشَ مستشفيات بغداد ومكة والمدينة عام ٩١٥/٣٠٢<sup>(١٥٨)</sup>.

وقد جلبت زيارات الخلفاء، المعتصم والمتوكل، إلى الشام عدداً من الأعلام في جميع مجالات الفكر العربي الإسلامي. ولما كنا لا نملك معلومات مفصلة عن نشاطهم الفكري في الشام، فسكتفي بذكر أسمائهم واختصاصاتهم لإعطاء فكرة عن طبيعة هذا النشاط.

لقد كان في صحبة المعتصم إلى الشام هؤلاء الأشخاص:

- أحمد بن أبي دواد (٧٧٦/١٦٠ - ٨٥٤/٢٤٠)، وهو معتزلي عمل مع

---

(١٥٦) القنطي: تاريخ الحكماء، ص ١١٥. أيضاً:

زيفريد هونكه: شمس العرب...، ص ص ١٢٥، ١٢٦، ١٧٩. أيضاً:

- Sarton: Op. cit., p. 599.

- Ibid: P. 613. (١٥٧)

- Ibid: P. 641. (١٥٨)

المأمون، وعيَّنه المعتصم في منصب قاضي القضاة عام ٨٣٣/٢١٨، وقام  
بامتحان علماء الدين في مسألة خلق القرآن<sup>(١٥٩)</sup>.

- محمد بن عبد الملك الزيَّات (ت ٨٤٧/٢٣٣). وزير للمعتصم ثم لخلفائه  
الواثق والمتوكل. كان أديباً شاعراً ضليعاً باللغة والنحو<sup>(١٦٠)</sup>.

- الفضل بن مروان، أبو العباس البرداني (ت ٨٦٤/٢٥٠) وهو كاتب  
بليغ<sup>(١٦١)</sup>.

- القاسم بن عيسى، أبو دلف العجلي (ت ٨٤٠/٢٢٥)، كان أديباً،  
فصيحاً، شاعراً، كريماً. ولي دمشق ووفد عليه العديد من الشعراء ومدحوه،  
منهم أبو تمام<sup>(١٦٢)</sup>.

أما حاشية المتوكل فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية. ذلك أن  
الخليفة كان قد قرر نقل مقره إلى دمشق عام ٨٥٨/٢٤٣. وقد أنشئت له  
القصور والمسكن في أطراف المدينة، في قرية داريا، فمكث هناك  
٣٨/ يوماً ثم بلغه عن بعض الموالي من الأتراك أمر كرهه فعاد إلى  
العراق<sup>(١٦٣)</sup>.

وتعود أهمية هذه الحاشية من جهة أخرى، إلى أنها ضمت ممثلين لجميع  
الاتجاهات العقائدية والاهتمامات الفكرية. فقد كان فيها من رجال الدين:

---

(١٥٩) ابن عساكر: ج ٢ (ابن منظور)، ترجمة: أحمد بن أبي دواد.

(١٦٠) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٨٨ (٢)، ترجمة: محمد بن عبد الملك الزيَّات.

(١٦١) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٠٦ (٢)، ترجمة: الفضل بن مروان.

(١٦٢) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٤٦ (١)، ترجمة: القاسم بن عيسى.

(١٦٣) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ٤٩١.

- اسحق بن موسى بن عبد الله الأنصاري (ت ٢٤٤/٨٥٩ في حمص)، وهو فقيه من أهل الحديث<sup>(١٦٤)</sup>.

- سجادة، قاضي المدائن. وهو فقيه من أهل السنة<sup>(١٦٥)</sup>، تعرّض للمحنة في خلق القرآن أيام المأمون<sup>(١٦٦)</sup>.

- شعيب بن سهل الرازي، يعرف بشُعبويه (ت ٢٤٦/٨٦٠). وهو - كما يصفه ابن عساكر - فقيه جهمي<sup>(١٦٧)</sup>، متعصب على أهل السنة متحامل عليهم. ولأه المعتصم القضاء سنة ٢١٨ هـ، وجعل إليه الصلاة بالناس في مسجد الرُصافة أيام الجمع والأعياد.

وفي سنة ٢٢٧ هـ وثب قوم في مسجد الرُصافة على رجلين من الجهمية فضربوها وأدلوها، ثم مضوا إلى مسجد شعيب بن سهل القاضي يريدون محو كتاب كان كتبه على مسجده، ذكر فيه أن القرآن مخلوق. فأشرف عليهم خادم لشعيب فرماهم بالنشاب، فوثبوا فأحرقوا باب شعيب، وانتهب ناس منزله، وأرادوا نفسه فهرب منهم، وعزل عن القضاء سنة ٢٢٨ هـ. وهو أول قاض أحرق بابَه وانتهب منزله<sup>(١٦٨)</sup>. وقد وقعت هذه الحادثة قبل أن يلي المتوكل الخلافة، ولم يمنعه ذلك من أن يضمه إلى صحبه.

(١٦٤) ابن عساكر: ج ٢ (ك)، ق ٢٩٣ (٢)، ترجمة: اسحاق بن موسى.

(١٦٥) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٩٩ (١)، ترجمة: سجادة.

(١٦٦) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ٣، ص ١٥.

(١٦٧) فيما يتعلق بآراء الجهمية، أنظر:

- E.I.2: Vol. II, PP. 398-99, art: Djahmiyya, par: M. Watt.

(١٦٨) ابن عساكر: ج ٨، ق ٢٩ (٢)، ترجمة: شعيب بن سهل.

وكان في حاشيته من أهل الأدب:

- يعقوب بن إسحاق السكّيت (ت ٢٤٤ / ٨٥٨)، وهو نحوي شهير وصاحب كتاب «إصلاح المنطق». كان يؤدب أبناء الخليفة<sup>(١٦٩)</sup>.

- أبو بقية، وهو شاعر من سامراء، كتب قصيدة يصف فيها الطريق من سامراء الى دمشق<sup>(١٧٠)</sup>.

- الوليد بن عبيد البُحْثري (٢٠٦ / ٨٢١ - ٢٨٤ / ٨٩٨)، وهو من كبار شعراء الشام. اختصّ بالتوكل<sup>(١٧١)</sup>.

- علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم (ت ٢٧٥ / ٨٨٨). وهو شاعر، مغن، راوية، جمع علوم العرب والعجم. كان نديم المتوكل وخلفائه حتى المعتمد<sup>(١٧٢)</sup>.

هذا وقد اصطحب المتوكل معه الفتح به خاقان وعينه والياً على دمشق. وكان أديباً شاعراً محباً للكتب والمطالعة<sup>(١٧٣)</sup>.

ومن وفد على الفتح، عمرو بن بحر الجاحظ، الأديب المعتزلي الكبير الذي مكث مدة في دمشق، ثم غادرها الى أنطاكية<sup>(١٧٤)</sup>.

---

(١٦٩) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٨ (٢)، ترجمة: يعقوب بن اسحاق.

(١٧٠) المصدر نفسه: ج ١٨ (ب)، ق ٨١ (٢)، ترجمة: أبو بقية.

(١٧١) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٥٦ (٢)، ترجمة: الوليد بن عبيد.

(١٧٢) المصدر نفسه: ج ١٢، ق ٤٨٣ (٢)، ترجمة: علي بن يحيى.

(١٧٣) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٨١ (١)، ترجمة: الفتح بن خاقان.

(١٧٤) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٤٨ (٢)، ترجمة: عمرو بن بحر الجاحظ.

ومن بين العلماء الذين جاءوا دمشق في صحبة المتوكل:

- محمد بن موسى بن شاعر (ت ٢٥٩ / ٨٧٢) الفلكي أو المنجم<sup>(١٧٥)</sup>. وقد ذكرناه وإخوته في حديثنا عن المأمون.

وقد وضع كشافاً باسماء هؤلاء الأعلام شاعر دمشقي اسمه عبد الله بن محمد الخطامي أو الخطّابي. وقرأها ابن عساكر بخطه.

إن حاشية المعتصم لا تعكس من اتجاهاته إلا اصراره على الاعتزال ورغبته في فرضه بالقوة.

ولكن تكوين حاشية المتوكل يتضمن الإجابة عن عدد من التساؤلات التي أثّرت حول اتجاهه العقائدي والفكري.

فهو، كما نرى، ليس متعصباً ضد اتجاه عقائدي معين أو ضد صنف من أصناف العلوم، بدليل أنه جمع في صحبته بين أنصار الرأيين المتعارضين في قضية خلق القرآن، كما جمع فيها ممثلي العلوم الدينية والعلوم البحتة واللغة والأدب.

وغالب الظن أن الخليفة كان يريد التخلص من الفتنة باجتثاث أسبابها. وعندما تأكد له أن المطامح السياسية والاجتماعية تستر وراء العقائد الدينية، أراد أن يجردها من هذا السلاح بايقاف المحنة، ومنع الجدل والكلام في الأمور العقائدية، والتضييق على التفكير الفلسفي الناشئ ممثلاً في شخص أول الفلاسفة العرب، يعقوب بن اسحاق الكندي<sup>(١٧٦)</sup>.

---

(١٧٥) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٣٤٨ (١)، ترجمة: محمد بن موسى المنجم.

(١٧٦) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، صص ١١٥ و ١١٧ حاشية.

وإذا انتقلنا الآن الى عصر الطولونيين، رأينا أن هؤلاء أيضاً اتصلوا بالشام عن طريق الزيارات وقيادة الحملات.

فقد زار أحمد بن طولون الشام مرتين<sup>(١٧٧)</sup>، تمت إحداها عام ٢٦٩ / ٨٨٢ - ٨٨٣. وقد اصطحب في هذه الزيارة عدداً من القضاة، لأنه كان يهدف إلى حمل أهل الشام على خلع أبي أحمد الموفق العباسي، الذي كان يحكم نيابة عن أخيه المعتمد. ويذكر ابن عساكر من هؤلاء :

- محمد بن ابراهيم بن زياد (ت ٢٦٩ / ٨٨٣ في دمشق)، وهو فقيه مالكي من الاسكندرية<sup>(١٧٨)</sup>.

- أحمد بن العلاء بن هلال الرقي (ت ٢٧٤ / ٨٨٧)، وقد عينه الطولونيون قاضياً بمصر<sup>(١٧٩)</sup>.

- بكار بن قتيبة الثقفي (١٨٠ / ٧٩٧ - ٢٧٠ / ٨٨٤)، وهو أيضاً من قضاة مصر في عهد الطولونيين. كان من كبار المحدثين، حدث أثناء زيارته لدمشق وسمع منه الكثيرون ورووا عنه<sup>(١٨٠)</sup>.

كما أقام الطولونيون صلوات طيبة مع الشعراء. فعندما جاء خارويه الى دمشق، قصده الشعراء من جميع الأمصار، ومنهم الوليد بن عبيد البحرى

---

(١٧٧) ابن عساكر: ج ٢ (من)، ترجمة: أحمد بن طولون.

(١٧٨) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٦٢١ (١)، ترجمة: محمد بن ابراهيم.

(١٧٩) المصدر نفسه: ج ٢، ق ٢٩ (٢)، ترجمة: أحمد بن العلاء.

(١٨٠) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ٢٣٨، ترجمة: بكار بن قتيبة.

الذي مدحه في إحدى قصائده<sup>(١٨١)</sup>.

وقد أعطت حرّان في هذه الفترة عبد الله بن محمد بن جابر بن سنان البتّاني (٢٤٤ / ٨٥٨ - ٣١٧ / ٩٢٩) أكبر فلكيِّ عصره.

وخلافاً لما لجأ إليه علماء الثام والجزيرة من الانتقال الى عاصمة الخلافة، بقي البتّاني في منطقته وقام بجميع أرصاده في الرقّة، وسجّل نتائجها في عدد من المؤلفات التي نالت شهرة واسعة<sup>(١٨٢)</sup>.

وهذه البحوث، كما نعرف، تتطلب عوناً مادياً ومعنوياً. من أين حصل البتّاني على العون المادي والمعنوي الضروري لأبحاثه؟ لا نملك مع الأسف الشديد أية معلومات حول ذلك.

---

(١٨١) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٥٦ (٢)، ترجمة: الوليد بن عبّيد

(١٨٢) ابن النديم: الفهرست، ص ٤٠٣، أيضاً:

- Sarton: op, cit, P. 602.

## ٤ - تعليق وتفسير

### النماذج الثقافية التي اهتدى بها القائمون على السلطة

يبدو لنا أن الجهود التي بذلها رجال الحكم في مجال الثقافة والتربية العربية الإسلامية، خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، استهدت بنماذج ثقافية ثلاثة، سنتحدث عنها حسب درجة أهميتها بالنسبة للجماعة. وهذه النماذج هي:

- آ- نموذج الرسول (ص) وخلفائه الراشدين،
- ب- نموذج رؤساء القبائل والأمراء العرب في الجاهلية،
- ج- نموذج الحكام الذين حكموا المناطق المجاورة للجزيرة العربية قبل الفتح الإسلامي، كما صورّه إخباريّو العرب ومؤرّخوهم.

ولا بد من أن نلاحظ هنا أن هذه النماذج وإن كانت حقائق موضوعية في الزمن الذي ظهرت فيه، إلا أنها تتخذ في أذهان الذين يستهدون بها شكل تصورات ذات طابع معياري، لذلك تختلف درجة القرب منها عند الأشخاص باختلاف تصوراتهم لها.

- آ- نموذج الرسول والخلفاء الراشدين
- إن الحكم المثالي في الإسلام هو حكم الرسول (ص)، لذلك كان على كل

حاكم أن يتعلم منذ الصغر سنة الرسول، ليقرب منها ما أمكن ذلك.

وقد تضمنت هذه السنة، على الصعيد التربوي، حفظ أسس الإسلام عن طريق تسجيلها، وتنظيم تعليم هذه الأسس لجميع أفراد الجماعة.

أ- ففيما يتعلق بتسجيل أسس الدين أحاط الرسول نفسه، منذ الفترة المكية، بكتاب يسجلون الوحي حال نزوله. وشاهدنا على ذلك وجود نسخ مكتوبة من الآيات القرآنية بين أيدي المؤمنين يتناقلونها ويحفظونها، كتلك التي شاهدها عمر بن الخطاب في يد أخته، واهتدى بفضلها الى الإسلام<sup>(١)</sup>.

أما تدوين الحديث فله شأن آخر. فقد كان الاتجاه الشائع بعد وفاة الرسول (ص) عدم تدوين الحديث لئلا يختلط بالقرآن. ولكن هناك حديثاً يشجع على تدوينه، وهو الحديث الذي يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، والذي يقول: «قيدوا العلم بالكتاب»<sup>(٢)</sup>. كما يروى عن عبد الله بن عمرو أن الرسول سمح له بتسجيل كل ما يسمع منه، وهكذا سجّل حديثاً كثيراً في «صحيفته الصادقة»<sup>(٣)</sup>.

٢- وفيما يتعلق بتنظيم التعليم، بدأ الرسول (ص) تعليمه سراً في بداية الأمر. فقد كان يجمع المسلمين في دار الأرقم، ويعلمهم القرآن ومبادئ

---

(١) ابن عساکر: ج ١٢، ٣٣٧ (٢). ترجمة: عمر بن الخطاب.

(٢) ابن عساکر: ج ١٢، ق ٥٢٩ (١)، ترجمة: عمران بن موسى.

(٣) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٣٨٧ (٢)، ترجمة: محمد بن يزيد. أيضاً:

- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٦٢، وأيضاً:

- محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، صص ٣٤٨-٣٥١، يذكر فيه أن عدد الأحاديث التي كتبها عبد الله بن عمرو في صحيفته يبلغ ٤٣٦ حديثاً.

الإسلام. ثم أصبح منزل الرسول في مكة ندوة المسلمين ومعهدهم<sup>(٤)</sup>.

وعندما هاجر الرسول الى المدينة، اتخذ بجوار مسكنه مسجداً يجلس فيه ليدبر أمور الجماعة ويعلمها أمور دينها. ثم كثرت المساجد في المدينة حتى أصبح عددها تسعة في حياة الرسول نفسه<sup>(٥)</sup>. أضف الى ذلك أن الرسول سمح لفقراء المسلمين بالإقامة في زاوية من المسجد سميت « الصُّفة »، فكان يأتيهم فيعلمهم بنفسه، أو يرسل إليهم من يعلمهم القرآن ومبادئ الإسلام، وهكذا انقلبت الصُّفة الى معهد تعليمي، فقد ارتفع عدد ساكنيها في وقت ما الى سبعين شخصاً<sup>(٦)</sup>.

وقد طلب رسول الله من القبائل والأفراد الذين دخلوا في الإسلام، في السنوات الأولى للهجرة أن يأتوا الى المدينة، وأقطعهم أراضي في أطرافها للاستقرار والاندماج في الجماعة الناشئة<sup>(٧)</sup>، عن طريق تعلم مبادئ الدين. ولكنه في الأحوال الأخرى كان يكتفي باستقبال الوفود، التي كانت تمكث فترة معينة في المدينة، تتعلم فيها أمور الدين، ثم تعود لتعلم بقية أفراد القبيلة<sup>(٨)</sup>.

وللاطمئنان على سير التعليم الديني خارج المدينة، كان الرسول (ص)

---

(٤) محمد عجاج الخطيب: المصدر السابق، ص ٤٢.

(٥) - E.I.: Vol. III, PP 362-428, art: Masdjid, par Perdersen.

(٦) نفس المرجع.

(٧) - Muhammad Hamidullah: «Educational System in the Time of the Prophet». I.C., XIII, 1939, PP. 48-59.

(٨) ابن عساكر: ج ١٣، ق ١٦٤ (٢)، ترجمة: عمرو بن سبيع الرهاوي.

يطلب من خيرة صحابته مرافقة وفود القبائل الى اوطانها، والبقاء مع القبائل فترة كافية لتعليمها. وهكذا بعث معاذ بن جبل لتعليم أهل مكة بعد الفتح، ثم لتعليم أهل اليمن وحضر موت<sup>(٩)</sup>. كما بعث عامر بن عبد الله، أبا عبيدة بن الجراح لتعليم أهل اليمن<sup>(١٠)</sup>، وخالد بن الوليد لتعليم أهل نجران<sup>(١١)</sup>. وقد بعث إلى بئر معونة سبعين رجلاً لكثرة أفراد القبيلة وسعة المنطقة<sup>(١٢)</sup>.

وعندما التحقت مناطق كاملة من جزيرة العرب بحكم المدينة، بعث الرسول الكريم إليها ولاة يديرون شؤونها ويعلمون أهلها. وشاهدنا على ذلك رسالة النبي لعمر بن حزم والي نجران، التي يذكر له فيها واجبات الوالي ومنها: تعليم المؤمنين القرآن بالفاظه ومعانيه، ومبادئ الدين بصورة يستطيعون معها تطبيقها في حياتهم اليومية، وتعريفهم بفرائض الإسلام كالصلاة والزكاة والحج<sup>(١٣)</sup>.

٣- بالإضافة الى التعليم الديني، اهتم الرسول (ص) اهتماماً كبيراً بتعليم الكتابة. فقد كلف عبد الله بن سعيد بن أحيحة (ت ٦٢٩) تعليم الكتابة في المدينة<sup>(١٤)</sup>. ويدل ما تذكره إحدى الروايات التي يوردها ابن عساكر في ترجمة هذا الشخص من أنه «كان يعلم الحكمة بالمدينة» على أسلوب تعليم

---

(٩) ابن عساكر: ج ١٦ (٢)، ق ٧٨ (١)، ترجمة: معاذ بن جبل.

(١٠) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٢٩ (١)، ترجمة: عامر بن عبد الله.

(١١) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ١٦٠ (١)، ترجمة: يزيد بن عبد المدان (نجران).

(١٢) - M. Hamidullah: op. cit.

(١٣) ابن عساكر: ج ١٣، ق ١٥٥ (٢)، ترجمة: عمرو بن حزم.

(١٤) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١١٠ (٢)، ترجمة: عبد الله بن سعيد بن أحيحة.

الكتابة آنذاك. فقد كان المعلمون يكتبون أمام التلاميذ أمثالاً وحكماً، ويطلبون منهم أن ينسخوها عدداً من المرات.

كما عقد الرسول اتفاقاً مع أسرى بدر، يستطيع من يكتب منهم بموجه أن يفندي نفسه مقابل تعليم الكتابة لعشرة من أبناء المسلمين<sup>(١٥)</sup>.

وهذه الاجراءات، بالاضافة الى الكتابيب التي كانت موجودة في الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده<sup>(١٦)</sup>، والتي كان يعلم فيها معلمون ذميون<sup>(١٧)</sup>، عجّلت في انتشار الكتابة بين أفراد الجماعة الإسلامية.

وجدير بالذكر أن النساء استفدن، في عهد الرسول(ص)، من التعليم الديني ومن تعليم الكتابة، ولكن على نطاق أضيق من الرجال. فقد خصص الرسول يوماً لتعليمهن والاجابة عن أسئلتهن<sup>(١٨)</sup>. وكن يحضرن الى المسجد ويجلسن في زاوية منه<sup>(١٩)</sup>. أما الكتابة فقد تعلمها بعضهن على يد الأقارب أو الصديقات<sup>(٢٠)</sup>.

٤- أما موقف الرسول من الشعر فلا مجال للاختلاف في تفسيره. صحيح

- 
- (١٥) أحمد شلبي: تاريخ التربية الاسلامية، ص ٢٢. عن المبرد: الكامل، ص ١٧١.  
(١٦) ابن عساكر: ج ١٢، ق ٣٢٠ (٢)، ترجمة: علي بن أبي طالب، ذكر فيها أن علياً أسلم في الرابعة عشرة، وكانت له ذؤابة يختلف الى الكتاب.  
(١٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٦١.  
(١٨) البخاري: الجامع الصحيح، ج ١، ص ٣٩.  
(١٩) ابن عساكر: ج ١٩، ق ٣٤٢ (٢)، ترجمة: أسلم بنت يزيد بن السكن.  
(٢٠) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٦١.

أن صيغة تقريع الشعراء جاءت عامة في القرآن الكريم<sup>(٢١)</sup>. إلا أن الحديث أيد جانباً من الشعر في قوله(ص): « إن من الشعر لحكمة ». وقد روى جميع الشعراء المسلمين هذا الحديث فيما بعد<sup>(٢٢)</sup>. أضيف الى ذلك أن الرسول(ص)، لم يترك سلاح الخطابة والشعر في أيدي خصومه يستغلونه للهجوم عليه وعلى المسلمين، بل رأى من الضروري توجيهه لدعم الحق. ولذلك أمر بوضع منبر في المسجد لشاعره حسان بن ثابت، يلقي منه قصائده في مدح الإسلام والمسلمين وهجاء المشركين<sup>(٢٣)</sup>. وقد ساهم في هذا النشاط شعراء آخرون ككعب بن مالك<sup>(٢٤)</sup>، وعبد الله بن رواحة<sup>(٢٥)</sup>.

وقد سار الخلفاء الراشدون على خطى الرسول.

ففيما يتعلق بتنظيم التعليم، حدّد عمر بن الخطاب، في إحدى خطبه، واجبات ولاته بهذه الكلمات: « ألا وإني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم و سنتكم، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم »<sup>(٢٦)</sup>.

وقد انتشرت الكتابيب في المدينة في عهد عمر وجاء ذكرها في عدد من

---

(٢١) القرآن الكريم: سورة الشعراء، ٢٦ / ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥: « والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ».

(٢٢) ابن عساکر: ج ٤، ق ١٠٨ (٢)، ترجمة: حسان بن ثابت، أيضاً: - المصدر نفسه: ج ٤، ق ٥٤ (٢)، ترجمة: حبيب بن أوس، أبو تمام.

(٢٣) المصدر نفسه: ترجمة حسان بن ثابت.

(٢٤) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥٤٢ (١)، ترجمة: كعب بن مالك.

(٢٥) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٦١ (٢)، ترجمة: عبد الله بن رواحة.

(٢٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٤، ص ١٣١.

تراجم أهل المدينة الذين نشأوا في تلك الفترة، كعبد الرحمن بن حسان بن ثابت<sup>(٢٧)</sup>، وعبد الملك بن مروان<sup>(٢٨)</sup>. كما التحق بها أسرى الحرب الذين جيء بهم من الأقطار المفتوحة<sup>(٢٩)</sup>. ومن علّم الكتابة في تلك الفترة، جُفينة، وهو نصراني من الحيرة، قتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب انتقاماً لمقتل والده<sup>(٣٠)</sup>.

ويشير أحد الأخبار إلى أنه كان بالمدينة أيام عمر ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان، وأن عمر كان يرزق كلاً منهم خمسة عشر درهماً كل شهر<sup>(٣١)</sup>. وهذا ما يجعلنا نفترض أن هؤلاء المعلمين كانوا يعلمون الصبيان القرآن، وأن الكتابيب التي كانوا يديرونها كانت كتابيب قرآنية، وإن كنا لا نملك دليلاً قاطعاً على ذلك.

أما فيما يتعلق بالتعليم الديني في المناطق المفتوحة (الشام، العراق، مصر)، فنحن نعرف أن عدداً من الصحابة والتابعين استقرّوا هناك، وقاموا بواجبهم التربوي على أكمل وجه. على أن الخليفة عمر دعم هذه الجهود بإرسال معلمين بارزين من المدينة بغية تنظيم هذا التعليم وتنسيقه في جميع الأقطار. وكانت حصّة الشام من هؤلاء أربعة<sup>(٣٢)</sup>، وحصّة البصرة

(٢٧) ابن عساکر: ج ٩، ق ٢٨٧ (١)، ترجمة: عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.

(٢٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٨٥ (٢)، ترجمة: عبد الملك بن مروان.

(٢٩) المصدر نفسه: ج ٧ (من)، ترجمة: سليم بن عامر، من سي حلب.

(٣٠) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥٤٧ (٢)، ترجمة: عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

(٣١) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٩٢ (٢)، ترجمة: صدقة بن موسى الدمشقي.

(٣٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٦٦ (٢)، ترجمة: عبادة بن الصامت. أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٧٠ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن غنم.

ولعلَّ خير ما نُمثل به لاهتمام الخلفاء الراشدين بنشر العلم وحضَّ المؤمنين على طلبه تلك الكلمة التي تنسب لعلي بن أبي طالب، والتي يقول فيها لصاحبه كُميل بن زياد النخعي:

«... يا كُميل، العلم خير من المال: العلم يجرسك وأنت تحرس المال، والمال تُنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزول بزواله.

يا كُميل، محبة العلم دين يُدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كُميل، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة...»

اولئك والله الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً؛ بهم يحفظ الله حججه حتى يودعها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم...» (٣١).

وقد واجه المسلمون في تلك الفترة مشكلة تتصل بتعليم القرآن. ذلك أنهم اعتمدوا في البداية اعتماداً كبيراً على الحفظ.

وقد تبه عمر بن الخطاب الى خطر ذلك قبل وصوله الى الخلافة. فعندما رأى ذهاب عدد كبير من حملة القرآن خلال المعارك. ألح على الخليفة أبي بكر بجمع القرآن الكريم، الذي سجلت آياته في حياة الرسول على الجلود

(٣٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥٣١ (١)، ترجمة: عبید الله بن زياد، والي البصرة أيام معاوية.

(٣٤) ابن عساکر: ج ١٤، ق ٥٥٦ (١) ترجمة: كُميل بن زياد بن نبيك النخعي.

والعظام وسعف النخل وغيرها... وبعد شيء من التردد، كلف الخليفة، زيد ابن ثابت الأنصاري، كاتب الرسول، بهذا العمل<sup>(٣٥)</sup>. وعندما انتهى زيد من عمله قدم النسخة التي جمعها للخليفة فاحتفظ بها، على صورة وثيقة يمكن الرجوع إليها في حال غياب كبار القراء. وبعد موت أبي بكر، انتقلت النسخة الى عمر بن الخطاب. وبعد موت الخليفة الثاني حُفظت عند ابنته حفصة، إحدى أزواج الرسول.

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان تجلت المشكلة بشكل آخر. فقد اتسعت الفتوح، وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وإفريقية. وازداد اعتماد أهل كل مصر على من قام بينهم من القراء.

كان حذيفة بن اليمان في جملة من حضر غزو أرمينية وأذربيجان، فرأى أثناء سفره اختلافاً بين المسلمين في القراءة، وسمع بعضهم يقول لبعض: «قراءتي خير من قراءتك». وعندما عاد الى المدينة نبّه الخليفة الى ذلك وحثه على اتخاذ تدبير ما. فما كان من عثمان إلا أن أرسل في طلب النسخة القديمة من حفصة بنت عمر، وعمل على نسخ ستة مصاحف (أو سبعة)، وزع خمسة (أو ستة) منها في الأمصار، واستبقى واحداً لنفسه وهو الذي يسمونه «الإمام»، ثم أمر بجمع كل ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف، وأمر بإحراقه. وقد تم ذلك سنة ٦٤٦ / ٢٥<sup>(٣٦)</sup>.

---

(٣٥) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٤. أيضاً:

- صحيح البخاري: ج ٣، ص ٣٩٢.

(٣٦) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٤٦ (١)، ترجمة: عثمان بن عفان. أيضاً:

- صحيح البخاري: ج ٣، ص ٣٩٣.

- محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن، ص ٥٨.

وقد تجلّى حرص الخليفة عثمان على ألا تدخل القرآن الذي نزل بلغة قريش الفاظ تنتمي للهجات أخرى في تكوين اللجنة التي قامت بهذا العمل الكبير. فقد ضمت ثلاثة رجال قرشيين، هم:

عبد الله بن الزبير الأسدي.

سعيد بن العاص الأموي.

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي.

بالإضافة الى زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، كاتب الرسول وصاحب الجمع الأول للقرآن الذي تم في عهد أبي بكر.

وقد أوصى الخليفة هؤلاء الرجال قائلاً: «إذا اختلفتم أتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم» (٣٧).

والواقع أن جميع الجهود تضافرت من البداية للتوكيد على الرابطة القوية بين اللغة العربية السليمة وتعلم القرآن. ولنا على ذلك شواهد عدة، منها:

«أن المسور بن مخرمة بن نوفل، أبا عبد الرحمن الزهري خرج تاجراً الى سوق عكاظ (أو ذي المجاز)، فاذا رجل من الأنصار، أثلغ، يوم الناس، فأخره وقدم رجلاً. فغضب الرجل الأنصاري. فأتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن المسور أخرنى وقدم رجلاً. فغضب عمر وجعل يقول: واعجباً لك يا مسور! وأرسل يطلبه. فعندما أتاه قال له: لا تعجل يا أمير المؤمنين، فوالله ما أردت إلا الخير. قال عمر: وأي خير في هذا؟ فقال: إن سوق عكاظ (أو ذي المجاز) اجتمع فيها ناس كثير. عامتهم لم يسمع القرآن. وكان

(٣٧) ابن عساکر: ج ١١، ق ٤٦ (١)، ترجمة: عثمان بن عفان.

الرجل أثلغ، فخشيت أن يقرأوا بالقرآن على لسانه، فأخرته وقدمت رجلاً عربياً بيناً. فقال عمر: جزاك الله خيراً» (٣٨).

ومنها أيضاً أن سلمان الفارسي ولي المدائن في عهد عمر بن الخطاب (على الأرجح). وكان من واجبات الوالي أن يؤم الناس ويخطبهم يوم الجمعة. فكان سلمان الفارسي يقول للناس: «إنا أمرنا ألا نؤمكم». ثم يطلب من زيد بن صوحان العبدي أن يؤم الناس ويخطبهم. وعندما كان الناس يأتون سلمان الفارسي يستقرونه القرآن، كان يقول لهم: «إن القرآن عربي فاستقروه رجلاً عربياً». فكان زيد بن صوحان يقرهم، وكان سلمان يأخذ عليه، فاذا أخطأ رد عليه سلمان (٣٩).

وهذه التداير لا يمكن أن تنسب إلى التمييز القبلي أو القومي بحال من الأحوال، بل إلى الحرص على التعلم الصحيح للقرآن.

ولا بد لنا من أن ننوه هنا بالأثر الكبير الذي تركه جمع القرآن وتوزيع نسخ منه على الأمصار في ميدان التربية، ذلك أنه كان المنطلق لجميع الدراسات الدينية واللغوية والأدبية التي تمخضت عنها الثقافة العربية-الإسلامية.

وإذا كان الخلفاء الراشدون قد وجهوا همهم لجمع القرآن، فإنهم لم يقوموا بجهد رسمي لجمع الحديث.

يذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطلق عمر يستخير الله شهراً ثم

---

(٣٨) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ٢٨ (٢)، ترجمة: مسور بن مخزوم بن نوفل الزهري.

(٣٩) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٢٤١ (٢)، ترجمة: زيد بن صوحان العبدي.

أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: «إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله. وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً»<sup>(٤٠)</sup>.

كما يذكر أن عمر بن الخطاب لم يشجع الإكثار من الحديث. وقد لجأ لسجن المكثرين كعبد الله بن مسعود وعقبة بن عامر الجهني<sup>(٤١)</sup>، خشية وقوعهم في الخطأ، أو إلهائهم المؤمنين بالحديث عن القرآن.

لقد قام بعض الجدل حول موقف الخليفة عمر بن الخطاب من الشعر. فبينما هو يمينع حسان بن ثابت من إلقاء الشعر في مسجد الرسول<sup>(٤٢)</sup>، نرى هنا وهناك كلمات له تحضُّ المؤمنين على تعلمه.

من هذه الكلمات: «رووا أولادكم ما سار من المثل وما حسن من الشعر»<sup>(٤٣)</sup>. ومنها ما قاله لابنه عبد الرحمن: «يا بني! انسب نفسك تصل رجمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤدِّ حقاً ولم يقترف أدباً»<sup>(٤٤)</sup>. ومنها قوله: «ارووا من الشعر أعفّه، ومن الحديث أحسنه، ومن النسب ما تُواصلون عليه وتُعرفون به. فربّ رحم مجهولة قد عُرفت فوصلت، ومحاسن

---

(٤٠) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص ٦٤.

(٤١) ابن عساكر: ج ١١، ق ٢١٩ (١)، ترجمة: عقبة بن عامر الجهني.

(٤٢) المصدر نفسه: ج ٤، ق ١٠٨ (٢)، ترجمة: حسان بن ثابت.

(٤٣) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ١، ص ٢٢١. عن الجاحظ:

البيان والتبيين، ج ١، ص ٢١٣.

(٤٤) أبو زيد القرشي: جهرة أشعار العرب، ص ٣٥.

الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساوئها « (٤٥) .

ويقول المُفَضَّل الضَّبِّي إنه لم يبق أحد من أصحاب الرسول (ص) إلا وقد قال الشعر وتَمَثَّل به ، ويروي للخلفاء الراشدين بعض الآيات للتدليل على قوله (٤٦) .

وهكذا نرى أن نموذج الرسول والخلفاء الراشدين أعطى العلوم الدينية مكاناً أكبر من العلوم الدنيوية، وليس ذلك بمستغرب. لأن العلوم والآداب الدنيوية كانت تستأثر آنذاك باهتمام العرب، فكان من الطبيعي أن يجد من أثرها، ولا سيما في جوانبها التي تتضارب مع القيم الجديدة. ولكن جوانبها التي تتفق مع الإسلام، وتساعد على فهمه لقيت تشجيعاً واضحاً. إلا أن عملية نقد التراث هذه لم يكن من الممكن أن تنجز في هذه الفترة القصيرة.

أما الكتابة، فقد كان الرسول ينظر إليها على أنها وسيلة تفيد الأمور الدينية والدنيوية. فقد أمر كتابه بكتابة رسائله للملوك الأجانب وتوجيهاته لعالمه، كما أمرهم بتسجيل آيات القرآن الكريم، ولم يخش اختلاط هذه بتلك.

وإذا كان البعض قد أمعن في الحيطه فقصر الكتابة على القرآن، فإن آخرين لم يتأخروا في استخدامها على أوسع نطاق، في حياة الرسول (ص) نفسه، فسجلوا الحديث الشريف، وبعض الموضوعات التي كانوا يتداولونها فيما بينهم.

---

(٤٥) المصدر نفسه: ص ٣٦ .

(٤٦) المصدر نفسه: ص ٣٧ .

## ب- نموذج الجاهلية

للمجتمع العربي الجاهلي ثقافته الخاصة ومعاييره فيما يتعلق بتكوين الرجال. فقد كان أفرادهم يمارسون أنشطة ثقافية يغلب عليها الطابع الشفوي في مجالات الشعر والخطابة والحكم والأمثال والقصص والأيام والأنساب، كما كانوا يتداولون معارف بسيطة عن العالم وعن المشكلات التي تواجههم في بيئتهم القاسية.

كان العرب يعتقدون أن اللغة النقية هي لغة قبائل الصحراء، وأن الألسنة تتوجُّ في المدن بمخالطة الغرباء. لذلك كان أهل المدن يرسلون أبناءهم إلى الصحراء لقضاء عدة سنوات في كنف إحدى القبائل. وهناك تتقوّم ألسنتهم، ويتعلمون أشعار القبيلة وأيامها ومعارفها.

وكانت الأسواق التجارية، كسوق عكاظ وذي المجاز، تشكل مناسبة لتبادل هذه الآداب وتقدمها. فقد كان الشعراء يرتادونها، ويلقون أشعارهم أمام الجمهور الذي يلعب دور الناقد والحكم. أما في المدن، فقد كان للشخصيات البارزة نوادٍ يجتمع فيها خاصة القوم ويتداولون أمور الشعر والأدب، منها ما ذكره المقرئزي من أن غيلان بن سلمة الثقفي كان يعقد مجلساً أدبياً مرة كل أسبوع فيستمع هو وأصحابه إلى الشعراء وينقدون قصائدهم (١٧).

---

(١٧) - M. Hamidullah: «Educational System in the Time of the Prophet, Op. cit.

عن المقرئزي، ص ٥٠

ومع ازدهار هذه الأنشطة الشفوية. وازدياد تنقلات الأفراد بين الجزيرة العربية والمناطق المجاورة كالعراق والشام. أحس المجتمع الجاهلي الحاجة الى الكتابة.

ويروي البلاذري أن أول من أدخل الكتابة العربية الى مكة هو بشر بن عبد الملك الكندي السكوني، الذي استفاد من أسفاره الكثيرة الى الحيرة في تعلم الكتابة. وفي أحد أسفاره الى مكة تعلم الكتابة منه سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن مناف بن زهرة بن كلاب. ومن هؤلاء الرجال اتشرت الكتابة بين عرب الطائف، كما نشرها آخرون في ديارمضر (الجزيرة) والشام ومناطق أخرى<sup>(٤٨)</sup>.

ويروي البلاذري أيضاً أن عدد من كانوا يكتبون في مكة عشية ظهور الإسلام سبعة عشر رجلاً منهم أبو سفيان، صخر بن حرب وابناه يزيد

---

(٤٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٥٩ - ٦٦٤. وسفيان هو حرب بن أمية.

- فيما يتعلق بنشأة الكتابة العربية يميل الباحثون المعاصرون الى الفرضية القائلة بأن الكتابة العربية اشتقت خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين من الكتابة السريانية التي كانت شائعة في الحيرة والأنبار. أنظر:

- E.I.2: Vol. I. PP. 579-622, art. Arabiyya, par C. Rabin et J Sourdél-Thomine.

- J. Sourdél-Thomine «Les Origines de l'écriture Arabe», R.E.I., 1966, PP. 151-157.

- J. Starcky, «Pétra et la Nabatène», Supplément au Dictionnaire de la Bible, Paris, 1964, col. 886-1017.

- N. Abbott: Rise of the North Arabian Script, 1939, p.5.

ومعاوية؛ وفي المدينة أحد عشر رجلاً<sup>(٤٩)</sup>، منهم بشير بن سعد، أبو النعمان الخزرجي الأنصاري<sup>(٥٠)</sup>. كما تعلمت بعض النسوة الكتابة هنا وهناك<sup>(٥١)</sup>. وكان تعليم الكتابة يتم بصورة عامة في الكتابيب.

ويقول الدكتور حسين نصار حول هذا الموضوع: «استطاعت الدراسات الحديثة أن تجمع من الشواهد المادية والاستقرائية ما يؤكد لنا أن الكتابة كانت معروفة على نحو كاف منذ العصر الجاهلي، وأنها قبيل الإسلام وعند ظهوره كانت منتشرة في بقاع كثيرة من شبه الجزيرة العربية: في الحيرة وفي نجران ولدى الفساسة وفي المدينة ومكة... ولم يقتصر انتشار الكتابة على الحواضر والمدن، بل تربت إلى البادية نفسها فعرفها أكرم بن صيفي حكيم قبيلة تميم وخطيبها، وكذلك ابن أخيه حنظلة بن الربيع كاتب الرسول، والمرقس الأكبر وليد بن ربيعة<sup>(٥٢)</sup>».

إن هذه الأنشطة، على أهميتها، لا تشكل كل ما أعطاه النموذج الجاهلي للثقافة العربية الإسلامية. فهناك بالإضافة إليها مجموعة القيم التي كانت تنظم الحياة في المجتمع، ومفهوم «الرجل الكامل» الذي كان يهدي الأفراد في مساعيهم.

(٤٩) البلاذري: المصدر السابق.

(٥٠) ابن عساکر: ج ٣ (دهان)، ص ١٤٤، ترجمة: بشير بن سعد الأنصاري.

(٥١) - M. Hamidullah: op. cit.

يذكر فيه عن الميداني: الأمثال، ج ١، ص ٦٠، أن امرأة من هذيل التحقت في صفرها بالكتاب. أيضاً:

- البلاذري: المصدر السابق.

(٥٢) حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ص ص ٢٣ - ٢٤.

لقد كانت قيم المجتمع العربي البدوي قبل الإسلام تضم مجموعة من الخصال الخلقية كالإباء والوفاء بالعهد والشجاعة والحرية والثأر ونقاء النسب وكرم المحتد والكرم وحماية الجار. وتجمع هذه القيم أحياناً تحت اسم المروءة<sup>(٥٣)</sup>.

وعندما يتمتع الفرد بخصال عقلية، بالإضافة لهذه الخصال الخلقية، يسبغ المجتمع عليه ألقاب الشرف.

ومن هذه الألقاب لقب السيد، ويطلق على الفرد الذي يتمتع بنفوذ معنوي كبير لرعاية عقله وقدرته على كسب جميع الأشخاص البارزين في القبيلة لرأيه.

ولقب الكاهن، وهو الشخص الذي يعلم خافيات الأمور. يقصده الناس ليساعدهم على حل مشكلاتهم.

والشاعر، الذي يحترمه الجميع ويحشونه، فهو يمتلك القدرة على رفع الناس وخفضهم بالأشعار التي يذكرهم فيها مادحاً أو هاجياً<sup>(٥٤)</sup>.

ويصور لنا ابن عساكر في تاريخه شخصيتين من هذا النوع، وهما:  
- سعد بن عبادة، المدني الأنصاري الصحابي، اشترك في فتح الشام (ت ١٥ / ٦٣٦) قرب دمشق. كان سعد سيد الخزرج، سمي في الجاهلية بالرجل

---

- Bishr Farés: L'honneur chez les Arabes avant l'Islam, P. (٥٣) 60 et suivantes

- F. Gabrieli (Edit.): L'Antica: أنظر: F. Gabrieli (Edit.): L'Antica: Società Beduina, art. de Joseph Henninger: La Société Bédouine Ancienne, PP. 82-83.

الكامل لأنه كان يحسن الكتابة (بالعربية) والعموم والرمي . وكان كريماً يطعم يوماً قانين من أهل الصفة<sup>(٥٥)</sup> .

- زهير بن جناب... بن قضاة الكلبي، وهو شاعر جاهلي كان مع الحارث الغساني. ويقال إنه اجتمع فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيد قومه وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطيبهم (والطب في ذلك الزمان شرف) وحاري قومه (والحراة الكهان). وكان فارس قومه، وله السن فيهم، وله العدد منهم. وكان لشدة رأيه يسمى كاهناً<sup>(٥٦)</sup> .

وكان على السادة في الجاهلية مسؤولية تجاه الفنون الأدبية ومن يثلونها. فكانوا يستقبلون الشعراء، ويستمعون إلى قصائدهم ويجزلون لهم العطاء. ولنا على ذلك مثال هرم بن سنان الذي حلف ألا يدحه زهير بن أبي سلمى إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يilm عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً. فاستحيا زهير مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملاً قال: «أنعموا صباحاً غير هرم، وخيركم استثنيت»<sup>(٥٧)</sup> .

وقد كان اللخميون والفسانة، أمراء الحيرة والشام، يشكلون نماذج لا تقل أثراً عن سادة الجزيرة العربية. وإذا كان التاريخ قد حفظ لنا أسماء رجال كالمنذر الثالث والنعمان الثالث من أمراء الحيرة، والحارث الأكبر بن جبلة الغساني من أمراء الشام، فإن الفضل الأكبر في ذلك يرجع الى الشعراء

---

(٥٥) ابن عساکر: ج ٧، ق ٤٠ (٢)، ترجمة: سعد بن عبادة.

(٥٦) المصدر نفسه: ج ٦، ق ١٧٥ (١)، ترجمة: زهير بن جناب.

(٥٧) بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ١٦٥.

الذين جذبتهم أريجية هؤلاء وتقديرهم للشعر فراحوا ينشدون القصائد في مدحهم (٥٨).

وقد طوّر العرب بعد الإسلام هذه القيم والمفاهيم بصورة تتلاءم مع ما أتى به الدين الحنيف. فقد اتخذت المروءة بعد الإسلام، كما يقول بشر فارس، معنى أخلاقياً صرفاً<sup>(٥٩)</sup>. يدل على ذلك ما يذكره ابن عساكر من أن وفداً من وفود العرب قدم على معاوية فقال لهم: ما تعدون المروءة فيكم؟ قالوا: العفاف والدين والاصلاح في المعيشة. فالتفت معاوية الى ابنه وقال له: اسمع يا يزيد<sup>(٦٠)</sup>. وما يرويه عن الفضل بن دهم، وهو شاعر من واسط، خدم في جيش هشام بن عبد الملك من أنهم كانوا يتعلمون المروءة في هذا الجيش كما كانوا يتعلمون القرآن<sup>(٦١)</sup>.

ح- نموذج الحكام الذين حكموا المناطق المجاورة للجزيرة العربية قبل الفتح الإسلامي

حصل العرب على معلومات وافية حول الأنشطة الثقافية والتربوية لهؤلاء الحكام عن طريق الكتب والاتصال المباشر مع الشعوب الأخرى.

لقد رأينا، فيما يذكره المسعودي عن معاوية، أن أول الخلفاء الأمويين بعد

(٥٨) المصدر نفسه: ص ص ١٤ - ١٨.

(٥٩) - Bishr Farès: L'Honneur chez les Arabes. PP. 31-32.

(٦٠) ابن عساكر: ج ١٨، ق ١٨٥ (١)، ترجمة: يزيد بن معاوية.

(٦١) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٩٦ (١)، ترجمة: الفضل بن دهم.

أن يفرغ من عمله « كان يستمر الى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتهما، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة، ثم تأتيه الطرف الغربية من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المأكّل اللطيفة، ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها، والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتّبون، وقد وُكّلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات» (٦٢).

ومن المعروف أن عدداً كبيراً من الأشخاص الذين ينتمون لشعوب مختلفة دخل في الإسلام في إثر الفتوح، فجلب هؤلاء معهم عاداتهم وأساليبهم الثقافية، كما حكوا الشيء الكثير عن تاريخهم.

أضف الى ذلك، أن العرب احتكوا احتكاكاً مباشراً أيضاً بغير المسلمين، ولم يترددوا في الاستفادة من معارفهم ومؤسساتهم التربوية. وعندنا من الشواهد على ذلك ما ذكرناه عن الفتوى التي أعطاها يعقوب الرهاوي (٦٤٠ - ٧٠٨) للربان المسيحيين يسمح لهم فيها بتعليم أولاد المسلمين التعليم العالي (٦٣)، وعن اعتماد خالد بن يزيد على العلماء الروم في تكوينه العلمي والفلسفي (٦٤). وعندنا أيضاً أمثلة الصبيان المسلمين الذي تعلموا القراءة

---

(٦٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ص ١٥٦ - ١٥٧. عن السعدي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٧٢.

(٦٣) أحمد أمين: المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٦٤) المصدر نفسه: ص ١٣٣. عن ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢١١، وابن النديم: الفهرست، ص ٣٥٤.

والكتابة في الكتابيب التي أنشأها أبناء البلاد من العرب قبل الإسلام، على غرار الكتابيب الآرامية والفارسية التي كانت منتشرة في المنطقة.

وينقل لنا ابن عساكر الفكرة التي كَوَّنَهَا العرب عن الكتابيب الآرامية خلال ترجمة السيد المسيح، فيروي عن ابن عباس أنه .. « لما بلغ عيسى بن مريم السنة السابعة من عمره أسلمته أمه الكتاب عند رجل من المكتبيين يعلمه كما يعلم الغلمان، فكان لا يعلمه شيئاً إلا بدره عيسى الى علمه قبل أن يعلمه إياه. فعلمه أبا جاد (الأجدية). فقال عيسى ما أبو جاد؟ قال المعلم: لا أدري. ففسرها له عيسى قائلاً: ألف الأء الله، باء بهاء الله، جيم بهجة الله وجماله... فكان أول من فسّر أبا جاد عيسى بن مريم<sup>(٦٥)</sup>. وهكذا نعرف أن هذه الكتابيب كانت تابعة لأفراد مستقلين، وكانت تعلم الكتابة، لذلك كان المعلم فيها يسمّى «مكتّباً». وكان المعلم يبدأ بتعليم الحروف، ثم ينتقل منها على الأغلب الى المقاطع فالكلمات فالجمل.

أما الكتابيب الفارسية، فيذكرها ابن عساكر خلال ترجمتين:  
الأولى من حيث القدم، ترجمة عدي بن زيد بن حمّاد التميمي (ت ٥٩٠ م). وهو شاعر جاهلي عبادي (من نصارى الحيرة)، أرسله أبوه عندما أيفع الى كتاب العربية. حتى إذا حذق الكتابة بالعربية، عُني به مرزبان فارسي صديق لأبيه وأرسله مع ابنه الى كتاب الفارسية. فكان يختلف إليه مع هذا الابن ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية... وتوسّط له المرزبان فأدخله على كسرى، فكان عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى<sup>(٦٦)</sup>.

---

(٦٥) ابن عساكر: ج ١٤، ق ٣١٢ (١)، ترجمة: عيسى بن مريم.

(٦٦) المصدر نفسه: ج ١١، ق ١٥٣ (٢)، ترجمة: عدي بن زيد.

والثانية، ترجمة سلمان الفارسي (ت ٦٥٦/٣٦). من أهل قرية رامهرمز بالأهواز. كان أبوه من الأساورة، فأسلمه الى الكتاب، فكان ينطلق إليه مع غلمان قريته حتى تعلم كتابة الفارسية<sup>(٦٧)</sup>.

ويتبين من ذلك أيضاً أن عمل هذه الكتابيب أيضاً كان يقتصر على تعليم الكتابة. وقد عرف العرب هذه المؤسسات قبل الإسلام، وأنشأوا مؤسسات مماثلة تعلم الكتابة العربية في الحيرة والشام والجزيرة وشبه جزيرة العرب. وعندما جاء الإسلام عملوا على تكييفها لتلبية حاجات التعليم الديني. وهكذا ظهر نوع جديد من الكتابيب، سميت الكتابيب القرآنية، وهي إما أن تقتصر على تعليم القرآن أو تجمع بين تعليم قراءة القرآن والكتابة. ولكننا لا نستطيع تحديد زمان هذا التطور ومكانه بالضبط.

وإذا كانت المراجع العربية لم تذكر الكثير عن التعليم الابتدائي أو الأولي هذا، فإنها تحدثت بصورة أوفى عن مؤسسات البحث والتعليم العالي، وعن الحكام الذين أولوها رعايتهم، والرجال الذين عملوا فيها.

إن النموذج الذي استهوى خلفاء المسلمين من هذه المؤسسات هو «بيت الحكمة». وأول من أدخل هذا النموذج، كما يقول يوسف العث، هو معاوية ابن أبي سفيان. أما المكان الذي ظهر فيه فهو قصر «الخضراء» الذي سكنه معاوية بدمشق.

وقد تطور بيت الحكمة واتسع نشاطه على يد خالد بن يزيد بن معاوية. إلا أن اسمه اختفى كلياً أيام الروانيين، تاركاً وراءه مجرد «خزانة

---

(٦٧) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١٤٨ (٢)، ترجمة: سلمان الفارسي.

للكتب « أيام الوليد بن عبد الملك وخلفائه<sup>(٦٨)</sup> . وعندما عاد الى الظهور أيام المأمون، كان قد اتخذ صورته النهائية كمؤسسة شبه عامة، تضم الفعاليات الآتية:

١- جمع الكتب الأجنبية وترجمتها ودراستها والتعليق عليها وتأليف الكتب الجديدة باللغة العربية.

٢- دراسة الأفلاك والنجوم واستخدام المعارف المتأتية عن هذه الدراسة في الإجابة عن أسئلة المحكام حول مستقبلهم ونتائج أعمالهم.

٣- دراسة المشكلات المتعلقة بال عقيدة، وتبادل الآراء حولها بصورة شفوية، عن طريق المناظرات، أو تحريرية عن طريق كتابة الردود والرسائل<sup>(٦٩)</sup>.

ويمكننا أن نطلع على تصوّر العرب لهذه المؤسسة من خلال ما كتبه المؤرخون عنها. ففيما يتعلق باسم المؤسسة تذكر كتب التاريخ العربية أن المعابد المصرية القديمة كانت بيوتاً للحكمة، وكانت تحفظ كتب فلاسفة مصر القدماء من الطوفان والأعراض الطبيعية<sup>(٧٠)</sup>. ومن هذه المعابد معبد « سيراييس » بالاسكندرية الذي كان يقوم على عدد من الأعمدة منها « عمود الصواري »<sup>(٧١)</sup>.

---

(٦٨) نوقش هذا الموضوع بشيء من التفصيل في ترجمات خلفاء بني أمية.

- Youssef Eche: Bibliothèques..., P. 56; (٦٩)

- E.I.2: Vol. I, P. 1175, art: Bayt al-Hikma, par D. Sourdel.

- Youssef Eche: op. cit., P. 44. (٧٠) عن شيخ الرتبة، ص ٣٣.

(٧١) المصدر نفسه، عن المقرئ: خطط، ص ١٣٣ - طبعة فييت.

وقد أقام اليونان معابد مماثلة في مصر منها « معبد إخميم » في مصر العليا، وكان يطلق عليه اسم « دار الحكمة لقدماء اليونان »<sup>(٧٢)</sup>.

وعندما جاء البطالسة الى مصر أقاموا بالاسكندرية مكتبة ضخمة ضمت الكتب المصرية والفينيقية واليونانية وغيرها. وكانت هذه المكتبة مصنفة ومفهرسة بطريقة دقيقة تساعد الباحثين والطلاب الذين كانوا يفدون الى الاسكندرية طلباً للعلم. كما أقاموا إلى جانب المكتبة متحفاً متصلاً بالقصر، يضم قاعة ضخمة وحديقة نباتية علمية ومعملاً للكيمياء ومتحفاً للتشريح ومرصداً فلكياً وأجهزة علمية كثيرة<sup>(٧٣)</sup>.

وفما يتعلق بالعناية بهذه المؤسسة، تذكر المصادر العربية من بين عمال الاسكندر موظفاً باسم « صاحب بيت الحكمة »<sup>(٧٤)</sup>. وجدير بالذكر أن المأمون أطلق نفس الاسم على الموظف الذي كلفه العناية ببيت حكمته<sup>(٧٥)</sup>، أو ببيوت حكمته، كما يرى يوسف العث<sup>(٧٦)</sup>.

وتنسب كتب التاريخ العربية الى الحكام القدماء رعاية عدد من الأنشطة المتعلقة بالكتب وهي تتمثل في الجمع والترجمة والتأليف والحفظ.

---

(٧٢) المصدر نفسه، عن ابن النديم: الفهرست، ص ٢٣٨ ، ٣٥٢ .

(٧٣) محمود عبد الرزاق شفتق: تاريخ التربية، ص ٤٨ .

(٧٤) عن: عيون، ظاهرية، تاريخ، ٤٨، ١٩٤، (٥) Youssef Eche: op. cit., p. 45.

(٧٥) ابن عساكر: ج ١ (منجد)، ص ٤٥٦ . يذكر أحد أصحاب بيت الحكمة للمأمون، وهو الحسن بن مرآة الضبي، الملقب بالصنوبري.

(٧٦) Youssef Eche: op. cit., p. 46.

فهي تذكر مثلاً أن الاسكندر الكبير أرسل إلى مصر كل ما صادف خلال رحلاته من كتب علمية ومكتبات وعلماء<sup>(٧٧)</sup>. وأن بطليموس فيلادلفوس، ملك الاسكندرية، أرسل رجلاً يعرف بزميزه في طلب الكتب العلمية فجمع له ٥٤١٢٠ كتاباً<sup>(٧٨)</sup>.

كما تذكر أن أردشير بن بابك أرسل في طلب الكتب إلى الهند والصين واليونان، وأن ابنه حذا حذوه في ذلك<sup>(٧٩)</sup>.

ولدى وصول الكتب كان كل من هؤلاء الملوك يطلب ترجمتها إلى لغته، اليونانية أو الفارسية<sup>(٨٠)</sup>.

وبعد انتهاء المترجمين من عملهم، كان العلماء يبدأون كتابة الشروح والتعليقات على الكتب المترجمة وتأليف الكتب الجديدة. وهكذا درس اليونان الكتب التي جاءوا بها من بابل وعلقوا عليها<sup>(٨١)</sup>. كما كتب علماء الاسكندرية شروحاً لكتب اليونان وتعليقات حولها<sup>(٨٢)</sup>.

وتشير كتب التاريخ العربية أيضاً إلى أن هؤلاء الملوك كانوا يسعون لتكثير الكتب المترجمة والمؤلفة عن طريق النسخ، وأنهم كانوا يستخدمون نساخاً لأداء هذا العمل. فإن الاسكندر أمر بنسخ جميع الكتب التي وجدها

---

(٧٧) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٣٩.

(٧٨) المصدر نفسه: ص ٢٤٠.

(٧٩ - ٨١) المصدر نفسه: ص ٢٣٩.

(٨٢) القفطي: تاريخ الحكماء، ص ٧١، ٣٥٦.

في إصطخر<sup>(٨٣)</sup>. كما أمر سابور بأعداد نسخ من الكتب التي جمعها<sup>(٨٤)</sup>.

وفما يتعلق بعمل المنجمين يذكر المؤرخون العرب أن الملوك القدماء كانوا يُسكنون هؤلاء بيوت الحكمة ليكونوا على مقربة منهم من جهة، ولأن هذه المؤسسات تحتوي على الأدوات التي يحتاجونها في أبحاثهم، من جهة أخرى. فعندما احتاج أحد ملوك مصر إلى مشورة المنجمين استدعاهم من دار الحكمة<sup>(٨٥)</sup>.

وانطلاقاً من هذه الشواهد وغيرها، يستنتج يوسف العشي أن بيوت الحكمة العربية لم تكن نقلاً حرفياً عن المؤسسات التي أنشأتها الشعوب القديمة، إلا أن المعلومات التي وصلت للمؤرخين العرب عن اسم هذه المؤسسات وتنظيمها ونشاطها والرجال الذين عملوا فيها ساهمت إلى حد كبير في الشكل الذي اتخذته في عصرها الذهبي، عصر المأمون<sup>(٨٦)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن أخبار الفعاليات العلمية والفلسفية في المناطق المجاورة وصلت إلى الجزيرة العربية قبيل الإسلام. فالحارث بن كلدة، سافر إلى فارس في الجاهلية، ودرس الطب على أطباء جنديسابور وغيرهم. كما مارس مهنة الطب في فارس قبل عودته إلى الحجاز<sup>(٨٧)</sup>. وقد قام النضر بن الحارث برحلة مماثلة واكتسب معلومات واسعة

---

(٨٣)، (٨٤) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٣٩.

(٨٥) عن المقرئ: خطط، ج ١، ص ٣٦. 43. P. Youssef Eche, op. cit.,

(٨٦) - Ibid: PP. 43-44.

(٨٧) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٣٣.

وعندما وصل الأمويون إلى الحكم، حاولوا الحصول على معلومات أدق عن هذا النموذج، والافتداء به في عملهم الثقافي والتربوي. ومن الطبيعي ألا يتمكنوا من الاستفادة منه بصورة جيدة في تلك الفترة المبكرة من عمر الثقافة العربية الإسلامية. إلا أن جهودهم ساهمت في نضج هذه الثقافة وتبسيطها لتقبله في العصر العباسي الأول.

إن التقاء النماذج الثقافية الثلاثة التي ذكرناها في تربية أبناء الخاصة من المسلمين جعل دور الحكام الثقافي في القرون التالية متماثلاً في مختلف أرجاء العالم الإسلامي.

٦

فبالرغم من ظهور التمزق السياسي في الدولة، وتوزع المناصب الكبرى بين أفراد من أصول مختلفة، كان الولاة من عرب وفرنس وأتراك وأرمن وغيرهم، كما كان رؤساء الدويلات المحلية من طولونيين وإخشيديين وحمدانيين وغيرهم متماثلين من حيث التربية التي حصلوا عليها، والموضوعات الثقافية التي اهتموا بها، إلى الحد الذي يصعب معه التمييز بين رجال مثل: القاسم بن عيسى، أبي دُلف العجلي ذي الأصل العربي<sup>(٨٩)</sup>، وعبد الله بن طاهر ذي الأصل الفارسي<sup>(٩٠)</sup>، والفتح بن خاقان ذي الأصل التركي<sup>(٩١)</sup>، وجميع هؤلاء حكموا الشام وقاموا بنشاط بارز في مجال الثقافة والتربية.

---

(٨٨) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ٣٥٧.

(٨٩) ابن عساكر: ج ١٤، ق ٤٤٦ (١)، ترجمة: القاسم بن عيسى.

(٩٠) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٣٦ (٢)، ترجمة: عبد الله بن طاهر.

(٩١) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٨١ (١)، ترجمة: الفتح بن خاقان.

هذه هي المبررات التي جعلتنا نقول في بداية هذا القسم بأن الموالي، الذين اطمأنوا خلال العصر العباسي لحصولهم على مكانة ملائمة في الجماعة الإسلامية، وضعوا كل امكاناتهم الفكرية في خدمة الثقافة الناشئة التي عُرِضت عليهم، وساهموا في جوانبها المتصلة بالتراث العربي التقليدي، والتقدم العلمي الفلسفي بنفس الحماسة التي بدت منهم في المجال الديني.



القسم الثالث

الجوانب الكيفية والكمية في التعليم

# الجوانب الكيفية

## ١ - أهداف التعليم

بينما أخذ معظم القائمين على السلطة من الثقافة والتربية ما يهم أمور دينهم ودنياهم، عمل معظم علماء الإسلام في إطار مفهوم ديني صرف، اتخذ اسم « العلم ». فإذا كانوا يعنون بذلك؟

لقد كان « العلم » يعني في البداية، القرآن الكريم، كما يظهر من قول مُعَاذ ابن جبل (ت ١٨/٦٤٠).

« إن العلم مكانه لمن أراد بين لَوْحِي المصحف »<sup>(١)</sup>.

لكن هذا المفهوم اتسع سريعاً وضم الحديث أيضاً. فعندما أراد عمر بن الخطاب أن يختبر علم زياد بن أبي سفيان، سأله عن الفرائض والسنن والقرآن<sup>(٢)</sup>.

وعندما سئل الأوزاعي عن العلم أجاب: « العلم ما جاء عن أصحاب محمد

---

(١) ابن عساکر: ج ٤، ق ٤٥ (١)، ترجمة: الحارث بن عُمير.

(٢) المصدر نفسه: ج ٦، ق ١٨٧ (١)، ترجمة: زياد بن عُبَيْد، عُرِف باسم زياد بن أبي سفيان.

(ص)، وما لم يخيء عن أصحاب محمد فليس بعلم» (٣).

إن الهدف الوحيد لهذا العلم هو الحياة الأخرى. فهو كما يقول الشعبي:  
« ما يقرب الإنسان من الجنة ويبعده عن النار » (٤).

وبما أن العلم طريق السعادة في الحياة الأخرى، فهو أسمى من جميع  
الحاجات المادية التي تقود إلى السعادة في الحياة الدنيا.

يروى عقبة بن عامر الجهني (صحاحي ت ٦٧٨/٥٨) عن الرسول (ص)، أنه  
قال لأهل الصفة: « فلأن يغدو واحدكم إلى المسجد فيقرأ أو يتعلم آيتين، خير  
من ناقتين وثلاث وأربع، خير له من أعدادهن من الإبل » (٥).

كما أن طلب العلم أسمى من العبادة. يروى عن... أبي أمامة الباهلي،  
عن الرسول (ص): « من غدا إلى مسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه  
كان له كأجر حاج تاماً حجّه » (٦).

وعن الأوزاعي أنه قال: « من تعلم باباً من العلم كان أفضل من عبادة  
حوّل يصام نهاره ويقام ليله » (٧).

---

(٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(٤) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢١٦ (١)، ترجمة: عامر بن شراحيل الشعبي.

(٥) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢١٦ (٢)، ترجمة: عقبة بن عامر الجهني. جاء هذا  
الحديث في: مُسَلِّم، مسافرين، ٢٥١، على النحو التالي: « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد  
فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ».

(٦) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٢٤٢ (٢)، ترجمة: الخطاب بن سعد الخيري.

(٧) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٣٣٠ (٢)، ترجمة: عبد الله بن اسمعيل (ابن بنت  
الأوزاعي).

وقد روى الشيوخ في الشام عدداً من الأحاديث تحض على طلب العلم.  
منها:

- حديث رواه أحد محدثي الكوفة ينتهي سنده إلى صفوان بن عسال المرادي، قال: «أتيت رسول الله فقلت يا رسول الله، إني جيت أطلب العلم. قال الرسول (ص): «مرحبا بطالب العلم. إن طالب العلم لتحفه الملائكة وتظله بأجنحتها، ثم يركب بعضه بعضاً حتى يبلغوا سماء الدنيا من حُبهم ما يطلب»<sup>(٨)</sup>.

- أما الحديث الدمشقي في هذا الباب، فهو حديث طويل سُمي حديث العلم، رواه أبو الدرداء، وقصده الكثيرون لسماعه. ومما جاء فيه: «من خرج يريد علماً يتعلمه فُتِح له باب إلى الجنة... وللعالم من الفضل على العابد كفضل القمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السما. إن العلماء ورثة الأنبياء. إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد. موت قبيلة أيسر من موت عالم»<sup>(٩)</sup>. وقد روي هذا الحديث على عدة وجوه.

كما رووا أحاديث تحض على تعليم العلم، منها:

- حديث رواه أحد الحمصيين ينتهي سنده إلى أبي سعيد الخدري، قال رسول الله (ص): «إن الناس لكم تبع، وإن رجلاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»<sup>(١٠)</sup>.

---

(٨) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٥٢ (١)، ترجمة: المنهال بن عمرو، أبو عمرو الأسدي.

(٩) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢٤ (٢)، ترجمة: عثمان بن أمين الدمشقي.

(١٠) ابن عساكر، ج ٢، (س أ - ٢)، ق ٤٨١ (١)، ترجمة: إبراهيم بن العلا المروف بزبريق الحمصي.

- وحديث رواه الدارمي، يقول: « من سئل عن علم فكتمه،  
أُجِم بلجام من نار يوم القيامة »<sup>(١١)</sup>.

كما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: « ما أخذ الله على أهل الجهل أن  
يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا »<sup>(١٢)</sup>.

وقد كان شيوخ الشام يحسون مسؤوليتهم تجاه العلم الذي يحملونه، وكانوا  
يعملون على نقله إلى الآخرين قبل أن تعالجهم المنية. وعندنا عدة أمثلة على  
ذلك:

يروى أن أبا مالك الأشعري، وهو صحابي سكن الشام، جمع قومه  
فقال: « يا معشر الأشعريين! اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم، أعلمكم صلاة  
الرسول التي صلى بنا بالمدينة ». فاجتمعوا وجمعوا نساءهم وأبناءهم، فتوضأ  
فأراهم كيف يتوضأ، ثم أذن، وصف الرجال في أدنى الصف، وصف  
الولدان خلفهم، وصف النساء خلف الولدان، ثم أقام الصلاة...

وعندما حضرت أبا مالك الوفاة نادى: « يا معشر الأشعريين! ليبلغ  
الشاهد منكم الغائب، إني سمعت رسول الله يقول.... وروى حديثاً »<sup>(١٣)</sup>.

وحين شعر شداد بن أوس، وهو صحابي سكن بيت المقدس، بقرب  
وفاته، قال لجماعة كانت معه: « ما أراني إلا مفارقكم، فإن كسيتم من ثيابي  
أبليتموها، وإن زودتكم من زادي أفنيتموه، ولكن أزودكم حديثاً كان رسول

---

(١١) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٣١ (٢)، ترجمة: عثمان بن سعيد الدارمي السجزي.

(١٢) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

(١٣) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٤٦ (٢)، ترجمة: أبو مالك الأشعري.

الله يعلمناه في السفر والحضر». فأملى عليهم حديثاً فكتبوه<sup>(١٤)</sup>.

وقال ابن شهاب الزهري لتلاميذه: «إن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيّه عليه السلام، وأدب النبي(ص) به أمته، أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدي إليه، فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله»<sup>(١٥)</sup>.

\* \* \*

لم يهمل أهل الشام الأهداف الدينية، ولكن الأهداف الدنيوية، النفعية منها والمثالية، سرعان ما أخذت مكانها إلى جانبها. فقد رأى البعض في التربية وسيلة لكسب ود السلطان وعطائه، أو للحصول على المناصب والوظائف التي خصّ بها أهل العلم والأدب، كما رآها آخرون طريقاً للكمال الإنساني. على أن مفهوم الرجل الكامل تغير تدريجياً في الإسلام عما كان عليه في الجاهلية.

لقد بدأ العاملون في قطاعات خاصة بتحديد حاجاتهم التربوية، ونجح بعضهم في ذلك، كما يتبين لنا من رسالة عبد الحميد بن يحيى التي يقول فيها لزملائه في المهنة:

«فتنافسوا يا معشر الكتّاب في صنوف الآداب، وتفقهاوا في الدين. وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض، ثم العربية فإنها بقاف (عدة) ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما

---

(١٤) المصدر نفسه: ج ٨، ق ١ (٢)، ترجمة: شداد بن أوس الأنصاري.

(١٥) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

تسمو إليه هممكم. ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب  
الخراج....<sup>(١٦)</sup>.

ولكن الجهود في تلك الفترة لم ترقَ إلى تصنيف العلوم بحسب دورها في  
تكوين الإنسان المثالي أو الكامل في منظور الجماعة. وهذه المناقشة التي  
نعرضها تبين ذلك:

قال العلا بن جرير عن أبيه: « حضرت مجلس أبي الفضل البهراني،  
فذكروا العلوم،

- فقال قائل: علم القرآن!
- فقال أبو الفضل: أجلّ العلوم إلا أنه أخروي، قلّ ما ينفع في الدنيا.
- وقال قائل: الفقه!
- فقال (أبو الفضل): علم جليل قلّ ما يسلم حامله من الريا والعجب.
- وقال قائل: الحساب!
- فقال (أبو الفضل): علم حسن، وليس من علم أصحاب الدين.
- وقال قائل: علم الإعراب!
- فقال (أبو الفضل): علم لا يستغنى عن قليله، ولا يحتاج إلى كثيره.
- فقال له قائل: فقيم، أو لم؟
- قال: إن الشعر نعم العون على الدنيا.
- قالوا: وكيف؟
- قال: كان لمروان بن محمد (آخر خلفاء بني أمية) عريف على الشعراء  
يخبّر أشعارهم فيحسن لحسنهم ويذمّ مسيئتهم وينحي لهم فاسده. فسلمت عليه  
فقال: ممن الرجل؟ فقلتُ من بهرا. قال: وفيم جئت؟ قلت: أنا شاعر

---

(١٦) أحمد زكي صفوت: جبهة رسائل العرب، ج ٢، ص ٥٣٤.

«مشتاعر»، ولم يكن شعري حقيقياً مولا مرندولا . فقال: اعرب (بيتاً من الشعر)  
فأعربت، فأعطاني جائزته كجيرة» (١٧).

هذه المناقشة لا تعكس، كما نرى، تصوراً واضحاً للأهداف الدينية  
والدنيوية للتربية، ولدور العلوم المختلفة في تحقيقها.

وقد ساعد التقدم العلمي الذي شهده المجتمع العربي - الإسلامي في  
القرن الثالث الهجري على زيادة الوعي التربوي. ولكن تصنيفات العلوم له  
تظهر إلا في القرن الرابع مع الفارابي (ت ٣٣٩/٩٥٠) وكتابه «إحصاء  
العلوم».

### ٣ - مراحل التعليم

لقد استقى نظام التعليم الذي بدأ في التكوين منذ القرن الأول الهجري  
مواده وتسمياته من العناصر الثقافية الثلاثة التي أشرنا إليها وهي: الدين  
الإسلامي والتراث العربي التقليدي وأساليب العمل الدارجة في المناطق  
المفتوحة.

فعلى المستوى الابتدائي كان الصبيان يتعلمون الكتابة والقرآن ومبادئ  
النحو.

وعندما كان التلاميذ يتمكنون من هذه المواد والمهارات كانوا يسمعون  
الشعر والحديث، وكان بعضهم يستمر في الدراسة ويتعمق في واحدة أو أكثر

---

(١٧) ابن عساكر: ج ١٦، ق ٤٩٦ (٢)، ترجمة: مروان بن محمد، الخليفة الأموي.

من المواد الدينية أو الأدبية أو العلمية. وهذا التعمق في بعض المواد يقابل الدراسات العليا في أيامنا.

وفي « تاريخ مدينة دمشق » شاهدان على ذلك:

- قال الشعبي: لقيت أشعب فقلت له: ما بلغ من شؤمك؟

قال: بلغ من شؤمي أن أُمِّي ولدتني يوم قبض النبي (ص)، فلما فُطِمْتُ مات أبو بكر، فلما خُتِنْتُ قُتِلَ عمر، فلما دخلتُ الكتابُ قُتِلَ عثمان، فلما تعلّمتُ القرآن قُتِلَ عليّ، فلما تعلّمتُ الشعر قُتِلَ الحسين (١٨).

ولسنا بحاجة للتنبية إلى أن ربط هذه المراحل بالأحداث الخطيرة كان على سبيل النكته، فقد كان أشعب مشهوراً بالمزاح.

- قال واصل، وهو رجل من أهل دمشق: أُسِرَ غلام من (بين بطارقة) الروم. فلما صار إلى دار الإسلام، وكان ذلك في ولاية بني أمية، أخذه الخليفة وسماه بشيراً، وأمر به إلى الكتاب، فكتب وقرأ القرآن، وروى الشعر، وطلب الحديث، وحج<sup>(١٩)</sup>...

وهذه المراحل على ما يبدو هي المراحل التي كان يمر بها أبناء عامة المسلمين في تلك الفترة، وفيهم أهل الشام. وكان معظم هؤلاء يكتفون بالتعليم الابتدائي في الكتاب بالإضافة إلى سماع شيء من الشعر والحديث، إلا أن بعضهم كان يتجاوز ذلك ويحاول الوصول إلى مرتبة عليا ولاسيما في العلوم الدينية.

---

(١٨) المصدر نفسه: ج ٣، ق ٢٥ (٢)، ترجمة: أشعب.

(١٩) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤١٤ (١)، ترجمة: واصل.

وكان المحدثون والفقهاء يرون أن الركن الأساسي في التعليم الابتدائي هو تعلم القرآن، وكانوا يكتبون به كشرط لقبول الطلاب في حلقاتهم. فعندما كان الأوزاعي يرى حَدَثًا بين الجالسين في حلقة، كان يقول له: يا غلام! هل قرأت القرآن؟ فإن قال نعم اختبر حفظه، فإن تبين له أنه لا يعرف القرآن قال له: اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم<sup>(٢٠)</sup>.

## أ - التعليم الابتدائي

رأينا أن الكتايب العربية التي كانت في الشام قبل الفتح الإسلامي كانت تشبه الكتايب القائمة في الحيرة وفي جزيرة العرب من حيث أنها كانت تعلم الكتابة. وعندما تم الفتح أرسل العرب أبناءهم إلى هذه الكتايب، كما قاموا بافتتاح كتايب جديدة على نفس النمط.

وهذه هي شواهدنا على ذلك،

- قال أدهم بن محرز: إني أول مولود في الإسلام بمحمص، وأول مولود فُرض له بها، وأول مولود رأي في كَيْفٍ يَحْتَلِفُ بها إلى الكَتَّابِ، أتعلم الكتاب<sup>(٢١)</sup>.

- وقال إياس بن معاوية: كنتُ في مَكْتَبٍ بالشَّامِ، وكنتُ صبيًّا. فاجتمع النصارى يضحكون من المسلمين (بشأن الطعام في الجنة دون طرح الفضلات). قلتُ: يا معلم! أليس يُزَعَمُ أن أكثر الطعام يذهب في البدن؟ قال: بلى، قلت: فلم ينكر أن يكون الباقي يذهبه الله في البدن (أيضاً)؟ فقال

---

(٢٠) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(٢١) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ - ٢)، ق ٥٥٠ (أ)، ترجمة: أدهم بن محرز.

المعلم: أنت شيطان<sup>(٢٢)</sup>.

كان المعلمون، الذين يسمون بالمُكْتَبِين، يعلمون الكتابة عن طريق نسخ الأمثال والحكم. كما يتبين من المثال الآتي:

- قال عبد ربه بن سليمان: كتبت لي أم الدرداء في لوحٍ فيما تعلمني:  
تعلموا الحكمة صغاراً تعملوا بها كباراً.  
وإن لكل حاصد ما زرع من خير أو شر<sup>(٢٣)</sup>.

وقد انتشرت هذه الكتابات وعمت الشام بالرغم من ظهور الكتابات القرآنية. فنحن نصادفها في القرن الثالث الهجري في حرّان (الجزيرة)<sup>(٢٤)</sup>، وبيت لها (غوطة دمشق)<sup>(٢٥)</sup>، وفي دمشق نفسها<sup>(٢٦)</sup>.

ويصف ابن جبير في رحلته التي قام بها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أساليب أهل الشام في التعليم الابتدائي على النحو التالي:

«وتعلم الصبيان للقرآن بهذه البلدان المشرقية كلها، إنما هو تلقين، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها، تزيهاً لكتاب الله عز وجل عن ابتدال الصبيان له بالإثبات والمحو. وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حدة،

---

(٢٢) المصدر نفسه: ج ٣، ق ١١١ (٢)، ترجمة: إياس بن معاوية.

(٢٣) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٤٠٨ (١)، ترجمة: هجيمة بنت حَبِيّ، أم الدرداء.

(٢٤) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٤٢ (٢)، ترجمة: عثمان بن عبد الرحمن، المكتب، حرّان.

(٢٥) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥٥٦ (٢)، ترجمة: عبيد الله بن محمد، المكتب، بيت لها.

(٢٦) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٣٠٢ (١)، ترجمة: العباس بن عثمان، المكتب، كان يسكن حي الراهب بدمشق (١٧٦/٧٩٣ - ٢٣٩/٨٥٤).

والمكتب على حدة، فين فصل من التلقين إلى التكييب، لهم في ذلك سيرة حسنة. ولذلك ما يتأتى لهم من حسن الخط، لأن المعلم له لا يشتغل بغيره، فهو يستفرغ جهده في التعليم، والصبي في التعلم كذلك، ويسهل عليه لأنه بتصوير يجذو حذوه. (٢٧).

## الكتاتيب القرآنية

يبدو أن الكتاتيب القرآنية ظهرت بصورة مبكرة في الشام، كما تدل على ذلك المشاهد التي تعود لأيام معاوية (٢٨)، والوليد بن عبد الملك (٢٩).

وكان بعض معلمي هذه الكتاتيب من أكابر العلماء، كعبد الله بن زيد أبي قلابة الجرمي (ت ١٠٤/٧٢٣)، وهو من كبار المحدثين والفقهاء انتقل من البصرة إلى داريا، وأقام فيها مكتباً يعلم فيه الصبيان القرآن، بالإضافة إلى نشاطه التعليمي على المستوى العالي في مجال الحديث والفقهاء (٣٠).  
أما عن أساليب العمل في هذه الكتاتيب فنحن لا نملك إلا الشاهد الآتي:

- « كان عِطاف معلم كتاب مشهور بدمشق في القرن الثاني الهجري، لدرجة أن الزقاق الذي سكنه سُمي زقاق عِطاف.

---

(٢٧) ابن جبير: الرحلة، ص ٢٦١.

(٢٨) ابن عساكر: ج ٨، ق ١٣٠ (٢)، ترجمة: الضحاك بن قيس الأكبر (ت ٦٨٥/٦٥).

(٢٩) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١٦١.

(٣٠) ابن عساكر: ج ٩، ق ٩٧ (١)، ترجمة: عبد الله بن زيد، أبو قلابة الجرمي.

ويروى عن هذا المعلم أنه كان يعلم صبياً فيقول له: والعاديات ضبحاً، فيقول الصبي: والعاديات دبحاً. حتى إذا أعيا المعلم الأمر ضرب بأسفل اللوح نَحَرَ الصبي، فقال: يا معلم، ضبحتني ضبحتني. قال المعلم: فأين هذا الكلام من تلك الساعة؟<sup>(٣١)</sup>.

يتبين لنا من هذا الخبر أن تعليم القرآن كان يتم عن طريق التلقين، ولكن الصبيان كانوا فيما بعد يكتبون الآيات القرآنية على ألواحهم، وأن الجزء البدني كان معمولاً به، ولكن كحلٌ أخير.

كان القائم على الكتاب القرآني يسمى في البداية «معلماً» أو «مقرياً»، لتمييزه عن معلم الكتابة (المكّتب).

ولكننا نرى في القرن الثاني استعمال كلمة «مؤدب» لهذا النوع من المعلمين، مع أن كلمة مؤدب كانت محصورة في القرن الأول بمعلمي أبناء الخاصة. وهو من باب توسيع المفهوم، ولاسيما أن أعمال التأديب في القصور قد ضاقت في الشام بزوال العهد الأموي.

ويمكن تفسير ذلك أيضاً، بأن المعلم في الكتاب القرآني كان يعلم اللغة والنحو إلى جانب القرآن، كمواد مساعدة على حفظ القرآن. وهذه المواد تعد جرعاً مما كان يُسمّى آنذاك «الأدب». أو بأن تدريس القرآن على مستويين: مستوى أولي للصبيان، ومستوى عالٍ للكبار، جعل من الضروري التمييز بينهما بإطلاق اسم التأديب على المستوى الأولي، والإقراء على المستوى العالي. ولدينا عدة شواهد تؤيد ذلك:

---

(٣١) المصدر نفسه: ج ١١، ق ١٩٦ (٢)، ترجمة: عطف الدمشقي.

- كان عمرو بن ميمون بن مهران (ت ١٤٥/٧٦٣) مؤدباً. وكان يعلم القرآن والنحو بحسن مسلمة<sup>(٣٢)</sup>.

- كان عبيد الله بن محمد الكلبي مقرباً ومؤدباً، وكان يسكن قنطرة سنان بدمشق<sup>(٣٣)</sup>.

- كان أحمد بن نصر بن شاعر (ت ٢٩٢/٩٠٥) مقرباً ومؤدباً. كان يعلم القرآن بدمشق<sup>(٣٤)</sup>.

وإذا تركنا جانباً هذه الزمرة من معلمي الكتاتيب التي كانت موضع احترام الجماعة، فإن مكانة عامة معلمي الكتاتيب كانت دون مكانة مؤدبي الخاصة وغيرهم من العلماء. وكان هؤلاء موضع تندر الجماعة، كما تشير إلى ذلك الأمثلة التالية:

- عن عمرو بن مهاجر، أن «أبا الجيوب» كان مؤذن الضحاك بن قيس، (وهو على الأغلب، الضحاك بن قيس الأكبر، الذي خلف معاوية حتى وصول يزيد إلى دمشق) وكان معلم كتاب. فجاءه الضحاك، فلم عليه، فقال له «أبو الجيوب»: «إني لأحبك الله تعالى. فقال له الضحاك: وأنا والله أبغضك الله تعالى، فقال: ولم؟ قال: لأنك تبغي في أذانك، وتأخذ على تعليم الغلام أجراً. وفي رواية: لأنك ترى بشيء في التعليم وبشيء في التأذين<sup>(٣٥)</sup>.

---

(٣٢) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٤٤ (٢)، ترجمة: عمرو بن ميمون بن مهران.

(٣٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥٥٤ (١)، ترجمة: عبيد الله بن محمد الكلبي.

(٣٤) المصدر نفسه: ج ٢، ق ١٣٠ (١)، ترجمة: أحمد بن نصر بن شاعر.

(٣٥) المصدر نفسه: ج ٨، ق ١٣٠ (٢)، ترجمة: الضحاك بن قيس الأكبر، صحابي، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٩، ق ١٩٧ (٢)، ترجمة: أبو الجيوب، المؤذن.

ومن الواضح أن لقب أبي الجيوب الذي لُقّب به المعلم هو من قبيل التندر على طمعه، ولا سيما أن المسلمين لم يكونوا في تلك الفترة يجذون قبول الأجر على تعليم القرآن.

- قال سعيد بن عبد العزيز (أحد كبار فقهاء الشام): ما رأيت مؤدباً قط إلا معتوهاً. وقد كان لنا شيخ يؤذن على باب الفراديس، فأذن المغرب في يوم غيم (في غير ميعاده)، ثم مرّ بي فقال: كيف رأيت يا أبا محمد؟ وعلّق على ذلك قائلاً: هذا من ذاك (٣٦).

- قال عبد الرحمن، مؤدب ولد عبد الملك بن صالح: قال لي عبد الملك بعد أن خصّني وصيّرتني وزيراً بدلاً من قمامة.... «إني اتخذتك مؤدباً بعد أن كنت معلماً، وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعداً. ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه، لم تعرف رجحان ما صرت إليه» (٣٧).

وليس أدل على نقصان مكانة معلمي الكتاتيب من ذلك العدد الصغير الذي يذكره ابن عساكر منهم في تاريخه، خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

أما فيما يتعلق بمكان وجود هذه الكتاتيب القرآنية، فقد كان يفضل أن تكون خارج المساجد، لأن دخول الصبيان للمساجد يمكن أن يسيء إلى نظافة المسجد ويخلّ بالهدوء الضروري لإقامة الشعائر الدينية.

---

(٣٦) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٢٥ (١)، ترجمة: عمر بن عطا الرّعيني.

(٣٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٧٣ (١)، ترجمة: عبد الملك بن صالح، ولي دمشق والجزيرة أيام المهدي والرشيدي.

وقد رُوِيَ عن أوائل علماء الشام، أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبي أمانة الباهلي (وكلهم من الصحابة) أنهم سمعوا رسول الله يقول: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسلّ سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم، واجبروها في الجمع، واجعلوا على أبوابها المظاهر» (٣٨).

وكان المحدث عبد الوهاب بن بخت (استشهد ١١٣ هـ أو ١١٨ هـ بأرض الروم) إذا رأى الصبيان في المسجد يشتد عليه ذلك حتى لو يستطيع يأخذهم بيده ويخرجهم (٣٩).

ويبدو أن الضرورات العملية اضطرت الدمشقيين لتجاوز هذا المبدأ فيما بعد. يذكر ابن جبير في وصفه لجامع دمشق: «إن دهليز الباب الشمالي فيه زوايا، على مصاطب محدقة بالأعواد المشرجة، وهي محاضر لمعلمي الصبيان» (٤٠). وعن التعليم في هذا الجامع يقول ابن جبير: «وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم، كل يوم إثر صلاة الصبح، لقراءة سبع من القرآن دائماً، ومثله إثر صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية... وعند فراغ المجتمع السبعي من القراءة صباحاً يستند كل إنسان منهم إلى سارية، ويجلس أمامه صبي يلقيه القرآن....» (٤١).

ولكن هذا التنظيم الذي يذكره ابن جبير لا يرجع إلى الفترة التي ندرسها، لأننا لا نجد له ذكراً في «تاريخ دمشق»، سواء أكان ذلك في المجلد

---

(٣٨) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٨٦ (٢)، ترجمة: العلا بن كثير. روى الحديث عن مكحول عن الصحابة الثلاثة.

(٣٩) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥١٣ (١)، ترجمة: عبد الوهاب بن بخت.

(٤٠) ابن جبير: الرحلة، ص ٢٥٩.

(٤١) المصدر نفسه: ص ٢٦٠.

الأولى التي تعطي معلومات وافية عامة عن الأنشطة الثقافية التي تميزت بها المدينة، أم في ترجمات الأعلام الذين عملوا في تلك الفترة.

## ب- الدراسات العليا

كانت الدراسات العليا تتم بصورة رئيسة في المسجد، حيث كان كل شيخ يستند إلى عمود من أعمدة المسجد، ويتحلق حوله الطلاب على شكل دائرة (حَلَقَة).

كان بعض الشيوخ يدرّسون مادة واحدة، بينما كان آخرون يدرّسون عدة مواد. على أن هؤلاء وأولئك كانوا يتفوقون على توقيت لدروسهم يسمح للطلبة بالانتقال من مدرس إلى آخر للاستفادة من وقتهم إلى أبعد الحدود.

وكان الطلبة يختارون المواد الدراسية والشيوخ الذين يلتحقون بهم، بإرشاد من أقاربهم أو من الأساتذة الذين يثقون بهم.

قال سعيد بن عبد العزيز التنوخي (ت ١٦٧/٧٨٣): «كنت أجالس بالغدادة يزيد بن عبد الرحمن (أبي مالك)، وبعد الظهر إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وبعد العصر مكحولاً» (١٢).

هذه الملاحظات التي ذكرناها تنطبق على العلوم الدينية بصورة خاصة. أما علوم اللغة العربية، فلا نملك عنها فيما يتعلق بتعليم العامة سوى مثال سعيد ابن يزيد، الذي كان يذهب عند الشاعر الحمصي ديك الجن (ت ٢٣٥/٨٥٠)

---

(٤٢) ابن عساكر: ج ٧، ق ١١٤ (١)، ترجمة: سعيد بن عبد العزيز.

ليكتب شعره<sup>(٤٣)</sup>. ومثال نوفل بن الفرات، أبي الجراح العُقيلي (ت بعد ٧٦٠/١٤٢) الذي كانت له حلقة لدراسة الأدب في جامع حلب<sup>(٤٤)</sup>. أما الشاعر أبو تمام فقد قام برحلة إلى مصر والعراق ليلتقي بالشعراء وأهل الأدب وينمي موهبته الشعرية<sup>(٤٥)</sup>.

وفما يتعلق بالعلوم الأخرى، يروي ابن عساكر أن الزهري كان يجالس عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العذري ليتعلم منه الأنساب<sup>(٤٦)</sup>، وأن عبد الله بن عمرو بن العاص تعلم السريانية على رجل نبطي من اليرموك اسمه سرح أو سرح<sup>(٤٧)</sup>. وعندما سأل معاوية دغفل بن حنظلة عن الطريقة التي حصل بها معرفته بالعربية والأنساب والنجوم قال دغفل: بقلب عقول ولسان سؤول، أو بمفاوضة العلماء، كنت إذا رأيت عالماً أخذت منه وأعطيته<sup>(٤٨)</sup>.

ونظراً لندرة المعلومات حول الأنشطة المتعلقة بهذه المواد، فإننا سنقصر دراستنا على المواد الدينية.

---

(٤٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٢٦ (٢)، ترجمة: عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن.

(٤٤) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣٩٩ (٢)، ترجمة: نوفل بن الفرات.

(٤٥) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٥٤ (٢)، ترجمة: حبيب بن أوس، أبو تمام.

(٤٦) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن ثعلبة بن صُعير.

(٤٧) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٨ (١)، ترجمة: سرح اليرموكي.

(٤٨) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٣٥ (٢)، ترجمة: دغفل بن حنظلة السدوسي.

أ - القرآن

القرآن هو الوجه الأول للجماعة الإسلامية. ومن هنا كان الاهتمام بتعليمه كبيراً جداً.

ف عندما طلب والي الشام، يزيد بن أبي سفيان، من الخليفة أن يرسل إليه معلمين يعلمون أهل ولايته، حرص عمر بن الخطاب على اختيار هؤلاء المعلمين من الرجال الذين حفظوا القرآن في حياة الرسول (ص).

وبعد أن أمضى هؤلاء المعلمون فترة من الوقت في حمص توزعوا في المدن، فاستقر أبو الدرداء في دمشق، وعبادة بن الصامت في فلسطين.

كان أبو الدرداء يسمى معلم الشام، أو قارئ الشام. وقد قام بالمسؤولية التي كلفه بها الخليفة بصورة تثير الإعجاب.

قال أبو عبيد الله، مسلم بن مشكم: « قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندنا، يعني في مجلسنا هذا. فعددت ألفاً وست مائة ونيفاً. فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة، لكل عشرة منهم مقرئ. وكان أبو الدرداء قائماً يستفتونه في حروف القرآن، يعني المقرئين، فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحوّل إلى أبي الدرداء.

وكان أبو الدرداء يبتدىء في كل غداة إذا انفصل من الصلاة، فيقرأ جزءاً من القرآن، وأصحابه محذقون به يستمعون ألفاظه، فإذا فرغ من قراءته قام كل رجل منهم إلى موضعه وجلس على العشرة الذين أضيفوا إليه.

وكان ابن عامر (عبد الله بن عامر اليحصبي) مقدماً فيهم «(١٩)». وقال يزيد بن أبي مالك: «إن أبا الدرداء هو الذي سنّ هذه الحلق، يُقرأ فيها» (٥٠).

وقبل أن تأتيه الوفاة (٦٥٣/٣٢) (١٥١)، أوصى أبو الدرداء . معاوية بن أبي سفيان، والي الشام في حينه، بتعيين فضالة بن عبيد الأنصاري (صحابي ت ٦٧٩/٥٩) في المنصبين اللذين يشغلها بعد وفاته، وهما الإقراء والقضاء . فعمل معاوية بذلك (٥٢).

وقد شارك أشخاص بارزون في تعليم القرآن في تلك الفترة، نذكر منهم:  
- واثلة بن الأسقع الليثي، وهو صحابي استقر في دمشق (ت ٧٠٣/٨٣) (٥٣).

- سعد بن تميم السكوني، وهو صحابي استقر في أطراف دمشق. كان يقرأ القرآن بصوت عال فيسمع صوته في القرى المجاورة (٥٤).

- هُجَيْمَةُ بنت حَيْيٍّ، أم الدرداء، (ت ٧٠١/٨١). وهي فتاة يتيمة نشأت في حجر أبي الدرداء. وكانت تختلف مع أبي الدرداء إلى جامع دمشق، في برنس، تصلي في صفوف الرجال. وتجلس في حلق القراء تُعَلِّم القرآن. وحين بلغت مبلغ النساء تزوجها أبو الدرداء. وقال لها: إلهي بصفوف النساء (٥٥). وبعد وفاة أبي الدرداء كان مولاها خُلَيْد بن سعد يقرأ

(٤٩)، (٥٠) المصدر نفسه: ج ١ (منجد)، ص ٣١٥.

(٥١) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: عويمر بن زيد، أبو الدرداء.

(٥٢) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٩٢ (١)، ترجمة: فضالة بن عبيد الأنصاري.

(٥٣) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٠٩ (١)، ترجمة: واثلة بن الأسقع.

(٥٤) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٣٩ (١)، ترجمة: سعد بن تميم.

(٥٥) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٤٠٨ (١)، ترجمة: هُجَيْمَةُ بنت حَيْيٍّ.

القرآن في بيتها حيث يجتمع العديد من الطلبة والعلماء<sup>(٥٦)</sup>.

يتبين من هذه الشواهد أن بعض الشيوخ كانوا يقرءون القرآن من تلقاء أنفسهم شعوراً منهم بالمسؤولية إزاء التعليم الديني، وأن آخرين كانوا يقرءون بناء على تكليف من القائمين على السلطة، نظراً لأن توفير تعليم ديني جيد كان يعد من مسؤوليات الخليفة والولاة. يدلنا على ذلك ورود ذكر « مشيخة المسجد » و « مشيخة الجند » و « قارىء الجند »، في مواضع متعددة من « تاريخ مدينة دمشق » فيما يتعلق بهذه الفترة.

وقد اقترن لقب « قارىء الجند » في عهد معاوية باسم عطية بن قيس الكلبي (٦٢٩/٧ - ٧٢٩/١١٠ أو ٧٣٩/١٢١). وكان الناس يصلحون مصاحفهم على قراءته وهو جالس (أو وهم جلوس) على درج الكنيسة من مسجد دمشق قبل أن تهدم<sup>(٥٧)</sup>.

وفي عهد عبد الملك بن مروان، اتخذ الاهتمام بقراءة القرآن أشكالاً متعددة. كان على القضاء والقصاص في ذلك العهد، عايد الله بن عبد الله أبو إدريس الخولاني. فكانت حلق المسجد بدمشق يقرءون القرآن جميعاً، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد. فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ بها وأنصتوا له، وسجد بهم وسجدوا جميعاً بسجوده. وربما سجد بهم ثنتي عشرة سجدة، حتى إذا فرغوا من قراءتهم، قام أبو إدريس فقصّ. ثم قدموا القصص بعد ذلك وأخروا القراءة<sup>(٥٨)</sup>.

---

(٥٦) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٢٤٩ (١)، ترجمة خُليد بن سعد.

(٥٧) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢١٣ (٢)، ترجمة: عطية بن قيس الكلبي.

(٥٨) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٦١ (١)، ترجمة: عايد الله بن عبد الله، أبو إدريس الخولاني.

كما بدأت في عهد عبد الملك دراسة القرآن التي تُسمى «السُّبع»، تلك الدراسة التي وصفها ابن جُبَيْر في رحلته، قائلاً: «وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم، كل يوم، إثر صلاة الصبح، لقراءة سُبْع من القرآن دائماً.»<sup>(٥٩)</sup>.

وقد أحدث هذه الدراسة في دمشق، هشام بن اسمعيل الخزومي (والي عبد الملك على المدينة)، في قَدَمته على عبد الملك عام ٧٠٢/٨٢. فقد حَجَّبه عبد الملك، فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق، وعبد الملك في الخضراء. فأخبر أن عبد الملك يقرأ القرآن، فقرأ هشام بن إسمعيل، فسمعه عبد الملك وجعل يقرأ بقرائه، فقرأ بقرائه مولى لهشام، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا بقرائه<sup>(٦٠)</sup>.

وانتقلت قراءة السُّبع إلى فلسطين على يد الوليد بن عبد الرحمن الجرشي<sup>(٦١)</sup>.

وقد شارك في هذه الدراسة عدد كبير من القضاة والفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين، وأنكرها بعضهم ناسباً إياها إلى البدعة<sup>(٦٢)</sup>، ولكنها استمرت طوال قرون عدة، في نفس الموضع من المسجد وهو الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة، وفي نفس الوقت، إثر صلاة الصبح<sup>(٦٣)</sup>.

---

(٥٩) ابن جبیر: الرحلة، ص ٢٦٠.

(٦٠) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٩، ص ٨٠، ترجمة: هشام بن إسمعيل الخزومي، أيضاً:

- ابن عساكر: ج ٢ (منجد)، ص ٤٩.

(٦١) المصدر نفسه: ج ٢ (منجد)، ص ٥٠.

(٦٢) المصدر نفسه: ج ٢ (منجد)، ص ٥٢.

(٦٣) المصدر نفسه: ج ٢ (منجد)، ص ٥٠ - ٥١.

لا يعرف بالضبط، متى قدم دمشق قارىء قرشي اسمه المغيرة بن (أبي) شهاب الخزومي (ت ٧١٠/٩١)، قرأ القرآن على عثمان بن عفان. ولكننا نعرف أن تلميذه الدمشقي عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ٧٣٧/١١٨) كان قارىء الجند في عهد عبد الملك بن مروان، وغدا رئيس أهل المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك. وقد خصّه الوليد بموضع في المسجد بين الجنانة والقنطرة يقرء فيه القرآن<sup>(٦٤)</sup>.

وقد قام عبد الله بن عامر بنشر القراءة العثمانية في الشام، فحملت اسمه. وينسب له كتابان: «اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق»، و«المقطوع والموصول في القرآن»<sup>(٦٥)</sup>.

وهناك عدد من القراء اشتهروا في الشام في نهاية القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني الهجري، نذكر منهم:

- يونس بن ميسرة بن حلبس، وهو تابعي قرأ على أبي الدرداء وأم الدرداء. ووائله بن الأسقع، وأقرأ بدمشق، وعاش حتى ٧٥٠/١٣٢<sup>(٦٦)</sup>.  
- شهر بن حوشب، وهو دمشقي (ت ٧١٩/١٠٠)، قرأ القرآن في مكة

---

(٦٤) ابن عساكر: ج ٩، ق ١٤٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن عامر اليحصبي. فيما يتعلق بمكان القنطرة، أنظر:

- صلاح الدين المنجد (ناشر): مسجد دمشق، ص ١٤: القنطرة الرومانية كانت تقع عند الباب الشرقي، وقد هدمت في القرن السابع الهجري.

أما الجنانة فكانت تقع على رأي الأستاذ محمد دهان خلف لوحة الفيضاء التي تزين مسجد دمشق.

(٦٥) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٦.

(٦٦) ابن عساكر: ج ١٨، ق ٧٠ (٢)، ترجمة: يونس بن ميسرة.

والمدينة، وأقرأه في الجولان وحمص والبصرة<sup>(٦٧)</sup>.

- الحسن بن عمران العسقلاني، أقرأ بدمشق وواسط<sup>(٦٨)</sup>.

- ميمون بن مهران، وهو مولى نزل الرقة وأقرأ بها، وإن كان يغلب عليه الفقه، (ت ١١٦/٧٣٥). كان يقول: «يا أصحاب القرآن، لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتصمون به الريح في الدنيا، والتمسوا الدنيا بالدنيا، والتمسوا الآخرة بالآخرة». كما قال في رسالة لصديق له: «أما أنت فعليك بكتاب الله، فإن الناس قد نسوه واختاروا عليه الأحاديث»<sup>(٦٩)</sup>.

- الحارث بن يجمد الأشعري، ويزيد بن عبد الرحمن (أبي مالك) (ت ١٣٠/٧٤٨)، بعثها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى بني تميم يفقهانهم ويقریانهم، وأجرى عليها رزقاً. فأما يزيد فقبل الرزق، وأما الحارث فأبى أن يقبله. فكتب عمر بن عبد العزيز: «إنّا لنعلم بما صنع يزيد، وأكثر الله فينا من أمثال الحارث بن يجمد». وكان كلاهما قاضياً<sup>(٧٠)</sup>.

- بلال بن سعد، وهو ابن القاريء الصحابي، الذي مرّ ذكره، سعد بن تميم السكوني. كان إمام الجامع بدمشق، وكان جهير الصوت كأبيه، فكان إذا كبرّ سمع صوته من الأوزاع (محلة خارج سور دمشق)، وإذا قرأ سمعت قراءته من عقبة الشياحين<sup>(٧١)</sup>.

---

(٦٧) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٤٦ (٢)، ترجمة شهر بن حوشب.

(٦٨) المصدر نفسه: ج ٤، ق ١٦٨ (١)، ترجمة: الحسن بن عمران.

(٦٩) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣٢٩ (٢)، ترجمة: ميمون بن مهران.

(٧٠) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٥٢ (١)، ترجمة: الحارث بن يجمد، أيضاً.

- المصدر نفسه: ج ١٨، ق ١٥٦ (٢)، ترجمة: يزيد بن عبد الرحمن (أبي مالك).

(٧١) المصدر نفسه: ج ٣، (دهان)، ص ٣٥٤، ترجمة: بلال بن سعد.

- عثمان بن أبي العاتكة الدمشقي (ت ١٤٩/٧٦٦). كان مقري أهل دمشق ومعلمهم، وكان أهل دمشق يسمون المقري معلماً<sup>(٧٢)</sup>.

\* \* \*

استمر تعيين قرّاء للجند في القرن الثاني. فشغل هذا المنصب في النصف الأول من هذا القرن يحيى بن الحارث الذماري (ت ١٤٥/٧٦٣)، وقد قرأ القراءة العثمانية على عبد الله بن عامر اليحصبي. وعندما كبر في السن حلّ محله مروان أبو عبد الملك<sup>(٧٣)</sup>. وكان يحيى في آخر عمره يقف في المسجد خلف الأئمة ويرد عليهم إذا غفلوا<sup>(٧٤)</sup>.

أما القارئان الأخيران اللذان اقترن اسمهما بمهمة قارئ الجند فهما: أيوب بن تميم التميمي (ت بعد ١٩٠/٨٠٦)، وأبو خليل الدمشقي<sup>(٧٥)</sup>. وقد أعطت الشام في الفترة التالية عدداً كبيراً من القراء الذين اشتهروا بالقراءة العثمانية، نذكر منهم:

- صدقة بن خالد، دمشقي (ت ١٨٠/٧٩٦)<sup>(٧٦)</sup>.

- عراك بن خالد، دمشقي<sup>(٧٧)</sup>.

---

(٧٢) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٣٦ (١)، ترجمة: عثمان بن أبي العاتكة.

(٧٣) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٥٠٥ (١)، ترجمة: مروان، أبو عبد الملك.

(٧٤) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٢٣ (١)، ترجمة: يحيى بن الحارث الذماري.

(٧٥) المصدر نفسه: ج ٣، ق ١٣٤ (٢)، ترجمة: أيوب بن تميم.

(٧٦) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٨٨ (٢)، ترجمة: صدقة بن خالد.

(٧٧) المصدر نفسه: ج ١١، ق ١٦٤ (١)، ترجمة: عراك بن خالد.

- مدرك بن أبي سعد الفزاري، دمشقى (٧٨).
- يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي من بيت لهيا (ت ٧٩٩/١٨٣) (٧٩).
- الوليد بن مُسلم، دمشقى (ت ٨١١/١٩٥)، وكان يقول: « لا تقرأوا القرآن إلا على من قرأه على الرجال » (٨٠).
- محمد بن شعيب بن شابور، سكن دمشق ثم بيروت (ت ٨١١/١٩٦) (٨١).
- الوليد بن عُتبة الأشجعي، دمشقى (ت ٨٥٥/٢٤٠)، وكان يقرأ القرآن في مجلس أستاذه الوليد بن مُسلم (٨٢) ..
- هشام بن عمار، أبو الوليد السُّلمي، دمشقى (ت ٨٦٠/٢٤٥). ألف كتاباً بعنوان « فضائل القرآن » (٨٣).
- عبد الحميد بن بكار السلمي، دمشقى انتقل إلى بيروت (٨٤).
- عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان، دمشقى (ت ٨٥٧/٢٤٢)، قرأ القراءة الشامية على أيوب بن تميم. وحين قدم الكسائي الشام أقام عليه سبعة أشهر وقرأ عليه القرآن أكثر من مرة، فكان القارىء الأول في زمانه في جميع

- 
- (٧٨) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٤٧٠ (١)، ترجمة: مدرك بن أبي سعد.
- (٧٩) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٢٧ (١)، ترجمة: يحيى بن حمزة بن واقد.
- (٨٠) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧١ (٢)، ترجمة: الوليد بن مُسلم.
- (٨١) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٣٧ (١)، ترجمة: محمد بن شعيب بن شابور.
- (٨٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٦١ (١)، ترجمة: الوليد بن عُتبة.
- (٨٣) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٩، ص ٨٦. هذه الترجمة ناقصة في ابن عساكر مع عدد من الأسماء التي تبدأ بحرف الهاء.
- (٨٤) ابن عساكر: ج ٩، ق ٢٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الحميد بن بكار.

الأقطار الإسلامية. وقد صنف كتاباً حول « أقسام القرآن » (٨٥).

ومن الغريب أن ابن عساكر لا يذكر الكسائي (ت ١٨٩/٨٠٥) فيمن زار الشام، ولا يشير إلى مقامه بدمشق هذه المدة الطويلة. وفي نهاية القرن الثالث الهجري، برز اسم أحمد بن نصر بن شاكر الدمشقي (ت ٢٩٢/٩٠٥). وقد جمع هذا القارئ بين القراءة العثمانية الشامية وقراءة عاصم، كما جمع بين تعليم القرآن للصبيان وتعليمه على المستوى العالي بالقراءتين (٨٦).

وجدير بالذكر أن أهل الشام الذين أعطوا هذا الاهتمام الواسع لقراءة القرآن، لم يكن لهم نشاط بارز في مجال التفسير.

ولم يذكر « تاريخ مدينة دمشق ». خلال القرون الثلاثة، إلا مفسراً واحداً هو سعيد بن بشير الدمشقي (ت ١٦٨/٧٨٥). وقد اتهم سعيد هذا بالقدرية، فانقسم الشيوخ تجاهه ففتن: فئة فيها هشام بن عمار ترى ترك الرواية عنه، وفئة أخرى فيها الوليد بن مسلم وسعيد بن عبد العزيز ترى الاستفادة منه لصدقه في الحديث وجودة تفسيره. وقد تناقل أهل دمشق تفسيراً مصنفاً من رواية الوليد عنه (٨٧).

---

(٨٥) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٣١٦ (١)، ترجمة: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان أيضاً:

- عمر رضا كحاله: معجم المؤلفين، ج ٦، ص ٢١.

(٨٦) ابن عساكر: ج ٢، ق ١٣٠ (١)، ترجمة: أحمد بن نصر بن شاكر.

(٨٧) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٧٧ (٢)، ترجمة: سعيد بن بشير، أبو عبد الرحمن الأزدي.

جاء في الموسوعة الإسلامية: «الحديث والسنة، في لغة أهل الحديث، تعني صفات الرسول (ص) وأفعاله وأقواله وموافقته الضمنية على الأقوال والأفعال التي تمت بحضوره» (٨٨).

وجاء في كتاب «السنة قبل التدوين» لمحمد عجاج الخطيب: «السنة في اصطلاح المحدثين، هي كل ما أثر عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

ويقصد بالتقرير، كل ما أقره الرسول مما صدر عن بعض أصحابه من أفعال أو أقوال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته واطهار استحسانه وتأيبه.

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي» (٨٩).

وجاء في المرجع نفسه، أن السنة تطلق أحياناً عند المحدثين وعلماء أصول الفقه على ما عمل به أصحاب النبي سواء أكان ذلك في الكتاب الكريم، أو في المأثور عن النبي، أم لا. ويحتج لذلك بقول الرسول (ص): «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» (٩٠).

وقد سار تعلم الحديث وتعليمه بصورة متوازية مع تعلم القرآن وتعليمه. ذلك أن الصحابة كانوا يستظهرون آيات القرآن، ويتذكرون في الوقت نفسه

---

- E. I. 2: Vol. III, P. 24, art: Hadith, par J. Robson. (٨٨)

(٨٩) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ص ١٦.

(٩٠) المصدر نفسه: ص ١٨.

الشروح والتفسير الذي يعقب به الرسول على هذه الآيات تسهلاً لحفظها .  
أضف إلى ذلك أن الرسول كان يُسأل عن مسائل كثيرة فيجيب عنها ، وكان  
يعقد المجالس يعلم فيها القرآن ومبادئ الدين والسلوك الذي يتمشى معها ،  
فكان المؤمنون يتبادلون هذه المعارف ويعملون على تطبيقها في سلوكهم  
الشخصي .

وعندما خشي علماء الأمة على هذه المعلومات من الضياع والتحريف  
راحوا يجمعونها بعناية . وهكذا أصبح الحديث الموجّه الثاني للجماعة  
الإسلامية بعد القرآن .

كانت المسؤولية كبيرة ، لأن هذا العمل تم بعد وفاة الرسول (ص) . لقد  
ظهرت خلاله مشكلات عديدة ، واتخذت بشأنها حلول معينة . وامتد هذا  
العمل على طول القرون الثلاثة الأولى ، خرج الحديث منها ظافراً كعلم له  
موضوعه المحدد وطرائقه الخاصة .

#### ١ - تدوين الحديث

لم يكن من السهل على المسلمين الوصول إلى إجماع حول هذا الموضوع في  
البداية . فقد كان كل من مؤيديه ومعارضيه يمتلك حججاً قوية تدعم موقفه .  
كان همُّ الجميع تثبيت آيات القرآن الكريم في الأذهان ، فكان بعضهم يرى أن  
ينصرف المؤمنون كلية لكتاب الله وألا يخلطوا به شيئاً قولاً أو كتابة ،  
والكتابة أشد خطراً<sup>(٩١)</sup> . وكان البعض الآخر يرى أن تقييد العلم بحول دون

---

(٩١) فيما يتعلق بموقف عمر بن الخطاب من تدوين الحديث ، أنظر: القسم الثاني ،  
نموذج الرسول (ص) والخلفاء الراشدين .

تحريفه، ويستند إلى الحديث الشريف: « قيدوا العلم بالكتاب »<sup>(٩٢)</sup>. وبما أن القرآن قد دوّن منذ حياة الرسول (ص)، فإن خطر اختلاطه بالحديث قد استبعد كلياً.

وقد سار هذان التياران جنباً إلى جنب طوال القرنين الأول والثاني للهجرة في جميع الأقطار الإسلامية. وسنقتطف هنا بعض الأمثلة التي تتعلق بعلماء الشام:

- فقد سأل أبو إدريس الخولاني (دمشق - ت. ٨٠ / ٧٠٠) ابنه: أتكتب شيئاً مما تسمع مني؟ فقال نعم، قال فاتي به، فأتاه به فحرقه<sup>(٩٣)</sup>.

- أما حريز بن عثمان الرّجعي (حمص - ت ١٦٣ / ٧٨٠)<sup>(٩٤)</sup>، وسعيد بن عبد العزيز التنوخي (دمشق - ت ١٦٧ / ٧٨٤)<sup>(٩٥)</sup> فلم يكتبوا شيئاً أثناء طلبها العلم، ولكنها سمحا للطلبة بالكتابة عنهما. على أن عادة املاء الأحاديث وكتابتها بدأت في دمشق منذ القرن الأول.

- قال معروف الخياط: « رأيت وائلة بن الأسقع (صحابي - ت ٨٥ / ٧٠٤) يلي على الناس الأحاديث وهم يكتبونها بين يديه »<sup>(٩٦)</sup>.

(٩٢) ابن عساكر: ج ١٢، ق ٣٢٩ (١)، ترجمة: عمران بن موسى (حديث ينتهي سنده إلى عبد الله بن عمرو).

(٩٣) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ - ٢)، ق ٥٣٢ (١)، ترجمة: إدريس بن أبي إدريس الخولاني.

(٩٤) المصدر نفسه: ج ٤، ق ١٠١ (٢)، ترجمة: حريز بن عثمان.

(٩٥) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٤ (١)، ترجمة: سعيد بن عبد العزيز.

(٩٦) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٠٩ (١)، ترجمة: وائلة بن الأسقع.

- وقال شيخ من القرن الأول: «عهدت المسجد الجامع بدمشق، وأن عند كل عمود شيخاً، وعليه الناس يكتبون العلم» (٩٧).

ومع نهاية القرن الثاني، لم تعد هذه المشكلة موضع بحث، فقد طال الإسناد، كما قال مروان بن محمد الطاطري، واضطر الناس للرجوع إلى الكتب (٩٨).

## ٢ - الصدق في الحديث

لم يكن الصحابة موضع شك فيما يتعلق بالأحاديث التي رووها عن الرسول (ص). ومع ذلك اعترض عمر بن الخطاب على إكثار بعض الصحابة منها، وقال على رواية الزهري: «أقلوا الحديث عن رسول الله إلا فيما يعمل به» (٩٩). ويذكر أنه حبس الكثيرين من الصحابة في المدينة، ليكونوا تحت رقابته (١٠٠).

وقد تبنى معاوية كما رأينا، موقف عمر ونادى بالإقلال من الحديث (١٠١). إلا أن أهل الشام لم يكونوا ليكتفوا بالقليل في هذا المجال، شأنهم في ذلك شأن سائر أفراد الجماعة الإسلامية. لذلك اتخذ العلماء معايير

---

(٩٧) المصدر نفسه: ج ١ (منجد)، ص ٣١٥.

(٩٨) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٤٩٥ (١)، ترجمة: مروان بن محمد الطاطري.

(٩٩) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٦٧ (١)، ترجمة: أبو هريرة الدوسي.

(١٠٠) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢١٦ (٢)، ترجمة: عقبة بن عامر الجهني.

(١٠١) أنظر القسم الثاني، ترجمة معاوية.

لضمان صحة الأحاديث التي تتناقلها الجماعة، منها ما يتعلق بمضمون الحديث، ومنها ما يتعلق برواته، والشواهد التالية تعرفنا على هذه المعايير:

- سأل أحد الطلبة أستاذه الأوزاعي: « هل تقبل كل ما أتانا عن رسول الله؟ »، فأجاب الأوزاعي: « لا تقبل إلا ما صدقه كتاب الله »<sup>(١٠٢)</sup>. وقال الوليد بن مسلم: سمعت الأوزاعي يقول: « إنا كنا لنسمع الحديث فنعرضه على أصحابه كما نعرض الدرهم الزائف على الصيارفة، فما عرفوا أخذنا، وما أنكروا تركنا »<sup>(١٠٣)</sup>.

هذا فيما يتعلق بالمضمون، أما الرواة فكان من الضروري أن تتوافر فيهم صفات خلقية وعقلية متميزة.

- قال مروان بن محمد الطاطري (دمشق - ت ٨٢٦/٢١٠): « ثلاثة ليس لصاحب الحديث عنها غنى: الحفظ والصدق وصحة الكتب. فإن أخطأت واحدة كانت فيه اثنتان لم تضره، إن أخطأ في الحفظ ورجع إلى صدقه وصحة كتبه لم يضره ذلك »<sup>(١٠٤)</sup>.

وحرصاً على سماع الحديث على أفضل الرجال، كان طلبه الحديث في الشام يرجعون إلى الشيوخ الموثوقين في بلدهم، ويسألونهم النصح فيمن يسمعون منه.

- قال الوليد بن مسلم: « كنت إذا أردت آتي الشيخ أسمع منه، سألت

---

(١٠٢) ابن عساكر: ج ١٧، ق ٢٥٤ (٢)، ترجمة: منيب الأوزاعي، وهو منيب بن أيوب على الأرجح.

(١٠٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(١٠٤) المصدر نفسه: ترجمة مروان بن محمد الطاطري.

عنه قبل أن آتية الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، فإذا أمراني به.  
أتيته» (١٠٥).

وهذه الصلة الدائمة بين الطلبة وكبار الشيوخ كانت تعرف الطلبة على أصحاب الحديث، وتساعدهم على تمييز الأحاديث القوية لتثبيتها في كتبهم.

### ٣- الانتخاب

أثارت عملية الانتخاب أو الالتقاء مشكلة تتصل بطرائق التعلم والبحث في جميع العصور وفي جميع المواد الدراسية.

وتتلخص هذه المشكلة في مجال الحديث فيما إذا كان من الأفضل للطالب أن يقوم بالانتخاب أثناء السماع ويقتصر على تسجيل المادة المنتخبة، أم أن يسجل كل ما يسمع ثم ينتخب بعد إمعان النظر والروية.

- قال سليمان بن موسى (دمشق - ت ١١٥/٧٣٤) بهذا الشأن: «تجلس إلى لعالم يليه رجل يكتب كل ما يسمع فذاك حاطب ليل، ورجل يسمع ولا يكتب فذاك جليس العالم، ورجل يتنقى وهو خيرهم».

ويؤكد سليمان بن موسى رأيه بقوله عن الصنف الثاني: «جليس العالم الذي لا يحفظ شيئاً فليس بشيء»؛ وعن الصنف الثالث: «أما الذي يتنقى العلم فهو العالم» (١٠٦).

---

(١٠٥) ابن عساكر: ج ١٧، ق ٤٧١ (٢)، ترجمة: الوليد بن مسلم.

(١٠٦) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٥٦ (٢)، ترجمة: سليمان بن موسى.

- أما الأوزاعي فكان يرى: « أن يتعلم الطالب ما لا يؤخذ به، كما يتعلم ما يؤخذ به » (١٠٧)

ويعرض يحيى بن معين، أحد محدثي العراق، رأياً قريباً من هذا فيقول: « إذا كتبتَ فعمَّش، وإذا حدَّثتَ ففتش » (١٠٨). لأن الكتابة أثناء السماع تزوّد الطالب بمادة وافرة يستطيع أن يرجع إليها حين الحاجة، ويستخدمها في مجالات شتى لأغراض متعددة. لذلك يقول يحيى بن معين أيضاً: « سيندم المنتخب في الحديث حين لا تنفعه الندامة » (١٠٩).

وقد كتب هذا المحدث خلال حياته ١١٤ قمطراً و٤ جباب شرايية مملوءة كتباً (١١٠). وأحسن الاستفادة من كل حرف كتبه، لأنه كان يمتلك فكراً نقدياً سليماً. ولكن الذين لم يمتلكوا هذا الفكر النقدي تأرجحوا بين الصدق والكذب، والقوة والضعف، فكانوا أهلاً للثقة عندما يروون عن الثقات، وضعفاء حين يروون عن الضعفاء.

#### ٤- الشكل والمضمون

منذ نشأة الحديث تساءل أصحابه عما إذا كان من الضروري التركيز على الشكل أم على المضمون. كان البعض يروي الحديث بنصّه وحرفه والحركات والأفعال التي رافقته، والبعض الآخر يكتفي بإيراد معناه.

كان من الواضح أن التقييد بالنص لا يمكن أن يتم في ظروف الرواية

---

(١٠٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(١٠٨ - ١١٠) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٨٩ (١)، ترجمة: يحيى بن معين.

الشفوية. وقد شعر الرسول(ص) بهذه الصعوبة فسمح برواية الحديث على المعنى:

- يروى أن جماعة جاءوا رسول الله وقالوا: « بأينا أنت وأما يا رسول الله، إنا نسمع منك الحديث ولا نقدر على تأديته كما سمعناه منك ». فقال الرسول (ص): « إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس » (١١١).

- وعن مكحول قال: « دخلت أنا وأبو الأزهر على وائلة بن الأسقع فقلنا: يا أبا الأسقع حدثنا مجديث سمعته من رسول الله، ليس فيه وهم ولا تردد ولا نسيان، فقال: هل قرأتم من القرآن الليلة شيئاً؟ فقلنا: نعم. قال: فهل زدتم واواً أو ألفاً أو مثلها؟ فقلنا: ما نحن له بمحافظين جداً، إنا لنزيد الواو والألف وتنقص. قال: فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألون حفظه، وأنتم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله، عسى ألا نكون سمعناها منه إلا مرة واحدة. حسبكم إذا جئناكم بالحديث على معناه » (١١٢).

- وعن وائلة قال: إنا كنا قد أمسكنا عن الأحاديث على عهد رسول الله حتى سمعناه يقول: « لا بأس بالحديث قدمت فيه أو أخرت إذا أصبت معناه » (١١٣).

وكان أبو الدرداء يسير على هذا النهج. وكان يقول بعد نهاية الحديث:

---

(١١١) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٤٧ (١)، ترجمة: محمد بن العباس، المعروف بابن البردعي الأطرابلسي.

(١١٢)، (١١٣) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٠٩ (١)، ترجمة: وائلة بن الأسقع.

هذا، أو نحوه وشبهه وشكله<sup>(١١٤)</sup>.

ولكن الاعتماد المتزايد على الكتب، دعم موقف الذين يطالبون بالتقيد بنص الحديث مع ذكر رواياته المختلفة وسلاسل الرواة. ومن أوائل محدثي الشام الذين اشتهروا بإعادة الحديث على حروفه: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري<sup>(١١٥)</sup>، ورجاء بن حيوة<sup>(١١٦)</sup>، وكلاهما معروف بتدوين الحديث.

## ٥- طرائق التعليم

كانت طرائق التعلم والتعليم في الحديث متعددة ومتفاوتة من حيث أهميتها وتقدير المدرسين والدارسين لها. ويمكن ترتيبها على النحو التالي:

- السماع: ويعني سماع المعلم يروي من الذاكرة. أو يقرأ من كتاب. ويأتي في رأي البعض في طليعة الطرائق من حيث المرتبة، لأنه يتيح للطالب أن يطلع على الحديث الذي يرغب في تعلمه نصاً ولفظاً. ويعترض بعض العلماء عليه لأن الطلاب لا يستطيعون استيعاب المعلومات بمجرد سماعها، لذلك يلجأون لتخصيص ساعات إضافية يملون فيها ما سبق لهم أن أسمعوه، وبذلك يتأكدون من سلامة الأخذ أو النقل.

وقد عمد قسم آخر من الشيوخ للاملاء مباشرة، فأضافوا محاسن التدوين إلى محاسن الرواية الشفوية.

---

(١١٤) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: عويمر بن قيس، أبو الدرداء.

(١١٥) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم.

(١١٦) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٨٧ (٢)، ترجمة: رجاء بن حيوة.

- العَرَض: وهو قراءة الطالب أمام المعلم، أو مراجعة المعلم للنصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها.

وتتيح هذه الطريقة للمعلم الاطلاع على مدى ضبط الطالب للحديث الذي يريد روايته عنه. وقد تستخدم بصورة مستقلة، أو مساعدة للطريقة السابقة.

- الإجازة: وتعني سماح المحدث لشخص آخر بالرواية عنه. وهي دون الطريقتين السابقتين من حيث المرتبة.

وقد تكون الإجازة محدودة بأحاديث معينة، أو عامة تشمل جميع المادة التي حدّث بها أو صنّفها.

وقد تكون الإجازة شفوية أو تحريرية. والإجازات الشفوية أسبق إلى الظهور من الإجازات التحريرية.

ومن أشكال الإجازة:

- أن يأتي أحدهم إلى المحدث ويطلعه على معلومات اقتبسها من مصنفاته، ويطلب منه أن يتأكد مما تحويه، ويسمح له بروايته.

- أن يسمح المحدث لأحدهم بأن يروي جزءاً من، أو كل ما تعلمه وسمعه في حياته.

- أن يسمح شخص لآخر برواية ما حصل عليه عن طريق الإجازة.

- المناولة: وهي شكل من أشكال الإجازة يتم بالأسلوب التالي:

يقدم المحدث بعض كتبه أو كلها لطالب أو لعالم آخر منسوخة بخط يده، ويذكر له المحدثين الذين أخذ عنهم المادة، والأسلوب الذي حصل بواسطته عليها. ثم يسمح له برواية ما في هذه الكتب.

- المراسلة: وهي شكل آخر من أشكال الإجازة يتم بالأسلوب التالي:  
يرسل المحدث أحاديث معينة أو أجزاء من كتب مخطوطة إلى شخص  
آخر ويسمح له بروايتها.

- الوصية: يوصي المعلم بكتبه إلى أحد تلاميذه أو أقاربه أو معارفه،  
فتؤول إليه بعد وفاته.

- الوجدادة: وفيها يعثر العالم على كتاب، أو يشتري كتاباً من الوراقين،  
ويروي ما وجد فيه.

وقد أصبحت هذه الطريقة ممكنة بعد انتشار الكتب، وتوفر نسخ  
مضبوطة منها<sup>(١١٧)</sup>.

هذه الطرائق هي طرائق عامة، ظهرت في مختلف أرجاء العالم  
الإسلامي. ولكننا نصادف لدى علماء الشام بعض المواقف والأساليب  
المتميزة ضمن هذه الطرائق.

- قال يحيى بن معين: « كان صدقة بن خالد (دمشق- ت ١٧١ أو  
٧٨٧/١٨٠ أو ٧٩٦) يكتب عن المحدثين في ألواح، وأهل الشام (عادة) لا  
يكتبون عند المحدث. إنهم يسمعون ثم يجيئون إلى المحدث فيأخذون بسماعهم  
منه »<sup>(١١٨)</sup>.

وإذا كانت هذه طريقة أهل الشام، فإن البعض أساء استخدامها. هذا  
على الأقل ما نستنتجه من هذا الشاهد:

---

(١١٧) أنظر أيضاً E.I.2: Vol. III, P. 24, art: Hadith, par J. Robson.

- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ص ١٧٥ - ١٨٠.

(١١٨) ابن عساكر: ج ٨، ق ٨٨(٢)، ترجمة: صدقة بن خالد.

- قال يحيى بن معين: « مضيت إلى إسماعيل بن عياش (حرص- ت ٧٩٨/١٨١) فرأيتُه قاعداً عند دار الجوهري على غرفة، وما معه إلا رجلان ينظران في كتابه فرجعت ولم أسمع شيئاً. وكان يحدثهم بنحو من خمسمائة حديث في اليوم، أكثر أو أقل. وهم أسفل وهو فوق، فيأخذون كتابه فينسخونه من غدوة إلى الليل. »

وفي رواية أخرى عن يحيى بن معين أنه قال: « كان إسماعيل بن عياش يقعد ومعه ثلاثة أو أربعة فيقرأ كتاباً وهم معه والناس مجتمعون، ثم يلقيه إليهم فينسخونه جميعاً، ولم ينظر في الكتاب إلا أولئك الثلاثة أو الأربعة » (١١٩).

ويبدو أن هذا الأسلوب لم يكن قاعدة عامة عند إسماعيل بن عياش، فهناك شاهد آخر يدل على درجة أكبر من الحرص عنده.

- قال الحكم بن نافع، أبو اليمان الحمصي: « كتبتُ كتب إسماعيل بن عياش (كان عند إسماعيل هذا أكثر من ثلاثين ألف حديث)، وقدم خراساني، وكلم إسماعيل أن يجتال له في نسخة تشتري وتقرأ عليه. فدعاني إسماعيل فقال: يا حَكَم إنك لم تحج، فهل لك أن تبيع الكتب لهذا الخراساني وتحج وترجع فتكتب وأقرأ عليك. فقلت: فلعلك تموت: فقال: استخر الله، فإن قبلت مني فعلتُ ما أقول لك. قال الحكم: فبعتُ الكتب منه، وكان في قرطيس، بثلاثين ديناراً وحججنا ورجعنا، وكتبتُ الكتب بدرهيات، وقرأها عليّ » (١٢٠).

---

(١١٩) المصدر نفسه: ج ٢ (ك - ٢)، ق ٣٢٧ (١)، ترجمة: إسماعيل بن عياش.

(١٢٠) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٨٣ (١)، ترجمة: الحكم بن نافع.

وتتمثل الطريقة هنا في أن يسمع الطالب الحديث ومعه نص مكتوب، وبذلك يستطيع تصحيح الأخطاء التي قد تحدث أثناء النسخ. وهناك أمثلة كثيرة على حرص معلمي أهل الشام على إيصال معلومات صحيحة إلى تلاميذهم:

- قال محمد بن شعيب بن شابور: «لقيت الأوزاعي ومعني كتاب كتبه من أحاديثه، فقلت له: يا أبا عمرو، هذا كتاب كتبه من أحاديثك. فأخذه الأوزاعي وانصرف إلى منزله وانصرفت. فلما كان بعد أيام، لقيته فقال: هذا كتابك قد عرضته وصححته. قلت: يا أبا عمرو، أفاروي عنك؟ قال: نعم، فقلت: أذهب فأقول أخبرني الأوزاعي؟ قال: نعم.»  
ويرد محمد بن شعيب: «لأن أعرض مرة أحب لي من أن أسمع مرتين» (١٢١).

وفي تفضيل طريقة العرض يقول العباس بن الوليد بن مزيد البيروني: «سمعت من أبي وعرضت عليه، والعرض أصح» (١٢٢).  
أما الطرائق الأخرى كالإجازة والمناولة والمراسلة والوصية والوجادة، فقد جرحت في البداية، ووصمت بالضعف، إلا أنها انتشرت فيما بعد مع انتشار الكتب.

ونظراً لتعدد الطرائق واختلاف المحدثين حول قيمتها، كما رأينا، ترتب على هؤلاء أن يسيروا إلى الطريقة التي حصلوا بها على الأحاديث، بألفاظ مختصرة متعارف عليها.

- يروي الوليد بن مزيد البيروني أن الأوزاعي قال له:

---

(١٢١) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٣٧ (١)، ترجمة: محمد بن شعيب بن شابور.

(١٢٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٣١٣ (٢)، ترجمة: العباس بن الوليد بن مزيد.

ما قرأته عليك وحدك، فقل فيه حدّثني؛  
وما قرأته على جماعة أنت فيهم، فقل فيه حدّثنا؛  
وما أخبرته لك وحدك، فقل فيه أخبرني؛  
وما أخبرته لجماعة أنت فيهم فقل فيه أخبرنا<sup>(١٢٣)</sup>.  
- وسأل عمرو بن أبي سلمة، الأوزاعي عما يقوله في المناولة، فقال  
الأوزاعي:

تقول: قال أبو عمرو، أو، عن أبي عمرو<sup>(١٢٤)</sup>.

وقد أخذ عمرو بن أبي سلمة حديثه عن الأوزاعي بطرق شتى . فشيء  
سمعه منه، وشيء عرضه عليه، وشيء أجاز له... فكان يقول فيما سمع:  
حدّثنا الأوزاعي، ويقول في الباقي: عن الأوزاعي<sup>(١٢٥)</sup>.

#### ٦- مدة الدراسة:

كانت دراسة الحديث تتطلب مدة أطول من سائر فروع الدراسة  
الأخرى.

- فقد أقام محمد بن الوليد الزبيدي (حمص - ت ١٤٨/٧٦٦) عشر  
سنوات في الرصافة، وهو يدرس الحديث على الزهري<sup>(١٢٦)</sup>.  
- وصحب موسى بن يسار (من الأردن) مكحولاً (ت ١١٣/٧٣١) خلال

---

(١٢٣) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧٠ (١)، ترجمة: الوليد بن مزيد.

(١٢٤) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو.

(١٢٥) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٧٣ (١)، ترجمة: محمد بن أبي سلمة الدمشقي.

(١٢٦) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٣٦٩ (١)، ترجمة: محمد بن الوليد.

أربعة عشر عاماً لنفس الغرض<sup>(١٢٧)</sup>.

- وصحب عبيد الله بن أبي زياد (الرصافة- ت ١٥٨/٧٧٥) ابن شهاب الزهري عشرين عاماً، كان الزهري خلالها نازلاً عندهم فكان يسمع منه ويكتب عنه<sup>(١٢٨)</sup>.

- وجالس الوليد بن مسلم (دمشق- ت ١٩٥/٨١١) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر خلال سبعة عشر عاماً<sup>(١٢٩)</sup>.

كان المحدثون يفضلون بصورة عامة تدريس عدد قليل من الأحاديث في المجلس الواحد، ولا سيما في القرن الأول حين كانت الرواية الشفوية غالبية. - فقد كان الصنابحي (دمشق- القرن الأول) قليل الحديث، يحدث الواحد أو الاثنين، فإذا نظر إلى الثالث قال: لا سبيل إلى الحديث سائر اليوم، فيقطع الحديث<sup>(١٣٠)</sup>.

- وكان الطلبة يأتون أبا قلابة الجرمي (داريا- ت ١٠٤/٧٢٣)، فإذا حدثهم بثلاثة أحاديث قال: قد أكثرت<sup>(١٣١)</sup>، فيتوقف.

- وعندما عاتب يونس بن يزيد بن أبي النجاد، معلمه ابن شهاب الزهري لأنه حدث أثناء غيابه لقضاء حاجة للمعلم، قال له ابن شهاب: «يا يونس، لا تكاثر المعلم مكاثرة، خذه مع الليالي والأيام»<sup>(١٣٢)</sup>.

---

(١٢٧) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣١٣ (١)، ترجمة: موسى بن يسار.

(١٢٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥٣٥ (٢)، ترجمة: عبيد الله بن أبي زياد.

(١٢٩) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧١ (٢)، ترجمة: الوليد بن مسلم.

(١٣٠) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٢ (١)، ترجمة: عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي.

(١٣١) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٩٧ (١)، ترجمة: عبد الله بن زيد، أبو قلابة الجرمي.

(١٣٢) المصدر نفسه: ج ١٨ (ب)، ق ٧٢ (٢)، ترجمة: يونس بن يزيد بن أبي النجاد.

- وعندما عاتب عمرو بن أبي سلمة معلمه الأوزاعي لأنه لم يسمع منه خلال أربعة أيام إلا ثلاثين حديثاً، قال الأوزاعي: «لقد سار جابر بن عبد الله إلى مصر واشترى راحلة وركبها ليسأل عقبة بن عامر عن حديث (واحد) وأخذه وانصرف إلى المدينة، وأنت مستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام» (١٣٣).

على أن استخدام الكتب بصورة متزايدة من قبل المعلمين والطلبة، خلال القرنين الثاني والثالث، أدى إلى زيادة عدد الأحاديث التي يدرّسها المعلمون في المجلس الواحد. فقد كان الأوزاعي، بصورة عامة، يحدث في مجلسه بثلاثين حديثاً (١٣٤). وكان إسماعيل بن عياش يقرأ في مجلسه (٥٠٠) حديث (١٣٥). كما ازداد عدد الأحاديث التي كان على المحدث أن يجمعها ليصبح من كبار المحدثين.

## ٧- الكتب والمصنفات

كانت الكتابات الأولى في الشام، شأنها في ذلك شأن ما كان يجري في المناطق الأخرى، من قبيل التسجيل الذي يقوم به الطلبة والعلماء لاستخدامهم الشخصي. ولكن الأيدي سريعا ما تناقلتها.

- فقد كان خالد بن معدان الكلاعي (حمص - ت ١٠٣/٧٢٢) يسجل الأحاديث التي يسمعها ويجمعها في مصحف له أزرار وعري (١٣٦).

---

(١٣٣) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٧٣ (١)، ترجمة: عمرو بن أبي سلمة.

(١٣٤) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٢٨ (١)، ترجمة: محمد بن مصعب بن صدقة.

(١٣٥) المصدر نفسه: ج ٢ (ك - ٢)، ق ٣٢٧ (١)، ترجمة: اسمعيل بن عياش.

(١٣٦) المصدر نفسه: ج ٥، ق ١٨٥ (٢)، ترجمة: خالد بن معدان.

- أما عبد الله بن زيد، أبو قلابة الجرمي (داريا- ت ١٠٤/٧٢٣) فقد أوصى بكتبه إلى تلميذه البصري أيوب السختياني. وعندما توفي الشيخ أرسل أيوب في طلبها فجاء بها إليه عدل راحلة، واستفاد منها في تدريسه. وقد سأل أيوب زميله محمد بن سيرين عما إذا كان يؤيد ذلك، فقال له ابن سيرين: لا أمرك ولا أنهاك (١٣٧).

- وكان أهل حمص يأخذون كتب عبد الرحمن بن عايد، وهو في الطبقة الثانية من أهل الشامات. فما وجدوا بها من الأحكام عمدوا بها على باب المسجد قناعة بها ورضى بحديثه. وعندما توفي الشيخ، اقتسم رجال من الجند كتبه فيما بينهم بالميزان (١٣٨).

وجدير بالذكر ان معظم الكتب التي تناقلها أهل الشام فيما بعد كانت تتصل بتعليم الشيوخ الثلاثة: الزهري، والأوزاعي، والوليد بن مسلم.

أما حديث ابن شهاب الزهري، فقد دوّن على الصعيد الخاص من قبل أقربائه وتلاميذه. كما دوّن على الصعيد الرسمي من قبل كتاب الخلفاء الروائيين. وكان هؤلاء الكتاب يعدّون نسخاً للأمرء، ويعدّون إلى جانب ذلك نسخاً يوزعونها بطرق شتى. فقد رأينا أنه عندما اجتمع أصحاب الحديث على الزهري، نصّحهم بأخذ الأحاديث من ديوان الوليد بن عبد الملك، فذهبوا إلى الديوان وأخذوا ما يريدون (١٣٩). كما أن أحد المحدثين واسمه معاوية بن يحيى الصديقي الدمشقي، استطاع أن يعثر في السوق على

---

(١٣٧) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٩٧ (١)، ترجمة: عبد الله بن زيد.

(١٣٨) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٣١٤ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عايد.

(١٣٩) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢٣١ (٢)، ترجمة: عقيل بن خالد الأيلي.

كتاب للزهري فاشتراه وأخذ برويه عنه<sup>(١٤٠)</sup>.

أما الأوزاعي فقد كان له كاتب خاص، واسمه عبد الحميد بن حبيب ابن أبي العشرين. وكان هذا الكاتب يساعده في تسجيل حديثه وفتاويه وغير ذلك من الموضوعات التي اهتم بها<sup>(١٤١)</sup>. كما أن تلاميذ الأوزاعي كانوا يسجلون ما يسمعون منه من حديث وفقه، وكانوا يعرضون عليه ما يكتبون فيصححه ويعيده إليهم. لذلك استطاع أبو مُسهر، عبد الأعلى بن مسهر الغساني (ت ٨٣٣/٢١٨)، أن يجمع مادة ضخمة عندما عزم على جمع علم الأوزاعي. فقد أخذ عن إسماعيل بن سماعة ثلاثة عشر كتاباً، وأخذ الباقي عن الوليد بن مزيد العذري البيروتي<sup>(١٤٢)</sup>.

أما الوليد بن مسلم (ت ٨١٠/١٩٥) فقد عاش في الفترة التي ازدهر فيها التصنيف وصنّف، وكان له كاتب اسمه حماد. وعندما أخذ في التصنيف أتاه شيخ من شيوخ المسجد فقال: يا فتى، جدّ فيما أنت فيه فإني رأيت كأن قناديل المسجد الجامع قد أطفئت فجئت أنت فأسرجتها.

ترك الوليد سبعين كتاباً، وكان يقال: «من كتّب مصنفات الوليد بن مسلم صلّح أن يلي القضاء»<sup>(١٤٣)</sup>. وقد درّست مصنفاته بعد وفاته، ومن

---

(١٤٠) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ١٦٠ (٢)، ترجمة: معاوية بن يحيى، أبو روح الصديقي.

(١٤١) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٤٧ (١)، ترجمة: عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين.

(١٤٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧٠ (١)، ترجمة: الوليد بن مزيد العذري البيروتي.

(١٤٣) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧١ (٢)، ترجمة: الوليد بن مسلم.

درّسها تلميذه الوليد بن عتبة الذي كان يجلس في مسجد باب الجابية بدمشق<sup>(١٤٤)</sup>.

تختلف الكتب التي صنفت في تلك الفترة من حيث الشكل. فقد ظهر منها شكل سُمي المسند، وجمعه مسانيد، وهي كتب تجمع فيها أحاديث كل صحابي ولو كانت في مواضيع مختلفة تحت اسم مسند فلان.. وهكذا<sup>(١٤٥)</sup>.

- فقد صنّف يحيى بن عبد الرحمن الكندي (دمشقي معاصر للاوزاعي) مسنداً<sup>(١٤٦)</sup>.

- وصنّف إبراهيم بن سعيد، أبو اسحق البغدادي (عين زربة - ت ٨٦٨/٢٥٣) مسند أبي بكر في ٢٣ جزءاً. وقد سأله أحدهم: لا يصح لأبي بكر خمسون حديثاً، فمن أين جئت بثلاثة وعشرين جزءاً؟ فأجاب إبراهيم: كل حديث لم يكن عندي من مائة وجه فأنا فيه يتيم<sup>(١٤٧)</sup>.

كما ظهر في نفس الفترة تقريباً شكل آخر سمي «المُصنّف» أو «الجامع» أو «المجموع»<sup>(١٤٨)</sup>. فبعد أن كان أهل الأحاديث يجمعون الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس، أصبحوا يرتبونها على الأبواب. ويذكر «تاريخ مدينة دمشق» في هذا المجال، مصنفات إبراهيم

---

(١٤٤) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٢٦٧ (٢)، ترجمة: محمد بن فراس، أبو عبد الله العطار.

(١٤٥) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ص ٣٣٨.

(١٤٦) ابن عساكر: ج ١٨، ق ٧٣ (٢)، ترجمة: يحيى بن عبد الرحمن الكندي.

(١٤٧) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ - ٢). ق ٤٥٨ (٢). ترجمة: إبراهيم بن سعيد، أبو

اسحق البغدادي.

(١٤٨) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، ص ٣٣٧.

ابن يعقوب الجوزجاني الأصل، والذي سكن دمشق (ت ٢٥٦/٨٧٠) (١٤٩).

وقد أعطى نقد الحديث في القرن الثالث مؤلفات من قبيل كتب التراجم تهدف للتعريف بالرجال الذين يظهرون في الأسانيد، والمساعدة على التمييز بين الأحاديث القوية وغيرها.

بدأت هذه المؤلفات بملاحظات وإشارات حول « علل الحديث ومعرفة الشيوخ »، كالكتاب الذي يذكره « تاريخ مدينة دمشق » لمحمد بن عبد الله ابن عمار الموصلي (ت ٢٤٢/٨٥٧) (١٥٠). ثم اتخذت شكل « الطبقات » حيث يُصنّف المحدثون زمنياً بحيث يكون الرجال الذين عاشوا في فترة زمنية واحدة « طبقة ».

ويبدو أن محمود بن ابراهيم.. بن سُمَيْع، أبا الحسن القرشي (دمشق - ت ٢٥٩/٨٧٣) (١٥١) هو أول من ألف كتاب طبقات من أهل الشام. أما تلميذه، عبد الرحمن بن عمرو، أبو زُرْعَة النصري (دمشق - ت ٢٨١/٨٩٥)، فقد ألف تاريخاً محلياً لدمشق (١٥٢). وتتميز كتب « التاريخ » عادة عن « الطبقات »، في أنها تستخدم الترتيب الهجائي للتراجم بدلاً من الترتيب الزمني.

---

(١٤٩) ابن عساكر: ج ٢، (س أ - ٢)، ق ٥١٥ (٢)، ترجمة: ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني.

(١٥٠) المصدر نفسه: ج ١٥ (ي)، ق ١٣٧ (١)، ترجمة: محمد بن عبد الله بن عمار.

(١٥١) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٤٥٣ (٢)، ترجمة: محمود بن ابراهيم.. بن سُمَيْع.

(١٥٢) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (١)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو، أبو زرعة النصري.

وقد ألف أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي، الذي عاش في حمص، في الفترة نفسها، تاريخاً لمدينة حمص أسماه «تاريخ الحمصيين» (١٥٣).

ولا ندري ما إذا كان من الممكن إدراج مصنفات محمد بن عايد (دمشق - ت ٨٤٦/٢٣٢) في هذا الفصل. فقد ألف ابن عايد المغازي والفتوح والصواتف وغيرها، على ما يروي ابن عساكر (١٤٤). وهذه الموضوعات صلة وثيقة بالحديث، كما نعرف.

### ج - الفقه

لم يكن للفقه في بداية الاسلام معنى متميز عن العلم. وكان العلم يعني، كما رأينا، القرآن الكريم وتفسيره. وما حدث به الصحابة عن رسول الله (ص).

ثم تميز الفقه تدريجياً فأصبح يعني أعمال الذكاء لفهم الأحوال الخاصة، واصدار أحكام بشأنها عن طريق تفسير العلم واستلهامه. وهذه الأحوال الخاصة ترد ضمن جميع مجالات الحياة كالعبادات والحلال والحرام والأسرة والملكية والإرث والعقود والفرائض... وهكذا أصبحت كلمتا الفقه والرأي مترادفتين (١٥٥).

ويسوق الدكتور حسين مؤنس للتدليل على ذلك أمثلة عديدة، نذكر

---

(١٥٣) المصدر نفسه: ج ٢، ق ١٠٥ (١)، ترجمة: أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي.

(١٥٤) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٤٥ (١)، ترجمة: محمد بن عائذ بن عبد الرحمن.

(١٥٥) - E.I.2: Vol. II, PP. 906-908. art: Fikh, par J. Schacht.

منها ما قيل من أن عبد الله بن عمر « كان جيد الحديث ولم يكن جيد الفقه »، وما قيل من أن عبد الله بن عباس « كان أعلم بالحديث وأفقه رأياً »، وما وصف به زيد بن ثابت من أنه « كان فقيهاً في الدين عالماً في السنة »، وسعيد بن المسيّب من أنه كان « فقيه الفقهاء وعالم العلماء »، وما قيل من أن الناس كانوا اذا استفتوا عطاء بن أبي رباح في أمر فأفتاهم سألوه إن كانت فتواه علماً أو رأياً فكان إذا أسند الفتوى الى علم قال إنها علم، وإلا فهي رأي<sup>(١٥٦)</sup>.

ولم يعترض رسول الله (ص) على الرأي، بل لقد كان يشجع عليه حين يرى الشخص أهلاً لذلك. فعندما بعث معاذ بن جبل الى اليمن وأوصاه بتعليم أهلها كتاب الله وتأديبهم على الأخلاق الصالحة، سأله معاذ: يا رسول الله، فإذا كان ما سئلت عنه مما لم أجده في كتاب الله ولم أسمعه منك؟ قال الرسول: « اجتهد رأيك، فإن الله إذا علم منك الحق وفقك للحق »<sup>(١٥٧)</sup>. وقال كعب بن مالك، إن معاذ بن جبل كان يفتي بالمدينة في حياة الرسول وأبي بكر<sup>(١٥٨)</sup>.

وعندما فتحت الشام أرسل الخليفة عمر إليها معاذ بن جبل في جملة المعلمين، ليفيد أهلها بعلمه وفقهه، وكتب إليه وإلى أبي عبيدة بن الجراح قائلاً: « انظروا رجالاً من الصالحين عندهم فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم وأوسعوا عليهم من مال الله عز وجل »<sup>(١٥٩)</sup>.

---

(١٥٦) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ٨١، حاشية الدكتور حسين مؤنس.

(١٥٧-١٥٩) ابن عساكر: ج ١٦ (٢)، ق ٧٨ (١)، ترجمة معاذ بن جبل.

تولى قضاء دمشق في بداية العهد الإسلامي، أبو الدرداء. ثم تتابع على هذا المنصب في المدن المختلفة عدد من أكابر الفقهاء، حاولوا وضع مبادئ عامة يهتدون بها في أحكامهم على الأحوال الخاصة التي كانت تعرض عليهم.

كما جرت مناقشات كثيرة في مجالس الخلفاء الأمويين، ولاسيما معاوية وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز حول مواضيع فقهية، شارك فيها الخلفاء أنفسهم، كما استشير بشأنها فقهاء من أرجاء العالم الإسلامي ولاسيما من الحجاز والعراق.

وانبثق عن هذه المحاولات والمناقشات اتجاهان متبايزان بعض الشيء: أحدهما يميل للاعتماد على العلم (أو الخبر)، والثاني يميل للاجتهاد والرأي الشخصي.

أما الاتجاه الأول فقد تجلّى في الشام مع وصول المروانيين إلى الحكم. وأبرز ممثليه محمد بن مسلم بن شهاب الزُهري، تلميذ سعيد بن المسيّب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن الزبير وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم من محدثي المدينة وفقهائها<sup>(١٦٠)</sup>. وكان ما جمعه ابن شهاب من حديث الرسول (ص) والصحابة يكفيه مؤونة اللجوء الى الرأي.

وإلى جانب هذا المحدث الكبير، عرفت الشام في تلك الفترة عدداً من الشيوخ الذين اشتهروا بتمسكهم بالسنة كرجاء بن حيوة (فلسطين)<sup>(١٦١)</sup>،

(١٦٠) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

(١٦١) ابن عساكر: ج ٦، ق ٧٨ (٢)، ترجمة: رجاء بن حيوة.

وميمون بن مهران (الجزيرة) (١٦٢)، وعبد الله بن زيد، أبو قلابة الجرمي (داريا) (١٦٣)، وغيرهم. وكان هؤلاء يسمون لاستبعاد الأعراف والتشريعات التي ورثتها البلدان المفتوحة من عهد ما قبل الفتح، والاستعاضة عنها بتشريعات تستمد من مبادئ الدين الاسلامي.

وأما الاتجاه الثاني فكان في طبيعته مكحول الدمشقي (ت) (٧٣١/١١٣) (١٦٤). وكان يعد أحد كبار فقهاء الإسلام الأربعة في وقته، وهم مكحول، وسعيد بن المسيب (المدينة)، وعامر الشعبي (الكوفة)، والحسن بن أبي الحسن (البصرة). وقد طلب مكحول الحديث في مصر والحجاز والعراق والشام. ولكنه بالاضافة الى ذلك اختلف في الكوفة طوال ستة أشهر إلى شريح القاضي لا يسأله شيئاً، بل يستمع اليه يقضي في الأحوال التي تعرض عليه. وهكذا تدرّب على إعمال الفكر وإصدار الأحكام الشخصية. ثم راح يفتي خلال ثلاثين عاماً في الشام حيث أستقر، وفي المناطق التي زارها، مشيراً بعد كل فتوى إلى أنها مجرد رأي، وأنها ككل رأي عرضة للخطأ والصواب. وقد أكسبته فتاويه سمعة جيدة بين عامة الشيوخ، فكانوا يقولون: «الحديث حديث الزهري، والرأي رأي مكحول» (١٦٥). ولكن اعتقاده بمسؤولية الانسان عن أعماله، وإنكاره أن يكون الله مصدراً للشر، لم يعجبا بعض العلماء المتشدددين في السنة كرجاء ابن حيوة وعدي بن عدي (١٦٦). وقد استطاع هؤلاء، بفضل ما كان لهم من المكانة عند بني مروان أن يحطوا من قدره عندهم، ويحرضوا هشاماً عليه،

(١٦٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣٢٩ (٢)، ترجمة: ميمون بن مهران.

(١٦٣) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٩٧ (١)، ترجمة: عبد الله بن زيد، أبو قلابة.

(١٦٤ - ١٦٥) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢)، ترجمة: مكحول.

إلى الحد الذي جعله يهيمُ بقتله<sup>(١٦٧)</sup>.

ولكن مكحولاً، بالرغم من الظروف التي أحاطت به. استطاع ان يجمع حوله الكثير من التلاميذ، أخذ بعضهم باتجاهه في الفقه وفي العقيدة.

ومن تلاميذ مكحول: ثابت بن ثوبان، ويزيد بن يزيد بن جابر، وسليمان ابن موسى الأشدق، والعلاء بن الحارث، وسعيد بن عبد العزيز.

أوصى مكحول بجلقته في مسجد دمشق الى ثابت بن ثوبان<sup>(١٦٨)</sup>. ولكننا لا نملك دليلاً على أنه شغل مكان معلمه في فترة من الفترات. بل إن « تاريخ مدينة دمشق » يحدد أنه لما توفي مكحول جلس للناس يزيد بن يزيد بن جابر، فكان نزر الكلام، أي أنه لم يستطع الإجابة عن الأسئلة التي كانوا يوجهونها إليه، فأخذ مكانه سليمان بن موسى الأشدق، (ت ٧٣٣/١١٥ أو ٧٣٧/١١٩). وقد لمع اسمه خلال هذه السنوات القصيرة التي علم فيها الحديث والفقه، حتى عدّ من كبار فقهاء الشام<sup>(١٦٩)</sup>.

أما خلفه العلاء بن الحارث الذماري (ت ٧٤٥/١٣٦)، فقد كان قليل الحديث كثير الفتوى كأستاذه مكحول. وقد ظهر بجانب اسمه في « تاريخ مدينة دمشق » لقب « فقيه الجند » لأول مرة. قال أبو مسهر: « فلما مات سليمان بن موسى جلس العلاء بن الحارث كفقيه للجند، ومات يوم مات وهو فقيه الجند »<sup>(١٧٠)</sup>.

---

(١٦٧) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٧٤ (٢)، ترجمة: عبّاد بن الرّيان اللخمي.

(١٦٨)، (١٧٠) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٨٤ (١)، ترجمة: العلاء بن الحارث الذماري.

(١٦٩) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٥٦ (٢)، ترجمة: سليمان بن موسى الأشدق.

فهل تكون هذه الوظيفة قديمة، ويكون ذكرها قد جاء في هذه الترجمة عن طريق المصادفة، أم أن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدثها؟

إن مرجعنا لا يوضح هذه النقطة، على أنه يذكر فقيهين آخرين شغلا هذه الوظيفة فيما بعد، فيروي أنه بعد موت العلاء بن الحارث جلس مكانه قيس بن موسى الأعمى، فسأل والي دمشق، ابن سُرَاقَةَ، من فقيه الجند؟ وعندما ذكره له، صرفه وأرسل الى عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فأقدمه للفتوى<sup>(١٧١)</sup>.

ولا بد لنا هنا من ذكر سعيد بن عبد العزيز التنوخي (دمشق- ت١٦٧ / ٧٨٤)، وهو من تلاميذ مكحول، وأحد كبار فقهاء الشام. بدأ حلقاته في مسجد دمشق قبل الأوزاعي، وكان يدرس فيها الحديث ويجيب عن الأسئلة<sup>(١٧٢)</sup>، ولكن يبدو أنه لم تكن له صفة رسمية.

أما الفقيهان اللذان خلفا الأوزاعي في الفتوى، وهما يزيد بن السمط ويزيد بن يوسف، فقد ذكر أبو زرعة أنها كانا عالمي الجند- أي جند دمشق<sup>(١٧٣)</sup>.

ولنتقل الآن إلى الأوزاعي.

لقد كان دور هذا الشيخ حاسماً في تبلور عقيدة أهل الشام، فقد انتصر معه تيار الحديث والسنة، واستمر طوال القرنين الثاني والثالث دوغما

(١٧١) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥٠٤ (٢)، ترجمة: قيس بن موسى.

(١٧٢) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٤ (١)، ترجمة: سعيد بن عبد العزيز التنوخي.

(١٧٣) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ١٣٩ (١)، ترجمة: يزيد بن السمط. أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ١٨ (ب)، ق ٢ (١)، ترجمة: يزيد بن يوسف.

منازع تقريباً. وقد كان لنشأة الأوزاعي أثر كبير في الاتجاه الذي اتخذه ونشره حتى تجاوز به بلاد الشام.

كتب الأوزاعي الحديث الكثير أثناء طلبه للعلم في الحجاز واليامة والكوفة والبصرة والشام. حتى يقال إنه كتب في اليامة على يحيى بن أبي كثير ثلاثة عشر أو أربعة عشر كتاباً. وقد ساعده ذلك على الرجوع إلى العلم في جميع فتاويه. وعندما كان يسأل عن مسألة لم يسمع عنها خيراً، كان يعترف بذلك ويمتنع عن إبداء رأيه الشخصي.

عمل الأوزاعي في نشر العلم قرابة نصف قرن، أجاز خلاله عن سبعين ألف مسألة، وروى الحديث في حلقاته بمسجد دمشق ثم بمسجد بيروت. وقد دوّن تلاميذه جميع أحاديثه ومسائله الفقهية تقريباً، وكانوا يعرضون كتبهم عليه فيراجعها ويسمح لهم بروايتها عنه. وقد أخرج من مصنفات الوليد بن مسلم عنه أربعة آلاف مسألة.

وإلى جانب تدريس الفقه والحديث، اشترك الأوزاعي في مذاكرات ومناظرات مع علماء عصره وفقهائه. وأهم مناظراته تلك التي أجراها مع مالك بن أنس في المدينة واستمرت من الظهر حتى المغرب. كما كتب عدداً من الرسائل ناقش فيها المشاكل المطروحة في ذلك الحين كالقدر، وبعض الرسائل الشخصية وعظ فيها الأصدقاء والحكام. وكان يكتب بأسلوب بليغ<sup>(١٧٤)</sup>.

وعندما توفي الأوزاعي، قام تلاميذه بنشر مذهبه الفقهي. وبالرغم من أن مذاهب أخرى بدأت تظهر في الشام منذ نهاية القرن الثاني، بقي عدد

(١٧٤) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

من فقهاء الشام يتبعون مذهبه حتى عام ٩٥٩/٣٤٧ ، وهو العام الذي توفي فيه أحمد بن سليمان بن حذلم، الذي كانت له آخر حلقة تدرس الفقه في مسجد دمشق على مذهب الأوزاعي<sup>(١٧٥)</sup>.

وقد نقل أحد تلاميذ الأوزاعي، وهو صعصعة بن سلام (ت ٨٠٨/١٩٢) مذهب أستاذه الفقهي الى الأندلس، حين رحل إليها واستقر فيها. إلا أن المذهب المالكي انتقل الى هناك عام ٨١٦/٢٠٠، وبدأ يحل محل مذهب الأوزاعي<sup>(١٧٦)</sup>.

وفي الفترة نفسها تقريباً دخل مذهباً أبي حنيفة ومالك بن أنس الشام على يد طلابها الذين رحلوا في طلب العلم الى العراق والحجاز.

فقد قرأ عتبة بن حماد الحكمي الدمشقي «الموطأ» في المدينة على مالك، ولكن أثر هذا الشيخ كان محدوداً<sup>(١٧٧)</sup>. إلا أن أنصار الرأي ازداد في الشام في القرن الثالث بتشجيع من الخلفاء العباسيين، وعملوا قضاة في عدة أماكن. فقد عين المأمون يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي (ت ٨٣٧/٢٢٢) قاضياً بمص<sup>(١٧٨)</sup>، وشغل عبد الحميد أبو حازم السكوني البصري (ت ٩٠٥/٢٩٢) منصب القاضي في دمشق والأردن وفلسطين أثناء خلافة المعتمد<sup>(١٧٩)</sup>. ومن الفقهاء الدمشقيين الذين اشتهروا بمناصرتهم

---

(١٧٥) المصدر نفسه: ج ٢ (من) دون ترقيم، ترجمة: أحمد بن سليمان بن حذلم.

(١٧٦) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٩٩ (١)، ترجمة: صعصعة بن سلام.

(١٧٧) المصدر نفسه: ج ١١، ق ١١ (٢)، ترجمة: عتبة بن حماد الحكمي.

(١٧٨) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٦٣ (١)، ترجمة: يحيى بن صالح الوحاظي.

(١٧٩) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٥٢ (١)، ترجمة: عبد الحميد أبو حازم السكوني.

للرأي في ذلك القرن يزيد بن أحمد بن يزيد (ت ٢٨٨/٩٠١) (١٨٠).

ولم يتأخر أصحاب الحديث بالهجوم المضاد. فقد افتتحه محمد بن إدريس الشافعي بمناظرته الشهيرة التي وقف فيها ضد محمد بن الحسن، في قصر هرون الرشيد بالرقّة، وتفوّق فيها على خصمه، على رواية ابن عساكر. وفي طريق عودته الى مصر، توقف الشافعي في بيت المقدس وقال للناس: « سلوني عما شئتم، أخبركم عن كتاب الله وسنة رسوله » (١٨١).

وفي نهاية القرن الثالث، شهد مسجد دمشق حلقة فقه على مذهب الشافعي لكنيّز بن عبد الله. وكان أحمد بن طولون قد حبس كنيّز هذا طوال سبع سنين لتحمسه الشديد لمذهب الشافعي. وبعد موت الأمير، خرج من السجن فجاء الى دمشق ونشر هذا المذهب فيها.

هذه لمحة سريعة عن تطور الاتجاهات الفقهية في الشام، على ضوء المعلومات التي يذكرها « تاريخ مدينة دمشق ».

أما طرائق التدريس في الفقه فالمعلومات عنها قليلة جداً. وكل ما يمكن أن نستنتجه منها هو أن كل المعلمين لم يقتصرُوا في تعليمهم على الفقه. بل كانوا يدرّسون معه غالباً الحديث، وأحياناً القرآن أيضاً. ونظراً لاهتمامهم بعدة مواد دراسية فقد كانوا يوزعون وقتهم بين هذه المواد ويتفقون مع الطلبة على برنامج لتدريس كل منها. وكانوا الى جانب ذلك يوزعون كل مادة الى أبواب، وعندما ينتهون من تدريس أحد الأبواب ينتقلون الى غيره.

---

(١٨٠) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ١٠٦ (١)، ترجمة: يزيد بن أحمد بن يزيد.

(١٨١) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٦٣٣ (٢)، ترجمة: محمد بن إدريس الشافعي.

ففي القرن الأول، كان أبو إدريس الخولاني (ت ٧٠٠/٨٠)، قاضي دمشق وقاصها، يتخذ مكانه كل يوم بعد صلاة المغرب في جامع دمشق، « على الدرج الذي يقود لمسجد المسلمين ومصلاهم، ويحدث في شيء من العلم لا يقطعه بغيره حتى يقوم أو تقام الصلاة »<sup>(١٨٢)</sup>.

وفي القرن الثاني، يذكر مرجعنا خمس حلقات كانت تقوم في جامع دمشق في نفس الفترة. وكان أصحابها مشهورين بالعلم (الحديث) والفقہ معاً.

قال سعيد بن عبد العزيز (دمشق - ت ٧٨٤/١٦٧): « كنا نجلس بالفدوات مع يزيد بن عبد الرحمن (أبي مالك) وسليمان بن موسى، وبعد الظهر مع إسماعيل بن عبيد الله وربيعه بن يزيد، وبعد العصر مع مكحول »<sup>(١٨٣)</sup>. وفيما يتعلق بطريقة التعليم، كان سليمان بن موسى يأخذ كل يوم في باب من العلم لا يقطعه بغيره حتى يفرغ منه، ثم يأخذ في باب غيره<sup>(١٨٤)</sup>.

ويلفت انتباهنا في دراسة الفقه في تلك الفترة، الاعتماد الكبير على الأسئلة والأجوبة. فقد كان الطلبة يوجهون الأسئلة للمعلم، وكان المعلم يجيب عن أسئلة الطلاب فيسجلونها ويروونها عنه.

وعندما كان أحد الطلبة يمتاز بقدره جيدة على صياغة الأسئلة، كان يكلف بهذه المهمة لفائدة الجميع، فقد كان عطاء بن أبي رباح (فقيه مكة)،

---

(١٨٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٦١ (١)، ترجمة: عائذ الله بن عبد الله، أبو إدريس الخولاني.

(١٨٣)، (١٨٤) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٥٦ (٢)، ترجمة: سليمان بن موسى الأشدق.

إذا جاءه سليمان بن موسى يقول لأصحابه: كَفَّوْا عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ يَكْفِيكُمْ الْمَسْأَلَةَ. وَكَانَ الطَّلِبَةُ يَجْتَمِعُونَ عَلَى عَطَاءٍ فِي الْمَوْسَمِ (الْحَجِّ)، فَكَانَ سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى هُوَ الَّذِي يُسْأَلُ لَهُمْ<sup>(١٨٥)</sup>. وَلِذَلِكَ قِيلَ: «حَسَنَ الْمَسْأَلَةَ نَصَفَ الْفَقْهَ»<sup>(١٨٦)</sup>.

وَكَانَ بَعْضُ الطَّلِبَةِ يَضِيفُونَ إِلَى هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ النَّظَرِيَّةِ تَدْرِيباً عَمَلِيّاً، فَيَحْضُرُونَ مَجْلِسَ قَاضٍ شَهِيرٍ، وَيَتَعَرَّفُونَ إِلَى الْمَشْكَلاتِ الَّتِي تَطْرَحُ عَلَيْهِ، وَيَسْمَعُونَ أَحْكَامَهُ بِشَأْنِهَا. هَذَا مَا فَعَلَهُ مَكْحُولٌ، مَثَلًا، عِنْدَمَا اخْتَلَفَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِلَى مَجْلِسِ الْقَاضِي شُرَيْحٍ، فَكَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى أَحْكَامِهِ دُونَ أَنْ يُوجِّهَ إِلَيْهِ سُؤَالَ<sup>(١٨٧)</sup>. كَمَا كَانَ بَعْضُ الْأَسَاتِذَةِ يَسْمَحُونَ لِتَلَامِيذِهِمْ بِالْفَتْوَى فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذَا لَمَسُوا مِنْهُمْ الْقُدْرَةَ عَلَى ذَلِكَ. فَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ شَعِيبِ بْنِ شَابُورٍ، مَثَلًا، يَفْتِي فِي مَجْلِسِ مَعْلَمِهِ الْأَوْزَاعِيِّ<sup>(١٨٨)</sup>.

#### د - القصص والوعظ

بَدَأَ الْقِصَصَ، كَمَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ جَمِيعُ الْمَوَاصِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي خِلافةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ عِنْدَمَا سُئِلَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ الْخَلِيفَةَ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ بِأَنْ يَقْصُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ. وَقَدْ تَرَدَّدَ الْخَلِيفَةُ فِي الْبَدَايَةِ فِي السَّمَاحِ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْثَرَ تَمِيمٌ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَأَمْرَهُمُ بِالْخَيْرِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ.

---

(١٨٥) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ٧، ق ٢٥٦ (٢)، تَرْجَمَةُ: سُلَيْمَانَ بْنَ مُوسَى.

(١٨٦) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ١٧، ق ٣٢٩ (٢)، تَرْجَمَةُ: مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ.

(١٨٧) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢)، تَرْجَمَةُ: مَكْحُولٌ.

(١٨٨) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ١٥، ق ١٣٧ (١)، تَرْجَمَةُ: مُحَمَّدُ بْنُ شَعِيبِ بْنِ شَابُورٍ.

فقال عمر: عِظْ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ فِي الْجُمُعَةِ. فَكَانَ تَمِيمٌ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَوْمًا وَاحِدًا فِي الْأَسْبُوعِ، فَلَمَّا كَانَ عَثْمَانُ اسْتَزَادَهُ تَمِيمٌ، فَزَادَهُ الْخَلِيفَةُ يَوْمًا آخَرَ<sup>(١٨٩)</sup>.

على أن الشواهد التي يذكرها ابن عساكر توحى بتفسير آخر لظهور القصة. كان جيش اليرموك يضم قاصاً هو أبو الدرداء حسب بعض الروايات<sup>(١٩٠)</sup>، وأبو سفيان بن حرب حسب بعضها الآخر<sup>(١٩١)</sup>. كما يروي ابن عساكر أن أبا سفيان بن حرب خطب يوم المعركة وأعطى نصائح لابنه يزيد، قائد أحد الجيوش الثلاثة التي أرسلها الخليفة أبو بكر لفتح الشام<sup>(١٩٢)</sup>.

ويمكننا أن نستخلص من ذلك أن ظهور القصة ارتبط بالجهاد. فقد كانت القبائل العربية قبل الإسلام تصطحب في غزواتها شعراء وخطباء يشجعون المحاربين. لذلك كان من الطبيعي أن يصطحب الجيش الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك، قارئاً للقرآن يتلو آيات تحض على الجهاد (سورة الأنفال)، وقاصاً يذكر المجاهدين بواجبهم، وبالثواب الذي ينتظرهم في الحياة الآخرة.

أما دور تميم الداري فيتمثل، على الأرجح، في إدخال القصة إلى المسجد.

---

(١٨٩) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ص ٤٤٦ - ٤٨٠، ترجمة: تميم الداري.

(١٩٠) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: عويمر بن زيد، أبو الدرداء.

(١٩١) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٧٨ (٢)، ترجمة: صخر بن حرب، أيضاً.

- الطبري: ج ٣، ص ٥٩٧.

(١٩٢) ابن عساكر: ج ١ (منجد)، ص ص ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٢.

وعندما تنتقل إلى الشام بعد الفتح، نرى أن أول قاصّ في مدينة دمشق هو الصحابي أبو الدرداء، وهو أول قاض فيها في الوقت ذاته. كان يقف في مسجد دمشق، في أعلى الدرج (الذي يقود إلى مسجد المسلمين ومصلاًهم) ويقص<sup>(١٩٣)</sup>.

أما بيت المقدس فأول قاصّ فيها هو قاضيها شمعون، أبو ریحانة الأزدي، أحد أصحاب الرسول أيضاً<sup>(١٩٤)</sup>.

إن العلاقة بين وظيفة القاص والقاضي في تلك الفترة، تشير إلى أن وظيفة القاصّ، كانت رسمية، شأنها في ذلك شأن عمل القاضي. ويؤيد ذلك الشواهد الآتية:

- « كلف والي حمص تابعياً اسمه الحارث بن معاوية الكندي بالقصص. فركب الحارث إلى المدينة وقال لعمر بن الخطاب: إنهم أرادوني على القصص، فقال عمر: ما شئت (كأنه كره أن يمنعه)، قال: إنما أردت أن أنتهي إلى قولك. قال عمر: أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم في نفسك، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة »<sup>(١٩٥)</sup>.

- « وقف عوف بن مالك على كعب (الأخبار) وهو يقص بالشام. فقال: يا كعب! إني سمعت النبي (ص) يقول: « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو محتال ». فقام كعب فدخل على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنه فأذن له »<sup>(١٩٦)</sup>.

---

(١٩٣) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: عويمر بن زيد، أبو الدرداء.

(١٩٤) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٤٣ (١)، ترجمة: شمعون أبو ریحانة.

(١٩٥) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٤٨ (١)، ترجمة: الحارث بن معاوية.

(١٩٦) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥٣٧ (٢)، ترجمة: كعب بن ماعة.

ويبدو أن كعباً هذا قد أدخل اتجاهها خاصاً في مجال القصص نظراً لأنه كان يدين بالديانة اليهودية قبل الإسلام. فقد كانت مواعظه تتضمن قصصاً وأمثالاً وتعابير يهودية.

وقد سار على نهجه ابنا زوجته: نوف بن فضالة البكالي، الذي قص بدمشق وبيت المقدس وحمص والكوفة<sup>(١٩٧)</sup>، وتُبَّع بن عامر (ت ١٠١/٧٢٠) الذي قص بجمص، وكان يسمى صاحب الملاحم<sup>(١٩٨)</sup>. فقد قرأ الاثنان الكتب القديمة، وأخذوا عن زوج أمهما كثيراً من القصص والأخبار.

كان معاوية بن أبي سفيان يبدي اهتماماً كبيراً بالقصص، ويعطيه دوراً كبيراً في سياسته الرامية الى كسب أهل الشام إلى جانبه عندما احتدم الصراع بينه وبين الخليفة علي بن أبي طالب، وإلى توسيع فتوحاته. « فن عندما قُتِل علي وباع أهل العراق ابنه الحسن، سار معاوية إلى العراق في ستين ألفاً، ومعه القصاص يقصون في كل يوم يخصون أهل الشام عند وقت كل صلاة<sup>(١٩٩)</sup>. كما أن الجيش الذي سيَّره معاوية إلى القسطنطينية كان يضم عدداً من القصاص لحث المؤمنين على الجهاد ضد الروم<sup>(٢٠٠)</sup>.

ولم تكن أهمية القصص عند معاوية لتقل في أيام السلم. « فقد ولى رجلاً على القصص. فإذا سلّم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجّده، وصلى على النبي (ص)، ودعا للخليفة ولأهل ولايته وحشمه وجنوده،

---

(١٩٧) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٠٢ (١)، ترجمة: نوف بن فضالة.

(١٩٨) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ٤٢٦، ترجمة: تبَّع بن عامر.

(١٩٩) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ١٠٩ (١)، ترجمة: معاوية بن صخر (أبي سفيان).

(٢٠٠) المصدر نفسه: ج ٥، ق ١٥٣ (١)، ترجمة: خالد بن زيد (ت ٦٧٣/٥٣).

ودعا على أهل حربه وعلى الشركين كافة» (٢٠١). وعندما كان معاوية ينتقل إلى الجابية في الربيع، كان يحرص على وجود قاص في صحبته (٢٠٢).

وقد ازداد دور القصص أيام الروائيين. فكان القصاص يقصون مرتين في اليوم، الأولى بعد صلاة الصبح، والثانية بعد صلاة العصر.

كان القصاص أيام عبد الملك بن مروان، قاضي دمشق أبو إدريس الخولاني (ت ٧٠٠/٨٠)، وكان يجمع في الصباح بين قراءة القرآن والقصص: «كان حلق المسجد بدمشق يقرأون القرآن جميعاً، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد، فكلما مرّت حلقة بآية سجدة، بعثوا إليه يقرأ بها، وأنصتوا له وسجد بهم، وسجدوا جميعاً بسجوده... حتى إذا فرغوا من قراءتهم قام أبو إدريس يقص. ثم قدّموا القصص بعد ذلك وأخروا القراءة».

أما في العشيات، فكان أبو إدريس يجلس على درج مسجد دمشق، مقبلاً بوجهه على القبلة، والناس تحته جلوس يسألونه فيقص عليهم ويحدثهم بالأحاديث.

وعندما عزل الخليفة أبا إدريس عن القصص وأقره على القضاء، حزن أبو إدريس وقال: «عزّلتوني عن رعيتي، وتركتموني في رهيتي» (٢٠٣).

---

(٢٠١) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٥٩، عن المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٥٣، المطبعة الأميرية.

(٢٠٢) ابن عساكر: ج ١٩، ق ٣٠٩ (١)، ترجمة: رجل من الأردن.

(٢٠٣) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٦١ (١)، ترجمة: عائد الله بن عبد الله، أبو إدريس الخولاني.

وهكذا نرى أن البعض كان يسره القيام بوظيفة القاص، ويقبل أن يقص دونما شرط، بينما كان آخرون يتمسكون بالتقليد الذي وضعه عمر بن الخطاب والذي يحدد القصص بمرة في الأسبوع. ومن هؤلاء غضيف بن الحارث الذي رفض طلب عبد الملك بن مروان بأن يقص مرتين في اليوم، واشترط أن يقص يوم الجمعة فقط<sup>(٢٠٤)</sup>.

وقد قصَّ في النصف الأول من القرن الثاني الهجري عدد كبير من قرّاء الشام ومحدثيها وفقهائها، نذكر منهم:

- إبراهيم بن شمر (أبي عبلة)، محدث (ت ١٥٢/٧٧٠) (٢٠٥).  
- بلال بن سعد السكوني، إمام مسجد دمشق وقارئه وقاصه في خلافة هشام بن عبد الملك. وكان هذا العالم يحتل، بالنسبة لأهل الشام، نفس المكانة التي احتلها الحسن بن أبي الحسن البصري عند أهل العراق. وتعكس مواعظه جو الزهد والورع الذي أحاط بعمر بن عبد العزيز. وقد روى «تاريخ مدينة دمشق» من هذه المواعظ في أكثر من عشرين صفحة، عن الأوزاعي وسعيد بن العزيز وغيرها من كبار شيوخ الشام. جاء في إحداها:

«إن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها، فزاهدكم راغب، وعالمكم جاهل، ومجتهدكم مقصّر».

والحاحه هذا على ابتعاد الإنسان عن رغبة الله وتعاليمه، جعل البعض يتهمه بالقدر. ولكنه نفى الاتهام ورد على متهميه في قصصه نفسه<sup>(٢٠٦)</sup>.

---

(٢٠٤) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٥٣ (٢)، ترجمة: غضيف بن الحارث.

(٢٠٥) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ-٢)، ق ٤٦١ (٢)، ترجمة: إبراهيم بن شمر.

(٢٠٦) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ص ٣٥٤ - ٣٧٧، ترجمة بلال بن سعد.

- عبد الله بن زيد، قاضي دمشق وقاصّها، رافق الجيش الذي حاصر القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك (٢٠٧).

- عثمان بن أبي العاتكة (ت بعد ٧٥٨/١٤٠)، قاضي دمشق وقاصّها. قام بالإضافة إلى ذلك باقراء القرآن ورواية الحديث (٢٠٨).

وجدير بالذكر أن «تاريخ مدينة دمشق» لم يذكر من القصاص إلا العلماء الكبار الذين قصّوا لأغراض دينية وخلقية. أما أولئك الذين وضعوا قصصهم في خدمة اغراض السلطان فلم يُذكروا إلا عرضاً في ترجمات أخرى، ذلك أن الجماعة الإسلامية لم تكن تنظر لهم باحترام. وتصور لنا القصة الآتية نشاط هذه الفئة من القصاص:

- «عن الجنيد بن عبد الرحمن الميطي الحوراني قال: دخلت من حوران أخذ عطائي، فصليت الجمعة، ثم خرجت إلى باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبة القاص يقصّ على الناس. فرغّب فرغبتنا وخوف فبكينا، فلما انقضى حديثه قال: «اخمتموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فلعنوا أبا تراب. فالتفتُ عن يميني فقلت له: فمن أبو تراب؟ قال: علي بن أبي طالب. فقلت: ما أصاب هذا القاص؟ فقمت إليه وكان ذا وفرة، فأخذت وفرته بيدي وجعلت أطم وجهه وأنطح برأسه الحائط، وصاح واجتمع أعوان المسجد فوضعوا رداي في رقبتي، وساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبد الملك، وأبو شيبة يتقدمني، فصاح: يا أمير المؤمنين، قاصك، وقاصّ آبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. وعندما عرف هشام اني أنا من فعل

---

(٢٠٧) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٠١ (٢)، ترجمة: عبد الله بن زيد.

(٢٠٨) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٣٦ (١)، ترجمة: عثمان بن أبي العاتكة.

ذلك، أرسلني إلى السند» (٢٠٩)

ويجب أن نشير أيضاً إلى أنه بالإضافة إلى القصاص الرسميين، كان هناك علماء وزهاد يقدمون مواعظ شفوية أو خطية للأصدقاء والمسؤولين، من تلقاء أنفسهم، أو بناء على طلب هؤلاء الأشخاص.

فقد وجّه سابق بن عبد الله الرقي موعظة شعرية مكتوبة إلى عمر بن عبد العزيز (٢١٠)، ووجّه الأوزاعي موعظة مكتوبة إلى أبي جعفر المنصور (٢١١). وفي كلتا الحالتين كان الخليفة يطلب الموعظة من العالم، وكان العالم يجيبه كتابة.

وعندما اتسع تيار الزهد والتصوف في القرن الثالث الهجري، راحت حلقات الوعظ في المساجد تنافس حلقات الحديث والفقهاء. ومن أشهر هذه الحلقات في مسجد دمشق في تلك الفترة حلقة القاسم بن عثمان الجوعي (٢١٢).

وقد استغل بعض المشعوذين هذا الجو فأساءوا واستعمال القصص، مما دعا الخليفة المعتضد إلى إصدار أمر عام ٨٩٨/٢٨٤ بإبعاد القصاص عن المساجد، ومنع الناس من التجمع حولهم (٢١٣).

---

(٢٠٩) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٩ (٢)، ترجمة: جُنادة بن عمرو بن الجنيدي.

(٢١٠) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١ (٢)، ترجمة: سابق بن عبد الله.

(٢١١) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٦٤ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(٢١٢) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٤٤ (١)، ترجمة: القاسم بن عثمان الجوعي.

(٢١٣) - E. I.: Vol. III, P. 378, art: Masdjid, par Pedersen.

بدأ الاتجاه لحياة الزهد والتصوف مع الجيل الأول من المسلمين الذين استقروا في الشام، ويأتي في طليعتهم أبو الدرداء وأبو ذر الغفاري. وقد ظهر مع هذين الصحابين تياران متميزان ينزع أحدهما نزعة مسالمة، والآخر نزعة ثائرة.

أما أبو الدرداء فقد كان قبل الإسلام تاجراً. وبعدهما أسلم، جرّب أن يوفق بين التجارة وممارسة العبادة والتعليم. ولما لم ينجح في ذلك، ترك التجارة وانصرف كلياً للعبادة والتعليم، مكتفياً بعطائه الذي يبلغ ٤٠٠ درهم (في السنة على الأغلب). فكان يسكن خيمة من وبر الجمل، ويكتفي بالقليل من الطعام، ويقضي نهاره في جامع دمشق يصلي ويعظ ويعلم.

لم يكن أبو الدرداء يؤيد الأمراء في بذخهم وترفهم، ولكنه لم يفكر في توجيه النقد إليهم، أو الثورة عليهم.

- يروى أنه حضر بياب معاوية فحجبه، فقال: «اللهم غفرانك! إن من يحضر أبواب السلطان يقوم ويقعد، وإن من يجد باباً مغلقاً يجد إلى جنبه باباً مفتوحاً رحيباً إن سأل أعطي وإن دعا أجيب. وإن أول نفاق المرء طعنه على إمامه» (٢١٤).

ولأبي الدرداء حكم ومواعظ كثيرة، نذكر منها: «من فقه الرجل رفته في معيشته، ومن فقه الرجل أن يعلم أمزداد هو أم منتقص، ومن فقه الرجل أن

---

(٢١٤) ابن عساكر: ج ١٣، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: عويمر بن زيد بن قيس، أبو الدرداء.

يتعاهد ما به وما تغير منه، ومن فقه الرجل أن تسره حسنته وتسوءه سيئته» (٢١٥).

هذه الصفات التي تحلى بها أبو الدرداء أهلته في الحديث النبوي الشريف للقب «حكيم هذه الأمة». عن جبير بن نفيير، قال رسول الله: «إن لكل أمة حكيمًا وحكيم هذه الأمة أبو الدرداء» (٢١٦). وقال عنه رسول الله أيضاً: «... وأبو الدرداء أعبد أمتي وأتقأها» (٢١٧).

وأما أبو ذر الغفاري، فهو على ما يذكر ابن عساكر، أول من تكلم في «علم الفناء والبقاء». ولا ندري بالضبط ما الذي يعنيه بذلك.

تبين لنا ترجمة أبي ذر، أنه كان يسكن أيضاً في خيمة من الشعر، ويعيش من عطائه الذي يبلغ ٤٠٠ درهم، وهو نفس العطاء الذي كان يحصل عليه أبو الدرداء. أضف إلى ذلك أنه كان يغزل الصوف ويجالس الفقراء، ويبتعد عن الأغنياء ويناصبهم العدا.

ويبدو أنه كان ينتقد والي الشام وحاشيته علناً. فعندما اتخذ معاوية قصر «الخضراء» بدمشق، قال له أبو ذر: «إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف». وعندما ضاق به معاوية منعه من الفتوى ونهى الناس عن مجالسته، ثم أرسل إلى الخليفة عثمان فاستدعاه إلى المدينة، ثم نفاه إلى الرَبْذَة (٢١٨)، حيث مات عام ٣٢/٦٣٣ (٢١٩).

---

(٢١٥ - ٢١٧) ابن عساكر: ج ١٣، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: عويمر بن زيد بن قيس، أبو الدرداء.

(٢١٨) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤، الرَبْذَة: قرية قريبة من المدينة.

(٢١٩) ابن عساكر: ج ١٩، ق ٢٠١ (٢)، ترجمة: أبو ذر، جندب بن جنادة.

وقد عدّ هذا الصحابي، حيناً، أول الصوفيين، وحيناً آخر، أول  
الثائرين في الإسلام.

وفي النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ظهر زاهدان كبيران  
آخران في دمشق، وهما الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، الذي ترجمنا له  
فيما سبق، وهُجَيْمَة بنت حُيَي، أم الدرداء، وهي زوجة أبي الدرداء  
(ت ٧٠١/٨١).

تعلمت هذه المرأة الزاهدة العلم والعبادة على يد زوجها. وعندما توفي  
طلب يدها معاوية بن أبي سفيان فرفضته وانصرفت للعلم والعبادة.

كانت أم الدرداء تستقبل في بيتها الطلاب والعلماء، فتعلم الطلاب القراءة  
والكتابة والقرآن والحديث، وتتذاكر الأحاديث مع العلماء. كما كان يجتمع  
عندها عدد من النسوة فيمضين الليل في الصلاة حتى تتورم أقدامهن.

واجتماع النسوة هذا للعبادة يجعل من بيت أم الدرداء، أول رباط، أو  
خانقاه للنساء في الإسلام.

وقد أمضت أم الدرداء السنوات الأخيرة من عمرها تنتقل بين دمشق وبيت  
المقدس، تقضي ستة شهور هنا، وستة شهور هناك، تعيش أثناءها مع النساء  
الفقيرات في قبة الصخرة، على ما يبدو<sup>(٢٢٠)</sup>.

★ ★ ★

---

(٢٢٠) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٤٠٨ (١)، ترجمة: هجيمة بنت حبي، أم الدرداء.  
أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٤٣٦ (١)، ترجمة: نساء متعبدات.

لقد رأينا أن الزهاد الأوائل تركوا الأنشطة الدنيوية ليندروا أنفسهم للتعليم الديني والعبادة. ولكننا نصادف في نهاية القرن الأول من تخلي عن التعليم أيضاً في سبيل العبادة، كأبي أسيد الفزاري الدمشقي الذي كان يصوم دون انقطاع، ويمضي يومه من الفجر حتى العشاء في الصلاة والذكر<sup>(٢٢١)</sup>، وعبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، الذي كان يزاول السكوت ويرى فيه ضرباً من العبادة<sup>(٢٢٢)</sup>

وبعد انتقال مقر الخلافة من الشام، اتسع تيار الزهد فيها بقدم الزهاد إليها من الشرق والعراق ومصر وغيرها من أقطار العالم الإسلامي. كان هؤلاء يأتون الشام للرباط والجهاد في ثغورها البحرية والشمالية، أو السياحة في جبالها ولقاء زهادها. كما استقر بعضهم فيها، ونذكر من هؤلاء ابراهيم بن أدهم التميمي العجلي.

كان إبراهيم بن أدهم ابناً لأمير عربي غني من ساكني بلخ، ففر من حياة الترف وجاء الشام ليتفرغ لثلاثة: «شكر الله على النعم، والاستغفار للذنوب، والاستعداد للموت». وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين.

وكما ابتعد إبراهيم بن أدهم عن الثروة والجاه، ابتعد عن طلب الحديث وروايته، خوفاً من أن يؤدي به العلم إلى الغرور. يروى أنه جلس إلى بعض العلماء فجعلوا يتذكرون الحديث وهو ساكت. فقال له بعض أصحابه: يا أبا إسحاق، ابتدأت بالحديث ثم قطعت، وقد كان القوم أنصتوا لك. فقال: «إني

---

(٢٢١) المصدر نفسه: ج ١٨ (ب)، ق ٧٩ (١)، ترجمة: أبو أسيد الفزاري.

(٢٢٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٣٣٣ (٢)، ترجمة: عبد الله بن أبي زكريا.

لأخشى مضرة ذلك المجلس في قلبي إلى اليوم» (٢٢٣).

ويروى أيضاً أنه مر على الأوزاعي وحوله الناس، فقال له: «على هذا عهدت الناس، كأنك تعلم وحولك الصبيان! لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لعجز عنهم». فقام الأوزاعي وترك الحلقة» (٢٢٤).

وعندما رأى شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي طول مقام إبراهيم بن أدهم بالشام سأله عن سبب ذلك، فأجابه إبراهيم: «ما تهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام. أفرّ بدني من شاهق إلى شاهق. فمن يراني يقول موسوس، ومن يراني يقول فلاح، ومن يراني يقول حمّال» (٢٢٥).

لقد كان الزهاد يقصدون الشام. بعد أن انتقلت عاصمة الخلافة منها، لبعدها عن مكايد السياسة ومظاهر الترف والغنى، ولكثرة جبالها التي يستطيعون الانزواء فيها والسياحة على غير هدى.

وقد برز في الشام، في القرن الثاني، اتجاه آخر يتمثل في كتابة الأشعار والحكم التي تحث على النسك والفضيلة. وأبرز ممثلي هذا الاتجاه:

- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧/٧٧٤)، وهو عالم الشام في الفقه والحديث (٢٢٦).

---

(٢٢٣)، (٢٢٤) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ-٢)، ق ٤٣٦ (١)، ترجمة: إبراهيم بن أدهم.

(٢٢٥) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٣٣ (١)، ترجمة: شقيق بن إبراهيم.

(٢٢٦) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

- سعيد بن عبد العزيز التنوخي (ت ١٦٧/٧٨٤)، وهو فقيه ومحدث  
دمشقي (٢٢٧).

- صالح بن جناح اللخمي، وهو شاعر كوفي الأصل (٢٢٨).

كما تبلورت في نهاية هذا القرن بعض المبادئ المتصلة بالزهد على يد عبد  
الرحمن بن أحمد بن عطية الغنسي، المعروف بأبي سليمان الداراني  
(ت ٢٠٤/٨٢٠ أو ٢١٥/٨٣١).

لقد استطاع هذا الزاهد الذي أقام بداريا في غوطة دمشق، استقطاب  
عدد كبير من التلامذة والأنصار الدمشقيين إلى الحد الذي جعل السلطة  
تحشى تأثيره فتبعده إلى الساحل. فرأى أهل دمشق أنه إن لم يرجع إليهم  
هلكوا، فخرجوا في طلبه وشفعوا به حتى رده (٢٢٩).

أما التعاليم التي يمكن استخلاصها من ترجمته فتتلخص فيما يلي:

- الإيمان بالقدر: قال أبو سليمان الداراني: «صَلَّيتُ وخَلْفِي قَدْرِي، فَلَمَّا  
سَلَّمْتُ إِذَا هُوَ خَلْفِي رَافِعٌ يَدَيْهِ يَدْعُو. فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى يَدَيْهِ وَأَمْسَكْتُهَا،  
وَقَلْتُ لَهُ: أَتَسْأَلُ أَنْتَ؟ دَعْنِي أَسْأَلُ أَنَا الَّذِي أَزْعَمُ أَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، أَمَا  
أَنْتَ الَّذِي تَزْعَمُ أَنَّكَ تَعْمَلُ مَا تَرِيدُ فَاذْهَبْ وَاعْمَلْ» (٢٣٠).

- التعفف: قال أبو سليمان الداراني: «مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح  
الآخرة الجوع».

---

(٢٢٧) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٤ (١)، ترجمة: سعيد بن عبد العزيز.

(٢٢٨) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٦٣ (٢)، ترجمة: صالح بن جناح.

(٢٢٩)، (٢٣٠) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٥٩ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن أحمد بن  
عطية.

وسأله أحد تلاميذه: بم نال أهل المحبة محبة الله عز وجل؟

قال: « بالعفاف وأخذ الكفاف » (٢٣١).

- العمل من أجل تأمين عيش الكفاف: قال له أحد تلاميذه: أريد أن أدع السوق وأتعبد.

- فقال أبو سليمان الداراني: إلزم السوق وتعبد.

- قال التلميذ: فليس في السوق ما يكفيني.

- قال أبو سليمان: إذا كنت تحتاج درهماً، وتكسب في السوق دانقاً، فإن

تحتال خمسة دوانيق خير من أن تحتال الدرهم كما هو.

- قال التلميذ: إنك تخالف العلماء.

فغضب أبو سليمان وقال: « هل رأيت عالماً قط؟ رأيتُ عالماً يأتي أبواب

السلطان ويأخذ دراهمهم » (٢٣٢).

وقد تبع أبا سليمان الداراني عدد من زهاد الشام، أبرزهم: قاسم بن عثمان

العبيدي الجوعي (ت ٢٤٨/٨٦٣)، وأحمد بن أبي الحواري التغلبي

(ت ٢٤٦/٨٦٠).

أما القاسم الجوعي فقد كان محدثاً، وكانت له حلقة دائمة بجامع دمشق،

ولكنه على ما يبدو حوَّله إلى حلقة للوعظ.

- قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: « دخلت دمشق على كنية

الحديث، فمررت بحلقة قاسم الجوعي، فرأيت نفرأً جلوساً حوله وهو يلقي

مواعظه، فجعلت فائدتي من دمشق » (٢٣٣).

---

(٢٣١، ٢٣٢) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٥٩ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية.

(٢٣٣) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٤٤ (١)، ترجمة: قاسم بن عثمان الجوعي.

وأما أحمد بن أبي الحواري فقد كان يلقب « ركانة الشام » لسعة معرفته بشؤون الزهد والزهاد، وإليه يرجع الفضل في رواية ترجمات الزهاد وأخبارهم.

بدأ أحمد بن أبي الحواري حياته العلمية بدراسة الحديث، فلما بلغ منه الغاية حمل كعبه كلها إلى البحر ففرّقها وقال: « يا علم، لم أفعل ذلك تهاوناً بك ولا استخفافاً بحقك، ولكنني أطلبك لأهتدي بك، فلما اهتديت بك إلى الله استغنيت عنك »<sup>(٢٣٤)</sup>. ويروى عن هذا الزاهد أيضاً قوله: « لا دليل على الله سواه، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة ». وهذان القولان يختلفان اختلافاً كبيراً كما نرى<sup>(٢٣٥)</sup>.

ويسرد ابن عساكر حكايتين عن نشاط هذه المجموعة من الزهاد والمتصوفة.

تقول الحكاية الأولى، وهي برواية أحمد بن أبي الحواري: « صليت الغداة ثم جلست أذكر الله قبل طلوع الشمس، إذ دخل أبو سليمان الداراني من باب الساعات (جامع دمشق)، فوقف بقاسم الجوعي، فلم وأشار إليه أن يقوم. فمرّ بي فسلم وأشار إليّ أن أقوم. فقمنا نمشي وراءه، حتى انحدر من الدرج، ثم أخذ في سوق الأحد، حتى أتى (المربعة)، فدخل في قنطرة بني مدلج، حتى أتى (النبطيون)، وأخذ يسرة، فمر بدار فجازها، ثم أتى داراً أخرى فدخل ودخلنا معه، ففتح باب بيت، ثم دخل وسلم ودخل قاسم معه، وجلستُ أنا على يمينه الباب فلم أر شيئاً من الظلمة. فلما جلسنا ساعة تأملتُ فإذا بامرأة عليها جبة صوف وخمار صوف وفي يدها سبحة. فلما دخل ضوء

---

(٢٣٤)، (٢٣٥) المصدر نفسه: ج ٢ (من) ق ٦٠، ترجمة: أحمد بن عبد الله (أبي الحواري).

الشمس من كوة في البيت ردت علينا السلام .

- قال لها أبو سليمان (رحمة الله عليه): يا أم هارون، كيف أصبحت؟
- قالت: كيف أصبح من قلبه في يد غيره، يقول به هكذا وهكذا .  
وأشارت بيدها .
- قال أبو سليمان: يا أم هارون، ماذا تقولين في الرجل يحب لقاء الله؟
- قالت: ويحك! ذاك رجل ثقلت عليه الطاعة وأحب الراحة منها .
- فقال لها: فإنه إذا أحب البقاء في الدنيا .
- قالت: بخ بخ! ذاك رجل أحب الطاعة وأحب أن يبقى لها وتبقى له .  
ثم سلم وخرجنا . فسالنا أبا سليمان عنها (عن المرأة)، فقال: هذه  
أستاذتي «(٢٣٦)» .

وتقول الحكاية الثانية، وهي برواية عبد الرحيم بن محمد، أبي محمد الأنصاري الداراني: «اتفقنا مشايخ من دمشق، فينا أحمد بن أبي الحواري، وقاسم بن عثمان الجوعي، وذكرى بن العلاء، وأبو مسعود بن أبي جميل، وحسن بن شوذب... فمضينا يوم الخميس، ليلة الجمعة نبئت عند أبي سليمان الداراني. فخرجنا من باب الجابية فإذا بأبي سليمان مقبل على حمار بسرج والرسن في يده... فوقفنا ومعنا أم هارون الخراسانية وتلميذها عبد العزيز ابن عمير، فوقف أبو سليمان في وسطنا... وقال: يا أحمد! فقلنا: لبيك يا معلم... قال: قل لها (لأم هارون) تريد الموت؟ فقالت: لا، والله لو عادت آدمياً لكرهت لقاءه، فكيف أريد لقاء الله عز وجل وأنا عاصية له؟ فصاح أبو سليمان،

---

(٢٣٦) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٤٣٢ (١)، ترجمة: أم هارون الخراسانية.

ووقع عن حماره «(٢٣٧)» .

نستخلص من هاتين الحكايتين أن الموضوعات التي كانت تتردد في أوساط الزهاد هي: ذنوب الإنسان، والخوف من الله، وتطهير النفس للقاءه .

وتتردد في تراجم هؤلاء الأشخاص أيضاً إشارات لرياضات وسياحات تفيد في تطهير النفس دون ذكر تفاصيل عنها . على أن هناك شبه إجماع على ضرورة التخلي عن الجلوس لرواية الحديث .

- يروى عن خلف بن تميم أنه ذهب إلى يوسف بن أسباط الزاهد، وقال له أوصني . فقال الزاهد: أوصيك بترك الحديث . فقال له خلف: يا أبا محمد، فلم كتبناه وأدجنا فيه بالأسحار ولم رحلنا فيه؟ فقال يوسف: يا أبا عبد الرحمن، أليس قد أكل به الألباء العقلاء، واستزاروا الولاة واستطالوا به على أهل بلادهم؟ أينما جلس مجلساً فأحب أن يقوم منه حتى يعرف مكانه؟ فمن سلم من هذا....؟(٢٣٨) .

إن هذا الموقف يتفق كلياً مع الموقف الذي صادفناه عند إبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني وأحمد بن أبي الحواري .

---

(٢٣٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤١٦ (١)، ترجمة: عبد الرحيم بن محمد... أبو محمد الأنصاري .

ملاحظة: الحكايتان مختلفان في الجانب الشكلي وهو ما يمس مدى معرفة كل من هؤلاء الزهاد بأمر هارون، ولكنها تتفقان من حيث الفكرة المطروحة وهي موقف أم هارون من الموت . لذلك حذفنا التناقض واكتفينا بعرض الفكرة الرئيسة .

(٢٣٨) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٢٤٤ (١)، ترجمة: خلف بن تميم .

اتسع تيار الزهد والتصوف اتساعاً كبيراً في الشام، في القرن الثالث، وبرزت فيه اتجاهات وممارسات ترسخت في العصور اللاحقة. منها لبس المرقعات، والانسحاب إلى الرُّبَط والأماكن المنزوية، والصمت والتأمل.

فقد كان عيسى بن محمد بن اسحاق الرملي (ت ٢٥٦/٨٧٠) مثلاً ينتقل من مكان إلى آخر، وعلى ظهره خرقة لا تتجاوز الذراع<sup>(٢٣٩)</sup>.

كما عارض سُبَّاع الموصلي فكرة «الخوف من الله» التي كانت تدور بين أتباع أبي سليمان الداراني، بفكرة «الأنس بالله». وما قاله سُبَّاع لأبي سليمان: «لو كان لك عبدان أحدهما يعمل على المحبة والآخر يعمل على الخوف منك، فأيهما تفضل؟»<sup>(٢٤٠)</sup>.

وأحدث «الكرامية» بعد موت معلمهم، محمد بن كرام (ت ٢٥٥/٨٧٠) رباطاً لهم ببيت المقدس يتنسكون به. ولا نعرف الصلة، بالضبط، بين موقف الكرامية الذي يرى أن «الإيمان قول»، وبين ممارساتهم في الزهد والتنسك<sup>(٢٤١)</sup>.

أما محمد بن أحمد، الذي يعرف باسم أبي بكر بن سيد حمدويه (ت ٣٠٠/٩١٣)، فقد انسحب إلى مغارة بجبل قاسيون في دمشق، وبقي هناك في صمت كامل مدة أحد عشر عاماً، وقد نسبوا له الكرامات<sup>(٢٤٢)</sup>.

---

(٢٣٩) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٠٦ (١)، ترجمة: عيسى بن محمد بن اسحاق.

(٢٤٠) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٢ (٢)، ترجمة: سُبَّاع، أبو محمد الموصلي الزاهد.

(٢٤١) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٢٧٦ (١)، ترجمة: محمد بن كرام.

(٢٤٢) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥٩٢ (١)، ترجمة: محمد بن أحمد بن سيد حمدويه.

وأما عبد العزيز المطرّز الدمشقي فقد اتبع « طريقة » للوصول إلى الله ،  
تكون من الخطوات التالية:

كان يجلس في موضع من المقصورة بجامع دمشق بحيث يركز بصره على  
جزء من الحائط كتب عليه: « ألم يعلم بأن الله يرى ». فكان يجد في ذلك  
تقوية لحاله .

ثم ارتقى من حال « المراقبة » هذه إلى حال « المشاهدة »، يشاهد فيها  
(الله) بجميع كيانه، ويريد بغير طلب منه ودوناً مشقة<sup>(٢٤٣)</sup>.

كان بعض المتصوفة والعباد يتبعون معلماً يقود خطاهم في هذا الطريق،  
وآخرون يعتمدون على جهدهم الشخصي. ولكن صحبة « المعلم » أو  
« الشيخ » أصبحت منذ هذا القرن حجر الزاوية في تربية المتصوفة، « ومن  
لم يتأدب بأستاذ فهو باطل »، كما قال عمر بن سعيد، أبو بكر الطائي  
المنبجي<sup>(٢٤٤)</sup>.

وإلى جانب هؤلاء الأفراد الذين ذكر « تاريخ مدينة دمشق »، أسماءهم  
وترجم لهم، هناك إشارات لأفراد وجماعات مارسوا الزهد والعبادة دون  
ذكر لأسمائهم. فهو يذكر مثلاً أن خمسة عشر رجلاً من الصالحين كانوا  
يتعبدون بدمشق أو بجبالها وساحلها. ومعظم هؤلاء من أصحاب إبراهيم بن  
أدهم وقاسم بن عثمان الجوعي<sup>(٢٤٥)</sup>. كما يشير لعدد من النسوة كن يتعبدن  
أيضاً بدمشق وفي جبل لبنان<sup>(٢٤٦)</sup>.

---

(٢٤٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٥٤ (٢)، ترجمة: عبد العزيز المطرّز، أحد العباد .

(٢٤٤) المصدر نفسه، ج ١٣، ق ٨١ (١)، ترجمة: عمر بن سعيد بن أحمد، أبو بكر الطائي .

(٢٤٥) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٣١ (٢) - ٣٣٤ (١)، ترجمة: خمسة عشر رجلاً من الصالحين .

(٢٤٦) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٤٣٧ (٢)، ترجمة: ثلاث نسوة متعبدات .

## ٤ - العلاقات بين أهل العلم

رأينا أن الجماعة الإسلامية كانت تقدر العلم والعلماء . وقد انعكس هذا التقدير في سلوك العلماء بعضهم تجاه بعض أساتذة وطلاباً . والشواهد على ذلك كثيرة لا يسعنا أن نسوقها كلها ، ولكننا لا نرى بدأً من عرض بعضها على سبيل المثال .

كان الأساتذة إذا التقوا في مجلس يعطون الأولوية في الكلام لأكبرهم سناً ، أو أكثرهم علماً .

- فقد أتى عبد الله بن عمرو بن العاص على نوف البكالي (دمشق) وهو يحدث . فقال له : حدث ... فأجاب نوف : ما كنت لأحدث وعندي رجل من أصحاب رسول الله ، ثم من قريش (٢٤٧) .

وقد استمر هذا التقليد في القرون التالية :

- كان رجاء بن حيوة (فلسطين) ، وعدي بن عدي (الجزيرة) ، ومكحول (دمشق) في المسجد (مسجد دمشق على الأرجح) ، فسأل رجل مكحولاً عن مسألة ، فقال مكحول : سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة (٢٤٨) .

- وكان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة ، وسعيد بن عبد العزيز حاضر ، قال : سلوا أبا محمد ، تعظيماً له (٢٤٩) .

---

(٢٤٧) المصدر نفسه : ج ١٧ ، ق ٤٠٢ (١) ، ترجمة : نوف بن فضالة .

(٢٤٨) المصدر نفسه : ج ٦ ، ق ٨٧ (٢) ، ترجمة : رجاء بن حيوة .

(٢٤٩) المصدر نفسه : ج ٧ ، ق ١١٤ (١) ، ترجمة : سعيد بن عبد العزيز .

كما كان العلماء الغرباء عندما يزورون مدينة ما، يظهرون الاحترام لعلماء المدينة، فلا يحدثون إلا بحضورهم أو بعد الحصول على موافقتهم.

- فعندما جاء الليث بن سعد دمشق، كان يجالس عالمها سعيد بن عبد العزيز، فيأتيه أصحاب الحديث ويعرضون عليه (٢٥٠).

- وعندما مر أبو فديك بطبرية، أتاه أهلها يسألونه التحديث، فرفض مبرراً ذلك بأنه لا يجوز له أن يحدث في بلدة فيها فقيه مثل دُحَيْم. فجاء دُحَيْم إليه وقال له: إن هذه بلدة نائية عن جادة الطريق، وقل من يقدم عليها، ففعل (٢٥١).

كما كان تكريم العلماء يتجلى في المناسبات:

- فعندما غادر أبو هريرة دمشق، شيعه أهلها حتى الكسوة (٢٥٢).

- وعندما ذهب الأوزاعي، في إحدى المرات، إلى الحج بلغ سفيان الثوري (أحد علماء الكوفة) وهو بمكة مقدمه، فخرج حتى لقيه بذئ طوى. فلما لقيه حلّ رسن البعير من القطار ووضع على رقبته وسار به. فإذا مرّ بجماعة قال: الطريق للشيخ (٢٥٣).

- وفي رواية أخرى أن أحدهم رأى في موسم الحج شيخاً راكباً على جمل، وشيخاً يقوده، وآخر يسوقه، وهما يقولان أوسعوا للشيخ، فقال من

---

(٢٥٠) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٤ (١)، ترجمة: سعيد بن عبد العزيز.

(٢٥١) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٦٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدُحَيْم الفقيه.

(٢٥٢) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٥١ (١)، ترجمة: غالب، بن عبد الله بن شعوذ.

(٢٥٣) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

الراكب؟ قيل الأوزاعي، ومن القائد؟ قيل سفيان الثوري، والسائق؟ قيل مالك بن أنس (٢٥٤).

وكان المعلمون، بصورة عامة يرعون طلابهم ويعاملونهم باحترام:  
- قال سعيد بن عبد العزيز: كنا عند مكحول كبعض ولده (٢٥٥).

كما كانوا يكافئون النابهين من طلابهم بأن يوصوا لهم بحلقتهم.  
- فقد أوصى مكحول بحلقته في مسجد دمشق لثابت بن ثوبان (٢٥٦).  
- وأوصى الأوزاعي بحلقته في مسجد بيروت للهقل بن زياد.

وكان بعض الطلبة يسألون معلمهم السماح لهم بأن يخلفوهم في حلقتهم:  
- قال يزيد بن عبد الصمد: «قدم علينا أبو زرعة الرازي (سنة ٨٤٢/٢٢٨) فما رأينا مثله. وكنا نجلس إليه، فلما أراد الخروج قلت له: يا أبا زرعة، اجعلني خليفتك في هذه الحلقة: فقال لي: قد جعلتك (٢٥٧).

وليس أدل على احترام المعلمين للطلبة من هذا المثال:  
- قال الوليد بن مسلم: شِئْنَا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده، فأبعد في تشييعنا حتى مشى معنا فرسخين أو ثلاثة: فقلنا له: أيها الشيخ!

---

(٢٥٤) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي  
(٢٥٥) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٤ (١)، ترجمة: سعيد بن عبد العزيز.  
(٢٥٦) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٨٤ (١)، ترجمة: العلاء بن الحارث الذماري.  
(٢٥٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥٤١ (١)، ترجمة: عبيد الله بن عبد الكريم، أبو زرعة الرازي.

يصعب عليك المشي على كبر السن. قال الأوزاعي: «امشوا واسكتوا. لو علمتُ أن هناك طبقة أو قوماً يباهي الله بهم، أو أفضل منكم لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس» (٢٥٨).

وهناك أمثلة قليلة جداً تسوء فيها العلاقات بين المدرسين والطلبة، أبرزها هذا المثال:

- كان المؤمل بن إهاب (الرملة - ت ٢٥٤/٨٦٨) يتعسر مع الطلبة، وكان هؤلاء يحرصون على سماعه. فمضوا جميعهم إلى السلطان وبعثوا وفداً منهم لمقابلته... فقالوا له: إن لنا عبداً أردنا بيعه فامتنع علينا. قال لهم السلطان: وكيف أعلم صحة ما ذكرتم؟ قالوا إن معنا بالباب جماعة من حملة الآثار وطلاب العلم وثقات الناس... يكتفى بالنظر إليهم دون المسألة عنهم... فأدخلهم السلطان، وسمع منهم مقالتهم، ووجه بالشرطة إلى المؤمل يدعونه إليه، فتعزز، فجذبوه وجروه... وحبسوه... فلم يزل في حبسه أياماً حتى علم بذلك جماعة من إخوانه، فصاروا إلى السلطان وتوسطوا له، وقالوا له إنه إمام من أئمة المسلمين في الحديث، فأمر بإخراجه واعتذر له. وأصبح بذلك أقل امتناعاً وعسراً حتى توفي (٢٥٩).

---

(٢٥٨) المصدر نفسه: ترجمة الأوزاعي.

(٢٥٩) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٣١٥ (٢)، ترجمة: المؤمل بن إهاب.

## ٥ - المسائل الاقتصادية

لهذه المسائل جانبان: جانب نظري وآخر عملي. فمن الناحية النظرية، كانت أهمية التعليم الديني تتطلب توفيره لجميع المسلمين، ولذلك كان من الضروري تقديمه لهم مجاناً. والحديث الذي ينتهي سنده إلى عبادة بن الصامت، يؤيد هذا الاتجاه.

عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله يشغل، فإذا قدم الرجل مهاجراً على رسول الله دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن. فدفع إليّ رسول الله رجلاً كان معي في البيت، أعشيه عشاء البيت، وكنت أقرئه القرآن. فانصرف إلى أهله، فرأى أن عليه حقاً فأهدى إليّ قوساً لم أر أجود منها عوداً ولا أحسن منها عطفاً. فأتيت الرسول فقلت: ما ترى يا رسول الله؟ فقال: «جمرة بين كتفك تعلقها (أو تقلدتها)» (٢٦٠).

أما من الناحية العملية، فقد كان المعلمون والطلبة يواجهون مشكلات مادية تعقد عليهم أمور التعليم الديني نفسه. ولنبدأ بوضع الطلبة:

كانت مسؤولية حصول الطلبة على هذا التعليم تقع على السلطات من جهة، وعلى الآباء حين يكون أبناؤهم صغاراً، وعلى الأبناء أنفسهم عندما يكبرون.

وقد رأينا في القسم الثاني من هذا الكتاب، أن الحكام لم يستطيعوا دائماً توفير التعليم لجميع المؤمنين حتى في مستواه الأولي.

---

(٢٦٠) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ٩٥، ترجمة: بشر بن عبد الله - حمص.

صحيح أن الخلفاء الأمويين عينوا قراء وفقهاء للجنـد في دمشق، ولكننا لا نعرف ما إذا كان هذا الإجراء مطبقاً في جميع المناطق. كما أن الأمويين أنفسهم لم يوجدوا تسهيلات لتعليم الأطفال مجاناً.

وفي عهد الخلفاء العباسيين، اختفت هذه الوظائف على ما يبدو. ولما كان طلب العلم يحتاج إلى الوقت والمال، حق لنا أن نتساءل عن الطريقة التي كان طلبة الشام يلجأون إليها لتوفير ذلك.

وتدل الشواهد على أن وضع الطلبة لم يكن واحداً من الناحية المادية. فالطلاب الذين ينتمون لأسر ميسورة الحال كانوا يعتمدون على ثروة آبائهم.

- فاسماعيل بن عياش العنسي (حمص - ت ١٨١/٧٩٨) مثلاً ورث عن أبيه أربعة آلاف دينار، فأنفقها في طلب العلم<sup>(٢٦١)</sup>.

أما الآخرون فكانوا يلجأون إلى الجمع بين الدراسة والعمل. وأمثلة ذلك:

- المغيرة بن زياد البجلي (الموصل)، وكثير بن هشام الكلبي (الرقّة - ت ٢٠٧/٨٢٣) اللذان كانا يستفيدان من أسفارهما التجارية بين الشام والعراق لسماع العلماء في البلدين<sup>(٢٦٢)</sup>.

- ولم يكن عروة بن مروان (عرقّة) يرى الاشتغال بالتجارة، فكان يأتي

---

(٢٦١) المصدر نفسه: ج ٢ (ك - ٢)، ق ٣٢٧ (١)، ترجمة: اسمعيل بن عياش.

(٢٦٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ١٩١ (٢)، ترجمة: المغيرة بن زياد، أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٢٠ (٢)، ترجمة: كثير بن هشام.

بريخان ينبت في الجبال إلى مصر، فيبيعه ويتقوت بثمره (٢٦٣).  
- واستغل شهر بن حوشب (دمشق أو حمص) معرفته بالعزف والغناء لتوفير مصروفاته خلال رحلته إلى الحجاز (٢٦٤).  
- واضطر حبيب بن أوس، أبو تمام الطائي (جاسم - ت ٨٤٦/٢٣١) لسقي الماء في الجامع بمصر، لتوفير المال اللازم لدراسته هناك (٢٦٥).

وكان البعض يحصل أحياناً على أعطيات من السلطان، مثال ذلك:  
- كان عدد من الطلبة الغرباء يدرسون بالشام (أو الجزيرة). واتفق أن مرّ بهم عبد الله بن طاهر، والي المأمون، فأعطى كلاً منهم ألف درهم (٢٦٦).

والبعض الآخر يحصل على مساعدة الأساتذة، مثال ذلك:  
- قال زياد بن سعد للزهري: إن حديثك ليعجبني ولكن ليس معي نفقة فأتبعك. فقال الزهري: إتبعني أحدثك وأنفق عليك (٢٦٧).

والبعض الآخر أيضاً يحصل على رعاية أحد كرام القوم، مثال ذلك:  
- قال الأوزاعي: « مات أبي وأنا صغير. ذهبت للعب مع الصبيان فمر بنا شيخ جليل من العرب، ففر الصبيان حين رأوه وثبتت أنا. فقال: ابن من أنت؟ فأخبرته، فقال: يا بن أخي، رحم الله أباك. فذهب بي إلى بيته، فكننت معه حتى بلغت، فألحقني في الديوان، ثم ضرب علينا بعث إلى

---

(٢٦٣) المصدر نفسه: ج ١١، ق ١٨٥ (١)، ترجمة: عروة بن مروان.  
(٢٦٤) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٤٦ (٢). ترجمة: شهر بن حوشب.  
(٢٦٥) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٥٤ (٢). ترجمة: حبيب بن أوس.  
(٢٦٦) المصدر نفسه: ج ٩، ق ١٣٦ (٢). ترجمة: عبد الله بن طاهر.  
(٢٦٧) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

اليامة...» (٢٦٨). وهكذا بدأت رحلته في طلب العلم.

أما المعلمون فكانوا يعتمدون في توفير معاشهم على وسائل مختلفة حسب العصور.

ففي القرن الأول، كانت فئات عديدة من الجماعة الإسلامية تتمتع بعطاء يساعدها على الانصراف لأموار التعليم. يذكر ابن عساكر من أفرادها:

- عويمر بن زيد بن قيس، أبا الدرداء (دمشق - ت ٦٥٣/٣٢) (٢٦٩)،  
وجندب بن جنادة، أبا ذر الغفاري (دمشق - ت ٦٥٣/٣٢) (٢٧٠)، وكلاهما  
من صحابة الرسول (ص). وكان عطاء كل منها ٤٠٠ درهم. ويبدو من  
وصف أحوال الرجلين وشروط معيشتها أن هذا العطاء كان متواضعاً.

- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ٧٤٢/١٢٤). اتصل بعبد الملك  
ابن مروان، فأثبته في صحابته، وأمر أن يجري عليه رزق الصحابة (٢٧١). (لا  
نعرف إذا كان المقصود بذلك صحابة الرسول (ص)، أو صحابة الخليفة).

- عمرو بن عبد الله، أبا اسحق الهمداني (الكوفة، ت ٧٤٥/١٢٧)،  
وهو تابعي جاء الشام أثناء خلافة معاوية واشترك في الجهاد ضد الروم.  
سأله معاوية عن عطاء أبيه، فقال له إن عطاءه كان (٣٠٠) درهم،

- 
- (٢٦٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.  
(٢٦٩) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: عويمر بن زيد، أبو الدرداء.  
(٢٧٠) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٠١ (٢)، ترجمة: جندب بن جنادة، أبو ذر.  
(٢٧١) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

ففرض له نفس العطاء (وكذلك كانوا يفرضون للابن مثل عطاء أبيه). ثم ازداد عطاؤه فيما بعد حتى بلغ ١٠٠٠ درهم (٢٧٢).

- سليمان بن موسى بن عبد الله (المدينة - ت ٧٢٤/١٠٥ - لا يذكر مرجعنا انتاءه القومي والقبلي)، كان يحصل على عطاء أيضاً. وكان يأتي للإقامة بالشام بين حين وآخر بصحبة خلفاء بني أمية (٢٧٣).

- عبد الرحمن، أبا المهاجر، وهو مولى قبضي من سبي بلهيب بمصر. كان عطاؤه مائتي درهم. وفد على معاوية فبنى له داراً في بني الأعجم في الزقاق المعروف بالبلهبي (٢٧٤).

- وأكبر عطاء ناله عالم في أيام الأمويين، على ما يبدو، هو عطاء رجاء ابن حيوة (فلسطين - ت ٧٣١/١١٢). فقد كان هذا الشيخ يعطى أيام يزيد ابن عبد الملك ثلاثين ديناراً شهرياً. وعندما جاء هشام إلى الخلافة، لم يغفر لرجاء نقله الخلافة من أبناء عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز، فأوقف هذا العطاء. فرأى هشام أباه، عبد الملك، في المنام يعاتبه في ذلك، فأجرى عليه ما كان قطع (٢٧٥).

وقد خصص العطاء، في القرن الثاني بصورة رئيسية للمحاربين. فاضطر جماعة لتسجيل أسمائهم في الديوان.

---

(٢٧٢) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٠١ (٢)، ترجمة: عمرو بن عبد الله، أبو اسحاق الهمداني.

(٢٧٣) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٦٤ (١)، ترجمة: سليمان بن موسى.

(٢٧٤) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤١٣ (١)، ترجمة: عبد الرحمن، أبو المهاجر.

(٢٧٥) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٨٧ (٢)، ترجمة: رجاء بن حيوة.

- ومن هؤلاء عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧/٧٧٤)، الذي انتقل من دمشق إلى بيروت، وسجل اسمه في ديوان الساحل<sup>(٢٧٦)</sup> ولا نعرف مقدار العطاء الذي حصل عليه.

وبما أن العطاء لم يكن يشمل جميع الذين اشتغلوا بالتعليم، فقد اضطر هؤلاء تدريجياً لقبول الأجر.

- فاسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، مؤدب أبناء عبد الملك بن مروان<sup>(٢٧٧)</sup>، وعبد الواحد بن قيس السلمي، مؤدب أبناء يزيد بن عبد الملك<sup>(٢٧٨)</sup>، تردداً في قبول الأجر، عملاً بالحديث الشريف: « من أخذ على تعليم القرآن قوساً قلده الله قوساً من نار يوم القيامة ». إلا أن الخليفين أصرا على أنها يدفعان الأجر مقابل تعليم العربية لا القرآن.

وفيما عدا ذلك، لم يجد المؤدبون غضاضة في الحصول على أجر مقابل عمل يشغلهم عن تحصيل قوتهم بوسائل أخرى.

- وقد قفز أجر المؤدبين مع سليمان الكلبي، الذي أدب محمد بن هشام بن عبد الملك، إلى ألف دينار شهرياً<sup>(٢٧٩)</sup>.

أما المعلمون الذين كلفوا تدريس العامة، كقرآء الجند وفقهائه والقصاص، فلا نملك معلومات عن وضعهم المادي. ولكننا نتوقع أن تكون

---

(٢٧٦) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(٢٧٧) المصدر نفسه: ج ٢ (ك - ٢)، ق ٣١٨ (٢)، ترجمة: اسماعيل بن عبيد الله.

(٢٧٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥٠٧ (١)، ترجمة: عبد الواحد بن قيس السلمي.

(٢٧٩) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٤٨ (٢)، ترجمة: سليمان بن سليم الكلبي.

لهم مرتبات، شأنهم في ذلك شأن القضاة وأهل الفتوى وسائر العمال في الدولة، وأن معظمهم كان يقبلها.

ومن الأمثلة النادرة، في نهاية القرن الأول، على الأشخاص الذين رفضوا قبول أجر مقابل تعليم القرآن، مثال الحارث بن يمجد الأشعري الذي كلفه عمر بن عبد العزيز تفتية بني تميم وتعليمهم القرآن. وجدير بالذكر أن الشخص الثاني الذي شارك الحارث في هذه المهمة، وهو يزيد بن عبد الرحمن (أبي مالك)، قبل أجره دون تردد (٢٨٠).

ومن المسائل الاقتصادية التي طرحت أيضاً في هذه الفترة مسألة الأعطيات التي ترد على العلماء من أفراد عاديين، أو من السلطان. وقد اختلفت مواقف العلماء بشأنها:

- كان مكحول بن كسرى (دمشق - ت ٧٣١/١١٣) يقبل أعطيات السلطان. فقد أعطي مرة عشرة آلاف دينار، فوزع القسم الأكبر منها بين أصحابه (طلابه)، فكان يعطي الرجل منهم خمسين ديناراً ثمن الفرس (٢٨١).  
- وسئل عطاء بن أبي مسلم الخراساني (بيت المقدس - ت ٧٥١/١٣٣).  
من أين معاشك؟ فقال: « من صلة الإخوان وجوائز السلطان » (٢٨٢).

ويقول أبو علي الروذباري: كان العلماء أربعة في زمانهم:  
واحد كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان وهو يوسف بن

---

(٢٨٠) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٥٢ (١)، ترجمة: الحارث بن يمجد الأشعري.

(٢٨١) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢)، ترجمة: مكحول.

(٢٨٢) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٢٠٥ (١)، ترجمة: عطا بن أبي مسلم.

أسباط، وقد ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ شيئاً منها، وكان يعمل الخوص بيده،

وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً وهو أبو اسحاق الفزاري، وكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين، والذي يأخذه من السلطان يخرج به إلى أهل طرسوس،

والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو عبد الله بن المبارك. كان يأخذ من الإخوان ويكافئ عليه،

والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلد بن الحسين، وكان يقول: السلطان لا يمنّ والإخوان يمنّون (٢٨٣).

ودخل أبو إسحاق الفزاري يوماً على الرشيد فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وعندما خرج لقيه ابن المبارك، فقال: من أين أقبلت؟ فقال من عند أمير المؤمنين، وقد أعطاني هذه الدنانير وأنا عنها في غنى. قال: فإن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها. فما خرج من السوق حتى تصدق بها كلها (٢٨٤). على أن بعض العلماء كان يشترط لقبول الهدية أو الصلة ألا تكون قد قدمت مقابل التعليم الديني الذي قام به.

وهكذا نرى الأوزاعي يرفض هدية من رجل جاء يسمع حديثه، ويقول له: «إن شئت قبلت هديتك ولم تسمع مني حرفاً، وإن شئت فاقبض هديتك واسمع» (٢٨٥). ولكنه في الوقت ذاته يقبل أعطيات من خلفاء بني

---

(٢٨٣)، (٢٨٤) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ - ٢)، ق ٤٨٦ (١)، ترجمة: ابراهيم بن محمد، أبو اسحق الفزاري.

(٢٨٥) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٩٣ (٢)، ترجمة: سعيد بن سالم، صاحب الأوزاعي.

أمية والعبّاس بلغت سبعين ألف دينار . وكان يوزع معظم هذه الأعطيات على الفقراء . فعندما توفي لم يخلف إلا سبعة دنانير بقية من عطائه . ويفسر الأوزاعي سلوكه هذا لابنه قائلاً: « يا بُنيّ، لو كنا نتقبل من الناس كل ما يعرضون علينا لأوشك بنا أن نهون عليهم » (٢٨٦).

- وكان عيسى بن يونس السبيعي (ت ٨٠٧/١٩١)، وهو محدث كبير أقام في الثغر المسمى « الحَدَث »، يرى الرأي نفسه.

يروى أن أهل الرقة أرسلوا إليه فأتاهم وحدثهم. فعرضوا عليه عشرة آلاف درهم، ثم رفعوها إلى خمسين، فهاثة ألف. فقال: « لا والله، لا أريد أن يتحدث أهل العلم ويقولوا إني أكلت للسنة ثمناً. ألا كان هذا قبل أن يرسلوا إليّ؟ فأما على الحديث فلا شربة ماء ولا إهليلجة » (٢٨٧).

هذه نماذج من مواقف علماء الشام عامة تجاه الأمور المادية، وهي تشكل في مجموعها محاولة لتوفير الحاجات الضرورية لحياتهم، دون الإخلال بمبدأ مجانية التعليم الديني.

ولكن أفراداً قلائل خرجوا على هذه المواقف وتكسبوا بعلمهم. والأمثلة التي ترد في « تاريخ مدينة دمشق » تتعلق بعلماء من خارج الشام. ومن هؤلاء:

---

(٢٨٦) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

(٢٨٧) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٤٦ (١)، ترجمة: عيسى بن يونس السبيعي.

- بكر بن سهل الدميّاطي (ت ٢٨٧/٩٠٠)، وهو عالم من مصر، سمع وحدث بالشام. جمع له أهل الرملة (٥٠٠) دينار ليقرأ عليهم بنفسه، فاكتفى بأن أسمعهم (من حفظه على ما يظهر). ولما قدم القدس، جمع له أهلها ألف دينار فقرأ عليهم الأحاديث (٢٨٨).

- أما مروان بن معاوية، أبو عبد الله الفزاري (ت ١٩٣/٨٠٩)، وهو محدث كوفي الأصل، تنقل بين الثغر وبغداد ومكة، فكان مُعيلًا شديد الحاجة. وكان طلابه يبرّونه، فإذا برّه أحدهم كان ينسبط إليه ما دام ذلك البرّ عنده. ففكر أحد الطلاب أن يقدم له الخل لأنه أبقى وأرخص من غيره. فكان يشتري جرّة خل فيهدّيها إليه ويرى موضع ذلك منه. فإذا فني يرى منه جفاء فيسأل جارّيته، أفني الخل؟ فتقول نعم، فيسرع إلى شراء جرّة جديدة يهدّيها إليه، فيعود الأستاذ إلى الانبساط (٢٨٩).

إن الأمثلة التي أوردناها تشير جميعاً إلى أن معظم العلماء كانوا يعانون من عدم استقرار مواردهم المالية، ومن التبعية للأصدقاء أو السلطان. وللتخلص من هذه الظروف فضل بعضهم كسب قوته بالعمل في مجالات التجارة أو الحرف، كما نصحوا طلابهم باتباع ذلك.

- قال أبو قلابة الجرمي لتلميذه أيوب السخّتياني: «إياك وأبواب

---

(٢٨٨) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ٢٤٨، ترجمة: بكر بن سهل.

(٢٨٩) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٥٠٢ (١)، ترجمة: مروان بن معاوية.

السلطان... والزم سوقك فإن أعظم العافية الفنى عن الناس» (٢٩٠)

- وروى أبو مسهر أنه سمع الحكم بن هشام الثقفي الكوفي يقول لطلابه:  
« من أعرق في الحديث فليعدّ للفقر جلباباً... فليأخذ أحدكم من الحديث  
بقدر الطاقة، وليحترف حذراً من الفاقة » (٢٩١).

ولكن هل يتوفر لطالب العلم الوقت الكافي لإتقان مهنة؟

- يقول الضحاك بن مخلد، المعروف بالنبيل، وهو محدث بصري سمع  
بالشام: « طلب الحديث حرفة المغاليس، فإن كان (الطالب) صاحب تجارة  
ترك تجارته حتى تذهب، وإن كان صاحب ضيعة ترك ضيعته حتى  
تخرب... حتى إذا بلغ ما يريد، وبلغ سبعين سنة، جاءه صبيان فقعدوا بين  
يديه، فإذا كان الشيخ ذكياً قالوا: ما أكيسه! وإذا كان الشيخ مقللاً قالوا:  
لا يحسن قراءة كتابه! » (٢٩٢).

---

(٢٩٠) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٩٧ (١)، ترجمة: عبد الله بن زيد.

(٢٩١) المصدر نفسه: ج ٥، ق ٨٧ (١)، ترجمة: الحكم بن هشام.

(٢٩٢) المصدر نفسه: ج ٨، ق ١٤٣ (٢)، ترجمة: الضحاك بن مخلد.

## ٦ - الاتجاهات الفكرية: السنة والبدع

الإسلام دين أنزل الله تعالىه على نبيه في القرآن الكريم. أما المسلمون فهم بشر، أقبل بعضهم على الدين بقلبه، واتجه البعض الآخر إليه بعقله، كما تأثر موقف فريق ثالث إزاءه بتقاليد قومه أو مصلحته، بينما ركن فريق رابع إلى سنة الرسول (ص) وما أجمع عليه المعلمون الأوائل.

المهم أن هناك فارقاً بين النص وبين فهم الناس وتفسيرهم له.

ويمكننا أن نميز، منذ القرن الأول، فئتين رئيسيتين من المسلمين:

- فئة ارتاحت ارتياحاً كاملاً إلى تفسير المعلمين الأوائل وسنتهم وتقيدت بها.

- وأخرى عملت على تعديل بعض الآراء وأشكال السلوك الموروثة، بتأثير دوافع شتى.

وهذه التغييرات التي حاول البعض إدخالها، أو أدخلوها على نطاق معين، أطلق عليها اسم «البدع».

ومن الملاحظ أن موقف المتمسكين بالسنة من البدع كان يختلف حسب درجة مساسها بالمبادئ التي حظيت بإجماع الأوائل. فقد كان هناك دائماً بدع مقبولة، وأخرى مكروهة، وثالثة مرفوضة؛ كما أن هذا الموقف كان

يختلف حسب الزمان والمكان والأشخاص (٢٩٣).

وقد ظهرت في بلاد الشام، في الفترة التي نعالجها، بدع متعددة. ولكن مرجعنا يتوقف بصورة خاصة عند مذهب «القدريّة» الذي يفترض «أن الإنسان يحدد أفعاله بنفسه، ومن هنا تنبع مسؤوليته عنها» (٢٩٤).

ويبين «تاريخ مدينة دمشق» أن شيوخ السنة في الشام لجأوا في محاربة البدع إلى أسلوبيين متوازيين:

- يتمثل الأسلوب الأول في تحذير المؤمنين منها.
- ويعمل الثاني على تحديد المواقف التي تتفق مع السنة ونشرها.

وقد تجلّى كلا الأسلوبين في ميدان التربية. وكانت الأحاديث النبوية الوسيلة الأولى لتحذير المؤمنين من البدع وأصحابها.

- روى محدث بصري، قدم دمشق في عهد يزيد بن معاوية، أنه رأى في مسجد دمشق رجلاً من الصحابة يحدث عن النبي (ص)، قائلاً: «إياكم والبدع، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة تصير إلى النار» (٢٩٥).

- وروى حرسى لعمر بن عبد العزيز عن الخليفة حديثاً يقول: «ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله عز وجل، وما أشركت أمة حتى يكون بدء

---

(٢٩٣) فيما يتعلق بهذا الموضوع، أنظر: E.I: Vol. i, p. 1234, art: Bid'a, par J. Robson.

(٢٩٤) فيما يتعلق بهذا الموضوع، أنظر: Ibid: Vol. IV, pp. 384-88, art: Kadariyya, par J. Van Ess.

(٢٩٥) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٦٨ (١)، ترجمة: عبد الرحمن بن آدم.

شركها التكذيب بالقدر « (٢٩٦) .

- وروى محدث من بيسان، في القرن الثالث، حديثاً ينتهي سنده الى عمر بن الخطاب يقول: « لا تجالسوا أهل القدر ولا تفتاحوهم » (٢٩٧).

أما موقف أهل السنة فأبرز من عمل على تحديده ونشره، هو شيخ الشام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي .  
والأصل الأول لهذا الموقف، على رأي الأوزاعي، هو الابتعاد عن النقاش في أمور العقيدة:

- قال الأوزاعي: « إذا أراد الله بقوم شراً، فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل » (٢٩٨) .

والأصل الثاني. هو السير على سنة السلف:

- قال الأوزاعي: « اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما يسعهم » (٢٩٩) .

على أن هذه الأصول اتسعت فيما بعد. ففي رواية ترجع لعام ٨٣٩/٢٢٥، يذكر محمد بن عكاشة الكرمانى، ما اجتمع عليه أهل السنة والجماعة ممن سمع ورأى من أهل العلم، من جميع أقطار العالم الإسلامى.

---

(٢٩٦) المصدر نفسه: ج ١٣ . ق ١٤١ (١) . ترجمة: عمر بن يزيد النصرى .

(٢٩٧) المصدر نفسه: ج ١٠ ، ق ٥١٢ (١) . ترجمة: عبد الوارث بن الحسن . المعروف بابن الترجمان البيسانى .

(٢٩٨) ، (٢٩٩) المصدر نفسه: ج ١٠ . ق ٣٤٦ (٢) . ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي .

ويذكر ضمن هؤلاء عدداً من علماء دمشق كأمية بن عثمان، وأحمد بن خالد،  
ومحمد بن عبد الله بن الحرث، والوليد بن مسلم. وهذا هو مجمل الأصول:

«الأخذ بما أمر الله، والنهي عما نهى الله؛ والرضى بقضاء الله، والتسليم  
لأمر الله، والصبر على حكمه، والايان بالقدر خيره وشره؛ وترك المراء  
والجدال والخصومات في الدين؛ والصلاة يوم الجمعة مع كل بر وفاجر؛  
والصلاة على من مات من أهل القبلة؛ والايان قول وعمل يزيد وينقص؛  
والقرآن كلام الله؛ والجهاد مع كل خليفة؛ والصبر تحت لواء السلطان على ما  
كان منه من عدل أو جور، وعدم الخروج على الأمراء بالسيف وإن جاروا؛  
وعدم إنزال أحد من أهل القبلة جنة أو ناراً، وعدم تكفير أحد من أهل  
التوحيد ولو عمل بالكبائر، والكف عن مساوىء أصحاب رسول الله (ص)؛  
والإقرار بأن أفضل الناس بعد رسول الله: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم  
علي» (٣٠٠).

على أن موقف أهل العلم (من شيوخ وطلبة) لم يكن واحداً - كما  
قلنا - تجاه أهل البدع. وكان هذا الموقف يتراوح بين التسامح والإدانة  
الكاملة. ويتضح ذلك من الأمثلة الواردة في مرجعنا:

- بعد مقتل غيلان وصالح (الذين اتها بالقدرية)، بأمر من الخليفة  
هشام بن عبد الملك، كتب رجاء بن حيوة، أبرز علماء فلسطين في تلك  
الفترة، الى الخليفة: «يا أمير المؤمنين، بلغني أنه دخل عليك شيء من قتل

---

(٣٠٠) المصدر نفسه: ج ٣، ق ٦٧ (٢)، ترجمة: أمية بن عثمان الدمشقي.

غيلان وصالح، وأقسم بالله أن قتلها أفضل من قتل ألفين من الروم  
والترك» (٣٠١).

- وبلغ غير بن أوس الأشعري، قاضي دمشق، أن الخليفة هشاماً وقر في  
صدره من قتل غيلان شيء، فكتب إليه: «لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن  
قتل غيلان كان من فتوح الله العظام على هذه الأمة» (٣٠٢).

- وسئل عبادة بن نسي، قاضي طبرية، عن رأيه في تصرف هشام إزاء  
غيلان، فقال: «أصاب والله فيه القضاء والسنة، ولأَكْتَبَنَّ إلى أمير المؤمنين  
فَلأَحْسَنَنَّ له رأيه» (٣٠٣).

- عندما استقر المحدث أبو اسحق الفزاري (ت ١٨٥/٨٠٢) في  
المصيصة، أخرج القدرية من هذا الثغر (٣٠٤).

- منع أبو سليمان الداراني أصحابه من الصلاة وراء قدري (٣٠٥).  
ومن الجدير بالذكر، أن بعض الشيوخ امتنعوا عن تعليم أصحاب  
البدع، ومن أمثلة ذلك:

- عندما قدم أبو اسحاق الفزاري دمشق، اجتمع الناس يسمعون منه،  
فقال لأبي مسهر الغساني: «أخرج إلى الناس فقل لهم، من كان يرى رأي  
القدرية فلا يجزئ مجلسنا». فخرج أبو مسهر وأخبر الناس (٣٠٦).

(٣٠١)، (٣٠٢)، (٣٠٣): المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٧٥ (١)، ترجمة: غيلان بن أبي  
غيلان.

(٣٠٤)، (٣٠٦): المصدر نفسه: ج ٢ (س أ-٢)، ق ٤٨٦ (١)، ترجمة: ابراهيم بن  
محمد، أبو اسحق الفزاري.

(٣٠٥): المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٥٩ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن أحمد، أبو سليمان  
الداراني.

- قدم قوم على محمد بن يوسف بن واقد الفاريابي (سكن قيسارية - ت ٨٢٨/٢١٢) للسمع منه. فقيل له: يا أبا عبد الله، هؤلاء مرجئة. فقال: أخرجوهم. فناموا ليلتهم في قيسارية، وغادروها في اليوم التالي (٣٠٧).

كما أن بعض الطلبة امتنعوا عن سماع أصحاب البدع.  
- فقد ترك بعضهم الكتابة والتحديث عن سعيد بن بشير (دمشق - ت ٧٨٥/١٦٨) عندما شاع عنه أنه قدرى. وسمع هشام بن عمار منه مجلساً فلم يكتبه (٣٠٨).

إلا أن فريقاً آخر ميّز بين الاتجاه العقائدي للعالم من جهة، وبين كفاءته العلمية وسلوكه الشخصي من ناحية أخرى.

- فقد نصح الفقيه والمحدث الدمشقي، سعيد بن عبد العزيز التنوخي، أحد الطلبة بأن يأخذ عن سعيد بن بشير التفسير، وكان واسع العلم فيه، ويدع ما سوى ذلك (٣٠٩). وعندما نقل أحد المحدثين لسعيد بن عبد العزيز أن سعيد بن بشير صدوق اللسان في الحديث، قال له: «بث هذا في جندنا فإن الناس عندنا كأنهم ينقصونه» (٣١٠).

ويبدو أن مسألة حرية الإنسان أثارت الكثير من الجدل خلال الفترة التي نعالجها، وأن القدرية مثلوا دوراً بارزاً في الحياة الفكرية في بلاد الشام.

---

(٣٠٧) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٣٩٥ (٢)، ترجمة: محمد بن يوسف بن واقد الفاريابي.

(٣٠٨)، (٣٠٩) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٧٧ (٢)، ترجمة: سعيد بن بشير الدمشقي.

(٣١٠) المصدر نفسه: ترجمة سعيد بن بشير.

ونظراً لأن مرجعنا يعطي معلومات فريدة عن هذا المذهب سنتوقف قليلاً عنده لنتتبع نشوءه وتطوره في الشام، على ضوء هذه المعلومات:

يبدأ ذكر القدرية في « تاريخ مدينة دمشق » بمناسبة الترجمة لأشخاص عاشوا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، واتهموا بهذه البدعة.

وأول هؤلاء، حسب رواية سعيد بن عبد العزيز، شخص يكنى « أبا جميل »، وحسب رواية الأوزاعي، معبد بن عبد الله الجهني.

أما أبو جميل فلا نعرف عنه إلا أن قاضي دمشق، أبا إدريس الخولاني (ت ٧٠٠/٨٠) قال يوماً: « لأن أسمع في ناحية المسجد بنار عوف أحب إليّ من أن أسمع ببدعة ليس لها مغير. ألا إن أبا جميل لا يؤمن بالقدر فلا تجالسوه ». فانتقل أبو جميل من دمشق الى حمص (٣١١).

وأما معبد الجهني، الذي قتل على ما يقول ابن عساكر عام ٧٠٠/٨٠، بناء على أمر الخليفة عبد الملك، أو واليه على العراق الحجاج بن يوسف، فهو فقيه ومحدث بصري بارز. وقد سنحت لمعبد الجهني فرصة الاتصال بمعبد الملك بن مروان، عندما طلب الخليفة من الحجاج أن ينفذ إليه رجلاً عالماً يبعثه الى ملك الروم، فوقع اختيار الحجاج عليه. ولدنى وصول معبد الى دمشق تأكد الخليفة من علمه، ثم جعله مع ابنه سعيد يؤدبه ويعلمه.

وقد حظي معبد بالإضافة الى ذلك بتقدير فريق كبير من أهل العلم. قال أحد المحدثين: « وكان قوم يتكلمون في القدر، احتتمل الناس حديثهم لما عرف من اجتهادهم في الدين، وصدق ألسنتهم، وأمانتهم في الحديث... وان بلوا بسوء رأيهم، فمنهم فتادة، ومعبد الجهني هو رأسهم ».

---

(٣١١) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ١٩٧ (١)، ترجمة: أبو جميل.

إلا أن فريقاً آخر لم يكن يرتاح لمكانته هذه. وكان يخشى أن تؤدي هذه المكانة إلى انتشار آرائه على نطاق واسع، ففضح أمره بغية إبعاد الناس عنه.

- روي عن الحسن بن أبي الحسن (البصري) أنه كان يقول: «إياكم ومعبد الجهني فإنه ضال مُضِلٌّ».

- ومرّ معبد الجهني بمسجد دمشق في طريقه إلى الخليفة، فردد البعض: إن هذا هو البلاء. فقال خالد بن معدان: «إن البلاء كل البلاء إذا كانت الأئمة منهم».

- وبينما كان معبد يطوف بالبيت الحرام لقي طاوس، فقال له طاوس: أنت معبد؟ قال نعم. فالتفت طاوس إلى جماعته وقال: هذا معبد فأهينوه.

وقد يكون لهذا الموقف أثر في دفع الخليفة إلى الأمر بقتل معبد، ولكننا يجب ألا نغفل أثر العامل السياسي أيضاً.

- قال مالك بن دينار: «لقيت معبد الجهني بمكة بعد (ثورة) ابن الأشعث، وهو جريح. وقد قاتل الحجاج في المواطن كلها. فقال: لقيت الفقهاء والناس، فلم أر مثل الحسن (البصري)، يا ليتنا أطعناه.. كأنه نادم على قتال الحجاج» (٣١٢).

وبما أن ثورة ابن الأشعث وقعت عامي ٨١ و٨٢/٧٠١ و٧٠٢ (٣١٣)، وأن معبداً قد شارك فيها، فإن تاريخ مقتله يجب أن يكون أبعد من عام

---

(٣١٢) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ١٦٧ (١)، ترجمة: معبد الجهني.

(٣١٣) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٢٨.

٨٠ هـ الذي يجده ابن عساكر . ويمكن في هذه الحالة أن يعد اشتراك معبد في هذه الثورة بداية لظهور الجانب السياسي الثوري في حركة القدرية .

أما تطور القدرية في الفترة اللاحقة، فيمكننا التعرف عليه من خلال نشاط شخصيتين رئيسيتين فيها، وهما: مكحول بن كسرى (الدمشقي) (ت ٧٣١/١١٣) الذي انتهت حياته نهاية طبيعية، نتيجة توسط أحد الأفراد لمصلحته<sup>(٣١٤)</sup>، وغيلان بن أبي غيلان الدمشقي أيضاً، والذي صُلب بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك بعد ٧٢٦/١٠٧ .

كان مكحول قدرياً معتدلاً ذا نزعة مسالمة، يستند موقفه العقائدي الى الفكرة القائلة بأن الله لا يمكن أن يكون مصدر الشر في الأفعال الإنسانية . إن الله، كما جاء عن مكحول، لا يرزق إلا طيباً<sup>(٣١٥)</sup> .

وقد ساعدته معرفته الجيدة بالوسط الديني، وابتعاده عن الأمور السياسية، واجتهاده في العبادة، على كسب عدد كبير من التلاميذ . وقد دعم هؤلاء فيما بعد يزيد بن الوليد بن عبد الملك المتهم بالقدرية أيضاً، في الوصول الى الخلافة .

ومن الجدير بالذكر أن مكحولاً حرص على أن يدعم آراءه بأحاديث يرسلها دون سند، أو يسندها إلى الصحابة الذين قابلهم في شبابه . يذكر ابن عساكر من هذه الأحاديث:

- عن مكحول، عن أبي الدرداء قال، قال لي رسول الله: « كيف أنت

---

(٣١٤) ابن عساكر: ج ٨، ق ٢٧٤ (٢)، ترجمة: عبّاد بن الريان اللخمي .

(٣١٥) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢)، ترجمة: مكحول .

يا عُوَيْر اِذَا قِيلَ لَكَ (أَخْطَأْتِ)، فَإِنِ قَلْتَ عَلِمْتَ قِيلَ لَكَ فَإِذَا عَمِلْتَ فِيهَا عَلِمْتَ، أَوْ إِنِ قَلْتَ جَهَلْتَ (فَمَا) عَذَرَكَ فِيهَا (جَهَلْتَ)، أَلَا تَعَلِمْتَ؟» (٣١٦).

- عَن مَكْحُولٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنِ اللَّهُ يَقُولُ يَا بَنَ آدَمَ، قَدْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ نِعْمًا عَظِيمًا لَا يَحْصِي عِدْدُهَا وَلَا تَطِيقُ شُكْرُهَا. وَإِنِ مِمَّا أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ جَعَلْتُ لَكَ عَيْنَيْنِ تَنْظُرُ بِهِمَا، وَجَعَلْتُ لَهَا غَطَا، فَانظُرْ بِعَيْنَيْكَ إِلَى مَا أَحَلَّلْتُ لَكَ. فَإِنِ رَأَيْتَ مَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ فَاطْبِقْ عَلَيْهَا غَطَاهَا؛ وَجَعَلْتُ لَكَ لِسَانًا وَجَعَلْتُ لَهُ غَلَاقًا، فَانطِقْ بِمَا أَحَلَّلْتُ لَكَ، فَإِنِ عَرَضَ لَكَ مَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ فَاغْلِقْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ؛ وَجَعَلْتُ لَكَ فَرْجًا وَجَعَلْتُ لَكَ سِتْرًا، فَاصْبِرْ بِفَرْجِكَ مَا أَحَلَّلْتُ لَكَ، فَإِنِ عَرَضَ لَكَ مَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ فَارْحَ عَلَيْكَ سِتْرَكَ. يَا بَنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَا تَحْمِلُ سَخَطِي وَلَا تَطِيقُ انتِقَامِي» (٣١٧).

وَمِنَ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ أَيْضًا، أَنَّ عَالِمًا مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ السَّنَةِ، كَالْأَوْزَاعِيِّ، لَمْ يَرِ بِأَسَافًا فِي هَذَا التَّعْلِيمِ، فَقَدْ ذَكَرَ عَنْهُ قَوْلُهُ: «لَمْ يَبْلُغْنَا أَنْ أَحَدًا مِنَ التَّابِعِينَ تَكَلَّمَ فِي الْقَدْرِ إِلَّا الْحَسَنَ (الْبَصْرِيَّ) وَمَكْحُولًا. فَكَشَفْنَا عَنْ ذَلِكَ فَإِذَا هُوَ بَاطِلٌ» (٣١٨).

وَالْوَاقِعُ أَنَّ مَعْظَمَ الْعُلَمَاءِ كَانُوا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْمُعْتَدِلِينَ مِنَ الْقَدْرِيَّةِ وَالْمُتَطَرِّفِينَ مِنْهُمْ. فَقَدْ اشْتَهَرَ مَعْظَمُ الْقَدْرِيَّةِ بِالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ، وَاتَّصَفُوا

---

(٣١٦) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ١٩، ق ٢٤٦ (١). تَرْجُمَةُ: أَبُو مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ.  
فِي النَّصِّ كَلِمَاتٌ غَيْرُ مَقْرُوءَةٍ أَوْ نَاقِصَةٍ، وَضَعْتَهَا ضَمْنَ قَوْسٍ لِتَمْيِيزِهَا عَنْ غَيْرِهَا.

(٣١٧) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ١٩، ق ٢٠٥ (٢). تَرْجُمَةُ: أَبُو الرَّبِيعِ الدَّمَشْقِيُّ.

(٣١٨) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢). تَرْجُمَةُ: مَكْحُولٌ.

بحس أخلاقي متميز قادم للنظر الى أغراض الدين البعيدة، كما تتجلى من خلال الحديث النبوي: «بُعِثْتُ لِأَتَمَّ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ» (٣١٩).

ولكن فكرة حرية الإنسان في تقرير أعماله، لم تنطلق عند المعتدلين من النظر العقلي، ولم تكن بصورة خاصة معارضة مبدأ الإيمان بقضاء الله وقدره، بقدر ما عنت بالنسبة لهم إثارة الشعور الأخلاقي عند المؤمن وتنبئها الى مسؤوليته تجاه نفسه وتجاه الجماعة وتجاه العقيدة التي يدين بها.

لقد جعل بعض المؤرخين من القدرية مرادفاً للاعتزال، وليس هذا صحيحاً كل الصحة. فالاعتزلة أصحاب كلام، قالوا بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقيح. ولم يقل بذلك من القدرية، فيما نعلم، إلا غيلان الدمشقي وتلاميذه. وقد سماوا «بالغيلانية» تمييزاً لهم عن غيرهم (٣٢٠).

كتب غيلان - كما قيل - رسائل في ألفي صفحة لشرح معتقده. ومن المؤسف أن هذه الرسائل لم تصل إلينا. ولكن تعليقات المؤرخين تشير الى أنه كان يرى، على صعيد العقيدة، «أن إرادة الله لا تتدخل في أفعال الإنسان، وأن الإنسان يحدد أفعاله بجزية تامة بالاعتماد على العقل». وكان على صعيد السياسة يعارض الفكرة القائلة بأن الخلافة يجب أن تكون في قریش، ويرى على العكس من ذلك «أن كل مسلم يعيش حسب مبادئ القرآن والسنة يمكن أن ينتخب للخلافة، وإذا أخل الخليفة بهذه المبادئ يجب أن يعزل من منصبه» (٣٢١).

(٣١٩) ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج ٤، ص ٤، عن الموطأ.

(٣٢٠) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٣٢٠، ترجمة: غيلان الدمشقي.

(٣٢١) - E.I.2: Vol. IV, P. 385, art Kadariyya, par J. Van Ess.

وقد انبرى عدد من العلماء لمناظره غيلان، وأبرز هؤلاء الخليفة عمر بن عبد العزيز، وإياس بن معاوية وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي. وكانت هناك حجتان تترددان في أقوالهم:

الأولى، إن كل تأكيد لحرية الإنسان يعني الحد من علم الله وقدرته، والثانية، إن الله حين وزع العقل بين الناس لم يعطهم حظاً واحداً منه، وبذلك ترجع أفعالهم في النهاية، إن لم ترجع بصورة مباشرة. إلى ما قسم الله لهم من العقل.

وكان غيلان يقف صامتاً حزيناً أمام هذه الحجج<sup>(٣٢٢)</sup>، إما لأنه لا يعرف كيف يوفق بينها وبين آرائه، أو لأنه لا يريد أن يورط نفسه في مقالة تضع إيمانه بقدره الله موضع شك.

- قال عمر بن عبد العزيز مرة لغيلان: يا أبا مروان، مالي أراك أصفر الوجه؟

- قال غيلان: يا أمير المؤمنين، أمراض وأحزان.

- قال الخليفة: لَتَصَدُقَنِّي.

- قال غيلان: يا أمير المؤمنين، ذقت حلو الدنيا فوجدتُ مرّاً، فأسهرت لذلك ليلي، وأظمت له نهاري، وكل ذلك حقير في جنب ثواب الله وعقابه.

فقال رجل ممن كان في المجلس: ما سمعت بأبلغ من هذا الكلام، ولا أنفع منه لسامعه. فأتيت هذا العلم؟

---

(٣٢٢) ابن عساکر: ج ١٤، ق ٣٧٥ (١)، ترجمة: غيلان الدمشقي.

- قال غيلان: انما قصر بنا عن علم ما جهلنا تركنا العمل بما علمنا، ولو انا عملنا بما علمنا لأورثنا سقماً لا تقوم له أبداننا (٣٢٣).

لقد أحس الخليفة الورع بالأزمة التي يعيشها غيلان على الصعيد الفكري والاجتماعي. فبالإضافة الى الصراع النفسي الذي كان يعاني منه، كان علماء الجماعة وعامتهم ينبذونه ويتداولون حديثاً لا مجال للشك في أنه موضوع يقول على لسان رسول الله (ص): « سيكون في أمتي رجل يقال له غيلان، هو أضر عليها من إبليس » (٣٢٤).

فاكتفى عمر بن عبد العزيز بأن أخذ من غيلان وعداً بعدم الجهر بأقواله (٣٢٥).

ومن الملاحظ أن عامة القدرية اطمانوا لشخص عمر بن عبد العزيز وسياسته عندما تقلد الخلافة. فقد كانوا يجلبون فيه التقى والورع، والعدل بين المسلمين دون تمييز بين عربي وعجمي، والتوقف عن الغزو الخارجي بغية الانصراف للاصلاح الداخلي. وهكذا أوقفوا نشاطهم إلى حد بعيد.

وعندما توفي عمر، ورجع خلفاؤه عن سياسته، عاد القدرية الى العمل، وأحلّ غيلان نفسه من الوعد. فما كان من هشام إلا أن أمر بقتله، واشتد في محاربة جماعته. وحذا خليفته الوليد بن يزيد حذوه في ذلك.

وهكذا تشتت القدرية. لقد نُفي فريق منهم إلى جزيرة دَهْلَك في البحر

---

(٣٢٣) ابن عساکر: ج ١٤، ق ٣٧٥ (١)، ترجمة: غيلان الدمشقي.

(٣٢٤)، (٣٢٥) المصدر نفسه: ترجمة غيلان الدمشقي.

الأحمر، ومن هؤلاء عمرو بن شراحيل العنسي الداراني (٣٢٦)، وهرب فريق آخر إلى العراق لينشر آراءه بعيداً عن أعين السلطات، ومن هؤلاء: ثور بن يزيد الحمصي، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الدمشقي، وبرد بن سنان، ومحمد بن راشد، وعبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمى الدمشقي (٣٢٧).

وأبرز قدرية هذه الفترة هو ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي (ت ٧٧٠/١٥٣). وقد اعترف جميع علماء عصره بعلمه، فقد أخذ عنه في المسند مائتا حديث أو أكثر على قول ابن عساكر (٣٢٨). ولكنهم بالرغم من ذلك ندّدوا به لرأيه بالقدر وأوصوا الطلاب بترك الأخذ عنه. ومن هؤلاء: الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك الذي قال:

أيتها الطالب علماً	أيت حمّاد بن زيد (٣٢٩)
فاطلبنّ العلم منه	ثم قيّده بقيد
لا كثور أو كجهم (٣٣٠)	أو كعمرو بن عبّيد (٣٣١)

(٣٢٦) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٧٤ (٢)، ترجمة: عمرو بن شراحيل العنسي الداراني.

(٣٢٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٠٢ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن يزيد السلمى الدمشقي.

(٣٢٨) المصدر نفسه: ج ٣، ق ٣٠٢ (٢)، ترجمة: ثور بن يزيد الحمصي.

(٣٢٩) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٣٠١، ترجمة: حماد بن زيد (ت ٧٩٥/١٧٩)، محدث بصري.

(٣٣٠) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٣٨، ترجمة: جهم بن صفوان (ت ٧٤٥/١٢٨) خراساني، رأس الجهمية.

(٣٣١) المصدر نفسه: ج ٥، ص ٢٥٢، ترجمة: عمرو بن عبّيد (ت ٧٦١/١٤٤) بصري، أحد مؤسسي الاعتزال.

وقد أدت ملاحقة السلطات لثور بن يزيد، وحملة العلماء عليه، الى مقاطعة مجلسه من قبل طلبة الحديث، ثم إلى إحراق الحمصيين داره، وإخراجهم إياه من المدينة. فما كان منه إلا أن لجأ الى العراق (٣٣٢)

لقد تجلّى المظهر السياسي للقدرية بوضوح عندما اشترك قدرية الشام في الثورة التي قادها يزيد الثالث (يزيد بن الوليد) ضد الوليد الثاني (الوليد ابن يزيد) وانتهت بوصول يزيد الثالث الى الخلافة. وقد افتتح هذا الخليفة عهده، بخطبة تضمنت مجمل الآراء السياسية لغيلان الدمشقي.

وعندما توفي يزيد الثالث، عاد الأمويون الى ملاحقة القدرية، فاختفى المظهر السياسي للحركة، وبقي جانبها العقائدي، كما قلّ أنصارها لدرجة أننا لا نعثّر خلال الحكم العباسي إلا على الأسماء الآتية:

- سعيد بن بشير الدمشقي (ت ١٦٨/٧٨٥) وهو محدّث، عالم بالتفسير. وقد نُسبَ الى القدرية لقوله: «والله لا أقول إن الله يقدر الشر ويعذب عليه» (٣٣٣).

- يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي (ت ١٨٣/٨٠٠)، وهو مقرئ، محدث، فقيه. عمل قاضياً لدمشق أيام المنصور والمهدي (٣٣٤).

- محمد بن عائذ القرشي (ت ٢٣٢/٨٤٦)، وهو محدث فقيه مؤرخ.

- 
- (٣٣٢) ابن عساكر: ج ٣، ق ٣٠٢ (٢). ترجمة: ثور بن يزيد.  
(٣٣٣) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٧٧ (٢). ترجمة: سعيد بن بشير.  
(٣٣٤) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٢٧ (١). ترجمة: يحيى بن حمزة.

صنّف في المغازي والفتوح والصوائف، وولي خراج الغوطة أيام  
المأمون (٣٣٥).

\* \* \*

هذا ما استطعت استخلاصه من المعلومات المتناثرة في « تاريخ مدينة  
دمشق » عن القدرية في بلاد الشام .

هناك مسألة فكرية أخرى أثرت في العالم الإسلامي خلال الفترة التي  
نعالجها، وهي مسألة الاعتماد على الرأي في وضع الأحكام الفقهية، أو  
الاقتصار على ما جاء في القرآن والحديث.

ولكن أصحاب الرأي كانوا قلة في الشام في ذلك الحين. وقد ذكر  
مرجعنا بعضهم، إلا أنه لم يشر إلى وقوع جدل بينهم وبين أصحاب  
الحديث، مما يدل على أن هذه المسألة لم تأخذ في الشام أبعداً تلفت النظر.

## ٧ - التبادل الثقافي

تميزت الثقافة العربية - الإسلامية، في عصورها الزاهرة، بالتنوع ضمن  
الوحدة. ذلك أن منجزات الأقطار الإسلامية كانت تتأرجح وتصب في التيار  
نفسه.

لقد كان العامل الأول لهذه الظاهرة، كما رأينا، وحدة المنطلقات أو  
النماذج الثقافية التي استهدت بها الجماعة الإسلامية.

---

(٣٣٥) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٤٥ (١)، ترجمة: محمد بن عائذ.

وهناك عامل آخر نريد أن نركز الاهتمام عليه هنا، وهو وجود شبكة اتصال وتبادل مستمرين بين الأقطار الإسلامية.

ويتجلى أثر هذا العامل اذا ما عرفنا أنه حين كان أحد أجزاء العالم الإسلامي ينسحب، بصورة جزئية أو كلية، من هذه الشبكة، كانت ثقافته الخاصة تضمر وتراجع، كما كانت منجزاته الثقافية تتضاءل الى حد كبير.

كان انتقال العناصر الثقافية عبر الأقطار الإسلامية يتم بطريقتين رئيسيتين: الرحلات في طلب العلم، وتنقلات المعلمين.

وسنقتصر في هذا الفصل على بيان وضع التبادل الثقافي بالنسبة للشام والجزيرة، لنبقى في حدود موضوعنا، وفي دائرة المعلومات التي تجمعت لدينا. وبالرغم من أن الصورة التي نستطيع تقديمها ضمن هذا الإطار صورة مجتزأة، إلا انها شاهد جيد على ما نقول.

## أ- الرحلات في طلب العلم

لقد ظهرت الحاجة للرحلة في طلب العلم منذ بداية الإسلام، حين لم يكن للإسلام إلا معلم واحد هو رسول الله (ص)، وإلا مركز واحد هو مكان إقامته: مكة أولاً، ثم المدينة. وفي هاتين المدينتين تخرج كبار العلماء. أخذ البعض علمهم عن الرسول الكريم، والبعض الآخر عن الصحابة الذين تتلمذوا عليه.

وعندما اتسعت دار الاسلام بالفتح، وانتشر العلماء في الأقطار الجديدة، تعددت مراكز الثقافة، وراح الطلاب ينتقلون من مركز الى آخر

لجمع أكبر قسط من العلم، من أفواه هؤلاء الرجال.

كان كل جزء من أجزاء العالم الاسلامي يؤلف مركزاً للاتصال مرسلًا - آخذاً في الوقت ذاته. فهو يعطي جاهير الطلبة التي تأتيه من الاجزاء الأخرى مجموع العلم الذي اختزنه. ويفني حصيلته باستمرار عن طريق الطلاب الذين يرسلهم لتحصيل ما اجتمع من العلم في الأجزاء الأخرى. وكان قيام كل مركز بهاتين الوظيفتين بصورة متوازنة يؤدي الى تقدم الثقافة العربية الإسلامية بصورة عامة.

صحيح أن العوامل الاقتصادية والسياسية كانت تتدخل أحياناً فتعيق إحدى الوظيفتين أو كليهما في بعض المناطق فترةً من الزمن، ولكن التوازن كان يعود من جديد. هكذا سارت الأمور قرونًا عديدة، كانت العناصر الديناميكية في الثقافة العربية - الإسلامية أثناءها من القوة بحيث تتغلب على الظروف السياسية والاقتصادية التي تواجهها. ولكن الظروف بلغت بعد ذلك حدًا مكَّنها من إخماد حيوية الثقافة والدفع بها في طريق الجمود.

وستتوقف الآن عند بعض الأمثلة التي تبين أهمية هذه الرحلات.

## ١ - الرحلة من الشام والجزيرة الى الأمصار الأخرى

### في القرن الأول

- كان بُسر بن عبيد الله الحضرمي من كبار أهل جامع دمشق، وقد روي عنه قوله: «إني كنت لأركبُ الى المصر من الأمصار في الحديث

الواحد لأسمعه.... وإنه كان ليبلغني الحديث في مصر فأرحل فيه مسيرة أيام<sup>(٣٣٦)</sup>».

- لما حضرت معاذ بن جبل الوفاة (ت ٦٤٠/١٨) بكى أهل البيت، فقال: ما يبكيكم؟ قال أحد طلابه، الحارث بن عمير الزبيدي: والله ما نبكي على قرابة بيننا وبينك، ولا على دنيا نصيبها، ولكننا نبكي على العلم الذي ينقطع عنا بعد موتك. قال: «... ابتغوا العلم عند عمر وعثمان وعليّ، فان فقدتموه ولم تقدرُوا عليه فاطلبوه عند ثلاثة: عويمر (أبي الدرداء)، وعبد الله بن مسعود، وسلمان الفارسي».

فلما قضى معاذ نحبه، انطلق الحارث حتى أتى أبا الدرداء بجمص، فمكث عنده ما شاء الله أن يمكث... ثم رحل الى الكوفة فأخذ يحضر مجلس عبد الله بن مسعود بكرة وعشياً، ثم رحل الى المدائن فمكث عند سلمان الفارسي ما شاء الله أن يمكث، ثم عاد الى الشام<sup>(٣٣٧)</sup>.

- عندما أُسِر مكحول بن كسرى (ت ٧٣١/١١٣) جيء به إلى مصر وأعتق، فانصرف الى طلب العلم فيها. ثم أتى العراق فلم يدع بها علماً إلا حواه، ثم أتى المدينة ففعل الشيء ذاته، ثم أتى الشام فغربلها كلها، واستقر في دمشق. وهكذا أصبح من أبرز علماء الأمة الاسلامية في حينه، ولا سيما في الفقه<sup>(٣٣٨)</sup>.

---

(٣٣٦) المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ١٥، ترجمة: بُسر بن عبيد الله.

(٣٣٧) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٤٥ (١)، ترجمة: الحارث بن عمير الزبيدي.

(٣٣٨) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢)، ترجمة: مكحول الدمشقي.

- رحل سليمان بن موسى (ت ١١٥/٧٣٤) والمطعم بن المقدم إلى مكة لسماع عطاء بن أبي رباح. وفي سبيل الحصول على أكبر فائدة في أقصر وقت اتفق الرجلان على أن يتناوبا سؤاله. فسر عطاء من هذا الأسلوب وقال لأصحابه: «لم لا تسألونني مسألة هذين الرجلين؟» (٣٣٩).

- رحل عبد الله بن زيد، أبو قلابة الجرمي (ت ١٠٤/٧٢٣) في حديث بلغه عن رجل من أهل المدينة. وعندما وصلها علم أن الرجل متغيّب في ضيعة له، فانتظره ثلاثة أيام حتى قدم، فسمع الحديث وانصرف عائداً (٣٤٠).

- خرج يحيى بن راشد الدمشقي حاجاً مع تسعة من أهل الشام حتى أتوا مكة، فدخلوا على ابن عمر وسمعوا منه (٣٤١).

### في القرنين الثاني والثالث

تضاءلت الرحلات الدراسية من الشام والجزيرة الى الاقطار الأخرى ولكن تقاليدها لم تندثر كلياً.

- قال عمرو بن ميمون بن مهران (ت ١٤٥/٧٦٣) وكان من كبار شيوخ الرقة: «لو علمتُ أنه بقي عليّ حرف من السنّة باليمن لأتيتها» (٣٤٢).

---

(٣٣٩) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ٧١ (١)، ترجمة: المطعم بن المقدم، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٥٦ (٢)، ترجمة: سليمان بن موسى.

(٣٤٠) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٩٧ (١)، ترجمة: عبد الله بن زيد، أبو قلابة.

(٣٤١) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٣٣ (٢)، ترجمة: يحيى بن راشد اللبثي.

(٣٤٢) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٤٤ (٢)، ترجمة: عمرو بن ميمون.

كما نشهد في هذه الفترة ظاهرة جديدة. ذلك أن بعض الآباء، رغبة منهم في نذر أبنائهم للعلم، كانوا يحملون هؤلاء الأبناء إلى المحدثين ويسمعونهم الحديث:

- فقد حمل والد سعيد بن بشير الدمشقي ابنه صغيراً إلى البصرة لیسعنه الحديث من علمائها<sup>(٣٤٣)</sup>

ولكن صوت الداعين للبقاء في البلد والدراسة على علمائه كان أقوى أثراً:

- قال أبو مُسهر، عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي: «ينبغي للرجل أن يقتصر على علم بلده، وعلى علم عاله. فلقد رأيتني أقتصر على سعيد بن عبد العزيز فما أفتقر معه لأحد»<sup>(٣٤٤)</sup>.

- وقال أبو اليان الحمصي: كان أصحابنا لهم رغبة شديدة وطلب شديد بالشام والمدينة ومكة. وكانوا يقولون: نجهد في الطلب ونتعب أبداننا ونغيب، فإذا جئنا وجدنا كل ما كتبنا عند اسمعيل بن عياش<sup>(٣٤٥)</sup>.

- وهكذا رحل المسيب بن واضح (ت ٢٤٦/٨٦١) وهو من قرى حمص إلى مصر لسامع ابن لهيعة. وعندما عرف بوفاة الشيخ عاد أدراجه إلى حمص، واكتفى بحديث شيخها اسمعيل بن عياش<sup>(٣٤٦)</sup>.

---

(٣٤٣) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٧٧ (٢)، ترجمة: سعيد بن بشير.

(٣٤٤) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٤ (١)، ترجمة: سعيد بن عبد العزيز.

(٣٤٥) المصدر نفسه: ج ٢ (ك-٢)، ق ٣٢٧ (١)، ترجمة: اسمعيل بن عياش.

(٣٤٦) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢)، ق ٣٨ (١)، ترجمة: المسيب بن واضح.

## ٢ - الرحلة من الأمصار الأخرى الى الشام والجزيرة

### في القرن الأول

- لازم عمرو بن ميمون الأزدي اليمني، معاذ بن جبل حين بعثه الرسول(ص) الى اليمن، ليتعلم منه القرآن ومبادئ الدين. وحين قدم معاذ الشام معلماً في عهد عمر بن الخطاب جاء معه للغرض نفسه. وبعد موت معاذ، انتقل الى الكوفة ولازم عبد الله بن مسعود (٣٤٧).

- خرج مسروق بن عبد الرحمن الكوفي (ت ٦٣/٦٨٣) الى البصرة، يسأل رجلاً عن آية، فلم يجد عنده فيها علماً، وأخبر أنه سمعها من رجل شامي كان يقدم عليهم، فخرج الى الشام في طلبها. لذلك قيل: رحل مسروق في حرف (٣٤٨).

- جاء رجل من المدينة إلى أبي الدرداء بدمشق، يسأله عن حديث بلغه أنه يحدث به عن رسول الله.

- قال له أبو الدرداء: ما جاءت بك تجارة؟

- قال الرجل: لا.

- قال أبو الدرداء: ولا جئت تطلب حاجة؟

- قال: لا.

---

(٣٤٧) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٤١ (١)، ترجمة: عمرو بن ميمون الأزدي.  
(٣٤٨) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٥١٠ (١)، ترجمة: مسروق بن عبد الرحمن الهمراني الكوفي.

- قال أبو الدرداء: وما جئت تطلب إلا هذا الحديث؟

- قال: نعم.

فروى أبو الدرداء له الحديث كاملاً (حديث العلم) (٣٤٩).

## في القرن الثاني

تجمع في الشام علم كثير خلال القرن الأول نتيجة استقرار عدد كبير من الصحابة فيها، وقيام أبنائها برحلات كثيرة الى الأقطار الإسلامية الأخرى، ولا سيما الى الحجاز. لذلك ظهرت فيها في القرن الثاني شخصيات كبيرة في ميدان الحديث والفقہ كمكحول والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز واسماعيل بن عياش، والزهري (الذي أمضى القسم الأكبر من حياته فيها)، وفي ميدان الزهد كإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني. فكان من الطبيعي أن يزداد الطلبة الوافدون عليها من الخارج ازدياداً كبيراً. نذكر من هؤلاء:

- زياد بن مخرق البصري، قدم الشام وسمع شهر بن حوشب. وهناك قصة طريفة ترتبط بهذا السماع، نسبتها هنا لأنها تفسر العديد من الرحلات الدراسية.

قال شعبة: حدثني أبو اسحق مجديث عن عبد الله بن عطا بمكة، فرحلتُ الى مكة لم أرد الحج وإنما أردت الحديث. فلقيتُ عبد الله بن عطا، فقال: سمعتُ هذا الحديث من سعد بن إبراهيم من أهل المدينة، فرحلتُ الى المدينة وسألتُ سعد بن إبراهيم عن الحديث، فقال: سمعته عندكم

---

(٣٤٩) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥١٦ (١)، ترجمة: كثير بن قيس الحمصي.

بالبصرة من زياد بن مخراق. فرحلتُ الى البصرة ولقيتُ زياد بن مخراق  
فقال:

سمعتَه بالشام من شهر بن حوشب. فقلتُ: من شهر بن حوشب، عن  
عقبة بن عامر عن النبي؟ لو صح لي مثل هذا عن رسول الله (ص) كان أحبَّ  
إليَّ من أهلي ومالي والناس أجمعين (٣٥٠).

- مَعْمَر بن راشد، بصري استقر باليمن، (ت ٧٧٠/١٥٣). قدم  
الرُّصافة أثناء دراسته وأخذ كثيراً عن الزُّهري حتى سُمِّي معمرأ الزهري.  
وعندما فرغ من سماعه سأل الشيخ: أحدث بهذا عنك؟ فقال له الزهري:  
ومن حَدَّثك به غيري (٣٥١)؟

- أبو مرحوم المكي، قدم الشام لسماع الأوزاعي، وقَدَّم له هدية من  
طرائف مكة. فقال له الأوزاعي: «إن شئتَ قبلتُ منك هذا ولم تسمع مني  
حرفاً، وإن شئتَ فضِّمُ هديتك واسمع» (٣٥٢).

- شقيق بن إبراهيم البلخي (ت ٨١٠/١٩٤)، جاء يصحب إبراهيم بن  
أدهم الزاهد في سياحته بجبل لبنان (٣٥٣).

---

(٣٥٠) المصدر نفسه: ج ٦، ق ١٩٧ (٢)، ترجمة: زياد بن مخراق البصري.

(٣٥١) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ١٨٠ (٢)، ترجمة: معمر بن راشد.

(٣٥٢) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٥٠ (٢)، ترجمة: أبو مرحوم المكي.

(٣٥٣) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٣٣ (١)، ترجمة: شقيق بن إبراهيم البلخي.

- صُبْح الخراساني، جاء دمشق ليلتقي زاهد الشام وعابدها، أبا سليمان  
الداراني (٣٥٤).

### في القرن الثالث

وقد الى الشام والجزيرة في هذا القرن طلاب أصبحوا فيما بعد أعلام  
الاقطار الإسلامية في علوم الدين والأدب والتاريخ. كان هؤلاء يلمون  
شئات هذه العلوم ويصنفون المصنفات الشاملة، لذلك كان من الضروري  
لهم نقل ما يتداوله أهل الشام والجزيرة منها.

ومن جاءهما من أصحاب الحديث:

- سليمان بن الأشعث، أبو داود الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥/٨٨٩)،  
صاحب « السنن ». وقد سمع أبو داود بدمشق وحمص والجزيرة (٣٥٥).

- محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٣/٨٨٧)، صاحب « السنن »  
أيضاً. وقد سمع بدمشق أكثر من خمسة شيوخ، وبحمص عدداً آخر (٣٥٦).

- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١/٨٧٥)، صاحب  
« الصحيح »، سمع بدمشق، ومن شيوخه فيها الوليد بن مسلم (٣٥٧).

- محمد بن اسمعيل البخاري (ت ٢٥٦/٨٧٠)، صاحب « الجامع »

---

(٣٥٤) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٧٦ (١). ترجمة: صبح الخراساني.

(٣٥٥) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٠٩ (٢). ترجمة: سليمان بن الأشعث، أبو داود.

(٣٥٦) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٣٨٥ (٢)، ترجمة: محمد بن يزيد بن ماجه.

(٣٥٧) المصدر نفسه: ج ١٦ (٢). ق ١٣ (٢). ترجمة: مسلم بن الحجاج.

الصحيح» و«التاريخ الكبير». جاء الشام والجزيرة مرتين أثناء دراسته، وسمع بدمشق وحمص وعسقلان ومدن أخرى (٣٥٨).

- أحمد بن حنبل، البغدادي (ت ٢٤١/٨٥٦)، صاحب «المسند»، سمع بدمشق وحمص والجزيرة (٣٥٩).

ومن جاءها من المهتمين بالتاريخ:

- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي (ت ٢٧٩/٨٩٣)، صاحب «فتوح البلدان»، و«أنساب الأشراف». سمع بدمشق وحمص وأنطاكية (٣٦٠).

- محمد بن عمر الواقدي المدني (ت ٢٠٧/٨٢٣). صاحب «المغازي»، سمع بدمشق وحمص (٣٦١).

- محمد بن سعد البغدادي (ت ٢٣٠/٨٤٥)، صاحب «الطبقات الكبرى». سمع بدمشق عدداً كبيراً من الشيوخ، أبرزهم الوليد بن مسلم (٣٦٢).

ومن جاءها من المهتمين باللغة والأدب:

- محمد بن يزيد البصري (ت ٢٨٥/٨٩٩)، النحوي المعروف بالبرد.

---

(٣٥٨) المصدر نفسه: ج ١٥ (ي-١)، ق ٥٥ (١)، ترجمة: محمد بن اسمعيل البخاري.

(٣٥٩) المصدر نفسه: ج ٢، ق ٦١ (١)، ترجمة: أحمد بن حنبل.

(٣٦٠) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ-١)، ق ٤٠١ (١)، ترجمة: أحمد بن يحيى البلاذري.

(٣٦١) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٢٤٥ (١)، ترجمة: محمد بن عمر الواقدي.

(٣٦٢) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٠٤ (١)، ترجمة: محمد بن سعد.

قال: « وافيتُ الشام وأنا حَدَّثُ في جماعة أحداث أكتب وألقى أهل العلم، فأخبرنا بدير مُرَّان... فدخلناه، وإذا في بعض بيوته كهل، فدنونا منه فقال: من أين أنتم يا فتیان؟ فقلنا من العراق، فقال: بأبي أنتم، ما الذي أقدمكم هذا البلد؟ قلنا: طلب الحديث والأدب » (٣٦٣)

- أحمد بن يزيد بن أزداد الحلواني الصفَّار البصري، وهو قارىء ولغوي معروف. قدم الشام وقرأ القرآن بقراءة ابن عامر عدة مرات، على قارئ الشام هشام بن عمار (٣٦٤).

## ب- تنقلات المعلمين

### ١ - تنقلات معلمي الشام والجزيرة في الأمصار الأخرى

اعطت الخلافة الأموية علماء الشام والجزيرة فرصاً كثيرة للمشاركة في التربية خارج بلادهم. فقد كانت تختار من بينهم رجال البلاط وكبار موظفي الدولة في مجالات الادارة المدنية والجيش.

وقد أشرنا في القسم الثاني من هذه الدراسة الى الأعمال ذات الصبغة التربوية، التي قام بها زياد بن أبيه، والي العراق في عهد معاوية، والحجاج ابن يوسف وعبد العزيز بن مروان، واليا العراق ومصر في عهد عبد الملك، واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، والي افريقية أيام عمر بن عبد

---

(٣٦٣) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٣٨١ (١)، ترجمة: محمد بن يزيد، المعروف بالبرّد.

(٣٦٤) المصدر نفسه: ج ٢ (س أ - ١)، ق ٤٠٤ (١)، ترجمة: أحمد بن يزيد.

العزیز. كما بینا الدور التربوي الذي أدّاه علماء الشام والجزيرة الذين رافقوا الخلفاء أو الأمراء الأمويين الى الحجاز في موسم الحج.

وهناك بالاضافة الى ذلك أمثلة أخرى من هذه الفترة، نختار منها ما يلي:

- من الصحابة الذين سكنوا دمشق، فضالة بن عبید الله الأنصاري (ت ٦٧٩/٥٩). وقد شارك هذا الصحابي في غزو مصر، ثم ولي البحر والقضاء فيها لمعاوية. ولما كان من كبار القراء المحدثين، فقد درس عليه الكثيرون من أهل مصر ورووا عنه، كما درس عليه أهل الشام ورووا عنه (٣٦٥).

ساهم محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري (ت ٧٤٢/١٢٤)، خلال انتقالاته الكثيرة بين الشام والحجاز طوال خمسة وأربعين عاماً، في نقل علم الحجاز الى الشام، وعلم الشام الى الحجاز. فعندما كان ابن شهاب يدخل المدينة، كان مجلسه يستقطب أهل العلم كلهم، فيتوقفون عن الرواية حتى يخرج. وعندما كان يدخل مسجد دمشق كان طلبه العلم يتحلقون حوله لكتابة حديثه. وحين انتقل الى الرُّصافة، صارت الرحلة إليها (٣٦٦).

- انتقل الحسن بن عمران، ويزيد بن جَعْفَر وسالم أبو الفيض الشاميون إلى واسط، وعلموا فيها القرآن والحديث. وقد سمع منهم هناك العديد من أهل الشام والعراق، فقد كانت هذه المدينة مركز الجيش الأموي في العراق (٣٦٧).

---

(٣٦٥) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٩٢ (١)، ترجمة: فضالة بن عبید.

(٣٦٦) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم، الزُّهري.

(٣٦٧) المصدر نفسه: ج ٤، ١٦٨ (٢)، ترجمة: الحسن بن عمران.

وبعد زوال الخلافة الأموية، كان علماء الشام ينتهزون فرصة الحج للالتقاء بعلماء الأمصار الأخرى، ونقل علمهم إليهم. وكانوا يستعدون لهذه المناسبة استعداداً كبيراً. وفيما يتعلق بهذا النشاط يتضمن مرجعنا المعلومات الآتية:

- حج مكحول بن كسرى (ت ١١٣/٧٣١) مرة، فقعد هو وعطا بن أبي رباح، فقيه مكة، يفتيان، فكان مكحول القاهر لمنافسه، حتى جاء «جزاء الصيد» فكان عطا أعلم منه فيه (٣٦٨).

- كان عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧/٧٧٤) محدث الشام وفقهها، يحج كثيراً. وكان طلاب الأمصار الإسلامية وعلمائها يفيدون كثيراً من اشتراكه بالموسم ويعاملونه باحترام شديد.

يقول أحد الأخبار «إن سفيان الثوري وأبا حنيفة والأوزاعي، تذاكروا في المدينة، عند مالك بن أنس. وعند انتهاء المجلس سئل مالك: أيهم وجدته أكثر علماً؟ فقال: كان أرجحهم الأوزاعي».

ويقول خبر آخر، «إن الأوزاعي حج مرة، فلما أتى المدينة دخل المسجد، فبلغ مالكا مقدمه، فأتاه فسلم عليه. فجلسا بين الظهر والعصر يتذاكران الفقه، فلا يذكر باب من أبواب العلم إلا ويتفوق فيه الأوزاعي. ثم صليا العصر فعاودا المذاكرة، فلم يزل الأوزاعي على تلك الحال حتى اصفرت الشمس، فناظره مالك في كتاب «المكاتب والمدبر» فخالفه فيه. فلما صليا المغرب سأل أصحاب الأوزاعي أصحاب مالك: كيف رأيتم

---

(٣٦٨) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢)، ترجمة: مكحول.

صاحبنا من صاحبكم. فقالوا: لو لم يكن في صاحبكم إلا سمته لأقررنا بفضله.»

وفي خبر ثالث، «ان الأوزاعي ومالك بن أنس اجتمعا في مسجد رسول الله (ص) فتناظرا في المغازي فغمره الأوزاعي، ثم تناظرا في الفقه فغمره مالك» (٣٦٩).

- بعد موت الأوزاعي، آلت إمامة أهل الشام في الحديث والفقه الى الوليد بن مسلم (ت ١٩٥/٨١١). وكان طلاب الأقطار الاسلامية يأتون الشام لسماعه، فمن الطبيعي أن يغتنموا حضوره موسم الحج للافادة من علمه.

قال صالح بن سفيان: «قدم الوليد بن مسلم، ووكيع بن الجراح (شيخ الكوفة في وقته) بمكة. فسار وكيع الى الوليد مع نفر من أصحابه. (ومن المعروف ان الغرض الأول من هذه اللقاءات السماع والمذاكرة)».

وفي خبر آخر، «ان أصحاب الحديث اجتمعوا على الوليد بن مسلم بمنى وطلبوا منه أن يحدثهم. وعندما ابتدأ الكلام، راح بعض المكين يشاغبون ويطالبون الشيخ برفع صوته لأن الجمع كبير ولا يستطيع الكل سماعه، فتركهم ومضى».

وفي خبر ثالث، «ان الوليد بن مسلم كان يقول لطلبة الحديث في موسم الحج: إن تركتموني حدثكم عن ثقات شيوخنا، وإن أبيتم فاسألوا أحدثكم ما تسألون».

---

(٣٦٩) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.

وقال صدقة بن الفضل الخراساني: « حج الوليد بن مسلم وأنا بمكة، فما رأيتُ رجلاً أحفظ للحديث الطويل وأحاديث الملاحم منه. وكان أصحابنا في ذلك الوقت يكتبون ويطلبون الآراء. فجعلوا يسألون الوليد عن الرأي، ولم يكن يحفظ (هذا النوع). ثم حج وأنا بمكة، وإذا هو قد حفظ الآراء، وإذا الرجل حافظ متقن. وكان نُعَيْمُ بن حَمَّاد (من محدثي مرو) قد أنكر طلب الآراء وحضَّ على طلب الأسناد والأحاديث العالية، فطلب الخراسانيون من الوليد أن يحدثهم (بهذا النوع من الأحاديث). فقال لهم الوليد: ما أعجب أمركم! كلما سألتمونا عن نوع من العلم ونظرنا فيه نقلتمونا الى غيره. إن بقينا وحججنا أتيتم من هذا ما تبغون. فصدر، فمات قبل أن يصل الى دمشق ».

ومن الطبيعي ان يستفيد أهل مكة والمدينة من هذه المواسم بدرجة أكبر من غيرهم، لأنهم يستطيعون حضورها سنوياً. فان لم يحضر العالم في سنة ما حضر في سنة أخرى. وهكذا أصبح أهل الحجاز مرجعاً لحديث العديد من علماء الأقطار الأخرى.

وفيما يتعلق بالوليد بن مسلم، يروي محدث مدني « أنه ذهب الى البصرة، فأثاه محدثها علي بن المدني وقال له: أول شيء أطلب منك حديث الوليد بن مسلم، فسأله المحدث المدني عن سبب ذلك فقال: الوليد رجل الشام وعنده علم كثير ولم أتمكن منه، وقد حدثكم بالمدينة في المواسم. فأخرج اليه حديث الوليد فكتبه كله » (٣٧٠).

بالإضافة الى هؤلاء الأعلام الذين شاركوا في الفعاليات التربوية في

---

(٣٧٠) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧١ (٢)، ترجمة: الوليد بن مسلم.

الأقطار الأخرى، بمناسبة العمل أو الحج، هناك علماء آخرون انتقلوا من الشام واستقروا في أماكن أخرى، بعد أن تعلموا في بلدهم وعلموا فيه فترة من الوقت. ومن هؤلاء:

- محمد بن مصعب بن صدقة القرقيسي (ت ٨٢٤/٢٠٨)، وهو أحد تلامذة الأوزاعي. ترك مدينته قرقيسيا واستقر في بغداد وعلم فيها (٣٧١).

- عمرو بن أبي سلمة الدمشقي (ت ٨٢٨/٢١٢)، وهو تلميذ آخر من تلامذة الأوزاعي. غادر دمشق واستقر في تيس بصر وروى فيها أحاديث شيخه. وقد قصدته الطلبة من جميع الأقطار الإسلامية (٣٧٢).

- محمد بن العباس المري الدمشقي (ت بعد ٩٠٣/٢٩٠)، وهو من تلامذة هشام بن عمار. غادر دمشق، واستقر في جرجان وروى الحديث فيها. وقد جاءه الطلبة لسماعه من بستان، واستراباذ، وجرجان، ومناطق أخرى في المشرق الإسلامي (٣٧٣).

## ٢ - تنقلات المعلمين من الأمصار الأخرى الى الشام والجزيرة

تضم قائمة العلماء الذين زاروا الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى أسماء لامعة ساهمت في النشاط التربوي والثقافي مساهمة كبيرة. وهذا ما يدفعنا الى التوقف عند عدد منهم مع الإشارة الى الفعاليات التي قاموا بها.

---

(٣٧١) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٢٨ (١)، ترجمة: محمد بن مصعب.

(٣٧٢) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ١٧٣ (١)، ترجمة: عمرو بن أبي سلمة.

(٣٧٣) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٤٨ (١)، ترجمة: محمد بن العباس.

زار الشام في القرن الأول عدد كبير من الصحابة والتابعين، لذلك كان لهذه الزيارات أهمية بالغة، نخص بالذكر منها:

- زيارة أبي هريرة لدمشق. فما إن نزل هذا الصحابي المدينة حتى خفّ الناس من المدينة نفسها ومن القرى المجاورة لسماعه<sup>(٣٧٤)</sup>. فمنهم من سمعه في الجامع<sup>(٣٧٥)</sup>، ومنهم من سمعه في بيت أم الدرداء<sup>(٣٧٦)</sup>. كما تواعد الناس في إحدى الليالي قبة من قباب معاوية. فاجتمعوا فيها، وقام أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله حتى أصبح<sup>(٣٧٧)</sup>. وعندما عزم على الرحيل شيعوه من دمشق إلى الكسوة، ولم يبخل عليهم الصحابي الكبير بالحديث ساعة الوداع<sup>(٣٧٨)</sup>.

- قدوم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك عام ٧٠٥/٨٦ في أربعين من الأنصار<sup>(٣٧٩)</sup>. فقد استقبله الخليفة بالجابية وسمع منه بحضور

---

(٣٧٤) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٠٧ (١)، ترجمة: شيوخ عنسيون من داريا.  
(٣٧٥) المصدر نفسه: ج ٥، ق ١٨٩ (٢)، ترجمة: خالد بن معمر، أبو كلثم الدوسي  
الدمشقي، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٥١١ (٢)، ترجمة: عبد الواحد دمشقي.  
(٣٧٦) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٨٩ (١)، ترجمة: كريمة بنت الحساس المزنية  
الدمشقية.

(٣٧٧) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٦٧ (١)، ترجمة: أبو هريرة الدوسي.

(٣٧٨) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٣٥١ (١)، ترجمة: غالب بن شعوذ.

(٣٧٩) المصدر نفسه: ج ٣، ق ٧٦ (١)، ترجمة: أنس بن مالك.

عدد من علماء الشام<sup>(٣٨٠)</sup>. كما تسنى لأهل الشام سماعه بجامع دمشق وبدير  
مُرَّان<sup>(٣٨١)</sup>.

وهناك أعلام آخرون أفاد أهل الشام من زياراتهم، منهم:  
- عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٨٥/٦٥)، الذي اشتهر بكتابه  
عن الرسول. قدم الشام مرات عدة في خلافة معاوية وابنه يزيد وحدث بها،  
وروى الناس وكتبوا عنه، كما اطلع البعض على صحيفته<sup>(٣٨٢)</sup>.

- سلمان الفارسي (ت ٦٥٧/٣٦)، صحابي جاء الشام للرباط والجهاد،  
وتوقف في دمشق ليلتقي بأبي الدرداء، ثم غادرها الى بيروت حيث حدث  
وسُمع منه<sup>(٣٨٣)</sup>.

- المقداد بن عمرو الأسود (ت ٦٥٤/٣٣)، صحابي حضر الجابية مع

---

(٣٨٠) المصدر نفسه: ج ١١، ق ١٧٤ (١)، ترجمة: عروة بن رويم اللخمي من أهل  
الأردن، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٦٥ (١)، ترجمة: عبد الكريم بن محمد اللخمي من أهل  
نوى.

(٣٨١) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٠٨ (١)، ترجمة: رجل من حُجور.

(٣٨٢) المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٢٠٥ (١)، ترجمة: أبو راشد الحبراني، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٠٢ (١)، ترجمة: نوف بن فضالة البكالي، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٨٥ (١)، ترجمة: قيس بن ثور بن مازن الكندي  
السَّكُونِي، أيضاً:

المصدر نفسه: ج ٧، ق ٨ (٢)، ترجمة: سالم بن سلمة، أبو سبرة الهذلي البصري.

(٣٨٣) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١٤٨ (٢)، ترجمة: سلمان الفارسي.

الخليفة عمر بن الخطاب، ودخل جامع دمشق وحدث فيه (٣٨٤).

- عبد الله بن مسعود (ت ٦٥٣/٣٢)، صحابي قدم دمشق ودخل جامعها، وقام على درج الكنيسة وحدث الناس (٣٨٥).

- عاصم بن عمر بن قتادة (ت ٧٣٣/١٢٠)، مدني عالم بالسيرة والمغازي. قدم دمشق على عمر بن عبد العزيز في دين لزمه، فقضاه عنه الخليفة وأمر له بمعونة، وأمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بمغازي الرسول ومناقب أصحابه (٣٨٦).

## القرن الثاني

- نبأ زيارات هذا القرن بزيارة الفقيه الحنفي الكوفي، وكيع بن الجراح (ت ٨١٣/١٩٧) قبل وفاته بقليل، ذلك أنها أثارت قدراً كبيراً من الاهتمام.

كان وكيع يريد الحج، فسار من الكوفة إلى الجزيرة إلى الثغور حتى بلغ المصيصة (أو طرسوس)، ثم انحدر إلى مدن الشام في طريقه إلى بيت المقدس، فما أتى بلداً إلا واستقبله واليها وخرج الناس للقاءه، حتى وصل دمشق فشهد الجمعة فيها، وكان الحشد كبيراً. وعندما انتهى الناس من الصلاة طافوا بوكيع وسط الزحام، حتى إذا وصل المنزل كان بجسمه

---

(٣٨٤) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢١٤ (٢)، ترجمة: المقداد بن عمرو، الأسود.

(٣٨٥) المصدر نفسه: ج ١٢، ق ٤٩١ (١)، ترجمة: عمارة بن سلمان.

(٣٨٦) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٠٧ (١)، ترجمة: عاصم بن عمر بن قتادة.

رضوض وكدمات من آثار ذلك الزحام. وعندما بلغ بيت المقدس أحرم  
وذهب الى الحجاز، ومات أثناء عودته من الحج.  
حدّث وكيع بدمشق وروى عنه كبار علمائها<sup>(٣٨٧)</sup>.

- وهناك زيارة أخرى لا تقل أهمية عن هذه، وهي زيارة محمد بن  
ادريس الشافعي للخليفة هرون الرشيد بالرقّة.

لقد تميّزت هذه الزيارة، كما رأينا (في ترجمة هرون الرشيد)، بالمناظرة  
التي أجراها رأس الشافعية مع الفقيه الحنفي محمد بن الحسن بحضور الخليفة  
وكبار القوم.

وفي طريق عودته الى مصر، توقف الشافعي في المسجد الأقصى وتوجه  
للناس قائلاً: «سلوني عما شئتم أخبركم عن كتاب الله وسنة رسوله»<sup>(٣٨٨)</sup>  
وهناك بالطبع زوار آخرون نذكر منهم:

- الليث بن سعد (ت ٧٩٢/١٧٥)، وهو فقيه مصري مر بدمشق في  
طريقه إلى بغداد. وكان خلال إقامته بدمشق يجالس فقيها سعيد بن عبد  
العزیز في مسجد دمشق، فأفاد الطلبة من هذه المناسبة وعرضوا عليه.  
وهكذا روى عنه الكثيرون من أهل الشام<sup>(٣٨٩)</sup>.

- مقاتل بن سليمان البلخي (ت ٧٦٨/١٥٠)، وهو من الحفاظ لتفسير  
القرآن. قدم الشام للجهاد، وجلس في مسجد بيروت وقال للناس: «لا

---

(٣٨٧) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٣٥ (١)، ترجمة: وكيع بن الجراح.

(٣٨٨) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٦٣٣ (٢)، ترجمة: محمد بن ادريس الشافعي.

(٣٨٩) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥٧٥ (١)، ترجمة: الليث بن سعد.

تسألوني عن شيء مما دون العرش إلا أنبأتكم به» (٣٩٠).

-المغيرة بن عبد الرحمن الخزومي المدني. جاء الشام للرباط وغزا مع مسلمة بن عبد الملك أرض الروم. وكان عالماً بالمغازي أخذها كتابة عن أبان ابن عثمان، فكانت كثيراً ما تقرأ عليه. وقبل وفاته أمر أولاده بتعليمها (٣٩١).

- عبد الرحمن بن معزا الدوسي الرازي. ولي قضاء الأردن، وقدم دمشق وحدث بها عن محمد بن اسحاق صاحب المغازي وغيره (٣٩٢).

### القرن الثالث

لعل أبرز زيارة شهدتها الشام في هذا القرن، هي زيارة يحيى بن أكثم قاضي قضاة الدولة في عهد المأمون.

فقد قدم يحيى الى دمشق بصحبة الخليفة، وجلس في جامعها مع كبار علماء المدينة، وتذاكر معهم وحدث، كما التقى ببعض العلماء على انفراد لكسب تأييدهم لآل العباس (٣٩٣).

ويلفت انتباهنا في هذا القرن تلاشي الحدود بين المعلم والمتعلم. ففي مجال الحديث، كانت كثرة الرحلات (على صعيد العالم الإسلامي) وطول مدتها، وتعدد مراكز الثقافة، تجعل من الممكن بالنسبة للشخص أن

---

(٣٩٠) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٠٩ (٢)، ترجمة: مقاتل بن سليمان.

(٣٩١) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٠٢ (٢)، ترجمة: المغيرة بن عبد الرحمن.

(٣٩٢) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٩٢ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن معزا.

(٣٩٣) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ١٢ (١)، ترجمة: يحيى بن أكثم.

يكون طالباً ومعلماً في الوقت ذاته. فكان عدد من زوار الشام يسمعون شيوخها فيزيدون حصيلتهم، ويحدثون فيها بما سمعوه في مناطق أخرى.

وفي مجال الزهد والتصوف، كان الدافع للرحلة هو رغبة الزهاد في لقاء بعضهم بعضاً لتبادل التجارب ومناقشة المشكلات التي يصادفونها في سعيهم للتقرب من الله. لذلك كان التمييز صعباً في معظم الحالات بين المعلمين والمتعلمين منهم.

ومن أمثلة هؤلاء الزوار، المعلمين - المتعلمين، في مجال الحديث نذكر:

- عبيد الله بن عبد الكريم، أبو زُرعة الرازي (ت ٨٧٨/٢٦٤). قدم الشام فسمع الحديث من بعض شيوخها بدمشق وعسقلان وبيروت، وتذاكر مع البعض الآخر، وكان له مجلس للحديث في جامع دمشق.

قال سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي: بلغني ورود أبي زُرعة الرازي، فدرست للقائه (٣٠٠) ألف حديث (٣٩٤).

وقال يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي: قدم علينا أبو زُرعة الرازي سنة ٨٤٣/٢٢٨، فما رأينا مثله وكنا نجلس اليه. فلما أراد الخروج قلت له: يا أبا زُرعة اجعلني خليفتك في هذه الحلقة، فقال لي: قد جعلتك (٣٩٥).

---

(٣٩٤) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٠٧، ترجمة: سليمان بن عبد الرحمن التميمي.

(٣٩٥) ابن عساكر: ج ١٠، ق ٥٤١ (١)، ترجمة: عبيد الله بن عبد الكريم، أبو زُرعة الرازي.

- محمد بن إدريس، أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧/٨٩١). قدم دمشق مرتين فسمع فيها وحدث<sup>(٣٩٦)</sup>.

ومن الزهاد والمتصوفة:

- ذو النون المصري (ت ٢٤٥/٨٥٨). قدم الشام للسياحة وطاف جبل لبنان، ودخل مسجد دمشق فاجتمع مع محمد بن أحمد، أبي بكر بن سيد حمدويه زاهد دمشق<sup>(٣٩٧)</sup>.

- سعيد بن بُريد النباجي (النباج: قرية بجانب البصرة) قدم الشام للسياحة، وغزا الروم في طرسوس وغيرها من الثغور.

التقى بعدد من زهاد دمشق وصور وانطاكية وشيوخها، وروى هؤلاء عنه حكايات كثيرة<sup>(٣٩٨)</sup>.

- السريّ بن المغلس السقطي البغدادي (ت ٢٥٧/٨٧١) جاء الشام مجاهداً، وزار الرملة وبيت المقدس ودمشق.

وفي مسجد دمشق حدث وطلب من أحمد بن أبي الحواري أن يعظه<sup>(٣٩٩)</sup>.

---

(٣٩٦) المصدر نفسه: ج ١٥ (ي - ١)، ق ٣٧ (١)، ترجمة: محمد بن ادريس، أبو حاتم الرازي.

(٣٩٧) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٥٨ (١)، ترجمة: ذو النون بن ابراهيم.

(٣٩٨) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٧٦ (١)، ترجمة: سعيد بن بُريد النباجي.

(٣٩٩) المصدر نفسه: ج ٧، ق ٣٨ (٢)، ترجمة: السري بن المغلس السقطي.

# الجوانب الكمية

## ١ - المعلومات العامة

بلغ العدد الكلي للأعلام الذين لهم صلة ما بالتربية والثقافة، والذين يترجم لهم ابن عساكر خلال القرون الستة، من بداية الإسلام حتى وفاة المؤلف (٥٣٧٤) شخصاً يتوزعون زمنياً كما يلي:

### جدول (١)

التوزيع الزمني للأعلام خلال القرون الستة الأولى للهجرة

عدد الأشخاص	تاريخ الوفاة	
٩٥٢	١٠٠ - ١	القرن الأول
١٢٧٦	٢٠٠ - ١٠١	القرن الثاني
٩٤١	٣٠٠ - ٢٠١	القرن الثالث
١٠٥٨	٤٠٠ - ٣٠١	القرن الرابع
٨٣٢	٥٠٠ - ٤٠١	القرن الخامس
٣١٥	٥٧١ - ٥٠١	القرن السادس

(تاريخ وفاة المؤلف)

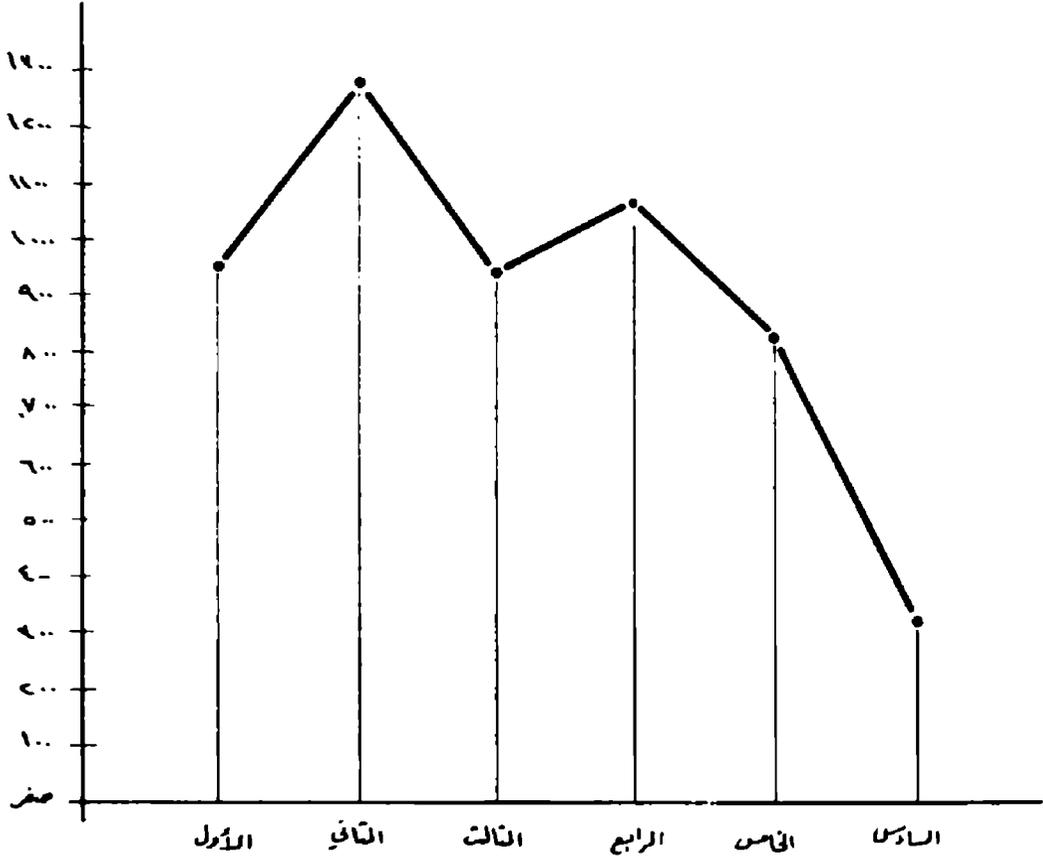
يبين هذا الجدول أن الأنشطة التربوية التي بدأت في الشام والجزيرة منذ الفتح شهدت ازدهاراً كبيراً في النصف الثاني من القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني. ذلك أننا اعتمدنا في الترتيب الزمني للأعلام على تاريخ وفاتهم. ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء قد مارسوا نشاطهم قبل ذلك بعقدين أو ثلاثة على أقل تقدير.

هذه الفترة تتطابق الى حد كبير مع العهد الأموي الذي شغلت فيه الشام مركزاً مرموقاً بالنسبة لأقطار العالم الإسلامي.

ثم ما لبث التراجع أن ظهر تدريجياً، وتجلّى بصورة واضحة خلال القرن الثالث. وفي القرن الرابع ازداد النشاط بصورة مؤقتة، ثم عاد عدد العاملين في الثقافة والتربية الى الهبوط، واستمر ذلك حتى نهاية القرن السادس الهجري.

## رسم بياني (١)

تطور عدد علماء الشام خلال القرون الستة الأولى للهجرة



وبما أن الإطار الزمني للدراسة يقتصر على القرون الثلاثة الأولى، فقد اكتفينا بالأشخاص الذين عاشوا وتوفوا أثناء هذه القرون.

إلا أننا وزعنا هؤلاء الأشخاص الى فئتين: ساكني الشام، وزائريها. اعتقاداً منا أن الأشخاص الذين سكنوا هذه المنطقة او استقروا فيها فترة طويلة تمكنوا من المساهمة في الفعاليات التربوية الدائرة فيها بصورة أوسع وأطول أثراً.

ونظراً للتنقلات الكثيرة التي كانت تجري داخل العالم الإسلامي، ولا سيما في مرحلة الفتوح، لجأنا الى استخدام عبارة «ساكني الشام» ضمن معنى واسع نسبياً.

فساكنو الشام تعني هنا: جميع الذين سكنوا الشام والجزيرة قبل الفتح، والذين استقروا في هذه المنطقة بعد الفتح مدةً تتيح لهم الاندماج بالوسط الثقافي الناشئ.

لذلك أدرجنا ضمن ساكني الشام أفراداً سكنوا هذه المنطقة فترة بعد الفتح ثم انتقلوا منها الى غيرها من المناطق المفتوحة، كبعض بني العباس.

كما أدرجنا ضمنهم أشخاصاً آخرين سكنوا خارج الشام والجزيرة بعد الفتح ثم انتقلوا الى هذه المنطقة ليستقروا فيها نهائياً، كأبي قلابة الجرمي.

وعددنا من ساكني الشام أيضاً أشخاصاً آخرين أمضوا حياتهم متنقلين بين الشام والجزيرة وقطر آخر، ولكن فترة إقامتهم بالشام والجزيرة كانت من الطول بحيث مكنتهم من التأثير في جوها الثقافي. ونخص بالذكر هنا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الذي أمضى الشطر الأكبر من حياته في الشام والجزيرة عاملاً من عمال بني مروان ومؤدباً لأبنائهم بالرغم من تنقله

من حين لآخر بين الشام والجزيرة والحجاز .

أما زائرو الشام فنعني بهم هنا، هؤلاء الأفراد الذين جاءوا الشام والجزيرة لغرض غير الاستقرار، لذلك كانت إقامتهم فيها أقصر من أن تجعل منهم حاملين لعلم هذه المنطقة أو ممثلين لجوها الثقافي .

وقد حصلنا نتيجة هذا التوزيع على الجدول والرسم التاليين:

### جدول (٢)

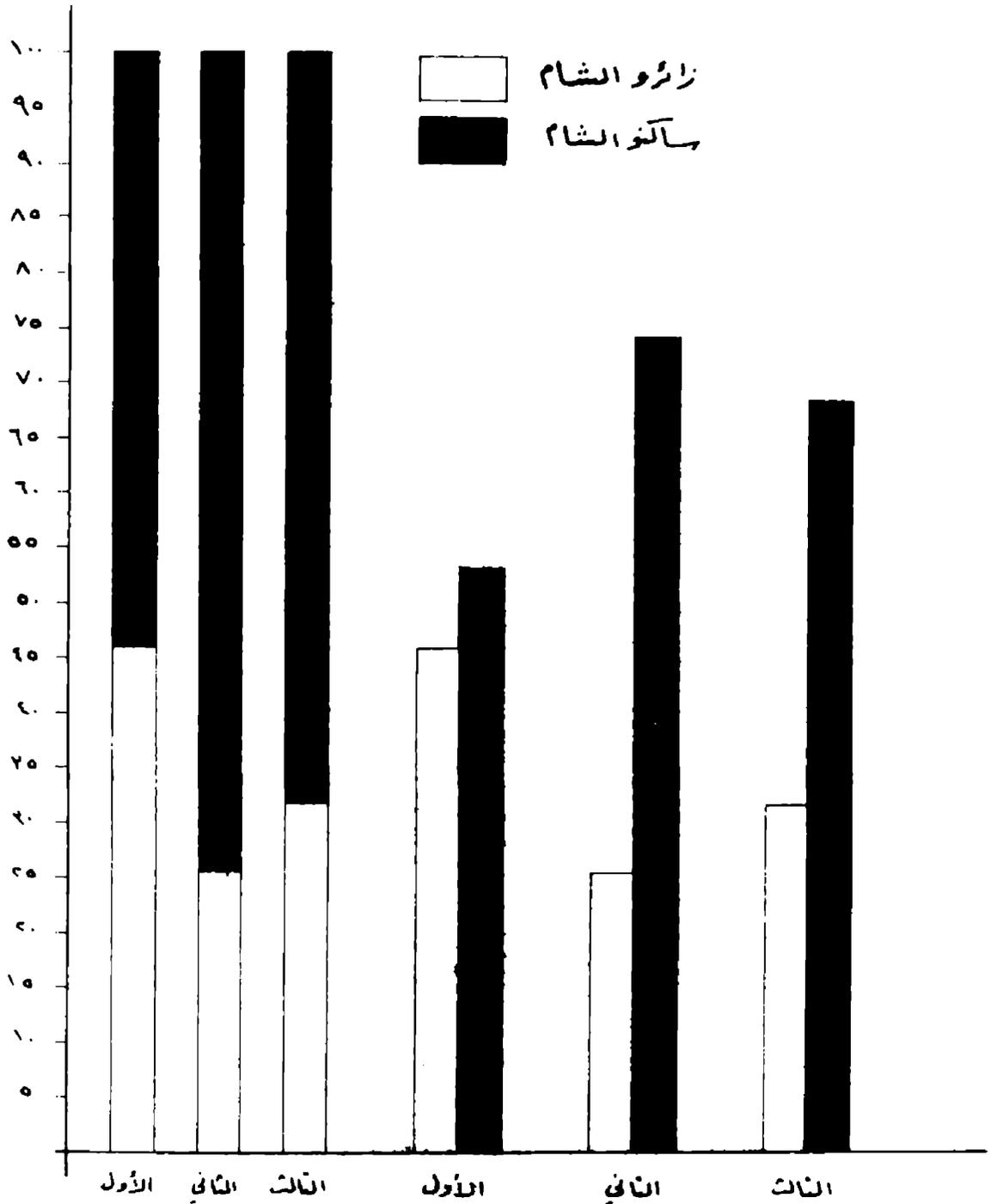
توزيع الأعلام في القرون الثلاثة الأولى حسب صلتهم بالشام

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
العدد %	العدد %	العدد %
ساكنو الشام ٥٠٨ ٥٣,٦	٩٥١ ٧٤,٥	٦٤٠ ٦٨,٠
زائرو الشام ٤٤٤ ٤٦,٤	٣٢٥ ٢٥,٥	٣٠١ ٣٢,٠
المجموع ٩٥٢ ١٠٠,٠	١٢٧٦ ١٠٠,٠	٩٤١ ١٠٠,٠

- ملاحظة: نلفت انتباه القارئ إلى أن عبارتي «ساكني الشام» و«علماء الشام» تستعملان في هذا القسم من الكتاب بمعنى ساكني الشام والجزيرة، وعلماء الشام والجزيرة. كما أن عبارة «زائري الشام» تطلق على الأعلام الذين زاروا أحد الإقليمين أو كليهما.

رسم بياني (٢)

توزيع الأعلام حسب صلتهم بالشام في القرون الثلاثة الأولى للهجرة



## ٢ - المعلومات التي تتعلق بساكني الشام

رأينا أن عدد علماء الشام بلغ خلال القرون الثلاثة الأولى (٣١٦٩) عالماً، توزع هؤلاء زمنياً كما يلي:

في القرن الأول: ٥٠٨ علماء،

وفي القرن الثاني: ٩٥١ عالماً،

وفي القرن الثالث: ٦٤٠ عالماً.

ويتبين من ذلك أن هؤلاء العلماء ازدادوا عدداً بصورة جلية في القرن الثاني، مما يدل على الدور الكبير الذي شغله علماء الشام في ازدهار الثقافة في تلك الفترة. ثم تناقصوا في القرن الثالث تحت وطأة العوامل السياسية والاقتصادية.

## آ- التوزيع الجغرافي

نذكر بمناسبة بحث هذا الموضوع بأن الخليفة أبا بكر الصديق وزع الجيش الذي أرسله لفتح الشام الى أربعة أجناد، وهي:

جند دمشق، وجند حمص، وجند فلسطين، وجند الأردن.

وهذه الأجناد تقابل على ما يبدو التقسيمات الإدارية لهذا الإقليم في العهد البيزنطي .

ولدى انتهاء فتح الشام ، أو الشامات كما يسميها البعض ، كُلف قسم من الجيش فتح الجزيرة .

ولكن الخليفة الأموي يزيد بن معاوية فصل عن جند حمص جنداً خامساً ، هو جند قنّسرين .

كما فصل الخليفة العباسي هرون الرشيد منطقة الحدود التي تقع شمال قنّسرين وشكّل منها جنداً سادساً هو جند العواصم . إلا أن ظروف القتال دعت إلى أن تُضم الحدود الشامية والجزرية مع الروم في منطقة واحدة ، معظم الأحيان .

وهكذا أصبحت الرقعة الواسعة التي يطلق عليها ابن عساكر اسم « نواحي دمشق » تضم سبعة أقسام إدارية ، هي :

دمشق ، حمص ، فلسطين ، الأردن ، قنّسرين ، الجزيرة ، الثغور والعواصم . ويتوزع العلماء على هذه الأقسام الإدارية كما يظهر في الجدول والرسم التاليين :

## جدول (٣)

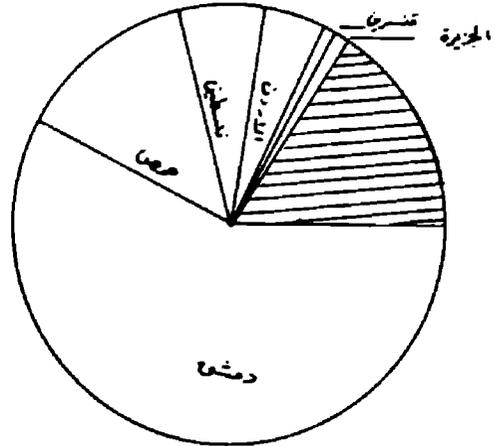
### التوزيع الجغرافي لعلماء الشام

المناطق	القرن الأول		القرن الثاني		القرن الثالث	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
دمشق	٢٩٥	٥٨,٠	٦٨٦	٧٢,١	٤٥٦	٧١,٢
حمص	٦٨	١٣,٤	٥٥	٥,٨	٣٧	٥,٨
فلسطين	٣٢	٦,٣	٣٨	٤,٠	٣٢	٥,٠
الأردن	٢٣	٤,٦	١٥	١,٥	٧	١,١
قنسرين	٤	٠,٨	٧	٠,٧	٥	٠,٨
الجزيرة	٦	١,٢	٢٨	٣,٠	٢٦	٤,٠
الثغور والمواسم	-	-	٥	٠,٥	٢٠	٣,١
الشام دون تحديد	٨٠	١٥,٧	١١٧	١٢,٤	٥٧	٩,٠
المجموع	٥٠٨	١٠٠,٠	٩٥١	١٠٠,٠	٦٤٠	١٠٠,٠

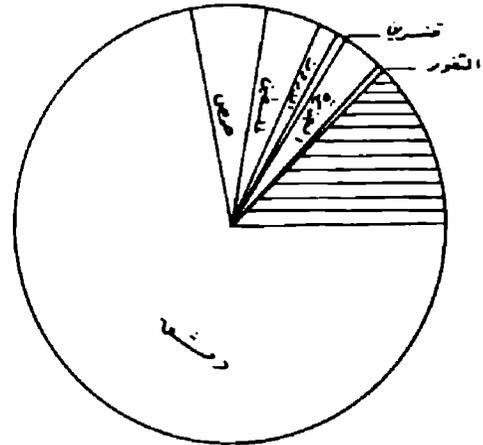
### رسم بياني (٣)

### التوزع الجغرافي لعلماء الشام

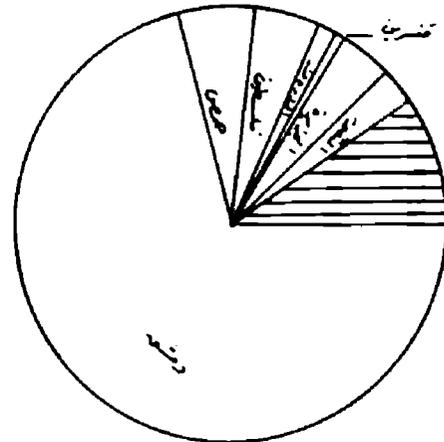
الأول



الثاني



الثالث



دون تحديد

ولا بد من الإشارة هنا إلى الأثر المتبادل بين التربية والحياة. فهذه الأرقام الدالة على الأوضاع التربوية لا يمكن أن تفسر إلا في ضوء الأوضاع العامة من عسكرية وسياسية واقتصادية وديموغرافية وغيرها، كما أنها تفيد الى حد بعيد في تفسير تلك الأوضاع.

ولسنا ندعي القدرة على إيضاح هذا التفاعل والإلمام بجميع جوانبه في هذه الدراسة، فإن ذلك يتطلب تضافر جهود عدد من الاختصاصيين. ولكننا سنقوم بمحاولة أولية نرجو أن تفتح الباب لدراسات أكثر دقة وتفصيلاً.

## ١ - دمشق

كان جند دمشق منذ الفتح أكبر الأجناد من حيث العدد والمنطقة الجغرافية التي نيطت به. كما أن أهميته تزايدت باستمرار خلال القرون التالية، وانتشر تدريجياً في جميع أرجاء المنطقة شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً للضرورات العسكرية والاقتصادية. وقد ساعد على امتداد الفعاليات التربوية من المدن الكبرى الى المدن الصغيرة والقرى تقدم حركتي الدخول في الإسلام والتعريب بين السكان الأصليين.

ولايضاح توزع هذا الجند سنقسم هذه المنطقة إلى الأقسام الأربعة التالية:

- دمشق (العاصمة).
- أطراف دمشق (الغوطة والمرج).
- شمال دمشق وشمالها الغربي، ويضم: الساحل والبقاع وجبل لبنان.

- جنوب دمشق وجنوبها الشرقي، ويضم: البثينة وحوران  
والجولان والبلقاء .

وأود أن ألفت النظر هنا إلى أن المعلومات التي توردها المراجع  
الجغرافية والتاريخية حول تسميات المناطق تختلف وتتضارب أحياناً .

وقد اعتمدت فيما يتعلق بحدود منطقة دمشق على ما ينقله ابن عساكر  
عن ابن اسحاق من أن الخليفة عمر بن الخطاب ولّى معاوية دمشق وبعلبك  
والبلقاء ، وعمرو بن العاص فلسطين والأردن، وسعيد بن عامر بن حذيم  
حصص . ثم جمع الشام كلها لمعاوية<sup>(١)</sup> .

ويبدو لي بالاستناد الى ما ذكره البلاذري في الفتوح أن معاوية حرص  
على إعطاء جند دمشق أهمية خاصة بتوسيع أعماله ولا سيما من جهة الشمال  
الغربي (الساحل) . أما القسم الجنوبي فيبدو أن ارتباطه بدمشق يعود لأيام  
الفتح الأولى .

ويبين الجدول والرسم التاليين، توزيع الجند في أقسام منطقة دمشق، كما  
يشيران إلى أن هذه المنطقة شهدت ازدياداً كبيراً في عدد العلماء في القرن  
الثاني الهجري، تلاه انخفاض واضح في القرن الثالث .

---

(١) ابن عساكر: ج ١٦ (٢)، ق ١٠٩ (١)، ترجمة: معاوية بن أبي سفيان .

## جدول (٤)

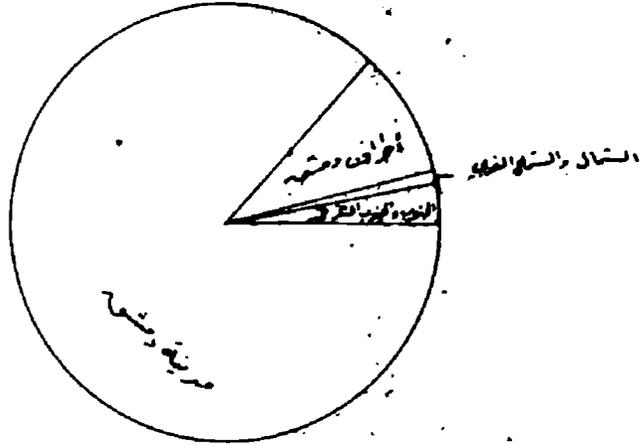
توزع العلماء في جند دمشق

القرن	الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	المركز والأقسام		
العدد	%	العدد	%	العدد		
٢٥٥	٨٦,٥	٥٦١	٨١,٨	٣٤١	٧٤,٨	مدينة دمشق
٢٨	٩,٥	٥٣	٧,٧	٤١	٩,٠	أطراف مدينة دمشق
٣	١,٠	٤٢	٦,١	٦١	١٣,٣	شمال دمشق وشمالها الغربي
٩	٣,٠	٣٠	٤,٤	١٣	٢,٩	جنوب دمشق وجنوبها الشرقي
٢٩٥	١٠٠,٠٠	٦٨٦	١٠٠,٠٠	٤٥٦	١٠٠,٠٠	المجموع

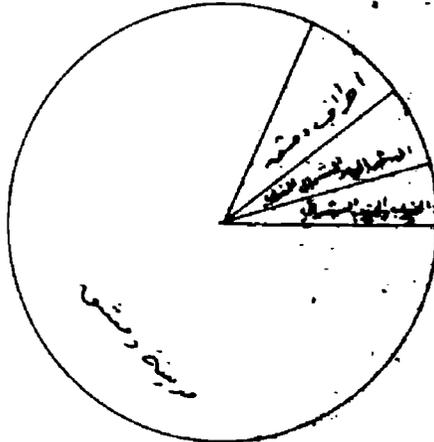
رسم بياني (٤)

توزيع العلماء في جند دمشق

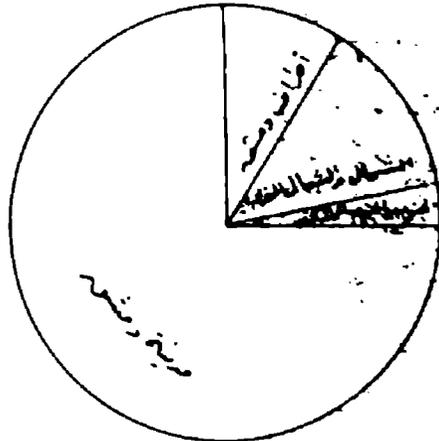
الاول



الثاني



الثالث



ولنا وقفة قصيرة عند كل من هذه الأقسام.

## مدينة دمشق

لم يكن من العسير على القادة والرجال البارزين في جند الفتح الاستقرار داخل المدينة نظراً لخلو العديد من القصور والمنازل بعد مغادرة الحكام البيزنطيين وأعوانهم البلاد. وساعد على ذلك أيضاً مشاطرة المسلمين منازل النصارى كما نصت على ذلك شروط الخليفة عمر بن الخطاب على أهل الشام<sup>(٢)</sup>.

(٢) ابن عساكر، ج ١٩، ق ٢٥٣ (٢)، ترجمة: أبو مشجعة بن ربيعي الجهني.  
- روى خطبة عمر بالجابية وزيارته لدمشق سنة ١٦ هـ بعد وقعة اليرموك، قال: ... ثم ارتحل عمر حتى أتى دمشق فشاطرهم منازلهم وكنائسهم، وجعل يأخذ الحد (أو الحيز) القبلي من الكنيسة لمسجد المسلمين لأنها أنظف وأطهر، وجعل يأخذ هو بطرف الحبل ويأخذ النبطي (صاحب النصارى) بطرف الحبل حتى شاطرهم منازلهم، ففرغ عمر من دمشق وحصص وبعث أبا عبيدة إلى قنسرين وحلب ومنبج ففعل بها كما فعل عمر، ورجع عمر من حصص إلى المدينة... أنظر أيضاً:

- المصدر نفسه: ج ٧، ق ٢٢ (٢)، ترجمة: سمرة أو سبرة بن فاتك الأسدي،  
- صحابي تولى قسمة المساكن بعد فتح دمشق. كان يترك الرومي في العلوي ويسكن المسلم في السفلي لئلا يضر المسلم بالذمي.

- المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٢٩٣ (٢)، ترجمة: عياض بن غنم الفهري.  
- صحابي بعثه أبو عبيدة بن الجراح لفتح الجزيرة... ففتحها سنة ١٨ هـ وكتب كتاباً لأهلها.. وقسم المنازل والكنائس على غرار ما تم في دمشق.

- المصدر نفسه: ج ١٩، ق ٣٠٩ (٢)، ترجمة: رجل غساني من دمشق.  
- بعثه معاوية إلى ملك الروم للاحتجاج على ارتفاع أصوات نواقيس الكنائس في الليل، فأجاز الملك الشاب الفسافي وأعادته إلى بلده، ذلك أنه يعرف أن النصارى بالشام لهم أنصاف منازل المسلمين وأنصاف مساجدهم، وقد عاهدتهم على ذلك عمر بن الخطاب.

وعندما أصبحت دمشق عاصمة الخلافة في العهد الأموي استقبلت عدداً آخر من رجال شبه الجزيرة العربية جاءوا للسكن فيها أو لاقتناء منازل في العاصمة يقيمون فيها حين يفدون على أولي الأمر لقضاء حاجاتهم.

واستمرت دمشق تستقطب القسم الأكبر من سكان الشام وعلماؤها حتى بعد زوال مكانتها السياسية، نظراً لموقعها الجغرافي وأهميتها الاقتصادية والثقافية. ويتجلى ذلك من خلال الجدول والرسم التاليين:

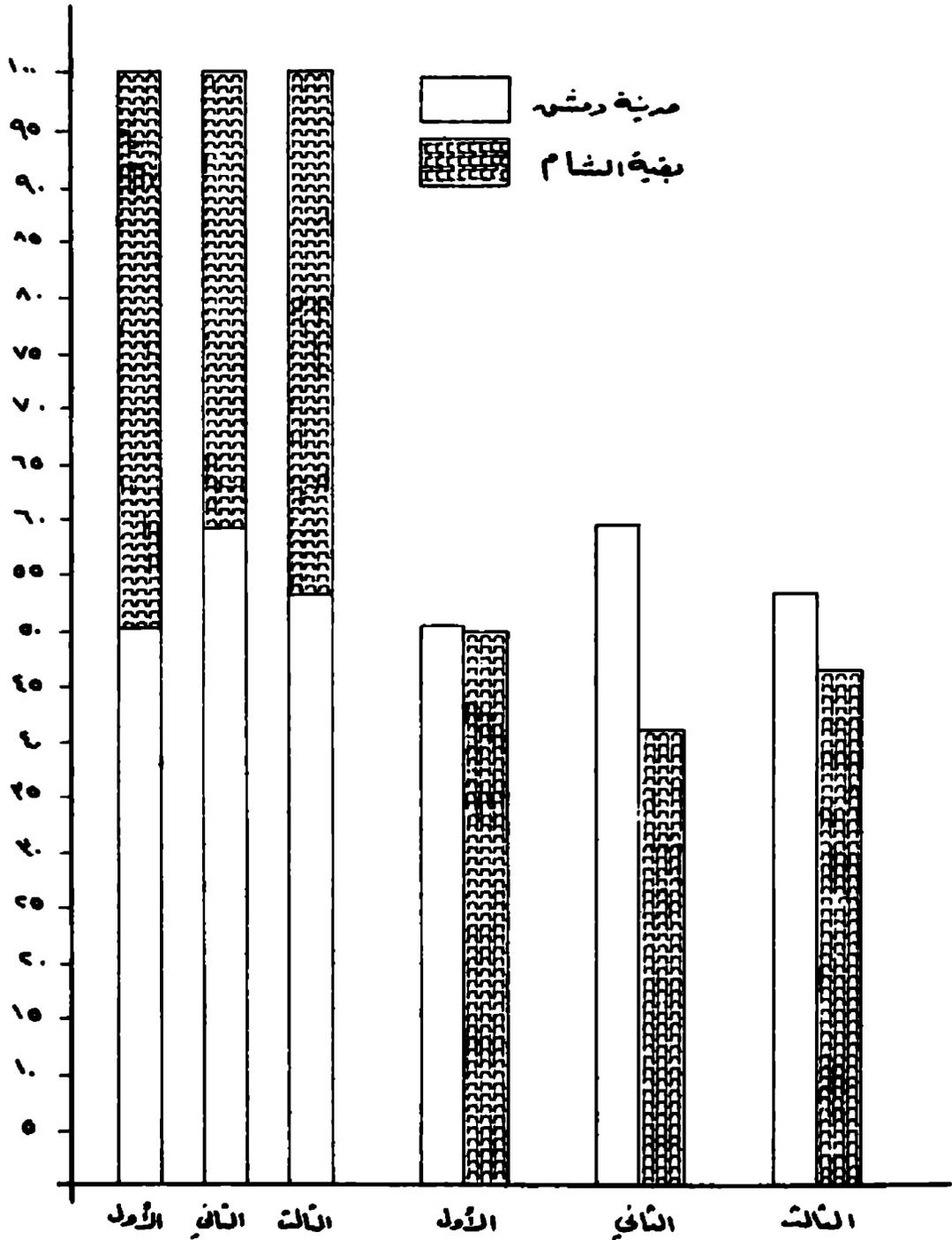
### جدول (٥)

عدد علماء مدينة دمشق ونسبتهم الى بقية علماء الشام

العلاء	القرن الأول		القرن الثاني		القرن الثالث	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
علماء مدينة دمشق	٢٥٥	٥٠,٢	٥٦١	٥٩	٣٤١	٥٣,٣
بقية علماء الشام	٢٥٣	٤٩,٨	٣٩٠	٤١	٢٩٩	٤٦,٧
المجموع	٥٠٨	١٠٠,٠	٩٥١	١٠٠,٠	٦٤٠	١٠٠,٠

رسم بياني (٥)

نسبة علماء مدينة دمشق الى بقية علماء الشام



لم تكن دمشق القديمة تتسع لجميع أفراد الجند، لذلك أقيمت لهم مخيمات خارج الأسوار وعلى مقربة من أبواب المدينة. وأهم تلك المخيمات والتجمعات السكنية: صنعاء، قينية، المرّة، الأوزاع، الفراديس، بيت لهيا، المصيصة.

ثم علم العرب الفاتحون بوجود أراض ومزارع مهجورة في القرى المجاورة، نتيجة رحيل أصحابها أو موتهم في الحرب، فوزعت تلك الأراضي والمزارع التي سميت «الصوافي» على بني أمية وقبائل أخرى. فانتشر الفاتحون في الغوطة والمرج.

هذا ما يفسر قول معاوية الأول على منبر جامع دمشق: «يا أهل قردا، يا أهل زاكية وأقاصي الغوطة، لا تدعنَّ الجمعة تفوتكم بدمشق» (٣) كما يفسر ماروي «من أن أهل القرّيات من مرج الصُّفّر كانوا يشهدون الجمعة مع معاوية ثم ينصرفون إلى أهلهم فيأتونهم قبل غروب الشمس» (٤).

ويتبين من الجدول (٦) أن قرية داريا قدّمت خلال تلك الفترة أكبر عدد من العلماء. وللدلالة على أهمية هذه القرية يذكر ابن عساكر أنه كان يقال: «من أراد العلم فليزل بداريا بين عَنَسٍ وخَوْلان». ويزيد بعضهم على ذلك «أن عَنَساً وخَوْلان قرّيتان بدمشق فيها مسجدان، فيجتمع في واحد عنس وفي واحد خولان» (٥).

(٣) ابن عساكر: ج ١٧، ق ٣١٧ (٢)، ترجمة: المهاجر بن أبي مُسلم.

(٤) المصدر نفسه: ج ١٩ (ب)، ق ٢٢٥ (٢)، ترجمة: أبو قنّان.

(٥) المصدر نفسه: ج ١ (منجد)، ص ٣١٨، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر.

ويلاحظ في هذا الجدول أيضاً الانتشار المتزايد للغاتحن، فبينما تظهر في القرن الأول أسماء تسع قرى، يرتفع هذا العدد الى (١٣) في القرن الثاني، و(١٧) في القرن الثالث.

كما يلاحظ في الرسم البياني (٦) أن تطور عدد العلماء في هذه المنطقة يتطابق مع التطور العام لعلماء الشام، فهو يرتفع في القرن الثاني، ويعود للانخفاض في القرن الثالث. ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر القارىء بالاضطرابات والفتن القبلية التي قامت في هذه المنطقة آنذا.

جدول (٦)

توزع العلماء في أطراف مدينة دمشق

القرن الثالث العدد	القرن الثاني العدد	القرن الأول العدد	القرى
٧	٢٢	١٥	داريا
١	١١	٤	صنعا (دمشق)
٢	٣	-	حستا
٤	٢	١	بيت لهيا
٣	٣	١	البلاط
-	٢	-	المزة
-	١	٢	المصيصة
٥	١	-	كفرسوية
-	١	-	الفراديس
-	١	-	قينية
٣	١	-	حجرا (حجيرة)
-	١	٢	الاوزاع
-	-	١	زبدن
٢	-	-	جوبر
٢	-	-	كفرطنا
٢	-	-	الحديثة
			(حديثة جرش)
٢	-	-	زملكا (زملكا)
٢	-	-	قذايا
٢	-	١	عين ثرماء
١	-	-	بيت قوفا
١	-	-	مسيحة (مليحا)
١	-	-	طرميس
١	٤	١	حران (العواميد)
٤١	٥٣	٢٨	المجموع

شمال دمشق وشمالها الغربي:

الساحل - البقاع - جبل لبنان

كان جند دمشق يمتد نحو الشمال والشمال الغربي، ويدخل تحت إمرته جزء كبير من ساحل الشام يضم مدناً وقرى هامة من الناحية العسكرية. لذلك عمل العرب على تحصينها باستمرار وشنها بالجنود النظاميين والمتطوعة الذين كانوا يفدون عليها للرباط والجهاد.

وقد ضمت هذه المنطقة بالإضافة الى الساحل، سهل البقاع وقصبتها بعلبك وهي من أوائل المدن التي فتحتها العرب في الشام، فقد فتحها أبو عبيدة عام ٦٣٦/١٤ في طريقه من دمشق الى حمص.

أما جبل لبنان فهو على ما يقول ياقوت من أعمال حمص<sup>(٦)</sup>، ولكنه حسبما جاء في عدد من الترجمات في «تاريخ مدينة دمشق» يتبع جند دمشق<sup>(٧)</sup>. ويؤيد ذلك ما يقوله ابن الفقيه الهمداني من أن دمشق تضم

---

(٦) ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١.

(٧) ابن عساكر: ج ٦، ق ٥٨ (١)، ترجمة: ذو النون بن إبراهيم. قدم دمشق وطاف جبل لبنان من أعمال دمشق. أيضاً:

المصدر نفسه: ج ٣ (دهان)، ص ٣٥، ترجمة: بشر بن الحارث. قدم الشام واجتاز بجبل لبنان من أعمال دمشق.

المصدر نفسه: ج ١٩، ق ١٩٤ (٢)، ترجمة: أبو الجعد السائح. قدم الشام سائحاً، وبلغ في سياحته جبل لبنان من أعمال دمشق.

لبنان، جبل المَبَاد والأبدال<sup>(٨)</sup>.

جدول (٧)

توزع العلماء في شمال مدينة دمشق وشمالها الغربي

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	المدن والقرى
٢	٢٢	٢٣	بيروت
-	٤	٥	صيدا
-	٦	١٢	طرابلس
-	٣	٥	جُبَيْل
-	٢	-	عِرْقَة
-	١	٣	جبل لبنان
١	٤	١٠	بعلبك
-	-	٣	البقاع (دون تحديد)
٣	٤٢	٦١	المجموع

In al-Faqih al-Hamadhani: Abrégé du Livre des pays, trad. (٨) Massé, p. 136.

ويتبين من الجدول (٧) أن مراكز الثقافة في هذه المنطقة كانت قليلة في القرن الأول، فقد اقتصرَت في ذلك القرن على اثنين فقط: بيروت وبعبك. إلا أنها تعددت في القرنين الثاني والثالث بظهور طرابلس، وصيدا، وجُبَيْل، وعَرْقَة، وجبل لبنان.

كما يتبين من الرسم البياني (٦) أن تطور عدد العلماء في هذه المنطقة يختلف عن التطور العام في الشام. فقد ازداد عدد العلماء فيها بصورة مطردة خلال القرنين الثاني والثالث. ومن الضروري الإحاطة بأوضاع المنطقة من حيث الحرب مع الروم والهجرة والدخول في الإسلام لتفسير ذلك.

### جنوب دمشق وجنوبها الشرقي

البشنيّة. حوران. الجولان. البلقاء.

كانت هذه المنطقة تضم آنذاك قسمين رئيسين: حوران والبلقاء.  
أما حوران فيقول عنها «كانتينو» ما يلي:

تتفق جميع النصوص التي جاءت عن اليعقوبي وابن الفقيه والادريسي والاصطخري وابن حوقل وياقوت والقلقشندي على أن حوران كانت ترتبط بمجند دمشق. ويميز فيها عدة تقسيمات إدارية صغيرة، وهي:

جبل حوران وقصبته بصرى.  
سهل حوران، الذي كان يسمى البشنية، وقصبته أذرعات.  
عجلون ومركزه قلعة عجلون.  
الجولان ويضم كورتين، قصبه الأولى بانياس وقصبه الثانية القنيطرة.

أما مدينة نوى فهي قصبة لكورة أخرى تسمى الجندور .  
وأما مدينة زُرع، وتعرف حالياً باسم إزرع، فهي قصبة كورة أخرى  
قد تكون اللجاء<sup>(٩)</sup>.

هذا فيما يتعلق بالقسم الأول، أما القسم الثاني فأمره مشوش بعض الشيء . وقد استنتجنا بالاستناد الى ملاحظات متفرقة في « تاريخ مدينة دمشق »<sup>(١٠)</sup>، ومن ملاحظة في « مختصر كتاب البلدان » لابن الفقيه الهمداني<sup>(١١)</sup>، بأنها كانت تضم عدة أجزاء ، هي: ظاهر البلقاء ، والمؤاب ، والشراة ، ومدينتا عمان ومعان ، وقرية الحُميمة .

---

(٩) Cantineau: Les parlers Arabes du Horan, p. 129.

(١٠) ابن عساكر: ج ١٩، ق ٣٢٨ (١)، ترجمة: رجل من بني أمية شاعر، كان يسكن الشراة من أرض البلقاء من أعمال دمشق. أيضاً:

المصدر نفسه: ج ١٢، ق ٤٤٠ (٢)، ترجمة: علي بن عبد الله بن عباس، سكن الشراة من أعمال البلقاء .

- Ibn al-Faqih; op. cit, P. 128. (١١)

جدول (٨)

توزيع العلماء في جنوب دمشق وجنوبها الشرقي

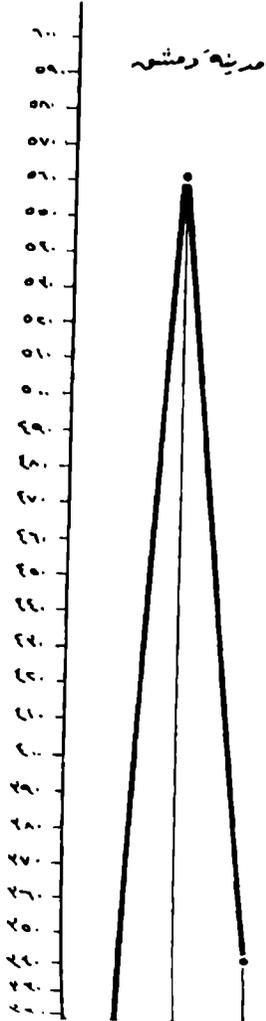
القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	المدن والقرى
العدد	العدد	العدد	
١	١	١	بصرى
٣	٣	٣	أذرعَات
-	١	١	زرع أو زرا
-	٥	١	البشنية
-	١	١	نوى
-	-	٢	اليرموك
-	-	٣	معان (من البلقاء)
-	٦	٢	عمان (من البلقاء)
-	١٣	-	حميمة (من الشراة)
٩	٣٠	١٣	المجموع

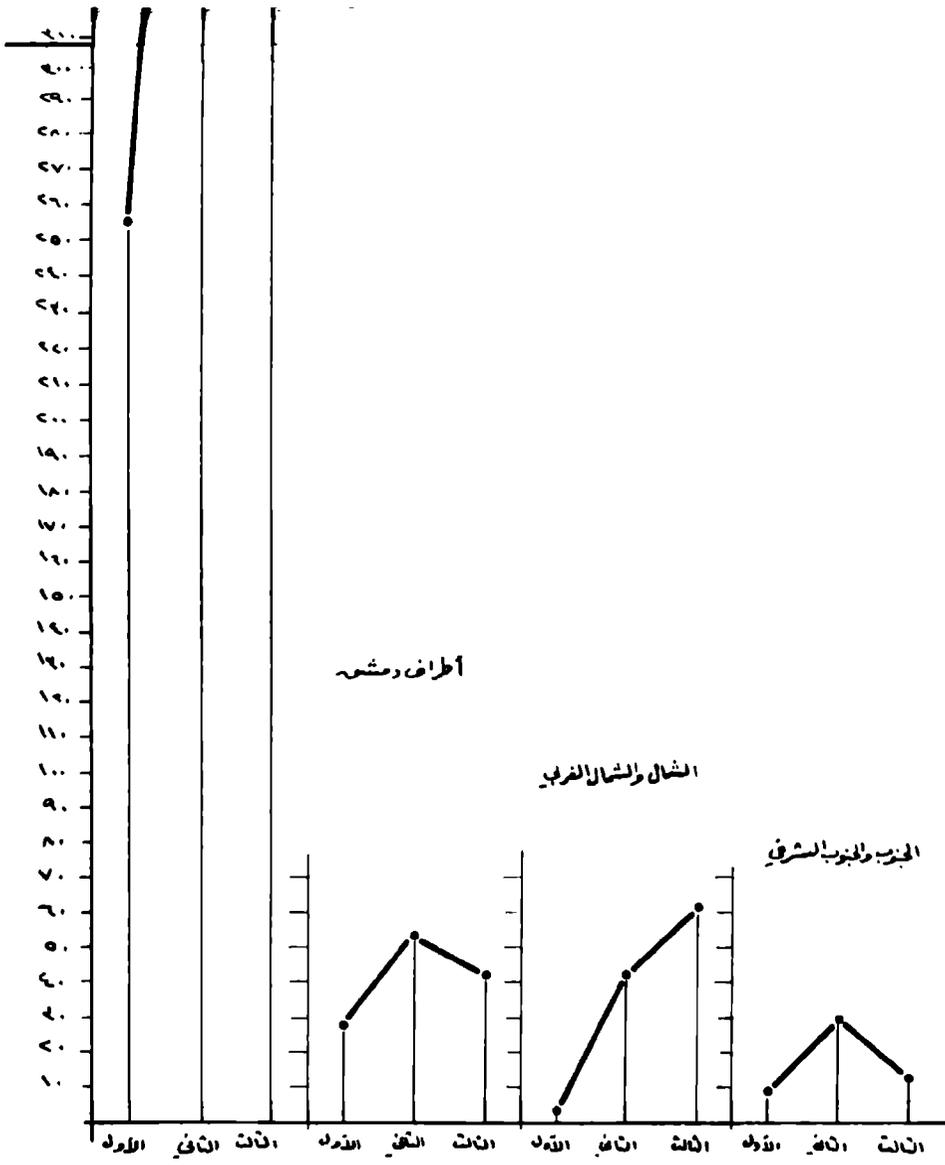
يبدو من هذا الجدول أن النشاط التربوي في الاقسام الواقعة جنوبي دمشق وجنوبها الشرقي توزع في مدن وقرى صغيرة كأذرعَات والبشنية وعمان ومعان والحميمة. وقد خبا ذكر الحميمة بعد رحيل بني العباس عنها.

والرسم البياني (٦) يبين تطور الحركة التربوية في جند دمشق بأقامه الأربعة خلال القرون الثلاثة الأولى.

رسم بياني (٦)

تطور عدد العلماء في أقسام جند دمشق





استوطن حص في القرن الأول عدد كبير من الصحابة والتابعين، كما انتشر الإسلام بين أفراد القبائل العربية التي كانت تقطن فيها قبل الإسلام. ولكن نشاط هؤلاء واولئك بقي محصوراً في مدينة حص، مركز الجند.

وفي القرنين التاليين امتد هذا النشاط بعض الشيء الى المدن التابعة للمنطقة وأهمها جبلة. ويعود وجود العلماء في هذه المدينة إلى كونها أحد الثغور الساحلية الهامة التي يأتيها الناس للجهاد.

أما سلمية، موئل الدعوة الفاطمية في القرن الثالث، فلم يترجم المؤلف لرجاليتها. وربما كان ذلك للطابع السري لتلك الدعوة.

جدول (٩)

توزع العلماء في جند حمص

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	
العدد	العدد	العدد	
٦٨	٥٠	٣١	حمص (المركز)
-	١	١	سلمية أو سلمية
-	-	١	شيزر
-	١	٣	جبله
-	١	-	تدمر
-	١	-	أنطرطوس
-	١	-	(طرطوس)
-	١	١	المعرة
٦٨	٥٥	٣٧	المجموع °

### ٣ - فلسطين

تعود أهمية فلسطين لوجود ايلياء او بيت المقدس فيها. ولكن مدينة الرملة، التي بناها سليمان بن عبد الملك واستقر فيها، نافست بيت المقدس وتجاوزتها من حيث النشاط الثقافي في القرن الثالث. وإلى جانب هاتين المدينتين برزت أيلة في القرن الثاني، وعسقلان في القرنين الثاني والثالث. ولكن النشاط الثقافي فيها لم يبلغ حداً يلفت الانتباه.

#### جدول (١٠)

#### توزيع العلماء في جند فلسطين

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	المدن
العدد	العدد	العدد	
٣٠	٢٠	٩	ايلياء أو بيت المقدس
-	٧	١٥	الرملة
-	٤	٦	عسقلان
١	٥	-	أيلة
-	١	٢	قيصرية
-	١	-	نابلس
٣٢	٣٨	٣٢	المجموع

#### ٤ - الأردن

تضاءلت أهمية هذا الجند على ما يبدو في القرنين الثاني والثالث، مما أدى الى تناقص عدد علمائه.

وقد شغل من البداية، على كل حال، مساحة صغيرة تضم عدداً قليلاً من المدن. كانت مدينته الأولى في القرنين الأول والثاني طبرية، ثم بدأت صور تأخذ مكانها تدريجياً.

ويتوزع علماءه خلال القرون الثلاثة على النحو التالي:

#### جدول (١١)

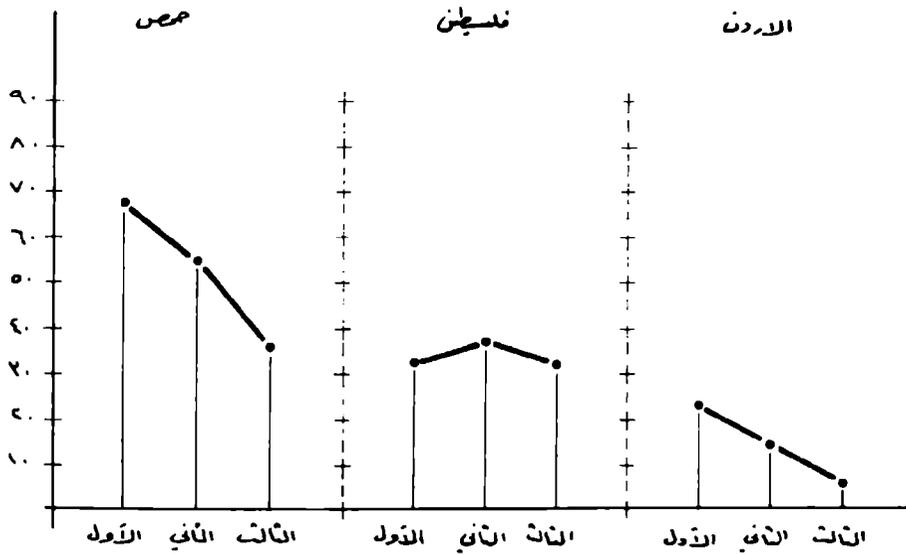
#### توزع العلماء في جند الاردن

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	
العدد	العدد	العدد	المدن
٢٣	١٠	١	طبرية
-	٢	١	بيسان
-	٢	٣	صور
-	١	١	عكا
٢٣	١٥	٦	المجموع

والرسم البياني (٧) يبين تطور الحركة العلمية في هذه الأجناد الثلاثة:

## رسم بياني (٧)

تطور عدد العلماء في أجناد حمص وفلسطين والأردن



## ٥- قنّرين

نه يكن هذه المنطقة وضع إداري مستمر خلال الفترة التي نعالها. فقد كانت تشكل في البداية جزءاً من حند حصص. ثم فصلها يزيد من معاوية وجعلها جنداً مستقلاً.

وعندما أراد هرون الرشيد دعم منطقة الحدود مع الروم. فصل عن قنّرين مدناً هامة كأنطاكية ومنبج وكوّن منها جنداً جديداً أطلق عليه اسم جند العواصم.

وبالرغم من أن مركز هذا الجند قنّرين، فإن مدينته الرئيسة كانت حلب. وقد أعطى خلال القرون الثلاثة عدداً محدوداً من العلماء، يتوزعون على النحو التالي:

### جدول (١٢)

#### توزع العلماء في جند قنّرين

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	المدن
العدد	العدد	العدد	
٣	١	١	قنّرين
١	٥	٣	حلب
-	١	١	خُناصرة
٤	٧	٥	المجموع

## ٦ - الجزيرة

كانت الجزيرة خلال القرون الثلاثة منطقة قطن داخلية، ولا سيما تلك التي أثارها الخوارج. كما كانت أطرافها الشمالية منطقة قتال مع الروم. ولكن إقامة جيش كبير فيها، واستمرار الهجرة إليها عززا النشاط التربوي فيها في القرنين الثاني والثالث. وقد توزع هذا النشاط في عدد من مدنها كالرقعة وحران والموصل وقرقيسيا، كما يظهر في الجدول التالي:

### جدول (١٣)

#### توزع العلماء في منطقة الجزيرة

المدن	القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
	العدد	العدد	العدد
الرقعة	١	١٣	١١
حران	١	٧	٦
قرقيسيا	-	٣	١
الرصافة	١	١	-
الموصل	-	٢	٤
الرُّها	١	٢	٢
نصيبين	١	-	١
رأس العين	-	-	١
سُيَّاط	١	-	-
المجموع	٦	٢٨	٢٦

## ٧ - الثغور والعواصم

كانت هذه المنطقة موضع تنازع دائم بين العرب والروم، وكانت تضم عدداً من الحصون، بنى العرب بعضاً منها، وأخذوا البعض الآخر من الروم فحصنوه وشحنوه بالمحاربين.

كان سكان هذه المنطقة يُشغَلون غالباً بالقتال، ولكنهم بالرغم من ذلك لم يهملوا الفعاليات التربوية حين كانت الظروف تسمح لهم بذلك.

وقد تزايد عدد العلماء في هذه المنطقة بصورة مطردة، خلال القرون الثلاثة الأولى. وكان هؤلاء يأتون الثغور للرباط والجهاد.

ويتوزع العلماء على هذه الثغور كما يلي:

جدول (١٤)

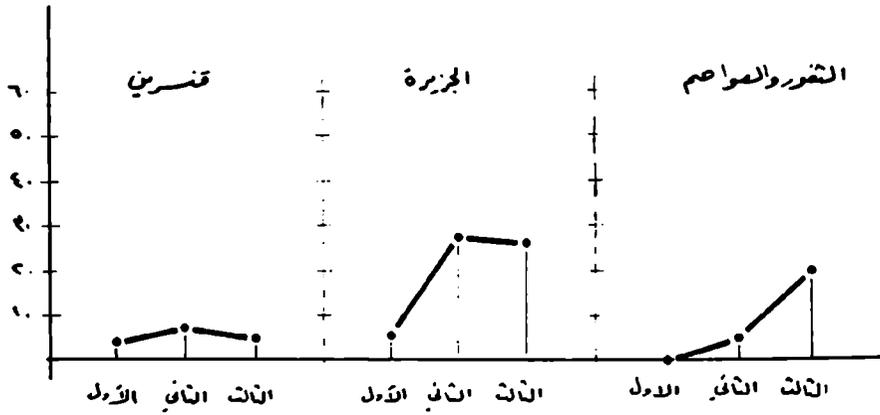
توزع العلماء في منطقة الثغور والعواصم

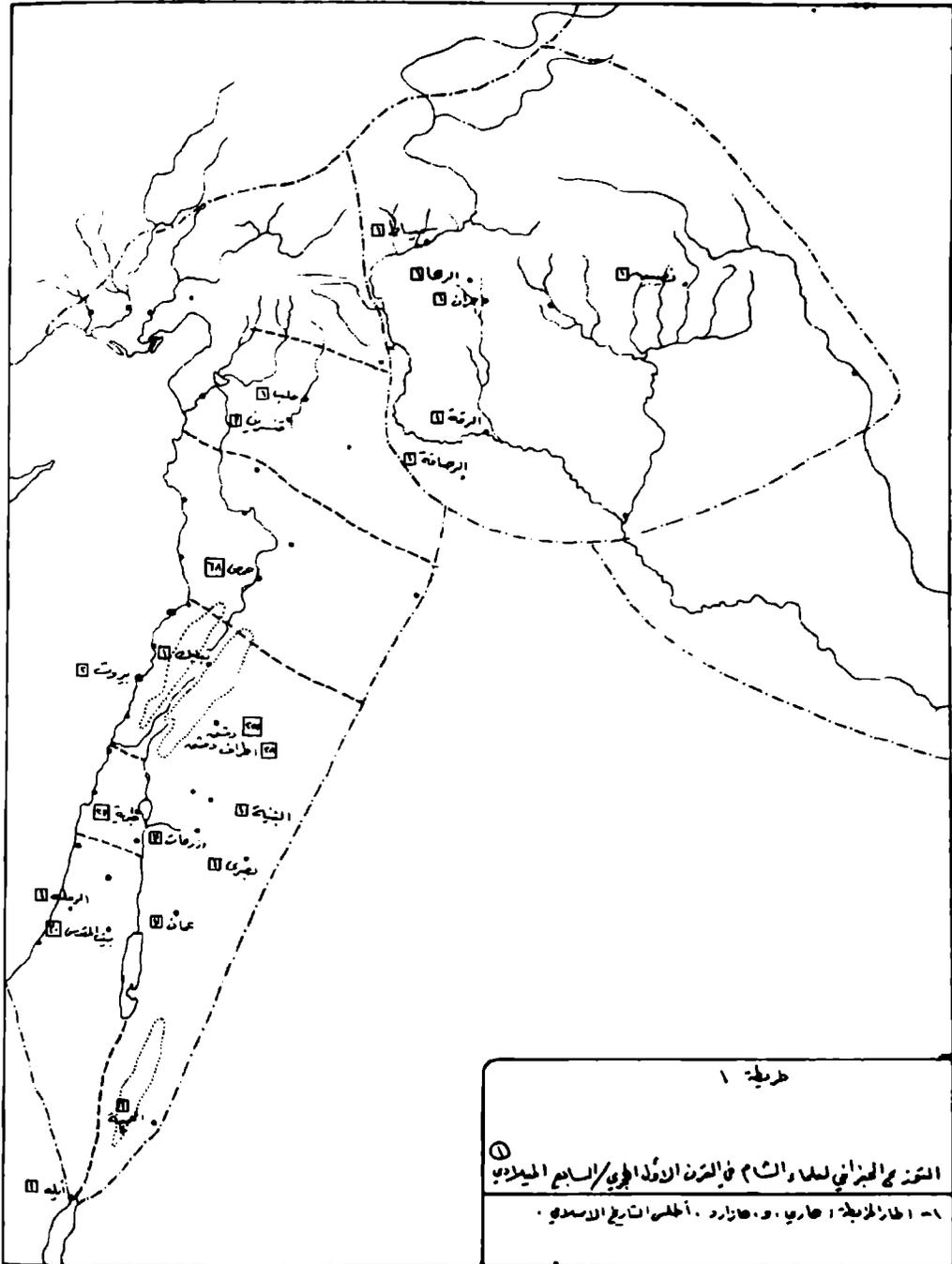
القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	المدن
العدد	العدد	العدد	
-	١	١	منبج
-	-	٢	انطاكية
-	-	٢	أذنة
-	٢	٧	المصيصة
-	١	٧	طرسوس
-	-	١	عين زربة
-	١	-	الحدث
-	٥	٢٠	المجموع

والرسم البياني (٨) يبين تطور الحركة العلمية في هذه المناطق:

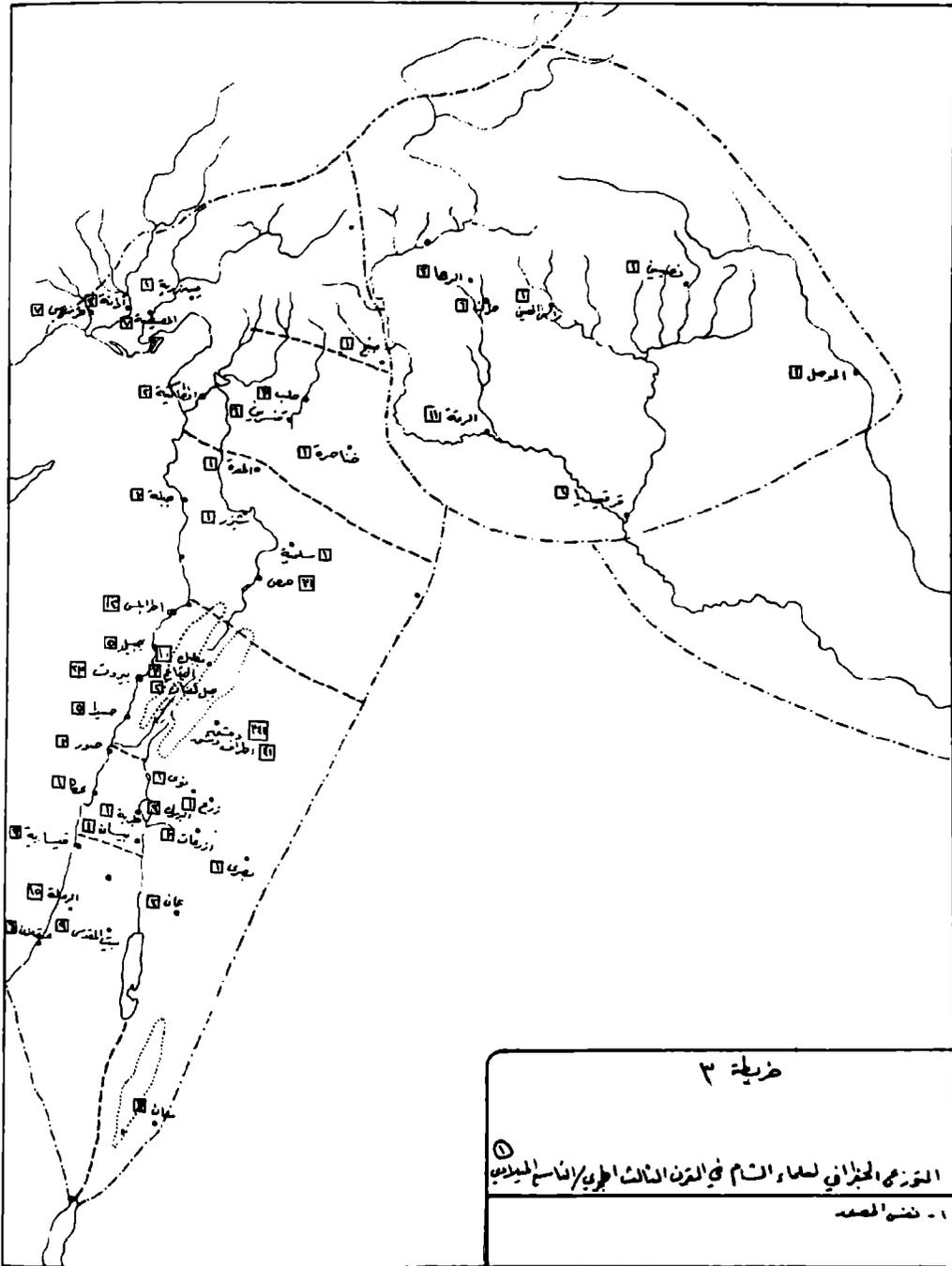
رسم بياني (٨)

تطور عدد العلماء في جند قنسرين ومناطق الجزيرة والثغور والمواسم





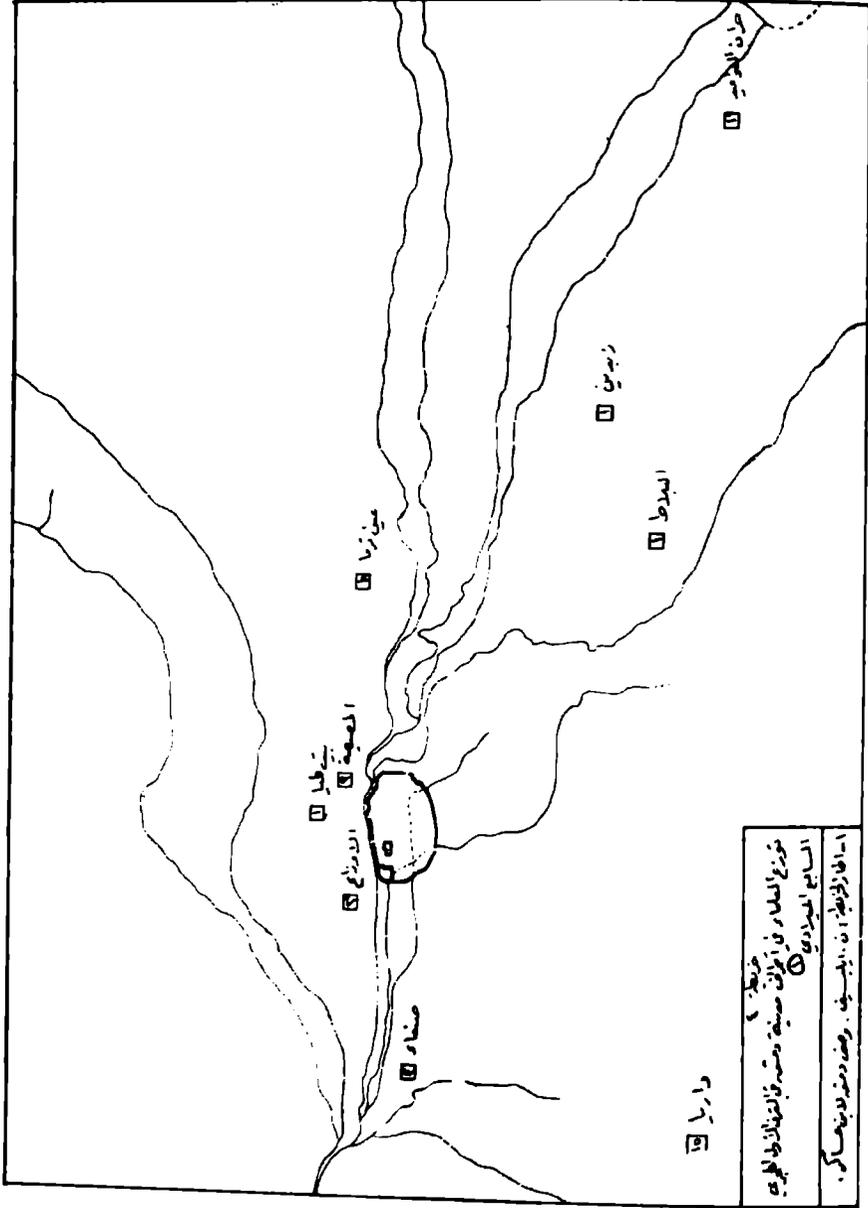




خريطة ٣

التوزيم الإداري للمناطق في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي

١ - قسم المصم



مخرج الماء في أماكن ضيقة وتسمى قنات المزارع  
 السام المزارع  
 ١- أقاليم الخطين: الخطين، وهما دجلة و الفرات.





## ب- التوزيع القومي والقبلي

لم يرد هذا العنصر بصورة منتظمة في جميع التراجم، لذلك كانت دراسته ذات دلالة محدودة نسبياً.

ففيما يتعلق بالانتماء القومي لا نجد في ١٦,٢% من ترجمات القرن الأول، و ٢٨,١% من ترجمات القرن الثاني، و ٤٩,٢% من ترجمات القرن الثالث، معلومات تفيد في تحديده. وفي هذه الحالات يقتصر المؤلف على ذكر الانتماء الجغرافي.

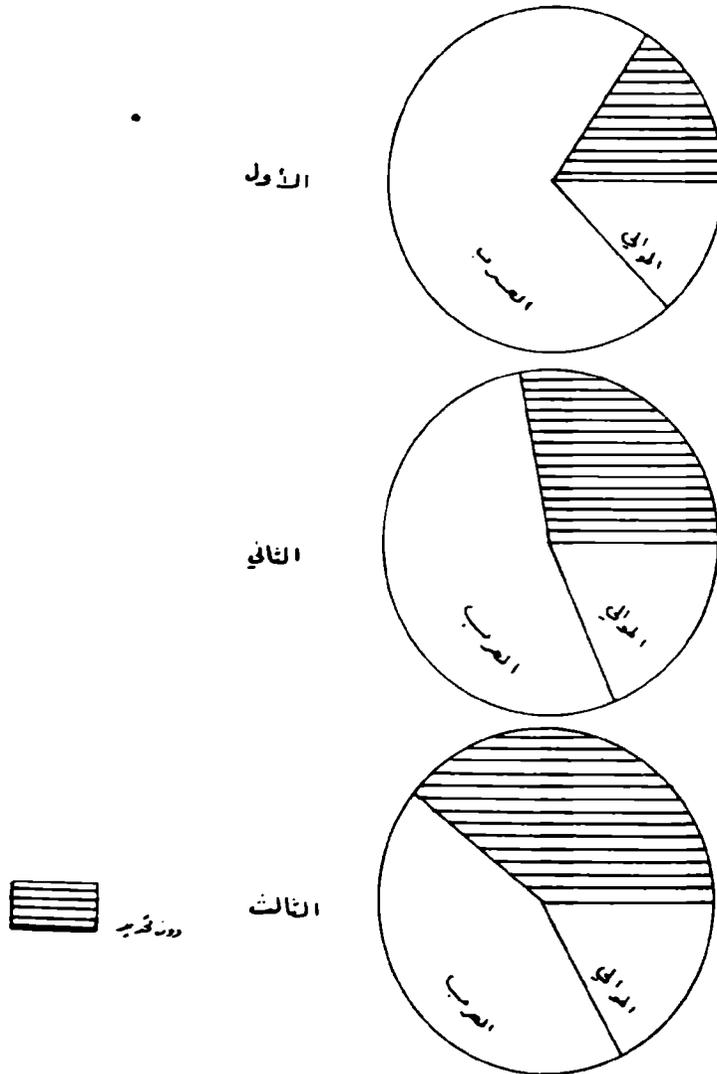
على أن المعلومات المتوافرة توحي بأن العلماء العرب كانوا يؤلفون في الشام أكثرية ساحقة خلال القرون الثلاثة الأولى. ويتجلى ذلك في الجدول (١٥) والرسم البياني (٩).

### جدول (١٥)

#### التوزيع القومي لعلماء الشام

العلماء	القرن الأول		القرن الثاني		القرن الثالث	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
عرب	٣٦١	٧١,٠	٥٠٨	٥٣,٥	٢٧٨	٤٣,٥
مَوَالٍ	٦٥	١٣,٨	١٧٥	١٨,٤	٤٧	٧,٣
دون تحديد	٨٢	١٦,٢	٢٦٨	٢٨,١	٣١٥	٤٩,٢
المجموع	٨٠٨	١٠٠,٠	٩٥١	١٠٠,٠	٦٤٠	١٠٠,٠

رسم بياني (٩)  
التوزيع القومي لعلماء الشام



وتبين الاحصائيات أيضاً أن مساهمة العرب الذين سكنوا الشام قبل الفتح تقدمت ببطء خلال هذه الفترة. فهل نستطيع أن نستنتج من ذلك وجود تباطؤ في حركة الدخول في الإسلام؟ سنكتفي هنا بعرض الأرقام، عسى أن تفيد المعلومات المستخلصة من مراجع أخرى في إيضاح ذلك.

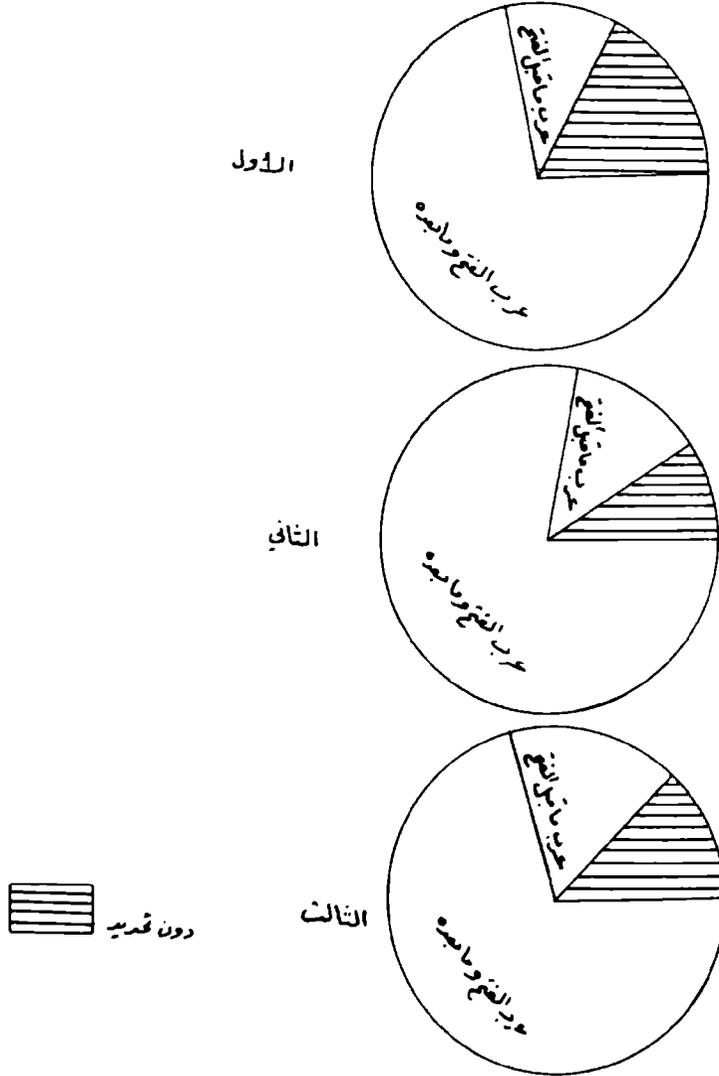
#### جدول (١٦)

توزع علماء الشام العرب بين القبائل التي سكنت الشام قبل الفتح وبعده

القرن الأول		القرن الثاني		القرن الثالث	
العدد	%	العدد	%	العدد	%
الذين ينتمون الى قبائل سكنت الشام بعد الفتح					
٢٥٩	٧١,٨	٣٩٦	٧٨,٠	١٩٧	٧٠,٩
الذين ينتمون الى قبائل استوطنت الشام قبل الفتح دون تحديد					
٤١	١١,٣	٦٦	١٣,٠	٤٦	١٦,٥
٦١	١٦,٩	٤٦	٩,٠	٣٥	١٢,٦
٣٦١	١٠٠,٠	٥٠٨	١٠٠,٠	٢٧٨	١٠٠,٠
المجموع					

رسم بياني (١٠)

توزيع علماء الشام العرب بين القبائل التي سكنت الشام قبل الفتح وبعده



ونظراً للمنافسة التي قامت في الشام خلال هذه الفترة بين اليمن (القحطانية) وقيس (العدنانية)، حاولنا أن نعتمد على عنصر الانتماء القبلي لمعرفة مدى مساهمة كل من الطرفين في الأمور الثقافية والتربوية. وقد حصلنا نتيجة ذلك على الجدول والرسم التاليين:

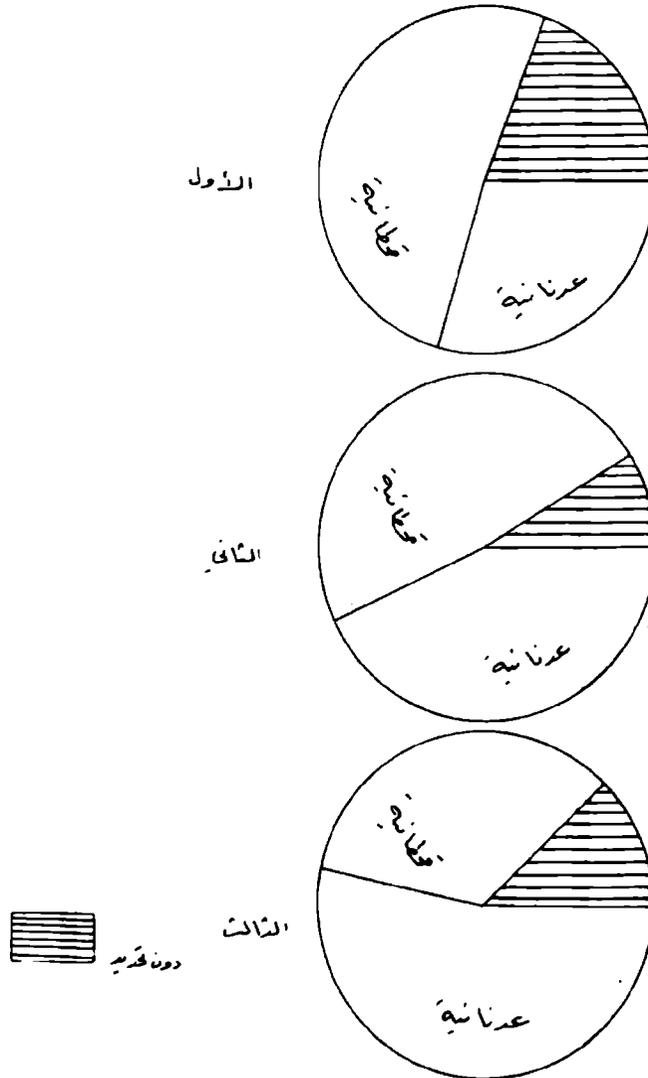
### جدول (١٧)

توزع علماء الشام العرب بين القبائل القحطانية والعدنانية

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث			
العدد	العدد	العدد			
%	%	%			
الذين ينتمون					
الى قبائل					
١١٦	٢١٨	١٤٩	٣٢,١	٤٣	٥٣,٤
عدنانية					
الذين ينتمون					
الى قبائل					
١٨٤	٢٤٤	٩٤	٥١,٠	٤٨	٣٤,٠
قحطانية					
٦١	٤٦	٣٥	١٦,٩	٩	١٢,٦
دون تحديد					
٣٦١	٥٠٨	٢٧٨	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠
المجموع					

رسم بياني (١١)

توزيع علماء الشام العرب بين القبائل القحطانية والمدنانية



يشير هذا الجدول إلى أن القحطانية سيطروا على الفعاليات التربوية في القرنين الأول والثاني، من حيث الكم، وقد يكون من حيث الكيف أيضاً.

يروى أن هشام بن عبد الملك نأل عن علماء مناطق الشام فذكر له: رجاء بن حيوة الكندي عن فلسطين، وعبادة بن نسي الكندي عن الأردن، وعمرو بن قيس السكوني عن حمص، ويحيى بن يحيى الغساني عن دمشق، وعدي بن عدي الكندي عن الجزيرة، فقال: يا آل كندة! أتم أسياد المواضع كلها<sup>(١٢)</sup>.

ولكن هذه السيطرة زالت في القرن الثالث، وتفوقت قيس على منافستها.

ومن القبائل والبطون القحطانية التي أعطت عدداً كبيراً من العلماء بالشام يُخصُّ بالذكر:

كلب، غسان، الأزدي، دوس، الأوس. الحزرج، خزاعة، طييء، جهينة، حمير (ذو يزن. ذو الكلاع)، كندة، السكون، السكاسك، الأشاعرة، خولان، عنس. جذام. غُدرة، الحضارمة، لحم، همدان، الأوزاع، تنوخ، بحصب، ذمار. رعين، خشين.

وجدير بالذكر أن بعض هذه القبائل والبطون سكنت الشام قبل الإسلام ككلب وغسان وجذام ولحم وتنوخ وطييء.

ومن القبائل والبطون المدنانية التي ظهر فيها عدد كبير من العلماء يُخصُّ بالذكر: قریش، أمية، هاشم، سليم، ثقيف، تميم، فهر. تغلب، أسد،

---

(١٢) ابن عساکر: ج ٨، ق ٢٧٢ (٢)، ترجمة: عبادة بن نسي، قاضي طبرية.

مخزوم، فزارة، مُرّة، سَمير، أشجع، عدّي، نصر، كلاب، شيبان، سدوس،  
عُقيل، مُحارب، كنانة، ربيعة.

وقد سكنت بعض هذه القبائل والبطون الشام أو الجزيرة قبل الإسلام  
كتغلب وربيعة وشيبان وكنانة وسدوس (على الأرجح)<sup>(١٣)</sup>.

### ح - التوزع حسب الجنس

ملاحظتان لا بد منها قبل عرض الأرقام المتعلقة بهذه النقطة. لنلا  
بإزاء فهمها وتفسيرها.

الأولى أنه يجب التمييز بين المبدأ والتطبيق.

فموقف الإسلام إزاء التعليم صريح، ولا سيما فيما يتعلق بتعليم الدين.  
إن « العلم فريضة على كل مسلم »<sup>(١٤)</sup> كما جاء في الحديث النبوي.

أما تطبيق هذا المبدأ، فيما يتعلق بالنساء، فقد كان يتوقف على عوامل  
كثيرة لا نستطيع تحديدها بسهولة.

فعندما رأى الوليد بن عبد الملك مثلاً صبية تتعلم القرآن والكتابة في  
الكتاب، لم يطلب من المعلم إخراجها وحرمانها من التعليم لأن هذا

---

(١٣) بالرغم من أن القبائل تفرعت إلى بطون وأفخاذ، فقد نسب بعض الأشخاص  
إلى جذع القبيلة فقيل فيهم: قُرشي وأزدي وحميري وكندي وربيعي.... ونسب  
البعض الآخر إلى الفروع.

(١٤) ابن عساکر: ج ١٩، ق ٣٢٨ (٢)، ترجمة: شيخ من أهل دمشق، روى الحديث  
بسند ينتهي إلى أنس بن مالك.

التصرف ينافي المبدأ، ولكنه أمره بأن يكلل تعليمها إلى صبي أصغر منها سناً<sup>(١٥)</sup>. وهنا تتدخل العوامل الأخرى.

والثانية، أنه يجب التمييز بين مستويين من مستويات التعليم:

- المستوى الابتدائي الذي يتمثل في تعلم الكتابة والقرآن ومبادئ الدين،

- والمستوى العالي الذي يقوم على التعمق في مادة دراسية أو أكثر بصورة تساعد الفرد على المساهمة في الفعاليات الثقافية والتربوية كالتعليم وقول الشعر وروايته والفصاحة والزهد والتصوف وغيرها.

والمستوى الثاني هو الذي اعتمده معظم المؤرخين أساساً لإدراج الأشخاص في كتب التراجم التي ألفوها ومنها « تاريخ مدينة دمشق ».

لذلك يجب ألا ينظر إلى الأرقام التي نوردتها على أنها تمثل مجموع النساء المتعلقات، بل أولئك اللاتي ساهمن في بعض الفعاليات الثقافية التي أشرنا إليها.

ويمكننا بعد هاتين الملاحظتين أن نقول إن نسبة هؤلاء النساء ضعيفة جداً، وإن هذه النسبة لم تزد مع الزمن بل تناقصت باطراد، كما يتجلى في الجدول والرسم التاليين:

---

(١٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١٦١.

جدول (١٨)

توزيع علماء الشام حسب الجنس

القرن الأول		القرن الثاني		القرن الثالث		علماء الشام
العدد	%	العدد	%	العدد	%	
٤٨٥	٩٥,٥	٩١٥	٩٦,٢	٦٢٧	٩٨	الرجال
٢٣	٤,٥	٣٦	٣,٨	١٣	٢	النساء
٥٠٨	١٠٠,٠	٩٥١	١٠٠,٠	٦٤٠	١٠٠,٠	المجموع

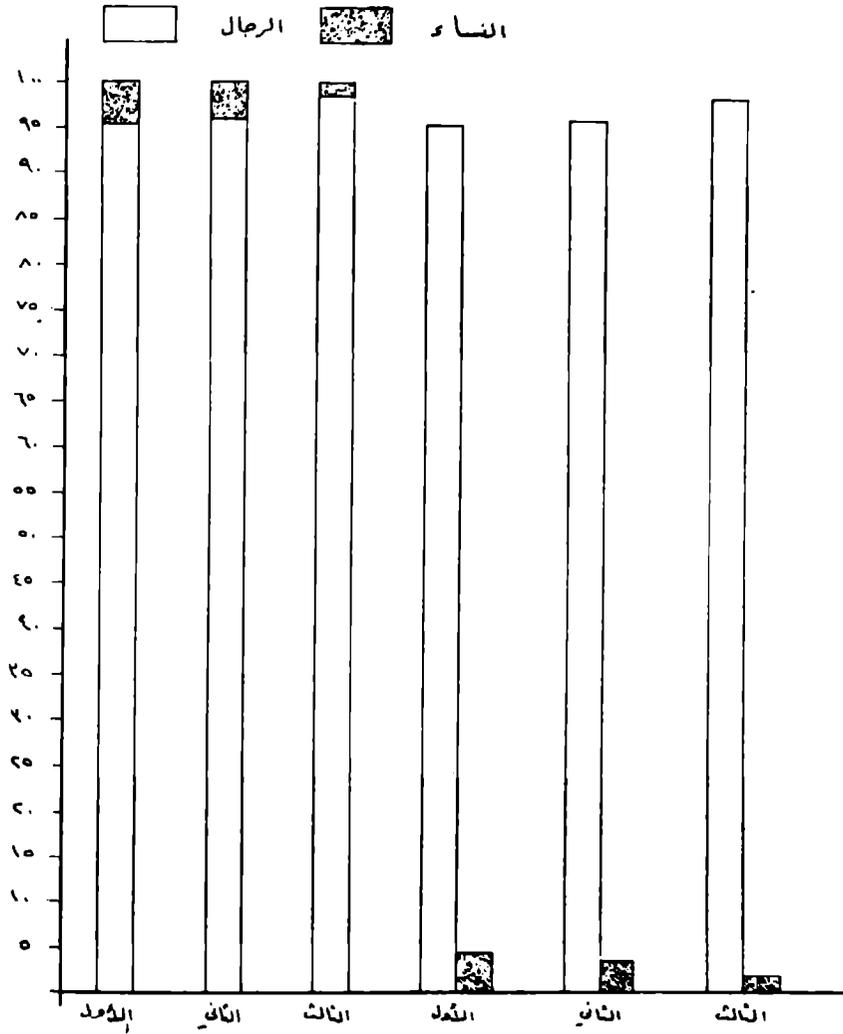
وجدير بالذكر أن جُلَّ النساء المذكورات في القرن الأول هن من الصحابيات والتابعيات اللواتي سمعن الرسول أو الصحابة وروين عنهم.

أما النساء المذكورات فيما بعد فجلهن من الجوارى اللواتي مارسن الفناء، ولكن قسماً منهن أتقن الكتابة وحفظ القرآن وقال الشعر ورواه، بحكم هذا الوضع.

كما نرى في القرن الثالث عدداً من الزاهدات والمتعمدات. إن هذا انوضع على كل حال يتطلب دراسة خاصة.

رسم بياني (١٢)

توزيع علماء الشام حسب الجنس



## د - التوزع حسب المهنة

نقصد بالمهنة هنا العمل الذي مارسه العلماء لكسب العيش.

ولا بأس من أن نذكر في هذا المجال بأن الأشخاص الذين يذكرهم مرجعنا ليسوا جميعاً معلمين، بالمعنى الضيق للكلمة. فقد علم بعضهم بصورة نظامية، ولكن البعض الآخر قام بذلك في مناسبات معينة. كما مارس البعض أنشطة ثقافية غير التعليم كقول الشعر وروايته والخطابة وغيرها.

وبالرغم من أن تمييز الفئة الأولى عن غيرها ليس بالأمر الصعب، إلا أن ذلك ليس ضرورياً لأن كل الفئات أدت خدمات جلياً للتربية. كما أن مرجعنا لا يشير بصورة مطردة إلى الوسائل التي استعان بها الأشخاص لتأمين حياتهم، وإلى المهن التي زاولوها في سبيل ذلك. وقد لخصنا المعلومات التي حصلنا عليها في الجدول (١٩) والرسم (١٣).

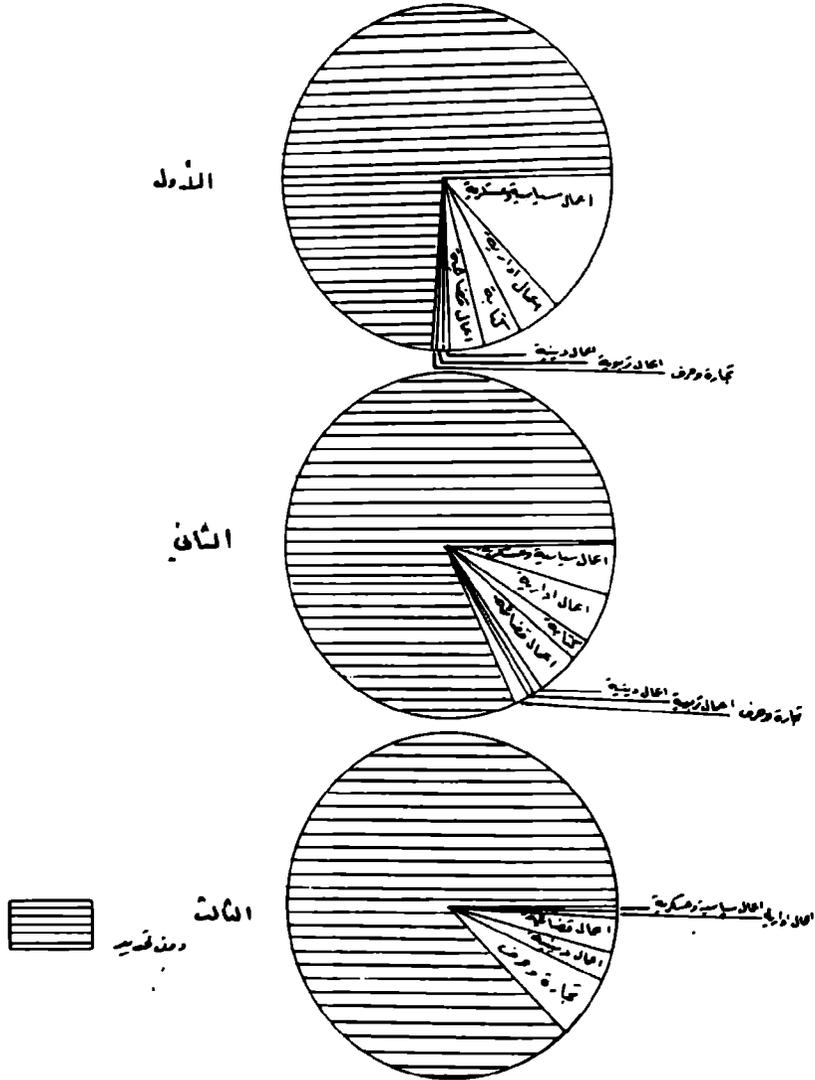
جدول (١٩)

الوظائف والمهن التي مارسها علماء الشام

الوظائف والمهن	القرن الأول		القرن الثاني		القرن الثالث	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الأعمال السياسية والعسكرية (خليفة. وال. قائد جيش)	٦٩	١٣,٦	٤٤	٤,٧	٢	٠,٣
الأعمال الادارية العادية (حرسى. شرطي. عامل خراج أو بريد..)	٢٠	٤,٠	٤٤	٤,٧	٤	٠,٧
الكتابة	١٩	٣,٧	١٩	٢,٠	-	-
الأعمال القضائية (قاض. مفت).	١٨	٣,٥	٣٨	٤,٠	٢١	٣,٣
الأعمال الدينية (إمام. مؤذن.)	٢	٠,٤	٧	٠,٧	١٧	٢,٧
الأعمال التربوية (قارىء الجند. فقيه الجند. مؤدب)	٣	٠,٦	٦	٠,٦	-	-
التجارة والحرف	١	٠,٢	١٢	١,٣	٣٩	٦,٠
عمل غير محدد	٣٧٨	٧٤,٠	٧٨١	٨٣,٠	٥٥٧	٨٧,٥
المجموع الكلي	٥٠٨	١٠٠,٠	٩٥١	١٠٠,٠	٦٤٠	١٠٠,٠

رسم بياني (١٣)

توزيع علماء الشام حسب المهنة



يتضح من الجدول والرسم ان المؤلف يذكر بالدرجة الأولى الوظائف الرسمية التي شغلها هؤلاء الأعلام. كما يذكر أحياناً التجارة أو الحرفة.

أما في الأحوال التي لا يحدد فيها المترجم عمل المترجم له، فيمكن أن يكون ذلك الشخص من ملاك الأرض أو ذوي العطاء أو من فئات أخرى تعيش في كنف هؤلاء كالموالي والعبيد.

ويلاحظ أن نسبة الذين امتهنوا التجارة أو الحرف ازدادت خلال القرنين الثاني والثالث، وتدل التراجع على أن الحرف ومجالات التجارة تنوعت الى حد كبير في هذين القرنين.

ففي القرن الثاني نصادف: الخياط والسراج والصبّاج والمراكبي والتّهار وبائع القطن والخنطة والشعير والمواشي.

وفي القرن الثالث ظهرت في المرجع مهن أخرى كالجوهري أو الصائغ، والإسكاف أو الخفّاف، والحداد والفلاسي والرفّاء والمجصاص والقصاص والوراق والسّقطي والبرّاز والكرابيسي والطاطري.

ويلاحظ أيضاً، من خلال التراجع، أن بعض المكلفين بوظائف صغيرة كالمؤذن أو الإمام كانوا يجمعون بينها وبين حرفة أو تجارة ما ولا سيما في القرن الثالث.

#### هـ - مواد الدراسة والنشاط

رأينا أن الثقافة العربية- الإسلامية ضمت أثناء نشوئها وتطورها عناصر ثقافية متعددة ومتنوعة.

ما العنصر أو العناصر التي استأثرت باهتمام أهل الشام خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة؟

إن الجدول والرسم البياني التاليين يعطيان فكرة عن ذلك.

جدول (٢٠)

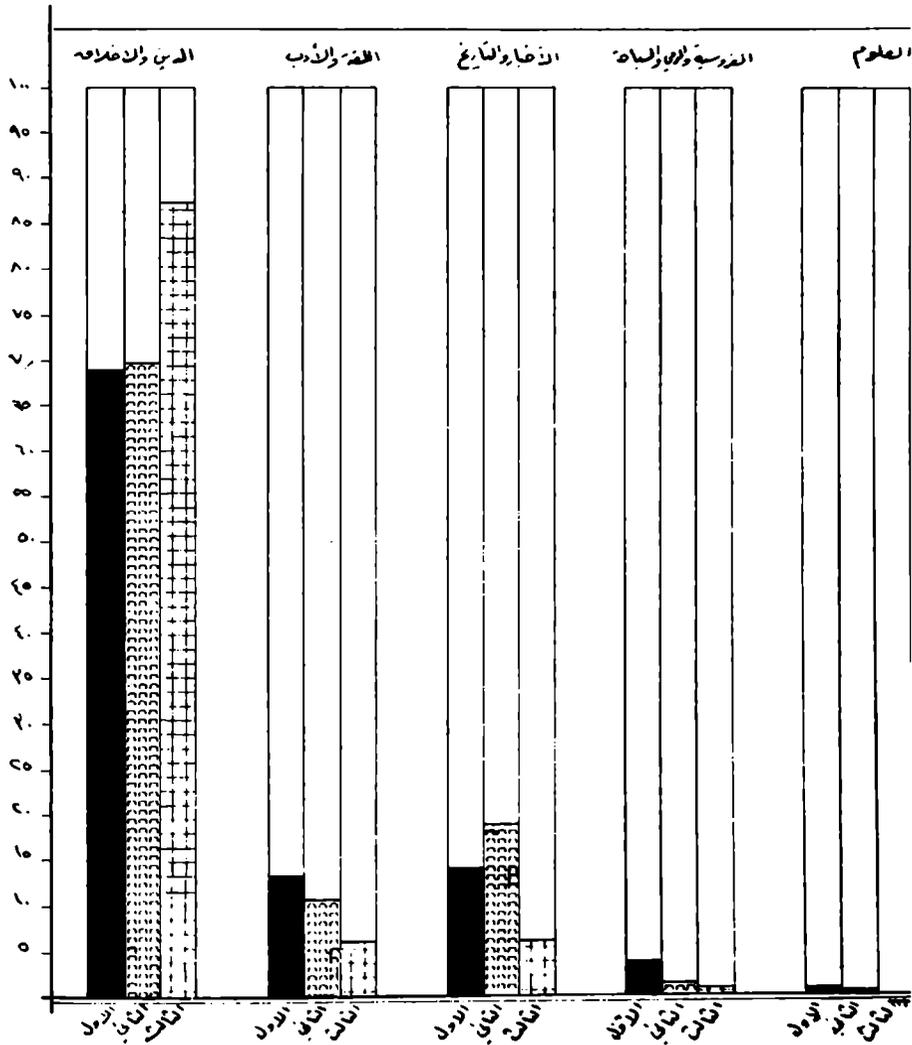
المواد الدراسية التي اهتم بها علماء الشام

القرن	الأول	القرن	الثاني	القرن	الثالث	مواد الدراسة والنشاط
العدد	%	العدد	%	العدد		
٤٩٠	٦٨,٩	٨٥٤	٦٩,٧	٥٩٠	٨٧,٣	الدين والأخلاق
٩٤	١٣,٢	١٣٩	١٠,٥	٤٠	٦,٠	اللغة والأدب رواية الأخبار
٩٩	١٣,٩	٢٢٦	١٨,٥	٤١	٦,٠	والتاريخ الفروسية: الرمي.
٢٥	٣,٥	١٥	١,٢	٥	٠,٧	السياسة
٣	٠,٥	١	٠,١	-	-	العلوم
٧١١	١٠٠,٠	١٢٢٥	١٠٠,٠	٦٧٦	١٠٠,٠	المجموع

ملاحظة: ساهم عدد كبير من العلماء في أكثر من مجال. وادرجوا نظراً لذلك في أكثر من مادة ولذلك يظهر فارق واضح بين عدد العلماء في هذا الجدول والعدد الفعلي لعلماء الشام.

### رسم بياني (١٤)

توزيع علماء الشام حسب مواد الدراسة



يثير الجدول والرسم البياني عدداً من الملاحظات، منها:

١- ارتفاع نسبة المهتمين بالعلوم الدينية. هذه الظاهرة لا تستغرب في جماعة ترى في تعلم الدين وتعليمه أهم واجباتها. أضف الى ذلك ان ابن عساكر شيخ نَدَر حَياته للعلوم الدينية ولا سيما الحديث، واختار أعلامه استناداً الى مقدار مساهمتهم فيها.

٢- انخفاض نسبة المهتمين بعلوم اللغة العربية وآدابها. ونرى فيما يتعلق بهذه النقطة ان هذه الأرقام لا يمكن أن تعكس درجة انتشار هذه العلوم في الشام، فقد كان النحو يدرس بصورة متصلة مع القرآن. كما يتبين من هذا المثال:

قال الزهري: « دخلتُ على عبد الملك فانتسيتُ فقال: قرأت القرآن؟ قلتُ نعم. قال: يا عرابه وما ينبغي فيه من وجوهه وعِلَلِه؟ قلتُ نعم... فأمر لي بجائزة » (١٦).

وكان المعلمون يُلحَوْنَ على سلامة اللغة أثناء تدريس المواد الأخرى: قال الوليد بن مُسلم، سمعتُ الأوزاعي يقول: « أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عربياً » (١٧).

٣- الانخفاض الكبير في نسبة المهتمين بالعلوم البحتة والفلسفة. ومن الواضح أن الجماعة الاسلامية لم تُعمر العلوم القديمة أو علوم الأوائل في هذه الفترة اهتماماً ملحوظاً، كما أن ابن عساكر لم يهتم بذكر من عمل فيها من غير المسلمين.

ولنا وقفة قصيرة عند كل من مواد الدراسة والنشاط هذه.

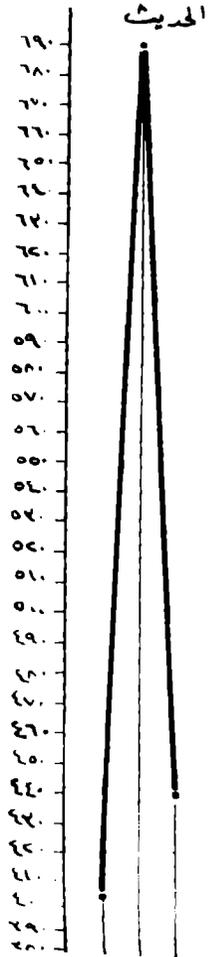
---

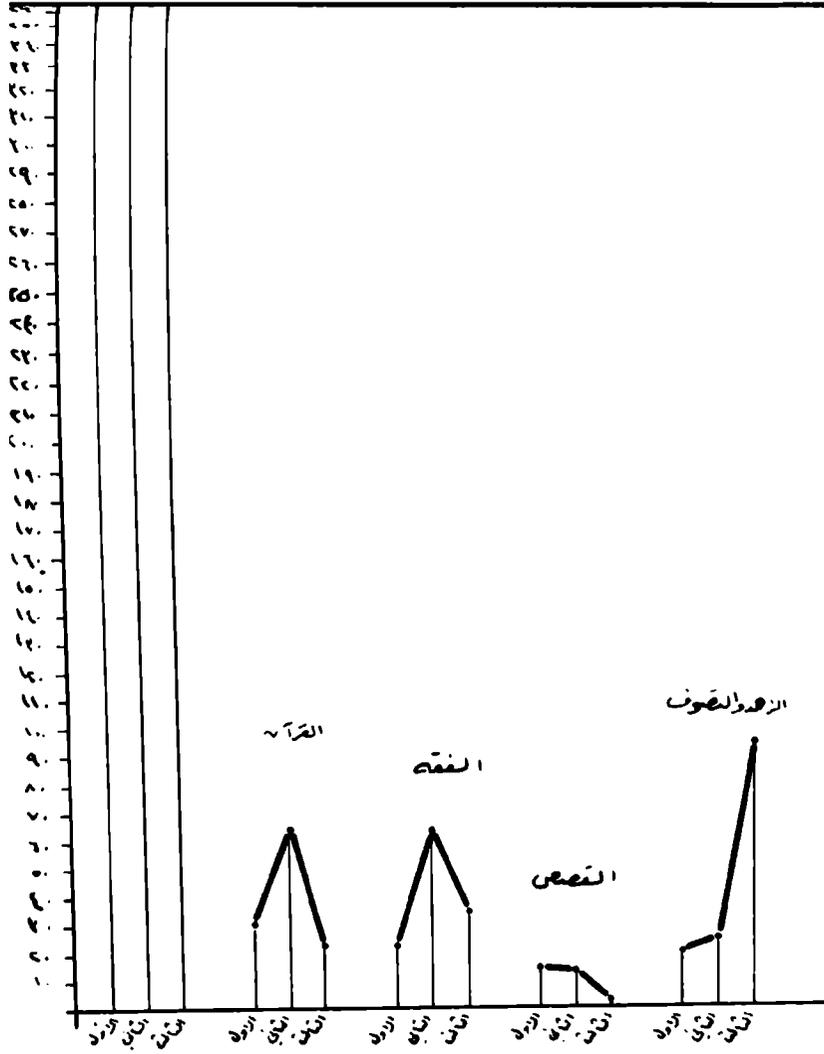
(١٦) ابن عساكر: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.  
(١٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.



رسم بياني (١٥)

تطور عدد العلماء المهتمين بالمواد الدينية







بتبين من الجدول والرسم البياني:

٦- أن الحديث يأتي في مقدمة هذه الاهتمامات.  
٢- أن نسبة المشتغلين بالقرآن أقل نسبياً. ويجب أن نلفت الانتباه هنا مرة أخرى إلى أن هذه المعطيات تتعرض للعاملين في التعليم العالي لا الابتدائي. فعلى صعيد التعليم الابتدائي كان كل فرد يتعلم القرآن الكريم. وهناك بالطبع طائفة كبيرة من المعلمين اشتغلت بتعليمه، ولكن ابن عساكر لم يذكر من أفرادها إلا الناهين.

٣- أن عدد المشتغلين بالحديث والقرآن والفقهاء تطوّر حسب الخط العام لتطور الاشتغال بالعلم في الشام، فازداد هذا العدد في القرن الثاني، ثم تناقص في القرن الثالث.

٤- أن عدد الذين اتجهوا للزهد والتصوف ازداد بصورة مطردة، حتى بَلَغَ رقماً قياسيًّا في القرن الثالث.

### فئات المعلمين

وإذا كانت كفاءة المعلم على درجة من الأهمية في جميع مواد الدراسة، فإنها ترتدي أهمية أكبر عندما يتعلق الأمر بتعليم الدين.  
قال مالك بن أنس: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. لقد أدركنا في هذا المسجد سبعين ممن يقول: قال فلان، قال رسول الله...، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أميناً، فما أخذت عنهم شيئاً لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن. ويقدم علينا ابن شهاب الزهري وهو

شاب فنزدحم على بابه» (٢١).

إن الألقاب التي تظهر في التراجم من حين لآخر في «تاريخ مدينة دمشق» مثل: سيد أهل الشام، وإمام أهل الشام، لا يمكن أن تشكل معياراً عاماً لأنها تقتصر على فئة قليلة من العلماء. كما أن صفات الصدق والأمانة التي يعتمد عليها ابن عساكر في تقويم عدد كبير من أشخاصه لا يمكن أن تؤلف معياراً موضوعياً، لأننا إذا نحينا جانباً الأعلام الكبار الذين لم يختلف بشأنهم وجدنا تراجم كثيرة تضم رأين متناقضين. أحدها بوثق الشخص والآخر يشكك في بعض رواياته.

هناك معيار موضوعي يمكن اعتاده لتصنيف المحدثين وهو عدد الأحاديث التي يحفظونها. فقد كان حفظ المحدثين يتراوح بين حديث واحد وعشرات أو مئات الألوف من الأحاديث. وكان الذين يملكون هذه الذخيرة الكبيرة يلقبون «بالحفاظ».

وبما أن هذا المعيار لم يذكر بصورة مطردة في التراجم فقد حاولنا الوصول إليه بطريقة غير مباشرة. فاعتمدنا عدد المعلمين الذين سمع منهم الشخص خلال دراسته، «وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها» كما يقول ابن خلدون (٢٢).

وقد لا يكون هذا المعيار دقيقاً كل الدقة في التصنيف. لأن الشخص قد يسمع حديثاً واحداً من أحد الشيوخ، وقد يلزم شيخاً آخر رداً من الزمن فسمع منه آلاف الأحاديث. ولكنه يكفي لأغراض هذه الدراسة

---

(٢١) ابن عساكر: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢)، ترجمة: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

(٢٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٩٨.

التي تشمل في التعرف على الأعلام الذين كان لنشاطهم في طلب العلم دور كبير في تكوين علم أهل الشام. وقد يَسَّر استخدامه أن مصنفي كتب التراجم يذكرون أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم أعلامهم، كما يذكرون أسناد الأحاديث التي يروونها.

وقد ظهر هذا المعيار منذ القرن الأول.

فإذا تركنا جانباً جيل الصحابة الذين استمدوا مكانتهم من صحبتهم للرسول(ص) وسماعه شخصياً، رأينا أن مكانة التابعين كانت ترتبط بعدد من سمعوا من الصحابة.

- فخالد بن معدان (ت ١٠٤/٧٢٢)، مثلاً، كان في طليعة تابعي الشام لأنه لقي سبعين صحابياً<sup>(٢٣)</sup>.

- وكثير بن مرة الحضرمي (ت حوالي ٧٠٥/٨٥)، سُمي المُقَدَّم لأنه لقي سبعين بدرياً، بالإضافة إلى غيرهم من الصحابة<sup>(٢٤)</sup>.

وهكذا وزعنا المحدثين الذين يذكُرهم «تاريخ مدينة دمشق» في القرون الثلاثة الأولى للهجرة إلى فئات ثلاث:

تضم الفئة الأولى: الذين سمعوا من أكثر من ثلاثين شيخاً،

والثانية: الذين سمعوا من ١٠ - ٢٩ شيخاً.

والثالثة: الذين سمعوا من ١ - ٩ شيوخ.

تتكون الفئة الأولى، حسب تصورنا، من كبار العلماء الذين أنفقوا سنوات كثيرة في طلب العلم في بلادهم وفي المراكز الأخرى للثقافة العربية الإسلامية، وحصلوا بذلك على شهرة واسعة جذبت اليهم الطلاب من جميع الأمصار الإسلامية.

---

(٢٣) ابن عساكر: ج ٥، ق ١٨٥ (٢)، ترجمة: خالد بن معدان.

(٢٤) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥١٨ (٢)، ترجمة: كثير بن مرة.

أما الفئة الثانية فهي تضم الذين حصلوا على تعليم منهجي في مدينتهم أو قريتهم، وقاموا برحلات محدودة داخل الشام وخارجها أحياناً. وقد حصل هؤلاء على شهرة ضيقة.

أما الفئة الثالثة فهي تضم الأشخاص الذين سمعوا حديثاً أو أكثر في بيئتهم المحلية، من ذويهم أو من أفراد آخرين، بصورة منتظمة أو عرضية، ونقلوها بنفس الأسلوب. ولا يمكن تسمية هؤلاء «معلمين» بالمعنى الدقيق للكلمة.

وقد توزع العلماء بالاستناد إلى هذا المعيار كما هو مبين في الجدول (٢٢) والرسم البياني (١٦).

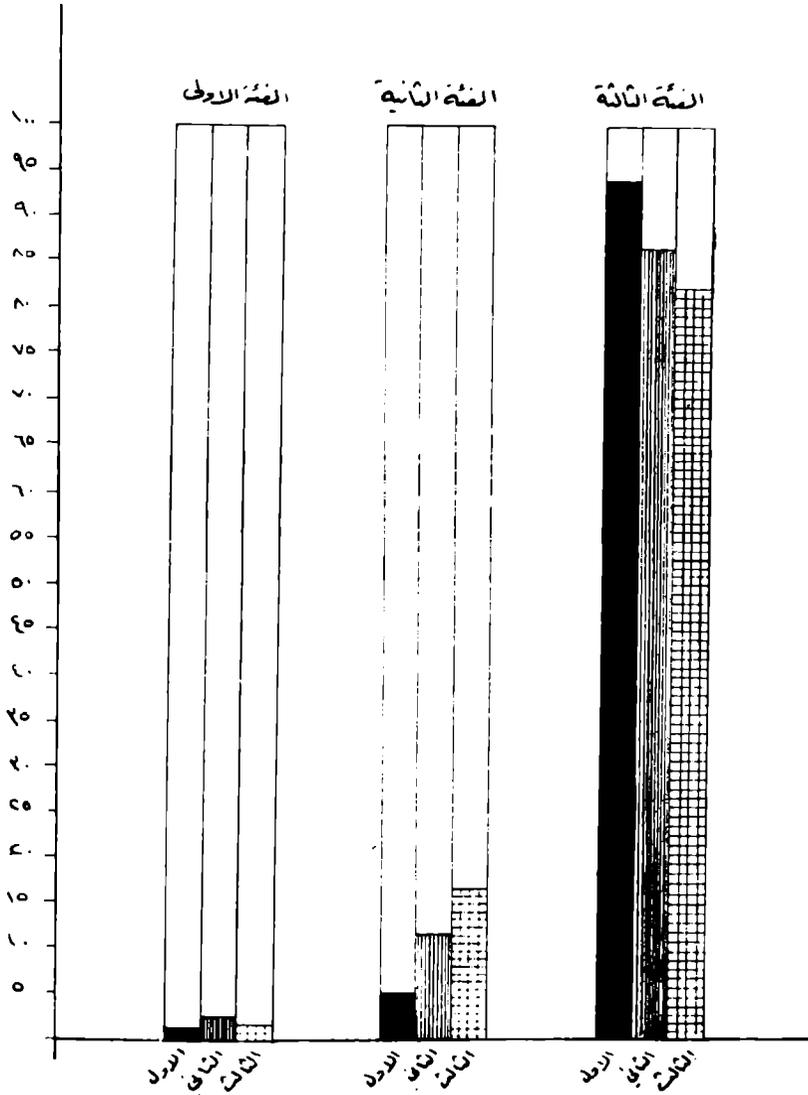
#### جدول (٢٢)

#### فئات المعلمين

الفئات	العدد	%	العدد	%	العدد	%
الفئة الأولى	٥	١,٢	١٧	٢,٥	٧	١,٦
الفئة الثانية	٣٠	٥,٠	٧٨	١١,٣	٧١	١٦,٢
الفئة الثالثة	٣٧٨	٩٣,٨	٥٩٥	٨٦,٢	٣٦١	٨٢,٢
المجموع	٤٠٣	١٠٠,٠	٦٩٠	١٠٠,٠	٤٣٩	١٠٠,٠

## رسم بياني (١٦)

تطور فئات المعلمين المهتمين بالعلوم الدينية



ولما كانت الفئة الأولى تمثل كبار علماء الشام خلال هذه الفترة، كان من الضروري ذكر أسماء أفرادها، وهم:

### في القرن الأول:

- جُبَيْر بن نُفَيْر الحَضْرَمِي (حصص - ت نحو ٧٠٠/٨٠) (٢٥)،
- عبد الملك بن مروان الأموي، الخليفة، (دمشق - ت ٧٠٥/٨٦) (٢٦)،
- كُثَيْب بن مُرَّة الحَضْرَمِي (حصص - ت نحو ٧٠٥/٨٥) (٢٧)،
- عائذ الله بن عبد الله، أبو إدريس الخولاني (دمشق - ت ٧٠٠/٨٠) (٢٨)،
- قبيصة بن ذؤيب الخزاعي (دمشق - ت ٧٠٥/٨٦) (٢٩).

### وفي القرن الثاني:

- خالد بن معدان الكلاعي (حصص - ت ٧٢٣/١٠٤) (٣٠).

---

(٢٥) محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧/٢، ص ١٥١: الترجمة ناقصة في تاريخ مدينة دمشق.

(٢٦) ابن عساكر: ج ١٠، ق ٤٨٥ (٢).

(٢٧) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٥١٨ (٢).

(٢٨) المصدر نفسه: ج ٨، ق ٢٦١ (١).

(٢٩) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٤٦٦ (٢).

(٣٠) المصدر نفسه: ج ٥، ق ١٨٥ (٢).

- عمر بن عبد العزيز الأموي (دمشق - ت ١٠١/٧٢٠) (٣١)،
- مكحول بن كسرى (دمشق - ت ١١٣/٧٣١) (٣٢)،
- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (دمشق والرُصافة - ت ١٢٤/٧٤٢) (٣٣)،
- رجاء بن حيوة الكندي (فلسطين - ت ١١٢/٧٣١) (٣٤)،
- ثور بن يزيد الكلاعي (حصص - ت ١٥٣/٧٧٠) (٣٥)،
- صفوان بن عمرو السكسكي (حصص - ت ١٥٥/٧٧٢) (٣٦)،
- عبد الرحمن بن يزيد بن جابر (دمشق - ت ١٥٣/٧٧٠) (٣٧)،
- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (دمشق وبيروت - ت ١٥٧/٧٧٤) (٣٨)،
- عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان (دمشق - ت ١٦٥/٧٨٢) (٣٩)،
- سعيد بن عبد العزيز التنوخي (دمشق - ت ١٦٧/٧٨٤) (٤٠)،

- 
- (٣١) المصدر نفسه: ج ١٣، ق ٩٣ (٢).
  - (٣٢) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٢٢٤ (٢).
  - (٣٣) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٣٠٧ (٢).
  - (٣٤) المصدر نفسه: ج ٦، ق ٨٧ (٢).
  - (٣٥) المصدر نفسه: ج ٣، ق ٣٠٢ (٢).
  - (٣٦) المصدر نفسه: ج ٨، ق ١١٠ (٢).
  - (٣٧) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٤٠٣ (٢).
  - (٣٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (٢).
  - (٣٩) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٨٠ (٢).
  - (٤٠) المصدر نفسه: ج ٧، ق ١١٤ (١).

- يحيى بن حمزة الحضرمي (بيت لها) - ت ١٨٣/٨٠٠ (٤١)
- مروان بن معاوية الفزاري (دمشق - ت ١٩٣/٨٠٩) (٤٢)
- الوليد بن مُسلم (دمشق - ت ١٩٥/٨١١) (٤٣)
- محمد بن شعيب بن شابور (بيروت - ت ١٩٦/٨١١) (٤٤)
- الوليد بن سليمان بن أبي السائب (دمشق - ت ؟) (٤٥)
- إسماعيل بن عياش العنسي (حصص - ت ١٨١/٧٩٨) (٤٦)

### وفي القرن الثالث:

- مروان بن محمد الطاطري الأَسدي (دمشق - ت ٢١٠/٨٢٦) (٤٧)
- عبد الرحمن بن إبراهيم «دُحَيْم» (طبرية - ت ٢٤٥/١٨٦٠) (٤٨)
- محمد بن عوف بن سفيان الطائي (حصص - ت ٢٦٩/٨٨٣) (٤٩)
- محمد بن إبراهيم بن مسلم (طرسوس - ت ٢٧٣/٨٨٦) (٥٠)

- 
- (٤١) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ٢٧ (١).
  - (٤٢) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٥٠٢ (١).
  - (٤٣) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٧١ (٢).
  - (٤٤) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٣٧ (١).
  - (٤٥) المصدر نفسه: ج ١٧، ق ٤٤٧ (٢).
  - (٤٦) المصدر نفسه: ج ٢ (ك - ٢)، ق ٣٢٧ (١).
  - (٤٧) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٤٩٥ (١).
  - (٤٨) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٦٦ (٢).
  - (٤٩) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ٢٦١ (١).
  - (٥٠) المصدر نفسه: ج ١٤، ق ٦٢٨ (٢).

- يزيد بن محمد بن عبد الصمد (دمشق - ت ٢٧٧/٨٩١) (٥١)،  
- عبد الرحمن بن عمرو، أبو زرعة اللثري (دمشق - ت  
٢٨١/٨٩٥) (٥٢).

- عثمان بن عبد الله بن خرزاد (أنطاكية - ت ٢٨٢/٨٩٦) (٥٣).

ويجب أن يضاف إلى هؤلاء اسم المحدث الكبير هشام بن عمّار السلمي.  
(دمشق - ت ٢٤٥/٨٦٠)، ولا يوجد له ترجمة في النسخ التي اطلعنا عليها  
من «تاريخ مدينة دمشق»، ولكن ابن عساكر يذكر في ترجحات أخرى أن  
هذا العالم سمع الحديث من ٣٣/ شيخاً (٥٤).

## ٢ - اللغة العربية وآدابها

يشغل الشعر بالنسبة لعلوم العربية وآدابها نفس المكانة التي يشغلها  
الحديث في مجال العلوم الدينية.

فقد ساعد اهتمام الامويين بالشعر على انصراف الكثيرين إلى قول الشعر  
وحفظه وروايته. كما أعطت عناية هؤلاء الخلفاء بالكتابة طبقة من  
الكتاب نذرت نفسها لتطوير هذا الفن بما يرضي أذواق أولي الأمر.

وجدير بالذكر ان مرجعنا لا يتضمن معلومات وافية حول الفصاحة

---

(٥١) المصدر نفسه: ج ١٨، ق ١٧٣ (١).

(٥٢) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (١).

(٥٣) المصدر نفسه: ج ١١، ق ٤١ (١).

(٥٤) المصدر نفسه: ج ٩، ق ٢٦٦ (٢)، ترجمة: عبد الرحمن بن إبراهيم، المعروف  
بذحيم.

في الشام والجزيرة. ويمكن تفسير ذلك بأن وجود أكثرية عربية في هذه المنطقة جعلت تعلم العربية يعتمد بالدرجة الأولى على التنشئة العائلية والاختلاط بالأوساط الفصيحة من جهة، وعلى دراسة القرآن من جهة أخرى. لذلك لم يذكر ابن عساكر إلا التمييز في هذا الميدان. وتتلخص هذه المعلومات في الجدول والرسم التاليين:

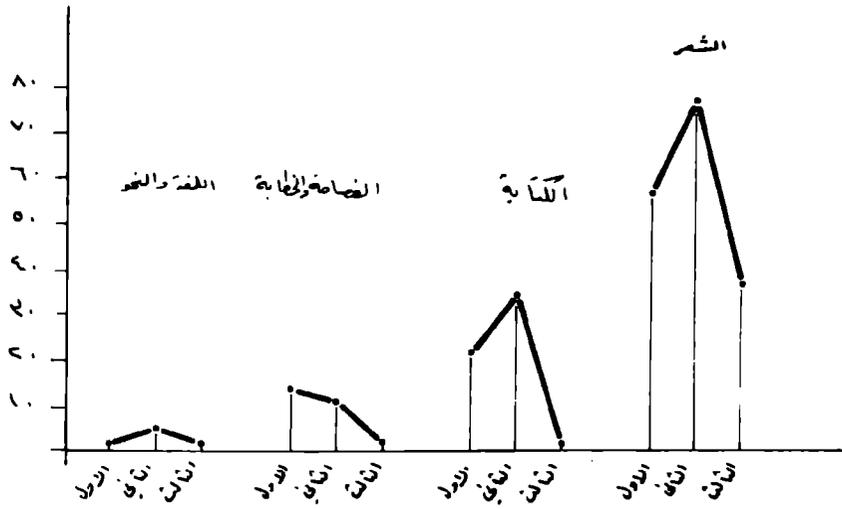
### جدول (٢٣)

#### اللغة والأدب

القرن الأول القرن الثاني القرن الثالث			
مواد الدراسة والنشاط	العدد	العدد	العدد
اللغة والنحو	١	٥	١
الفصاحة والخطابة	١٤	١١	١
الكتابة الرسمية وكتابة			
النثر الأدبي	٢٢	٣٥	١
قول الشعر	٤٢	٥٩	٢٨
حفظ الشعر وروايته	١٥	١٨	٩
الخط	-	١	-
المجموع	٩٤	١٢٩	٤١

رسم بياني (١٧)

تطور عدد العلماء المهتمين باللغة والأدب



### ٣ - التاريخ

قال ابن عُيَيْنَةَ: « من أراد المناك فعليه بأهل مكة. ومن أراد مواقيت الصلاة فعليه بأهل المدينة. ومن أراد السير فعليه بأهل الشام »<sup>(٥٥)</sup>.

كان أهل الشام يولون الأخبار والسير اهتماماً كبيراً في الواقع. لقد كان بعضهم يهتم قبيل الإسلام بالقصص الديني اليهودي أو المسيحي، والبعض الآخر بأخبار ملوك اليمن. وكان آخرون يهتمون بأيام العرب وأنسابهم. وعندما اعتنق هؤلاء الإسلام انصرفوا إلى تداول الأخبار والسير المتعلقة بالإسلام كالمغازي والفتوح وسيرة النبي وبيير كبار رجال صدر الإسلام وأخبار الزهاد والمتصوفة وغيرها.

وجدير بالذكر أن القرن الثالث الهجري شهد تراجعاً كبيراً من حيث عدد رواة الأخبار، ولكنه تميز بظهور مصنفات جيدة كتلك التي ألفها محمود ابن إبراهيم بن سُمَيْع (دمشق - ت ١٨٧٣/٢٥٩)<sup>(٥٦)</sup>، ومحمد بن عايد (دمشق - ت ١٨٤٦/٢٣٢)<sup>(٥٧)</sup> وعبد الرحمن بن عمرو، أبو زُرعة النصري (دمشق - ت ١٨٩٥/٢٨١)<sup>(٥٨)</sup>.

---

(٥٥) ابن عساكر: ج ١ (منجد)، ص ٣١٦.

(٥٦) المصدر نفسه: ج ١٦، ق ٤٥٣ (٢)، ترجمة: محمود بن إبراهيم بن سميع.

(٥٧) المصدر نفسه: ج ١٥، ق ١٤٥ (١)، ترجمة: محمد بن عائد بن عبد الرحمن.

(٥٨) المصدر نفسه: ج ١٠، ق ٣٤٦ (١)، ترجمة: عبد الرحمن بن عمرو، أبو زُرعة

النصري.

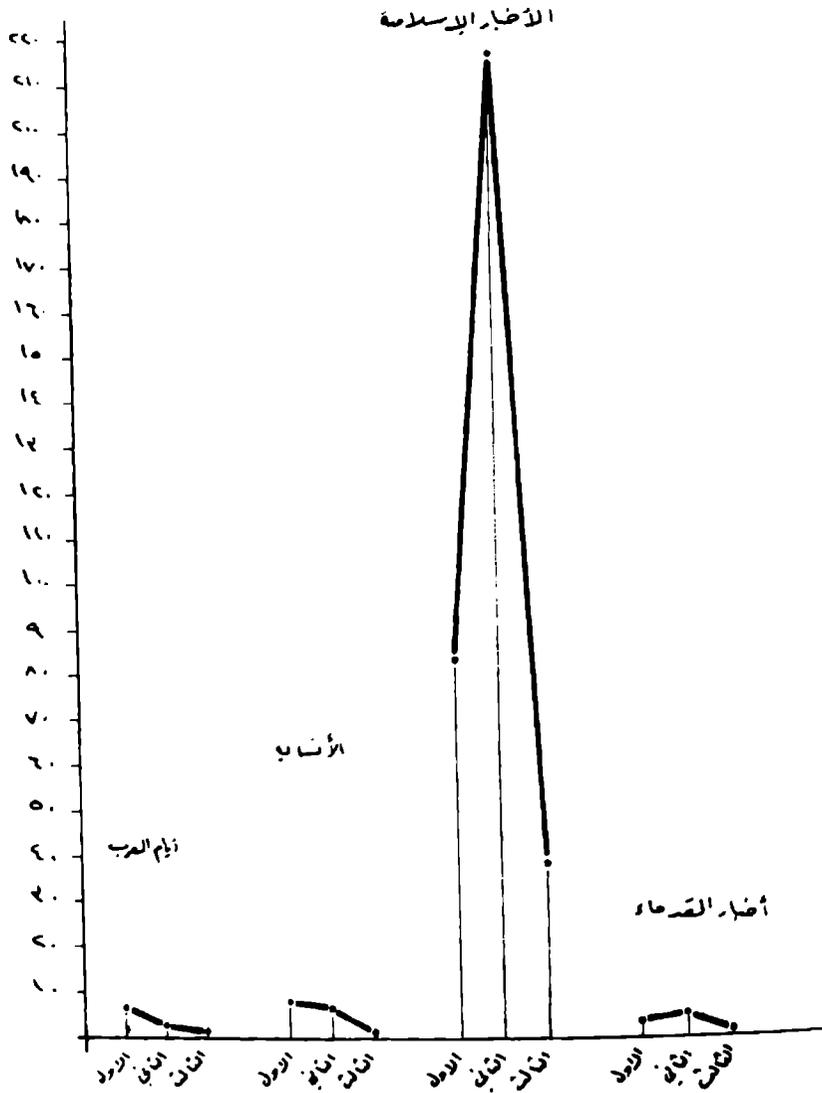
جدول (٢٤)

رواية الأخبار والتاريخ

العدد	العدد	العدد	مواد الدراسة والنشاط
١	٢	٦	أيام العرب
١	٦	٨	الأنساب
٣٨	٢١٣	٨٢	رواية أخبار العهد الإسلامي
			رواية أخبار الماضين
			وموضوعات من الكتب
١	٥	٣	الجاوية
٤١	٢٢٦	٩٩	المجموع

رسم بياني (١٨)

تطور عدد العلماء المهتمين بالأخبار والتاريخ



#### ٤ - العلوم البحتة والفروسية والرمي

الأرقام التي تستخلص من « تاريخ مدينة دمشق » فيما يتعلق بالعلوم البحتة، تدل دلالة واضحة على ضعف اهتمام أهل الشام بهذه العلوم خلال الفترة التي نتحدث عنها. ولكنها مع ذلك يجب ألا تؤخذ على عواهنها. فاهتمام ابن عساكر قد انصب بالدرجة الأولى على أفراد الجماعة الإسلامية، لذلك أغفل ذكر النصارى والصابئة الذين كانوا يدرسون العلوم والفلسفة في مدارسهم وأديرتهم المنتشرة في الشام والجزيرة. كما أن اهتمام ابن عساكر انصرف إلى علوم الدين واللغة، ولذلك أغفل ذكر نشاط بعض المسلمين في مجال العلوم القديمة. وشاهدنا على ذلك خلو ترجمة سالم بن عبد الله من الإشارة لعمله في ترجمة الكتب اليونانية، بالرغم من ذكر ابن النديم لهذا النشاط في الفهرست.

أما الرمي والفروسية، وقد كانا يؤلفان جزءاً لا يتجزأ من تدريب الجند، فإن ذكرها يأتي عرضاً في ترجمات الأعلام، لذلك لا يمكن النظر إلى الأرقام المستخلصة بشأنها على أنها ذات دلالة على مدى انتشارها.

### ٣ - المعلومات التي تتعلق بزائري الشام:

#### التوزع الجغرافي

بلغ عدد العلماء الذين زاروا الشام خلال القرون الثلاثة الأولى (١٠٧٠) عالماً، توزعوا زمنياً كما يلي:  
في القرن الأول: ٤٤٤ عالماً  
في القرن الثاني: ٣٢٥ عالماً  
في القرن الثالث: ٣٠١ عالماً.

وتشير هذه الأرقام إلى أن عدد الزائرين كان كبيراً في القرن الأول، ولكنه تناقص خلال القرنين التاليين. ولا يخفى هنا أثر العوامل السياسية والاقتصادية، ولا سيما فقدان الشام مكانتها كمركز للخلافة.

كان علماء الأقطار العربية والإسلامية يزورون الشام والجزيرة لأغراض متعددة: كالوفود على الخلفاء، والمشاركة في الجهاد والرباط، والقيام بأعمال تجارية، والتعليم أو طلب العلم أو كليهما معاً. ولكن الجميع كانوا يساهمون في الفعاليات الثقافية والتربوية. في القصر الذي يزورونه، والمسجد الذي يؤمنونه، والمجالس التي يرتادونها.  
أما توزع هؤلاء الزائرين على الأمصار الإسلامية فيظهر من خلال الجدول والرسم التاليين:

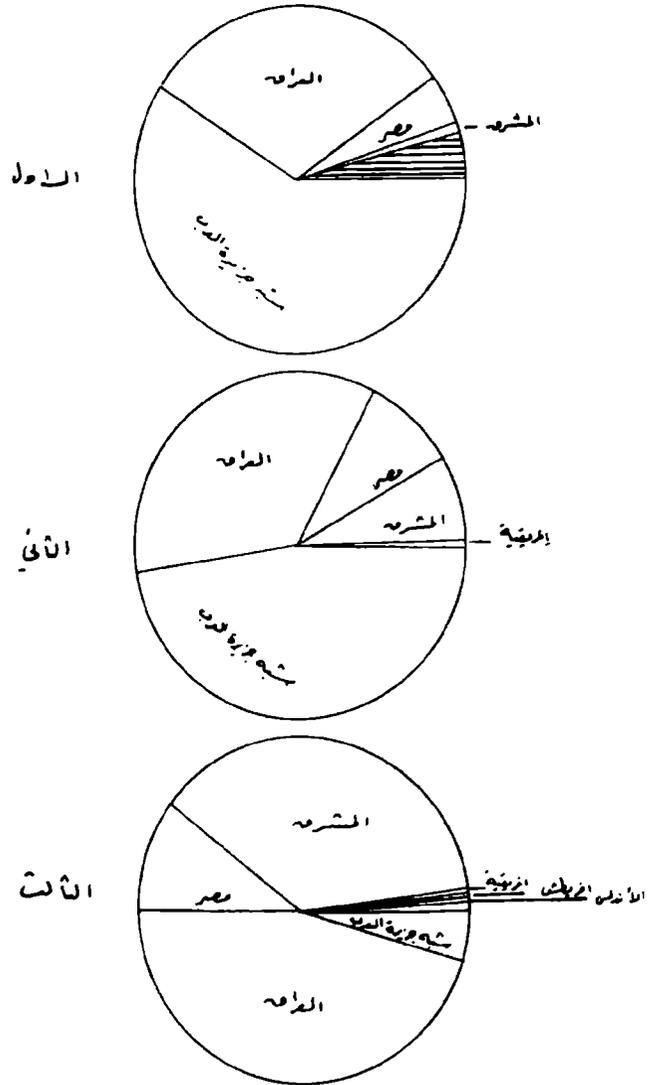
جدول (٢٥)

التوزع الجغرافي لزائري الشام

القرن	الأول	القرن	الثاني	القرن	الثالث	
العدد	%	العدد	%	العدد	%	الامصار العربية والاسلامية
٢٦٤	٥٩,٥	١٥٥	٤٧,٧	١٤	٤,٦	شبه جزيرة العرب
١٣٦	٣٠,٦	١١٣	٣٥,٠	١٣٦	٤٥,٣	العراق
٢١	٤,٧	٢٩	٨,٩	٣٢	١٠,٦	مصر
٤	١,٠	٢٦	٨,٠	١١٣	٣٧,٣	المشرق الاسلامي
-	-	-	-	٢	٠,٦	الأندلس
-	-	-	-	١	٠,٣	جزيرة كريت (اقريطش)
-	-	١	٠,٢	١	٠,٣	افريقية
١٩	٤,٢	١	٠,٢	٣	١,٠	دون تحديد
٤٤٤	١٠٠,٠٠٠	٣٢٥	١٠٠,٠٠٠	٣٠١	١٠٠,٠٠٠	المجموع

رسم بياني (١٩)

التوزع الجغرافي لزانري الشام



اتسعت الفتوحات خلال القرون الثلاثة، ودخلت في الدولة الناشئة مناطق جديدة. وتبع الفتوحات الحربية انتشار الدين الإسلامي بين أبناء الأقطار المفتوحة.

كان الفاتحون الذين يستقرون في منطقة جديدة يشغلون أولاً دور الوسيط بين سكان المنطقة وسائر أقطار العالم الإسلامي. وما إن كان السكان الأصليون يعتقدون الدين الجديد حتى يبتدئوا تنقلاتهم في الأقطار الأخرى بناء على رغبة السلطة أو بدافع حاجاتهم الخاصة.

وقد تبين من الجدول والرسم السابقين، أن الأمصار التي انطلق منها أكبر عدد من زائري الشام اختلفت من قرن لآخر.

ففي القرن الأول جاء معظم الزوار من شبه جزيرة العرب. وقد تقلص عدد هؤلاء تدريجياً خلال القرنين التاليين حتى احتل العراق مكان الصدارة في القرن الثالث. وجاء بعده عن كثر المشرق الإسلامي ثم مصر. ونظراً لأهمية هذه التقلبات سنتوقف قليلاً عند كل من هذه الأقطار.

#### آ- شبه جزيرة العرب

تضافرت عوامل متعددة على دفع سكان شبه جزيرة العرب لزيارة الشام خلال العهد الأموي. وتتلخص، كما نعتقد فيما يلي:

١- إن هذه المنطقة هي الموطن الأصلي للفاحين. وقد تركوا فيها قسماً من قبائلهم وعائلاتهم عندما قدموا الشام للفتح ثم استقروا فيها. فكان من الطبيعي إذاً أن يقدم أهل الجزيرة العربية إلى الشام لزيارة أقربائهم.

٢- كان خلفاء بني أمية يمثلون في العصر الإسلامي دوراً مماثلاً لذلك

الذي كان يشغله رئيس القبيلة في العصر الجاهلي. فقد كان أهل الجزيرة العربية يقصدونهم لقضاء حاجاتهم المادية والمعنوية. وقد اتخذ بعضهم مساكن لهم في دمشق ينزلونها خلال زيارتهم المتعددة للعاصمة حيث يعرضون مشاكلهم على الخلفاء.

٣- كانت الشام، نظراً لحدودها الطويلة برآً وبحراً مع الروم بلد الرباط والجهاد. فكان يأتيها كل من يرغب في أداء تلك الواجبات.

أضف إلى ذلك أن الأمويين كانوا ينظمون حملات سنوية ضد الروم يسمونها الصوائف والشواقي. وكانوا يطالبون أهل الجزيرة العربية بالمساهمة فيها.

فعندما حج هشام بن عبد الملك عام ١٠٦/٧٢٥، صلى على سالم بن عبد الله بن عمر بالبقيع. فلما رأى كثرة الناس قال لواليه ابراهيم بن هشام المخزومي: اضرب على الناس بعث (٤٠٠٠) رجل، فسُمي عام الأربعة آلاف. فكان الناس إذا دخلوا الصائفة خرج أربعة آلاف من المدينة إلى السواحل، فكانوا يبقون هناك حتى نهايتها<sup>(١)</sup>.

٤- كانت المدينة خلال هذه الفترة المركز الأول للدراسات الدينية. وكان خلفاء بني أمية يحرصون على استشارة فقهاء المدينة في المسائل الهامة. فقد استضاف بعض الخلفاء عدداً من علماء مدينة الرسول مدداً

---

(١) ابن عساکر: ج ٧، ق ٩ (٢)، ترجمة: سالم بن عبد الله.

متفاوتة<sup>(٢)</sup>، واستدعى البعض الآخر عدداً منهم لسماع رأيه في بعض القضايا<sup>(٣)</sup>.

هـ- نزل الشام عدد من الصحابة الذين عُرفوا بعلمهم، فكان الطلبة يفدون إليهم من جميع المناطق ومن ضمنهم أهل الجزيرة العربية. ويدخل هذا النوع من الزيارات في باب الرحلة في طلب العلم.

هذه الصلات الوثيقة بين الشام وشبه الجزيرة العربية التي قامت خلال العهد الأموي تضاءلت فيما بعد حين انتقل مركز الخلافة إلى العراق، إلى الحد الذي تناقصت فيه نسبة هؤلاء الزوار إلى سائر زوار الشام من ٥٩,٥% في القرن الأول إلى ٤,٦% في القرن الثالث. أما توزيع هؤلاء الزوار على مناطق شبه الجزيرة العربية فيتبين من الجدول التالي:

---

(٢) تحدثنا في القسم الثاني من هذا الكتاب عن صلات الخلفاء الأمويين بالعلماء.  
(٣) ابن عساكر: ج ١٦، ق ٣٣٩ (٢)، ترجمة: محمد بن المنكدر، يذكر فيها ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك استقدم هذا الفقيه مع جماعة من فقهاء المدينة لاستفتائهم في موضوع الطلاق قبل الزواج.

## جدول (٢٦)

التوزع الجغرافي للقادمين من شبه جزيرة العرب

المناطق والمدن	القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
المدينة	١٣٩	١٠٣	٨
مكة	٤٠	٢٤	٣
الطائف	٥٠	٦	-
اليامة	٢١	١٧	١
حضر موت	٦	٢	١
اليمن	٨	٣	١
المجموع	٢٦٤	١٥٥	١٤

ويبدل هذا الجدول على أن معظم الزوار قدموا من المدينة ومكة.

## ب- العراق

فتحت الشام والعراق في وقت واحد تقريباً، كما ان الإمدادات التي قادها خالد بن الوليد لفتح الشام جاءت عن طريق العراق.

وقد ساعد تجاور هذين الاقليمين على قيام تبادل تجاري وثقافي قوي بينها، ولا سيما أن مقتل علي بن أبي طالب فتح المجال لمعاوية لاستخدام الدهاء الذي برع فيه في استمالة خصومه.

قدم العراقيون الشام لنفس الأغراض التي جاء من أجلها أهل الجزيرة العربية. فقد وفد بعضهم على خلفاء بني أمية لقضاء حاجاتهم، وجاء آخرون للرباط والجهاد، كما قصدتها فئة نائلة للتجارة، ورابعة للتعليم وتبادل الرأي مع العلماء، وخامسة لطلب العلم.

ولم ينقص عدد القادمين من العراق خلال العهد العباسي بصورة ملحوظة. ذلك أن الخلفاء العباسيين اختاروا معظم أفراد حاشيتهم الذين رافقوهم في أسفارهم من أهل العراق، كما استعانوا بهؤلاء في الأعمال الادارية والعسكرية والقضائية في المناطق الأخرى. وقد انطلق العراقيون الذين زاروا الشام من الأمكنة التالية:

جدول (٢٧)

التوزع الجغرافي للقادمين من العراق

المدن	القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
بغداد	-	١٦	٩٢
البصرة	٥٥	٥٥	٢٢
الكوفة	٧٤	٣٨	٧
واسط	٣	٤	١
سامراء	-	-	١٠
الأنبار	٤	-	١
المدائن	-	-	١
النهروان	-	-	١
عبادان	-	-	١
المجموع	١٣٦	١١٣	١٣٦

يتبين من هذا الجدول أن معظم الزوار في القرنين الأول والثاني جاءوا من البصرة والكوفة، وفي القرن الثالث جاءوا من بغداد.

كيف نفسر قلة زيارات المصريين للشام في هذه الفترة؟ يبدو أن علاقة المصريين بالحكم الذاتي المركزي في الشام ثم بغداد لم تكن وثيقة بصورة عامة، لذلك وفد القليل منهم على الخلفاء خلال القرنين الأول والثاني. أما الذين قدموا الشام في القرن الثالث، فقد جاء معظمهم برفقة أحمد بن طولون الذي أنشأ دولة شبه مستقلة بمصر، ثم ألحق بها الشام.

هذا فيما يتعلق بالأغراض الشخصية والسياسية. فإذا نظرنا إلى الغرض الاقتصادي وجدنا ان التبادل التجاري في تلك الفترة بين مصر من جهة، والشام والعراق من جهة أخرى، كان ضعيفاً أيضاً.

وفما يتعلق بالجهاد والرباط، انصبت جهود المصريين في البداية على حماية شواطئهم ضد الروم، كما حلوا مسؤولية كبرى في فتوح افريقية، ولم يشاركوا بصورة ملحوظة في الجهاد بأرض الشام إلا أيام الطولونيين حين أخذ هؤلاء على عاتقهم حماية ثغور الشام والجزيرة.

أما رحلة المصريين في طلب العلم فكانت تتجه بصورة رئيسة إلى الحجاز حيث يستطيعون الجمع بين الدراسة وأداء فريضة الحج. وجدير بالذكر أن زوار الشام الأوائل من المصريين كانوا من عرب الفسطاط والعسكر. إلا أن القرن الثالث جاء بزائرين من المدن الأخرى كالاسكندرية وتيس وإخيم، مما يشير إلى اتساع حركة الدخول في الاسلام آنذاك.

جدول (٢٨)

التوزع الجغرافي للقادمين من مصر

المدن	القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
الفساطط. العسكر. القطائع	٢١	٢٩	٢٢
الاسكندرية	-	-	٤
دمياط	-	-	١
تيس	-	-	٢
إخيم	-	-	٢
البرئس	-	-	١
المجموع	٢١	٢٩	٣٢

## د - المشرق الإسلامي

ارتبط جزء كبير من هذه المناطق في القرن الأول بالعراق عسكرياً وادارياً. فقد اعتمد في تكوين الجيوش التي أرسلت لفتحته على أهل العراق بصورة رئيسية<sup>(٤)</sup> كما كان والي العراق يعين غالباً قادة الجيوش وولاة المناطق المفتوحة هناك.

على أن العلاقات بين هذه المناطق والشام لم تتوثق إلا فيما بعد، بالرغم من أن جند الشام ساهم في هذه الفتوحات خلال العهد الأموي<sup>(٥)</sup> وأن بطوناً من القبائل الساكنة في الشام انتقلت إلى المشرق واستقرت فيه<sup>(٦)</sup>.

وقد اعتنق المشاركة الإسلام بصورة مبكرة<sup>(٧)</sup>، ولكنهم كانوا يطلبون العلم في الكوفة والبصرة نظراً لقربها منهم، وفي الحجاز حيث يؤدون فريضة الحج في الوقت ذاته.

على أن هذا الوضع تغير في القرن الثاني. وراح عدد زوار الشام من المشاركة يزداد باطراد، حتى بلغت نسبتهم الى مجموع زوار الشام ٣٧,٣% في القرن الثالث.

---

(٤) البلاذري: فتوح، ص ٤٢٥.

(٥) المصدر نفسه: ص ٤٦٩.

(٦) المصدر نفسه: ص ٤٦٠.

(٧) المصدر نفسه: ص ٤٦٠، يروي أنه عندما عيّن الأشعث والياً على اذربيجان من قبل الخليفة علي بن أبي طالب رأى أن معظم أهلها قد أسلموا وقرأوا القرآن؛ أيضاً:

المصدر نفسه: ص ٤٣٩، يروي أن أهل أصبهان رفضوا دفع الجزية عند الفتح وفضلوا الدخول في الإسلام.

كان المشاركة يأتون الشام إما بصحبة خلفاء بني العباس، أو في مهمات عسكرية وإدارية، أو لأغراض تربية صرفة: كجمع الأحاديث التي رواها الصحابة والتابعيون في الشام وحفظها علماءها.... أضيف إلى ذلك أن الزهاد والمتصوفة رأوا في الشام إقليماً بعيداً عن المؤامرات والفتن السياسية والمذهبية، فقدموا للسياحة والعبادة في جبالها وساحلها برفقة عبّاد الشام، ومن يأتونها من الأقطار الأخرى كالعراق ومصر.

وقد جاء الزوار المشاركة بالدرجة الأولى من خراسان (نيسابور، مرو، هرات)، ثم مما وراء النهر (سمرقند، بلخ، بخارى، الشاش)، ثم من الرّي. ويتبين ذلك من الجدول التالي:

جدول (٢٩)

التوزع الجغرافي للقادمين من الشرق الإسلامي

المناطق والمدن	القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
خوزستان. الأهواز	-	-	٤
فارس	-	-	٣
كرمان	-	-	١
الجبال (الرّي)	-	٢	١٥
طبرستان	-	-	٢
قوس	-	-	١
جرجان - دامغان	١	٢	٨
خوارزم	-	-	١
ما وراء النهر (سمرقند. بلخ. بخارى. الشاش)	-	٧	١٤
فرغانة	-	-	٢
خراسان (نيسابور. مرو. هرات)	٣	١٥	٥٩
السند	-	-	٢
المجموع	٤	٢٦	١١٢

## هـ - المغرب والأندلس

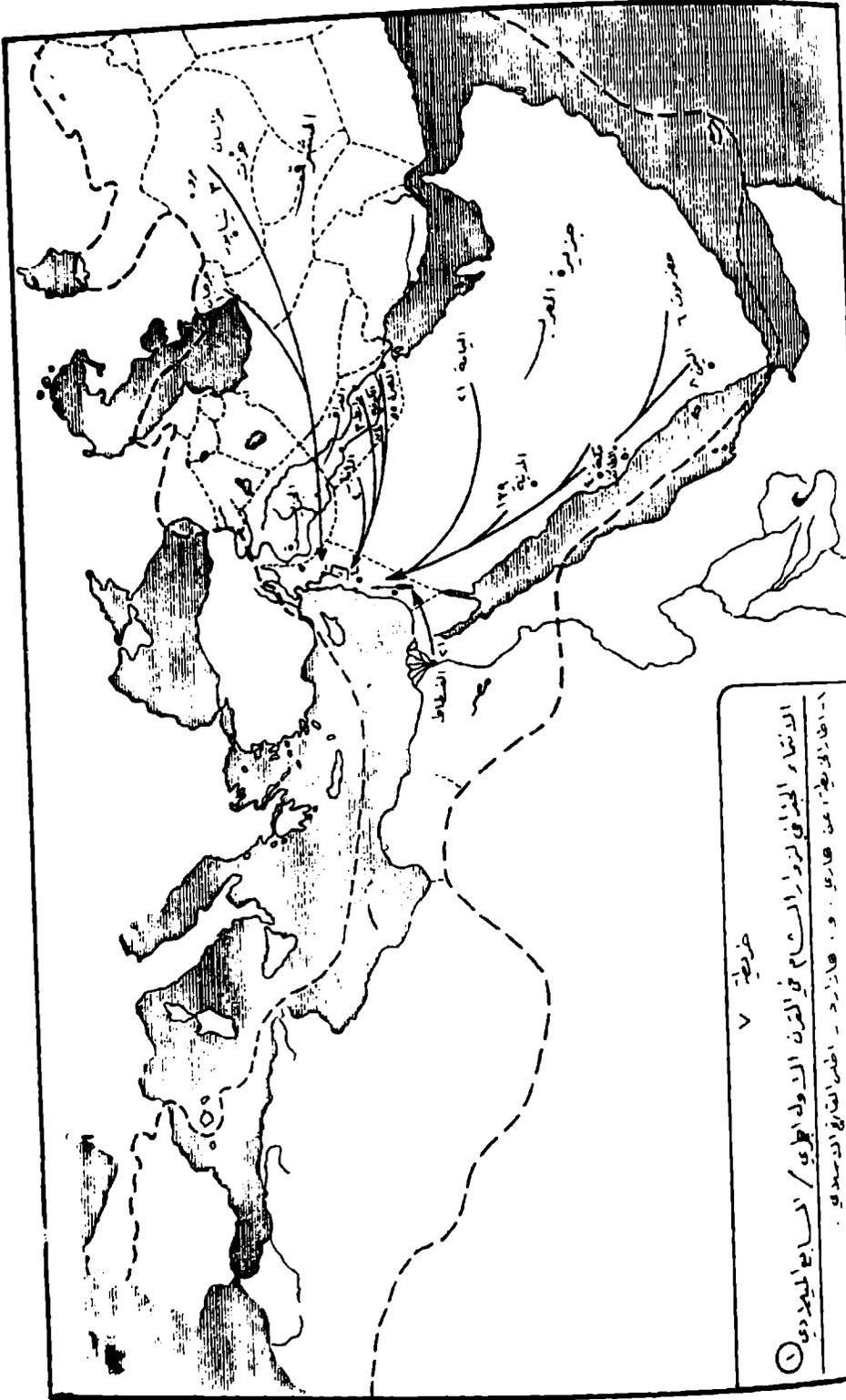
كانت هذه المناطق عرضة لعدم الاستقرار ولقيام دويلات محلية نظراً لموقعها في الغرب الأقصى للدولة الإسلامية، وبعدها التاسع عن الحكم المركزي. فقد قطعت الأندلس علاقاتها السياسية مع الخلافة بعد سقوط الدولة الأموية في الشرق، واستقر الخوارج والاسماعيلية وغيرهم في المغرب.

وقد أجزّر هذا الوضع الخاص تكامل هذه المناطق ثقافياً وتربوياً مع بقية أجزاء الدولة الإسلامية إلى حد ما. وليس أدل على ذلك من قلة زيارات سكان هذه المناطق للشام أو مرورهم بها خلال هذه الفترة، مع أنها تؤلف من الناحية الجغرافية جسراً يصل مغرب العالم الإسلامي بمشرقه. ويتبين ذلك من الجدول التالي:

جدول (٣٠)

توزع القادمين من الأندلس وكريت والمغرب

المناطق	القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
الأندلس	-	-	٢
كريت (إقريطش)	-	-	١
المغرب (إفريقية)	-	-	١
المجموع	-	١	٤



خريطة ٧

① الانتشار الجغرافي لروايات الشام في القرن الدول العثماني / اساطع الميردوني

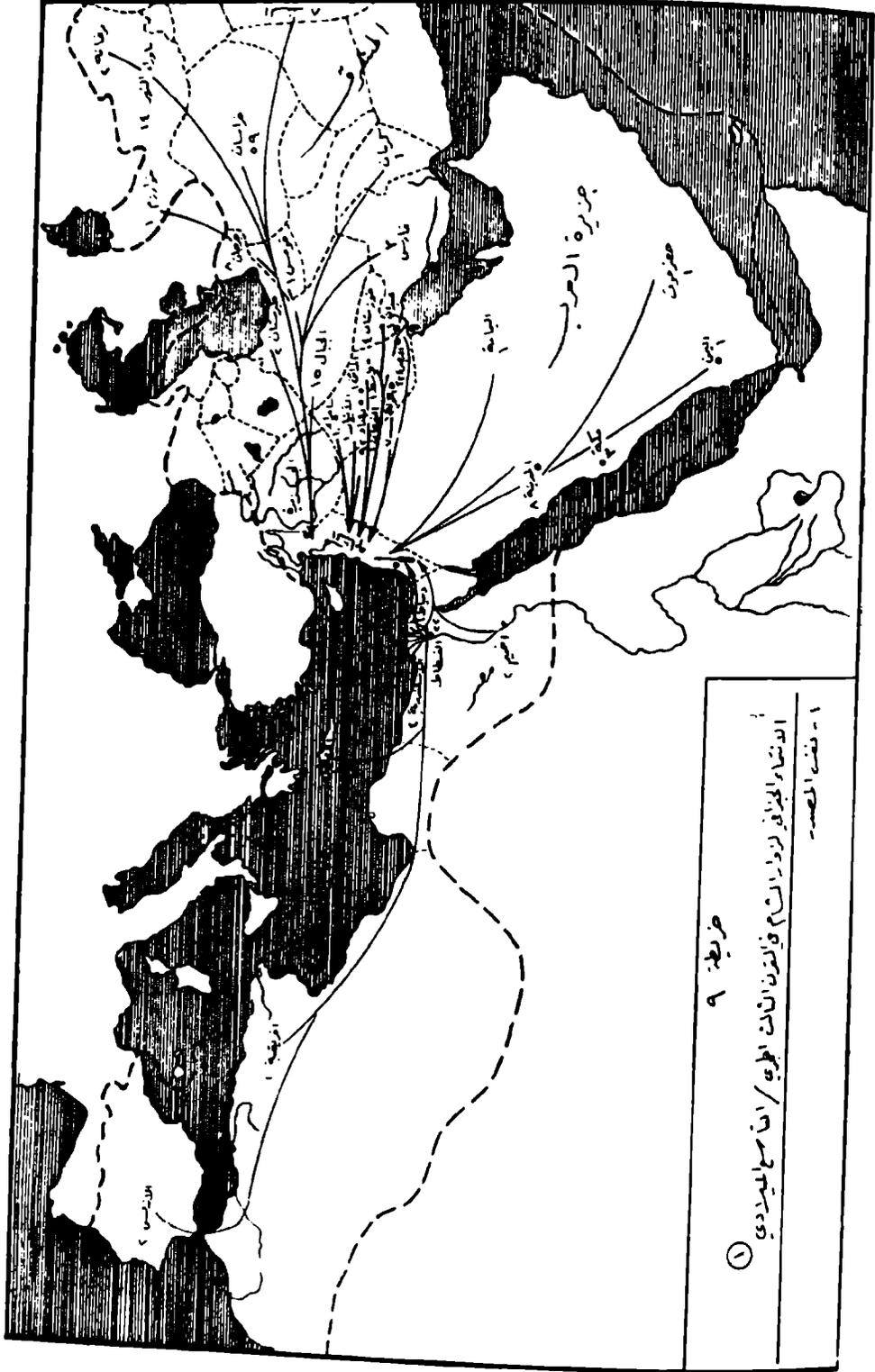
١- اساطع الميردوني، عن هادي . و . هادي - المطبعة الفاروق الدمشقي .



محافظة ٨

①  
الانتفاضة الفلسطينية / الانتفاضة الفلسطينية

١-١



خريطة ٩

① الدشاد الجغرافي لرواياتهم فالقرون الثالث الهجري / الفاصح البيهقي

١ - نفس المصدر

## ٤ - الرحلة في طلب العلم

يقول ابن خلدون - في الفصل الذي عقده لهذا الموضوع - إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم، لأن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيماً بالباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً.

والرحلة تفيد كثرة الشيوخ، وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها. فتعدد المشايخ يفيد تعدد الطرق إذ أن لكل منهم طريقته في التعليم<sup>(١)</sup>.

كانت الرحلة في طلب العلم إحدى المميزات الرئيسة للتربية العربية - الإسلامية، وعاملاً هاماً في وحدثها. وقد رحل طلاب الشام إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، كما جاءها طلاب من مختلف أرجاء العالم الإسلامي. وقد بحثنا الجانب الكيفي لهذه الرحلات في فصل سابق<sup>(٢)</sup>، ونريد الآن النظر في جانبها الكمي.

هناك نقطتان استندنا إليها لاستخلاص المعلومات الكمية المطلوبة، وهما مذكورتان في معظم التراجم التي يتضمنها «تاريخ مدينة دمشق»: الأولى: مكان أو أمكنة الدراسة، وقد استفدنا منها لدراسة رحلة أهل الشام إلى المناطق الأخرى.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، صص ٤٩٧-٤٩٨.

(٢) أنظر فصل التبادل الثقافي في القسم الثالث من هذا الكتاب.

والثانية: الغرض من زيارة الشام، وقد استفدنا منها لدراسة رحلة أهل المناطق الأخرى إلى الشام.

#### أ- رحلة طلاب الشام إلى الأمصار الأخرى

تشير المعطيات إلى أن طلبية العلم من أهل الشام يتوزعون من حيث مكان الدراسة إلى فئات ثلاث:

- الطلبة الذين درسوا على علماء مدينتهم أو قريتهم، مها كانت مرتبة هؤلاء من العلم.

- الطلبة الذين قاموا برحلة ضمن بلاد الشام والجزيرة للدراسة على العلماء المشهورين فيها.

- الطلبة الذين رحلوا في طلب العلم خارج الشام والجزيرة بعد أن جلسوا إلى علماء قريتهم أو مدينتهم، وقاموا بجولة في بلاد الشام والجزيرة لسماع كبار العلماء فيها. يتضح ذلك في الجدول (٣١).

جدول (٣١)

مكان أو أمكنة دراسة علماء الشام

القرن الثالث	القرن الثاني	القرن الأول	القرن الأول	القرن الأول	القرن الأول
العدد	%	العدد	%	العدد	%
الدراسة في مكان الإقامة					
٧٣,١	٤٣١	٧٥,٥	٦٤٤	٣٨,٨	١٩٠
الدراسة في أماكن متعددة داخل الشام والجزيرة					
١٣,٩	٨٢	١٦,٢	١٣٩	٨,٢	٤٠
الرحلة في طلب العلم خارج الشام والجزيرة					
١٣,٠	٧٧	٨,٣	٧١	٥٣,٠	٢٦٠
١٠٠,٠	٥٩٠	١٠٠,٠	٨٥٤	١٠٠,٠	٤٩٠
المجموع					

وبما أن ما يهمننا هو بيان أثر التبادل الثقافي في التربية العربية- الإسلامية، لجأنا إلى دمج الفئتين الأولى والثانية في فئة واحدة هي فئة الدارسين داخل الشام والجزيرة، مقابل الفئة التي رحلت في طلب العلم خارج الشام والجزيرة .

ويتبين تطور كل من الفئتين من خلال الجدول والرسم التاليين:

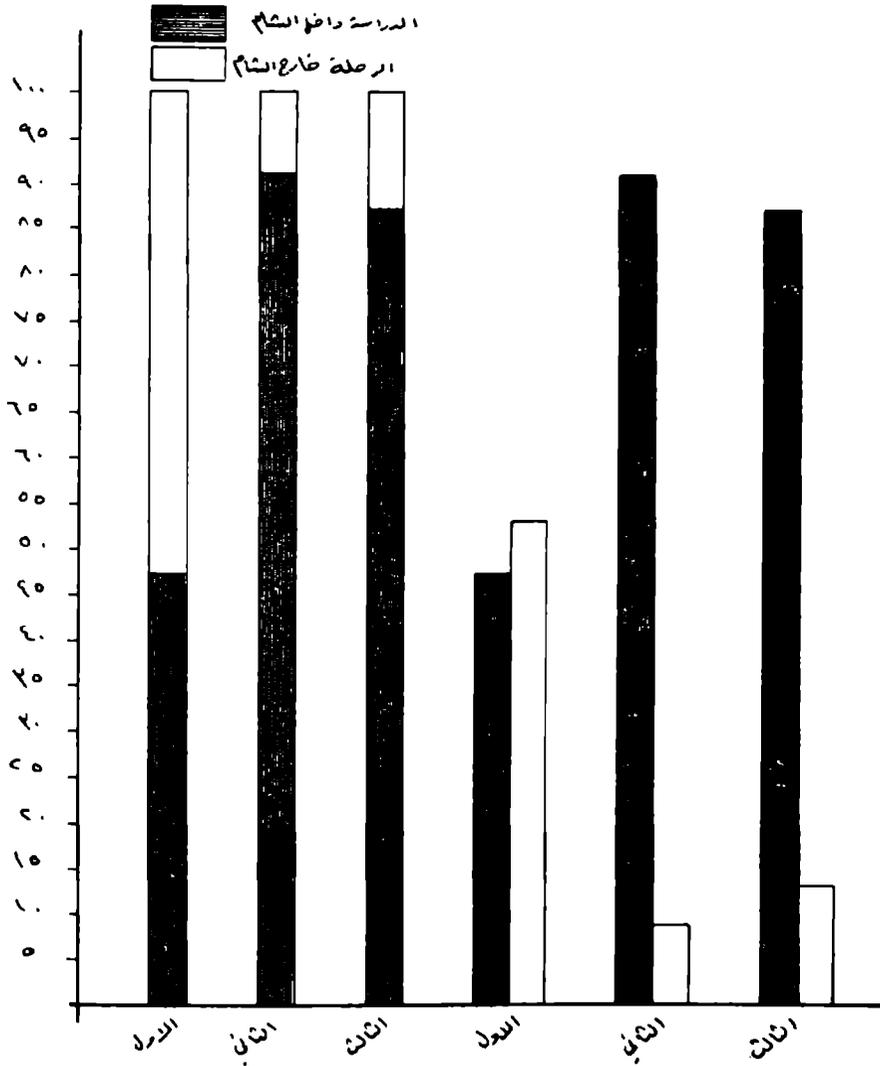
### جدول (٣٢)

#### توزيع علماء الشام حسب مكان الدراسة

القرن	الأول	القرن	الثاني	القرن	الثالث	
العدد %	العدد %	العدد %	العدد %	العدد %	العدد %	
الدراسة داخل الشام	٢٣٠	٤٧,٠	٧٨٣	٩١,٧	٥١٣	٨٧
الرحلة في طلب العلم خارج الشام	٢٦٠	٥٣,٠	٧١	٨,٣	٧٧	١٣
المجموع	٤٩٠	١٠٠,٠	٨٥٤	١٠٠,٠	٥٩٠	١٠٠,٠

رسم بياني (٢٠)

توزيع علماء الشام حسب مكان الدراسة



رأينا أن أهل الشام الذين رحلوا في طلب العلم خارج بلادهم يتوزعون  
زمنياً كما يلي:

في القرن الأول: ٢٦٠ طالباً

في القرن الثاني: ٧١ طالباً

في القرن الثالث: ٧٧ طالباً.

يستدل من هذه الاحصائيات أن نسبة الرحلات الدراسية التي انطلقت  
من الشام باتجاه الأمصار الأخرى كانت كثيرة العدد في القرن الأول،  
ولكنها تناقصت فيما بعد. وهذا الأمر لا يمكن تفسيره مطلقاً بوصول  
الشام - علمياً - إلى الاكتفاء الذاتي الذي جعلها تستغني عن الأمصار  
الأخرى، وإنما بنوع من التراخي والانعزال الناتج عن خيبة الأمل  
السياسية التي عانتها، وعن الضائقة الاقتصادية التي مرت بها في تلك  
الفترة. وقد أدى ذلك لا إلى تخلفها في ميدان العلوم والآداب فحسب، بل  
في مجال العلوم الدينية أيضاً.

أما اتجاه هذه الرحلات فقد اختلف من قرن لآخر.

اتجهت الرحلات في طلب العلم في القرن الأول بصورة رئيسة إلى  
الجزيرة العربية، ولا سيما المدينة، وتوزعت في القرن الثاني بين الحجاز  
والعراق، وفي القرن الثالث قفز العراق إلى المرتبة الأولى وتلتته في ذلك  
مصر ثم الجزيرة العربية ثم بلدان المشرق.  
ويتجلى ذلك في الجدول التالي:

جدول (٣٣)

الأمصار العربية والاسلامية التي قصدها

علماء الشام لدراسة العلوم الدينية

الأمصار	العدد	العدد	العدد
شبه جزيرة العرب (لا سيما المدينة)	٢٣٥	٣٥	١٢
العراق	٢٤	٣٠	٣٧
مصر	١	٥	٢٠
المشرق الإسلامي	-	١	٧
المغرب	-	-	١
المجموع	٢٦٠	٧١	٧٧

ويمكننا تفسير هذه الأرقام على النحو التالي:  
كانت أمور التربية في عهد الخلفاء الراشدين تتبع الخليفة مباشرة،  
وكان ولاية الشام وعلماؤها يقصدون الخليفة حين يواجهون مشكلة ما. لذلك

كانت الرحلات الأولى في طلب العلم تتجه إلى الجزيرة العربية، ولا سيما للمدينة، وتتخذ شكل الاستشارة وتبادل الرأي حول المشكلات القائمة. ومن أمثلة ذلك رحلة أبي الدرداء مع فريق من أهل دمشق إلى المدينة لعرض قراءتهم على الخليفة عمر بن الخطاب وكبار الصحابة<sup>(٣)</sup>. ورحلة الحارث بن معاوية الكندي إلى عمر بن الخطاب أيضاً لسؤاله عن صلاة الرجل إلى جانب المرأة وعن القَصَص، ذلك أن والي حمص طلب منه أن يقص، فلم يرد أن يقوم بذلك قبل معرفة رأي الخليفة في هذا الموضوع<sup>(٤)</sup>.

ويمكننا القول إن الجزيرة العربية تميزت في القرن الأول بوجود عدد كبير من الصحابة والعلماء، بالإضافة إلى احتوائها على الأماكن المقدسة. وهكذا ارتبط طلب العلم أيضاً بأداء فريضة الحج، وزاد في عدد الرحلات الدراسية إلى هذه البقاع.

ولكن أهمية الجزيرة العربية من الناحية الثقافية تناقصت في القرون التالية نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية التي سادت فيها. ولا يعني ذلك أن رحلات أهل الشام للحج قد توقفت، إلا أن مرجعنا لا يذكر منها إلا تلك التي تجلّى أثرها في رواية الحديث.

ويحتل العراق المرتبة الثانية بعد الحجاز. لقد تميزت الكوفة والبصرة كمراكز للثقافة العربية - الإسلامية منذ القرن الأول. وعندما أنشئت بغداد في القرن الثاني وأصبحت عاصمة الخلافة جذبت إليها كبار علماء العراق والأقطار الإسلامية الأخرى على السواء، فاستقروا فيها وأصبحت

---

(٣) ابن عساکر: ج ١٩، ق ٣٠٣ (٢)، ترجمة: رجل من أهل دمشق.  
(٤) المصدر نفسه: ج ٤، ق ٤٨ (١)، ترجمة: الحارث بن معاوية الكندي.

الرحلة إليهم. على أن البصرة فقدت أهميتها كلياً في القرن الثالث بسبب الثورات التي نشبت فيها والدمار الذي عاد عليها منها.

أما مصر فلم تكتسب أهمية علمية كبيرة إلا في أواخر القرن الثاني. وقد علت مكانتها بانتقال الإمام الشافعي إليها، فقصدها طلاب العلم من جميع أرجاء العالم الإسلامي.

وقد شهد القرن الثالث ظهور مراكز جديدة للثقافة الإسلامية في المشرق، على أن هذه المراكز لم تزدهر إلا في القرون التالية.

### ب- رحلة طلاب الأمصار الأخرى الى الشام

كان أهل الأمصار الأخرى يفتدون الى الشام لأغراض متعددة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ- الأغراض الشخصية والسياسية، ومن أمثلتها:

- رؤية الأقرباء الذين سكنوا الشام،
- الوفود على الخلفاء أو الولاة،
- مرافقة الخلفاء أو الولاة في زياراتهم للشام،
- القيام بوظيفة رسمية أو أداء مهمة في الشام.

٢- الأغراض الدينية والمسكزية، ومن أمثلتها:

- القدوم للرباط أو الجهاد،
- القدوم لزيارة بيت المقدس،
- المرور بالشام في الطريق للحج.

٣- الأغراض الاقتصادية التي تتمثل في التجارة.

٤- الأغراض التربوية، ومن أمثلتها:

- طلب العلم،
- التعليم، أو المذاكرة مع العلماء، أو إنشاد الشعر والتكسب به.

وتدل المعطيات على أن أهمية هذه الأغراض تفاوتت من قرن لآخر، كما يتبين من الجدول التالي:

جدول (٣٤)

أغراض زيارة الشام

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث	أغراض		
العدد	العدد	العدد	شخصية أو		
%	%	%	سياسية		
			أغراض دينية		
			أو عسكرية		
			أغراض		
			اقتصادية		
			أغراض		
			تربوية:		
			طلب العلم		
			التعليم		
المجموع	المجموع	المجموع	المجموع	المجموع	المجموع
٣٠٠	١٢٤	٥٠	٦٧,٦	٣٨,١	١٦,٦
٨٢	٣٧	٨	١٨,٥	١١,٤	٢,٧
١٣	١٩	-	٢,٩	٥,٩	-
٤٩	٨٢	٢١٣	١١,٠	٢٥,٠	٧٠,٧
-	٦٣	٣٠	-	١٩,٦	١٠,٠
٤٤٤	٣٢٥	٣٠١	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

ولما كان ما يهمننا في هذا البحث هو تطور الزيارات ذات الغرض التربوي، فاننا أفردنا حقلاً لهذه الزيارات وجمعنا الزيارات التي تمت لأغراض أخرى في حقل آخر. وهكذا حصلنا على الجدول (٣٥).

### جدول (٣٥)

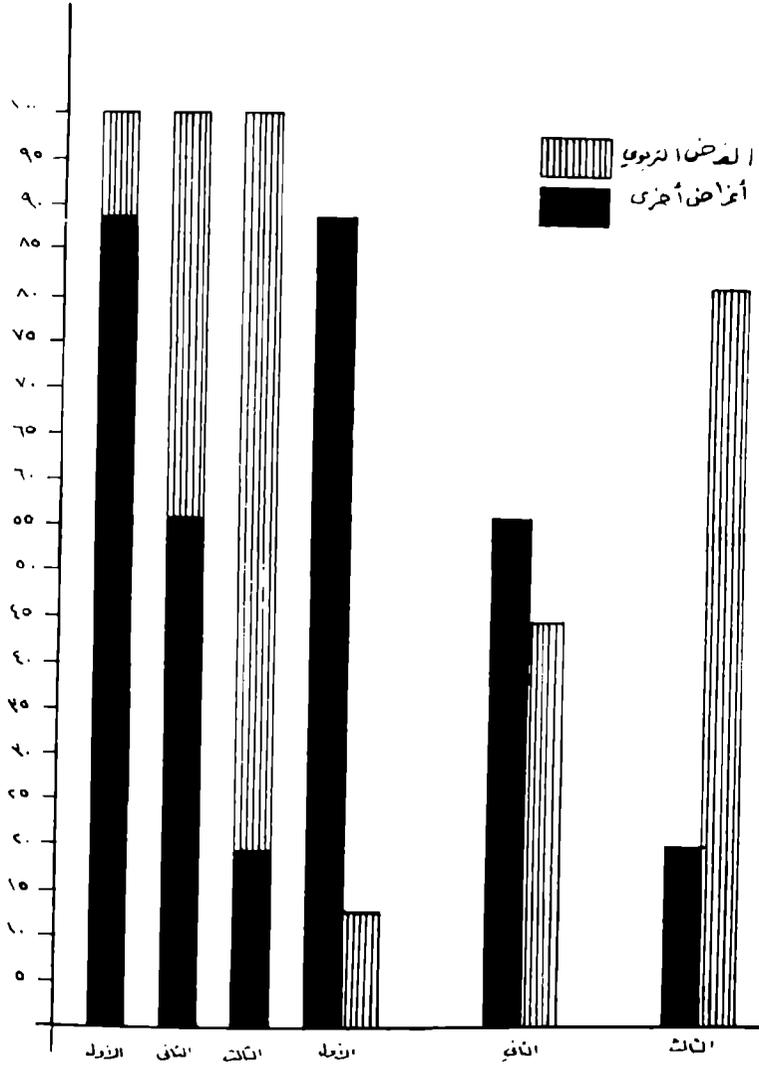
توزيع زائري الشام حسب غرض الزيارة

	القرن الأول		القرن الثاني		القرن الثالث	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أغراض تربوية	٤٩	١١,٠	١٤٥	٤٤,٦	٢٤٣	٨٠,٧
أغراض أخرى	٣٩٥	٨٩,٠	١٨٠	٥٥,٤	٥٨	١٩,٣
المجموع	٤٤٤	١٠٠,٠	٣٢٥	١٠٠,٠	٣٠١	١٠٠,٠

ويتضح من هذا الجدول والرسم البياني (٢١)، أن تراجع المكانة السياسية للشام لم يؤثر على مكانتها التربوية في نظر علماء الامصار الإسلامية. فقد ظل هؤلاء يأتونها لتحصيل ما تجمع فيها من العلم.

رسم بياني (٣١)

توزيع زائري الشام حسب غرض الزيارة



رأينا في الجدول (٣٤) أن عدد طلاب الأمصار الأخرى الذين جاءوا الشام لطلب العلم يتوزعون زمنياً على النحو التالي:

في القرن الأول: ٤٩ طالباً.

في القرن الثاني: ٨٢ طالباً.

في القرن الثالث: ٢١٣ طالباً.

كما يدل على أن هذه الرحلات تزايدت بصورة مطردة. أما المناطق التي قدم منها هؤلاء الطلاب، فتظهر في الجدول التالي:

#### جدول (٣٦)

الامصار العربية والاسلامية التي وفد منها طلاب العلم على الشام

الأمصار	القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
شبه جزيرة العرب	٢٩	٤٠	١٠
العراق	١٧	٢٦	٩٧
مصر	٣	٧	٢٤
المشرق	-	٧	٧٨
الأندلس	-	-	٢
كريت (أقريطش)	-	-	١
افريقية	-	١	١
المجموع	٤٩	٨٢	٢١٣

تبين هذه المعطيات تفاوت الأقطار الاسلامية آنذاك في درجة اندفاع أفرادها لطلب العلم خارج بلادهم.

لقد تناقص عدد الطلاب القادمين من الجزيرة العربية بصورة واضحة في القرن الثالث، وارتفع عدد الطلاب القادمين من العراق والمشرق ارتفاعاً كبيراً، ومن مصر ولكن بدرجة أقل. وقد شهد العراق وأقطار المشرق، كما نعرف، نهضة ثقافية كبيرة في القرن الثالث. وليس أدل على ذلك من أسماء الطلاب الذين جاءوا يطلبون العلم في تلك الفترة، كأبي داود السجستاني، وابن ماجه القزويني، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، ومحمد بن اسمعيل البخاري، وأحمد بن حنبل والبلاذري وابن سعد والمبرّد من أهل العراق. هؤلاء الرجال جمعوا العلم الذي انتشر في أرجاء العالم الإسلامي وتركوا مصنفات أصبحت فيما بعد الكتب الرئيسة التي دُرّست في مؤسسات التعليم العربية - الاسلامية.

#### ح- مقارنة

وعندما نقارن بين الرحلة من الشام الى الخارج، ومن الخارج الى الشام، يتضح لنا أنها تطورتا باتجاهين متعاكسين. فقد سارت الأولى في اتجاه النقصان، وسارت الثانية في طريق الازدياد.

ويظهر ذلك في الجدول والرسم التاليين:

جدول (٣٧)

تطور الرحلات في طلب العلم من الشام واليهما

القرن الأول	القرن الثاني	القرن الثالث
العدد	العدد	العدد
٢٦٠	٧١	٧٧
رحلات علماء الشام إلى الأمصار الأخرى		
٤٩	٨٢	٢١٣
رحلات علماء الأمصار الاخرى الى الشام		

## رسم بياني (٢٢)

تطور الرحلات في طلب العلم من الشام وإليها



وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على تأثير التربية في الشام بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عانت منها في القرن الثالث.

لقد قصر أهل الشام في طلب العلم، فانخفض عدد العلماء بصورة عامة، وضاعت الميادين العلمية التي عملوا فيها.

حدّث كل ذلك في العصر الذي كانت فيه الثقافة العربية - الإسلامية تنتشر شرقاً وغرباً بين سكان الأمصار التي فتحت في البداية بقوة السيف، وتمثل ثقافات اليونان والسريان والفرس والهند وغيرهم من الشعوب لتعطي بسخاء في جميع الميادين.



الخاتمة



حاولنا خلال الصفحات السابقة أن نتابع تطور التربية العربية - الإسلامية في الشام والجزيرة أثناء القرون الثلاثة الأولى للهجرة. وقد نظرنا الى هذا التطور من جانبين:

الأول، أثر العوامل الخارجية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في هذا التطور.

والثاني، أثر العوامل الداخلية، ونعني بذلك أثر المسائل والمشكلات التي برزت خلال ممارسة الفعاليات الثقافية والتربوية في تطور هذه الفعاليات.

وسنلخص كلاً من هذه الآثار على حدة، بالرغم من أن العوامل الخارجية والداخلية تتشابك وتتفاعل باستمرار.

ففيما يتعلق بأثر العوامل الخارجية يلاحظ أنه لم يكد ينقضي ربع قرن على فتح الشام من قبل العرب المسلمين حتى كان هذا المصر يشغل دوراً رئيساً في تكوين الثقافة والتربية العربية - الإسلامية.

لقد أخذ بنو أمية على عاتقهم، عندما أصبحوا حكام العالم الإسلامي، أن يتابعوا سياسة الفتح التي بدأها من سبقهم، وعهدوا إلى جنودهم وولاتهم العرب في المناطق المفتوحة بتثبيت سلطانهم، ونشر الإسلام والعربية أينما حلّوا.

وقد استندت الحركة الثقافية في ظلهم الى هاتين الدعامين بصورة رئيسة، بالرغم من أنهم استعاروا عناصر عديدة من الثقافات التي كانت سائدة في هذه المناطق، ولا سيما من اليونانية والسريانية.

أما المنجزات التي تمت في عهدهم فيمكن تلخيصها على النحو التالي:

## في مجال العلوم الدينية

- تعميم النسخة الرسمية للقرآن في جميع الأمصار ..
- تثبيت جزء كبير من الحديث عن طريق الرواية الشفوية أو التحريرية المدعومة بالإسناد .
- ظهور علم الفقه عن طريق جمع الأحكام الفقهية الصادرة في تلك الفترة والتنسيق فيما بينها .
- ظهور علم تفسير القرآن عن طريق جمع ما جاء عن الأوائل وتدوينه .
- تدوين الروايات المتصلة بسيرة الرسول (ص) ومغازيه وسير كبار رجال الإسلام .

## في مجال اللغة والأدب

- اتخاذ العربية لغة للإدارة بالإضافة الى كونها لغة الدين، والعمل على جعلها لغة الثقافة عن طريق إصلاح الكتابة العربية، وتشجيع الدراسات النحوية، وتكليف بعض المستعربين ترجمة الكتب الأجنبية القيمة الى اللغة العربية .
- ازدهار الشعر العربي واتساع موضوعاته .
- ظهور أساليب متميزة في الكتابة النثرية في مجال الرسائل الرسمية والموضوعات الفكرية .
- جمع التراث العربي في مجال اللغة والشعر والخطابة والأيام والأنساب والأمثال والحكم والمعارف، وتدوينه .

## في مجال العلوم القديمة

### والاقتباس من الحضارات الأخرى

حرص الأمويون منذ وصولهم الى الحكم على الإفادة من خبرات أبناء البلاد المفتوحة ومنجزات الحضارات التي سبقتهم، فاستعانوا بأهل البلاد، الأصليين منهم والأجانب، لتعليم أبنائهم والقيام بأعمال الدواوين، وبناء القصور والمساجد، وتطوير أساليب القتال ومعداته، وتزويد مكاتبهم بالكتب الأجنبية القيمة، وترجمة بعض هذه الكتب الى اللغة العربية.

صحيح أن الاقتباس من الحضارات الأخرى لم يبلغ درجة كبيرة في هذه الفترة، إلا أن ما يهم ليس حجم الاقتباس بل الروح التي وجهته. ويعد الأمويون في هذا المجال رواداً، أعطوا المثل الذي احتذته الأجيال اللاحقة.

وإذا كان الخليفة العباسي، المأمون، قد احتفظ في مكتبته الخاصة بكتاب «سيرة الخلفاء»<sup>(١)</sup>، فمرد ذلك أنه كان يرى في أعمال من سبقه من هؤلاء ما يفيد في أداء عمله.

إن المنجزات التي تمت في عهد الأمويين وضعت أساساً متيناً لازدهار الثقافة العربية - الإسلامية الذي تجلّى في الفترة العباسية الأولى.

واجه الخلفاء العباسيون الأوائل الثورات التي عمّت الشام والجزيرة

---

(١) ابن عساکر: ج ١٠، ق ٤٨٥ (٢)، ترجمة: عبد الملك بن مروان، الخليفة.

خلال حكمهم بالتعقل والحكمة. ودليلنا على ذلك زيارتهم العديدة لهذه المنطقة، واختيارهم أفضل الرجال لتولي الأمور فيها.

وإذا ظهر لنا من الأخبار والاحصائيات ان هذه المنطقة أصيبت بالركود الثقافي في أيامهم، فإن ذلك يرجع للظروف السياسية والاقتصادية التي أحاطت بها آنئذ.

لقد كان الأفراد الذين يمارسون الفعاليات التربوية في وضع صعب. ذلك أنهم لم يكونوا يحصلون على دخل ثابت يكفل لهم الاستقرار المادي، ولذلك كانوا يضطرون للاعتد جزئياً أو كلياً على هيئات الحكام وعظماهم. وكان الخلفاء الأمويون وولاتهم لا ييخلون عليهم بذلك.

وعندما انتقل مركز الخلافة من الشام الى العراق، لم تعد الشام قادرة على تزويد علمائها بما يحتاجونه من الدعم المادي والمعنوي للانصراف للدراسة والتعليم.

كان أثر هذا الوضع على المشتغلين بالعلوم الدينية أقل منه بالطبع على المشتغلين بالعلوم الأخرى. لأن البعض كانوا يعينون لبعض الوظائف المحلية في مجالات الإدارة والقضاء وأداء الشعائر الدينية. أما الأدباء والكتاب والمهتمون بالعلوم القديمة فلم يستطيعوا متابعة اهتمامهم في بلدهم، وعندما ساحت لهم الفرصة هاجروا إلى عاصمة الخلافة الجديدة، وعملوا في كنف الحكام الجدد، وأعطوا الثقافة العربية - الإسلامية عطاءً سخياً.

هناك تطور آخر في هذا العهد تمتد جذوره الى العهد الأموي. لقد دسَّ الأمويون ازدواجية في التربية، يحصل الخاصة بموجبها على ثقافة

واسعة تضم الفروسية والأدب وأساليب الإدارة والسلوك، وشيئاً من العلوم والفنون بالإضافة إلى علوم الدين. أما العامة فكانوا يقتصرون على تعلم الدين واللغة.

وعندما ارتقى العباسيون الحكم، سحقوا الأمويين شر سحقاً، وجذبوا إليهم بعض رجال الأدب والعلم الذين كانوا يعيشون من عطاياهم وأهملوا الباقين، فزالت الازدواجية في تربية أهل الشام. وهكذا تراجعت العلوم والآداب. إلا أن ذلك لا يعني أن العلوم الدينية تقدمت في القرن الثالث. فقد أصابها ما أصاب غيرها نتيجة الثورات والتراعات القبلية والمنافسة بين الخلافة العباسية من جهة، والأمراء المحليين الذين استقلوا عنها من جهة أخرى، والأزمات الاقتصادية التي نجمت عن كل هذه الأحداث.

ويتجلى أثر هذه العوامل على الصعيد الثقافي في ظاهرتين رئيسيتين: تناقص زحلات أهل الشام والجزيرة لطلب العلم وجمعه وتصنيفه، وتضخم تيار الزهد والتصوف الداعي إلى الامتناع عن طلب العلم والتعليم.

على أن هاتين الظاهرتين لم تمنعا دخول العلم إلى المدن الصغيرة والقرى، نتيجة تقدم حركتي التعريب والدخول في الإسلام بين أبناء هذه المناطق. ويبدو أن حركة الدخول في الإسلام كانت أوسع من حركة التعريب، لأن الجالية العربية التي دخلت الشام والجزيرة قبل الفتح وبعده كانت أكبر بكثير من الفئات الأخرى التي بقيت في هذه المنطقة أو قدمت للاستقرار فيها بعد الفتح.

وفيا يتعلق بأثر العوامل الداخلية نلاحظ أنه، بعد وفاة الرسول (ص)، أثرت مسائل عدة ذات علاقة بالتربية، أهمها جمع القرآن، وتدوين

الحديث، ومجانية تعليم القرآن ومبادئ الدين. وقد توصل المسلمون فيها تدريجياً الى حلول تركت آثاراً بعيدة في التربية.

إلا أن مسائل أخرى أثرت فيما بعد ولم تجد حلولاً نهائية، وأهم هذه المسائل ما يتعلق بأهداف التربية. ومن المعروف أنه حين تختلف الأهداف تختلف وسائل تحقيقها.

لقد كان معظم علماء الدين، خلال الفترة التي نعالجها، يركزون الاهتمام على الأهداف الدينية، ويرون أن الهدف البعيد للتربية يتمثل في إعداد الإنسان للحياة الآخرة. وإذا كان الأمر كذلك فإن السبيل لبلوغ هذا الهدف يقتصر على معرفة الرسالة التي أرسلها الله لعباده والعمل بموجبها.

أما الزهاد والمتصوفة فكانوا يرون أن الهدف البعيد للتربية هو القرب من الله، وأن الطريق التي توصل الى ذلك تتضمن خطوات عديدة تبدأ بالابتعاد عن الحاجات الدنيوية الزائلة، وتنتهي بالاتصال بالله في سعادة أبدية.

وهناك آخرون حاولوا التوفيق بين الأهداف الدينية وبين أهداف دنيوية أخرى إنسانية أو عملية.

لقد رأى بعضهم في التربية وسيلة للوصول الى الكمال، ورأى بعضهم الآخر فيها وسيلة للحصول على منصب أو مكانة اجتماعية أو أداة لكسب العيش، هذا الى جانب دورها في الإعداد للحياة الآخرة.

وقد أدى اتخاذ الأهداف الإنسانية والعملية إلى إضافة مناهج دراسية تختلف باختلاف الدارسين، فظهرت مناهج تصلح للقضاة، وأخرى لعمال المراح، وثالثة للكتاب، ورابعة للأطباء .. الخ.

هذه المسألة على أهميتها البالغة، وبالرغم من المناقشات والخلافات التي أثارها، لم تؤد إلى انقسام الجماعة انقساماً عنيماً، نظراً لأن الأطراف كانوا يتفقون من حيث المبدأ على ضرورة تدريس العلوم الدينية وعلى مضمونها. ولم ير معظم علماء الدين بأساً في أن يعد الصوفيون هذه العلوم وسيلة للاهتمام إلى الله؛ كما لم يروا ضرراً في إضافة ذوي الاتجاهات العملية بعض العلوم الدنيوية إلى منهاجهم، إذا لم تناقض هذه العلوم المبادئ التي يؤمنون بها.

ولا يعني ذلك أن هذه الفترة لم تشهد انقسامات ذات أثر في التربية. فقد سبق أن ذكرنا أن الفرق ذات المنشأ السياسي كالمخارج والشيعة والمُرَجئة ظهرت خلال القرن الأول الهجري، وأن هذه الفرق عملت على شرح مواقفها وكسب الأنصار لها. وهذه الأنشطة تدخل في مجال التربية بالمعنى الذي أوضحناه في بداية الدراسة.

إلا أن مرجعنا تعمّد كما رأينا عدم الدخول في متاهات هذه الانقسامات، لأن الأحداث السياسية التي أوجدتها قد مضت، والمسائل التي طرحتها أمام أبناء القرن الأول الهجري أصبحت غير مطروحة أمام أبناء القرن السادس. فالمسألة الرئيسة التي كان جيل ابن عساكر يواجهها في ميدان السياسة، هي صد هجمات الفرنجة وإخراجهم من بلاد الشام بعد أن احتلوا قسماً من الساحل وبيت المقدس وهددوا دمشق عاصمة الإقليم. ولم يكن هناك من سبيل للخلاص إلا وحدة أهل الشام، والأمة الإسلامية كلها إن أمكن.

أما المسائل ذات المنشأ الفكري فلم يُغفلها المؤلف لأنها من مقومات حياة الأفراد اليومية في كل زمان ومكان، كمسألة الحرية والقدر، والنقل

والعقل أو الحدس في الوصول الى المعرفة، والقدم والحدائث في الكتاب الذي يستهدون به في حياتهم.

لقد أشار المؤلف الى هذه المسائل ضمن السياق الذي تجلت فيه في القرون الأولى للهجرة، وبيّن مواقف الأطراف والحجج التي استندوا إليها بأسلوب قصصي واضح.

وقد حدونا حدو المؤلف في ذلك، لأنه مرجعنا الرئيسي فيما قدمناه من جهة، ولأننا نبرر موقفه من جهة أخرى بأن التربية يجب ألا تضع أمام الناشئة مشكلات لا تمت الى حياتهم بصلة، بل عليها أن تركز اهتمامها على المشكلات التي تنبت من حياتهم العملية.

إن غايتنا من دراسة تاريخ الثقافة العربية الإسلامية هي « البحث في تراثنا الفكري عما يجوز لعصرنا الحاضر أن يعيده الى الحياة ليكون بين مقومات عيشه ومكونات وجهات نظره، وبهذا يرتبط الحاضر بذلك الجزء من الماضي الذي يصلح للدخول في النسيج الحي لعصرنا الذي يحتويه»<sup>(٢)</sup>، كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود.

لذلك ركزنا اهتمامنا على الجهود الكبيرة التي بذها أسلافنا في بناء الثقافة التي وصلت الينا، وبيّننا الملابس التي رافقت عملهم وتركت أثرها فيه.

---

(٢) زكي نجيب محمود: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص ٢٨.

وقد رأينا أن بعض هذه الظروف كان مؤاتياً. وقد أدى بالتالي الى جوانب إيجابية قيمة جديرة بالاحياء، لأن في إحيائها اغناء لخبرات الأجيال الجديدة وعوناً لها على حل المشكلات التي تعانيها. كما رأينا أن بعض هذه الظروف لم يكن مؤاتياً، وقد أدى بالتالي إلى جوانب سلبية لا يجوز التمسك بها، لأن في التمسك بها إعاقة لجهود هذه الأجيال في مواجهة مشكلات العصر.



## المراجع

المرجع الرئيسي لهذه الدراسة هو مخطوط «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر. الا اننا استعنا بمراجع اضافية عربية واجنبية بغية تحقيق الشخصيات، وسد الثغرات، ومقابلة المعلومات التي يوردها مؤرخ الشام مع ما يورده المؤرخون الآخرون، وتفسير هذه المعلومات. وأهم هذه المراجع:

### باللغة العربية

- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم): عيون الأنباء في طبقات الاطباء، القاهرة- المطبعة الوهبية، ١٨٨٢، جزءان: ٨+٣٢٨+٨، ٨+٢٧٤+١١٠ ص.
- ابن جبير (محمد): الرحلة، القاهرة- دار مصر للطباعة، ١٩٥٥، ٣٦٣ ص.
- ابن الجزري (محمد بن محمد): غاية النهاية في طبقات القراء، القاهرة- مطبعة السعادة، ١٩٣٢، جزءان: ٦٢٢، ٤١٢+٢٢٢ ص.
- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي): تهذيب التهذيب، حيدر أباد، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥ - ١٣٢٧/١٩٠٦ - ١٩٠٩، ١٢ جزءاً.
- ابن سعد (محمد): الطبقات الكبرى، بيروت- دار صادر، ١٩٥٧ - ١٩٦٨، ٩ اجزاء.
- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله): جامع بيان العلم وفضله، مصر- ادارة المطبعة المنيرية، دون تاريخ، جزءان: ٢٠٠، ٢٠٨ ص.

- ابن عبد ربه (أحمد): العقد الفريد، القاهرة - مطبعة الاستقامة، ١٩٥٣، ٨، أجزاء: ٣٠٤، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٠٠، ٣٦٠، ٣٣٢، ٢٨٦، ١٥٧، ١٨٨ ص.
- ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، بيروت - مكتبة خياط، دون تاريخ، ٢٢+٤٣+٣٦١+٢٧٨+٨ ص.
- أبو تمام (حبيب بن أوس): ديوان، بيروت - دار الفكر للجميع، دون تاريخ.
- أبو زيد القرشي (محمد بن أبي الخطاب): جمهرة أشعار العرب، بيروت - دار صادر، ١٩٦٣، ٣٦٤ ص.
- اسماعيل (عز الدين): المكونات الأولى للثقافة العربية، بغداد - وزارة الاعلام، ١٩٧٢، ٢٤٤ ص.
- الأصبهاني (أحمد بن عبد الله، أبو نعم): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة - مكتبة الخانجي، ١٩٣٢-١٩٣٨، ١٠ أجزاء.
- الألوسي (محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، القاهرة - دار الكتاب العربي، ١٣٤٢/١٩٢٤، ٣ أجزاء: ٤٢٢، ٣٩٥، ٤٦٨ ص.
- أمين (أحمد): فجر الإسلام، الطبعة السابعة، القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩، ٣٣٤ ص.
- الأهواني (أحمد فؤاد): التربية في الاسلام، القاهرة - دار المعارف، ١٩٦٨، ٣٨٠ ص.
- بروكلان (كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية (مترجم)، الطبعة الثانية، بيروت - دار العلم للملايين، ١٩٥٣-١٩٥٦، ٥ أجزاء: ٢٢٤، ٣٢٠، ١٩٠، ٣٠٨، ١٨٨ ص.
- البستاني (بطرس): أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، الطبعة السابعة، بيروت - دار صادر، ١٩٥٧، ٤٢٤ ص.

- البلاذري (أحمد بن يحيى): أنساب الأشراف، القدس، ١٩٣٦ - ١٩٤٠،  
القسم الثاني من الجزء الرابع والجزء الخامس.
- البلاذري (أحمد بن يحيى): فتوح البلدان، بيروت - دار النشر للجامعيين،  
١٩٥٨، ٧٦٨ ص.
- (دي) بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة عبد الهادي أبو ريبة، القاهرة،  
لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨، ٢٩٠ ص.
- جاد المولى (محمد أحمد) وآخرون: قصص العرب. الطبعة الثالثة،  
القاهرة - دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٤ - ١٩٥٦، ٤ أجزاء: ٤٥٦،  
٤٦٦، ٤٧٨، ٤٨٨ ص.
- حتي (فيليب): تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (مترجم)، بيروت - دار  
الثقافة، ١٩٥٩، ج ٢، ٤٣٤ ص.
- حسن (حسن إبراهيم): تاريخ الاسلام. الطبعة الرابعة، القاهرة - مكتبة  
النهضة المصرية، ١٩٥٨، ٣ أجزاء: ٥٨١، ٤٢٥، ٤٩٩ ص.
- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي): تاريخ بغداد، القاهرة - مطبعة السعادة،  
١٩٣١، ١٤ جزءاً.
- الخطيب (محمد عجاج): السنة قبل التدوين. القاهرة - مكتبة وهبه، ١٩٦٣،  
٦٥٦ ص.
- الديوه جي (سميد): بيت الحكمة، الطبعة الثانية، جامعة الموصل، ١٩٧٢،  
٨٨ ص.
- الذهبي (محمد بن أحمد): طبقات القراء، استانبول - مطبعة الماعى،  
١٩١٣/١٣٣١، ص ص ٦٢٦ - ٩٩٢.
- رفاعي (أحمد فريد): عصر المأمون، الطبعة الثانية، القاهرة - مطبعة دار  
الكتب المصرية، ١٩٢٧ - ١٩٢٨، ٣ أجزاء: ٤٧٢، ٤٣٩، ٣١٤ ص.

- الزركلي (خير الدين): الأعلام. الطبعة الثانية، القاهرة - مطبعة كوستا توماس، ١٩٥٤ - ١٩٥٩، ١٠ أجزاء .
- زيدان (جرجي): تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة - دار الهلال، ١٩٥٨، ٥ أجزاء: ٢٦٢، ١٩٠، ٢٨٠، ٢٥٤، ١٩٢ ص.
- زيدان (جرجي): تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة - دار الهلال، ١٩٥٧، ٤ أجزاء: ٣٦٢، ٤٠٦، ٣٦٨، ٢٨٨ ص.
- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن): الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دمشق - مطبعة الترقى، ١٩٣١/١٣٤٩، ١٧٦ ص.
- سزكين (فؤاد): تاريخ التراث العربي (مترجم)، ج ١، القاهرة - الهيئة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧١، ١٢ + ٥٦٨ ص.
- السلمي (أبو عبد الرحمن محمد): طبقات الصوفية، ليدن ج. بريل، ١٩٦٠، ١٠ + ٩٤ + ٥٩٠ ص.
- شفتق (محمود عبد الرزاق): تاريخ التربية، القاهرة - دار النهضة العربية، ١٩٦٨، ٤٠٠ ص.
- شلي (أحمد): تاريخ التربية الاسلامية. بيروت - دار الكشاف، ١٩٥٤، ٤٤٨ ص.
- صفوت (أحمد زكي): جبهة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة. القاهرة - مكتبة الباني، ١٩٣٧، ٤ أجزاء: ٤٠ + ٦٠٨، ٣٦ + ٥٩١، ٢٤ + ٥٦٠، ٢٠ + ٤٩٦ ص.
- الطبري (محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك، القاهرة - دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٢، ١٠ أجزاء .
- طلس (محمد أسعد): التربية والتعليم في الإسلام، بيروت - دار العلم للملايين، ١٩٥٧، ٢٢٤ ص.

- العث (يوسف): فهرس مخطوطات الظاهرية. تاريخ، دمشق، ١٩٤٧.
- علي (جواد)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت- دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧١، ج ٨، ٧٩٨ ص.
- علي (خطاب عطية): التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول من ٩٦٨/٣٥٨-١٠٧٢/٤٦٥، القاهرة- دار الفكر العربي، ١٩٤٧، ٢٣٨ ص.
- الفرزدق (همام بن غالب): ديوان، بيروت- دار صادر، ١٩٦٠.
- قلهاوزن (يوليوس): تاريخ الدولة العربية (مترجم)، القاهرة- لجنة التأليف والترجمة والنشر، ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم، ١٩٥٨، ٥٩٦ ص.
- فيصل (شكري): المجتمعات الاسلامية في القرن الأول، القاهرة- دار الكتاب العربي، ١٩٥٢، ١٤ + ٤٨٦ ص.
- القفطي (علي بن يوسف): تاريخ الحكماء (مختصر الزوزني)، بغداد- مكتبة المشى، دون تاريخ، ١٩٦٦+٢٢ ص.
- كحاله (عمر رضا): معجم قبائل العرب، دمشق- المطبعة الهاشمية، ١٩٤٩، ٣ أجزاء.
- كحاله (عمر رضا): معجم المؤلفين، دمشق- المطبعة العربية، ١٩٥٧-١٩٦١، ٧ أجزاء.
- كرد علي (محمد): خطط الشام، دمشق- المطبعة الحديثة، ١٩٣٥، ٦ أجزاء: ٣٠٩، ٣١٧، ٣٧١، ٣١٠، ٣٠٨، ٤٢٨ ص.
- كرد علي (محمد): غوطة دمشق، الطبعة الثانية، دمشق- مطبعة الترقى، ١٩٥٢، ٣٥٨ ص.

- المسمودي (علي بن الحسين): مروج الذهب، القاهرة، ١٩٣١/١٣٤٩،  
— جزءان.
- المنجد (صلاح الدين): مسجد دمشق، دمشق، ١٩٤٨، ٣٦ ص.
- النيمي (عبد القادر): الدارس في تاريخ المدارس، دمشق - مطبعة الترقى،  
١٩٤٨، جزءان.
- هونكه (زيفريد): شمس العرب تطع على الغرب، (مترجم)،  
بيروت - المكتب التجاري، ١٩٦٤، ٥٦٣ ص.
- هيكل (محمد حسين): الفاروق عمر، القاهرة - مطبعة مصر، ١٩٤٥، جزءان:  
٣٢٢، ٣٦٦ ص.
- ياقوت الرومي: معجم البلدان، بيروت - دار صادر، ١٩٥٥ - ١٩٥٧، ٥  
أجزاء.
- + اليعقوبي (أحمد): تاريخ، بيروت - دار صادر، ١٩٦٠، جزءان: ٣٦٥، ٥١٦  
ص.

## باللغات الأجنبية

Bosworth (C. E.): **The Islamic Dynasties**, in *Islamic Surveys*, Edinburgh University Press, 1967, XVIII+ 245p.

Brockelmann (C.): **Geschichte der Arabischen Litteratur**, Leiden-Brill, 1937-1949, 2 tomes et suppléments.

Cahen (Claude): **L'Islam des origines au début de l'Empire Ottoman**, Paris-Bordas, 1970, 280p.

Cantineau (J.): **Les Parlers Arabes du Horan**, Paris-Klincksieck, 1946, X+ 434p.

C. N. R. S.: **Documents sur la Mise en Ordinateur des Données Biographiques**, Paris, 1971, 28 p.

C. N. R. S.: **Nouveaux Documents sur la Mise en Ordinateur des Données Biographiques**, Paris, 1973, XIII+ 89p

Dussaud (René): **Les Arabes en Syrie avant l'Islam**, Paris-Ernest Leroux, 1907, 178 p.

Eche (Youssel): **Les Bibliothèques Arabes Publiques et Semi-Publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen-Age**, Damas-Institut Français, 1967, XXXVI+ 447 p.

Elisséeff (Nikita): **La Description de Damas d'Ibn Asakir**, Damas-Institut Français, 1959, LXVIII+ 380 p. + Planches.

Elisséeff (Nikita): **Nur ad-Din**, Damas-Institut Français, 1967, 3 tomes: LXXVII+ XVII+ XI+ 1076 p. + Planches.

Elisséeff (Nikita): **L'Orient Musulman au Moyen-Age**, Paris-Armand Colin: Collection U, 1977, 224 p.

Encyclopédia Britannica, T. 8, PP. 945-959, article: *Historiography and Historical Methodology*.

Encyclopédie Française. T. VIII, 8. 12. 3, art: **Psychologie et Histoire**.  
par Lucien Fèvre.

Encyclopédie de l'Islam: Les articles consultés sont cités dans les notes.

Encyclopédie de L'Islam<sup>(2)</sup>: les articles consultés sont cités dans les notes.

Ibn al-Faqih al-Hamadhani: **Abrégé du Livre des Pays**, traduit en français par Henri Massé, Damas-Institut Français, 1973, VII+ 440 p.

Farés (Bishr): **L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam**, Paris-Librairie d'Amérique et d'Orient, 1932.

Gabrieli (édit.): **L'Antica Societa Beduina**, Roma-Centro di Studi Semetica: Voir l'article «**La Société Bédouine Ancienne**» par Henninger, pp. 69-93.

Hamidullah (M.): «**Educational System in the Time of the Prophet**», Islamic culture, vol. XIII, No 1, 1939, pp. 48-59.

Khuda Bukhsh: «**The Educational System of the Muslims in the Middle Ages**», Islamic Culture , Vol. 1, 1927, PP. 442-472.

Lammens (H.): **Etudes sur le Règne du Calife Omayyade Mo'awiya Ier**, Leipzig, 1908. XXXII+ 448 p.

Lammens (H.): **Etudes sur le Siècle des Omayyades**, Beyrouth, 1930, 424 p.

Lammens (H.): **La Syrie**, Précis Historique. 1er volume, Beyrouth-Imprimerie Catholique, 1921. IX+ 277 p.

Laoust (H.): **Les Schismes dans l'Islam**, Paris-Payot 1965, XII+ 468 p.

Lewis (B.) & Holt (P. M.) édit: **Historians of the Middle-East**, Oxford University Press, 1962, XI+ 519 p.

Lichtenstadter (Ise): «**Arabic and Islamic Historiography**», Muslim World, 35, 1945. pp. 126-132.

**Marrou (Henri Irénée): Histoire de l'Éducation dans l'Antiquité,** Paris-Éditions du Seuil, 1948, 496 p.

**Marrou (H. I.): «Histoire, vérité et valeurs»,** Cahiers d'Histoire, Numéro spécial: Éducation et culture, T. XXI, 1976, 1-2, pp. 13-24.

**Al-Muqaddasi: Ahsan at-Taqasim fi Ma'rifat al-Aqalim,** (traduction française d'André Miquel, Damas, 1963, XIV + LV + 430 p., Planches.

**Munir ad-Din (Ahmad): Muslim Education and the Scholar's Social Status,** Zurich-Verlag-Der Islam, 1968, VII + 290 p.

**Nakosteen (Mehdi): History of Islamic Origins of Western Education, 800-1350,** University of Colorado Press, 1964, XXII + 360 p.

**Rosenthal (Fr.): A History of Muslim Historiography,** Leiden-E. J. Brill, 1952, XII + 558 p.

**Samaran (Charles) édit.: L'Histoire et ses Méthodes,** Paris, Gallimard, 1961, XVIII + 1773 p.

**Sarton (G.): Introduction to the History of Science,** Washington-Carnegie Institution, 1927, 839 p.

**Sauvaget (J.): Introduction to the History of the Muslim East,** a bibliographical guide based on the second edition as recast by Claude Cahen, University of California Press, 1965, XXI + 252 p.

**Shaban (M. A.): Islamic History,** Cambridge University Press, 1971, 2 tomes: VIII + 197, 221 p.

**Sourdel-Thomine (J.): «Les Origines de l'Écriture Arabe»,** Revue des Études Islamiques, 1966, pp. 151-157.

**Sourdel (D. & J.): La civilisation de l'Islam classique,** Paris-Arthaud, 1968, 672 p., planches.

**Tibawi (A. I.): «Philosophy of Muslim Education»,** Islamic Quarterly, vol. IV, No 2, 1957, pp. 78-89.

Tibawi (A. L.): «**Muslim Education in the Golden Age of the Caliphate**», *Islamic Culture*, vol. 28, No 3, 1954, pp. 418-438.

Tritton (A. S.): «**Muslim Education in the Middle Ages**», *Muslim World*, vol. 43, 1955, No 2, pp. 82-94.

Tritton (A. S.): **Materials on Muslim Education in the Middle Ages**, London-Luzac & Cie Ltd, 1957, XII + 209 P.

Urovoy (D.): **Approche Sociologique de l'Islam Andalou (V/X-VII/XIII siècles)**, Thèse de doctorat non imprimée, 1974, 180 p. appendice.

## فهرست الأعلام

أ

- أبان بن عثمان بن عفان: ٣٣، ٣٧٨ .  
 - إبراهيم بن أدهم: ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤،  
 ٣٢٦، ٣٦٤، ٣٦٥ .  
 - إبراهيم الإمام = إبراهيم بن محمد بن علي  
 - إبراهيم بن أيوب الشامي الحوراني  
 الزاهد: ١٠١ .  
 - إبراهيم بن أبي حرّة الحرّاني: ١٤٥  
 - إبراهيم بن سعيد، أبو اسحاق البغدادي:  
 ٢٩٥ .  
 - إبراهيم بن سيار، أبو اسحاق النّظام:  
 ٢٠٠ .  
 - إبراهيم بن شمر (أبي عبلة): ١٢٤، ٣١٢ .  
 - إبراهيم بن عبد الرحمن، أبو اسحاق  
 الزهري: ٦٨ .  
 - إبراهيم بن أبي عبلة = إبراهيم بن شمر .  
 - إبراهيم بن العلاء الضحاك، المعروف  
 بزبريق الحمصي: ٢٥٣ .  
 - إبراهيم بن محمد، أبو اسحاق الفزاري:  
 ٣٣، ٣٣٨، ٣٤٦ .  
 - إبراهيم بن محمد الفارسي، الإصطخري:  
 ٤٠٢ .  
 - إبراهيم بن محمد بن علي الملقب بالإمام:  
 ١٦٣ .  
 - إبراهيم بن هشام بن اسماعيل الخزومي:  
 ٤٦٥ .
- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الأموي:  
 ٨٩ .  
 - إبراهيم بن يحيى بن المبارك، أبو اسحاق  
 اليزيدي: ١٩٥ .  
 - إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: ٢٩٥،  
 ٢٩٦ .  
 - أبي بن كعب الأنصاري: ٨٥، ٤٤٢ .  
 - ابن أثال: ٩٤ .  
 - ابن الأثير = علي بن محمد بن عبد الكريم  
 - ابن الأثير = المبارك بن محمد بن محمد .  
 - أحمد بن اسحاق اليعقوبي: ١٧٦، ١٧٧،  
 ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ٢١٥،  
 ٤٠٢، ٥١٦ .  
 - أحمد أمين: ٩٢، ٩٤، ١٠٢، ١٠٤ .  
 ١٥٥، ١٥٦، ٢٤٠، ٢٤٦، ٣١١، ٥١٢ .  
 - أحمد بن جعفر، المعتمد على الله العباسي:  
 ١٥٨، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٩، ٣٠٤ .  
 - أحمد جودة يعقوب آغا: ٩ .  
 - أحمد بن الحسن، أبو محمد الحرّاني: ٦٨ .  
 - أحمد بن حنبل = أحمد بن محمد بن حنبل .  
 - أحمد بن أبي الحواري = أحمد بن عبد الله .  
 - أحمد بن خالد الدمشقي: ٣٤٥ .  
 - أحمد بن أبي دؤاد: ٢٠٠، ٢١٤ .  
 - أحمد زكي صفوت: ١٠١، ١٣٥، ١٣٨،  
 ١٤٠، ١٤٢، ٢٥٦، ٥١٤ .

- أحمد بن سليمان بن حَدْلَم: ٣٠٤ .
- أحمد ثلبي: ٥١٤، ٢٢٥، ٤٢، ٧ .
- أحمد بن طلحة، المعتضد بالله العباسي: ١٥٨، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٤ .
- أحمد بن طولون: ٢٢، ٢٠٢، ٢١٣، ٢١٩، ٣٠٥، ٤٧٠ .
- أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصبهاني: ١٣٤، ٥١٢ .
- أحمد بن عبد الله (أبي الحواري): ١٩٤، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٨٠ .
- أحمد عبيد: ٤٥ .
- أحمد بن العلاء بن هلال الرّقي: ٢١٩ .
- أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي: ٤٠٢ .
- أحمد بن علي، أبو بكر الخطيب البغدادي: ٣٨، ١٧٩، ٥١٣ .
- أحمد بن علي، تقي الدين المقرئ: ١٠٢، ١٢١، ١٢٢، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٤٦، ٣١١ .
- أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني: ٣٧، ٤٧، ٤٦٦، ١٣٣، ٥١١ .
- أحمد فريد الرفاعي: ١٧٧، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٩ .
- أحمد بن علي، ٢١٦، ٢١٣، ٥١٣ .
- أحمد فؤاد الأهواني: ٧، ١٦٩، ٥١٢ .
- أحمد بن القاسم، ابن أبي أصيبعة: ٣٩، ٩٤، ١٣٩، ٥١١ .
- أحمد بن محمد، المستعين بالله العباسي: ١٥٨، ٢١٢ .
- أحمد بن محمد، ابن عبد ربه: ٢٧، ٢٨، ٣١، ٩٣، ١٠٣، ١٠٨، ١٢٤، ١٢٥ .
- أحمد بن محمد، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٦، ١٤٨، ٢٢٦، ٢٦١ .
- ٤٣٢، ٤٤٢، ٥١٢ .
- أحمد بن محمد، ابن خَلْكَان: ٣٨، ١٠٤ .
- ١٢١، ١٨٤، ٢٤٠ .
- أحمد بن محمد الميداني: ٢٣٦ .
- أحمد بن محمد، المعروف بابن الفقيه الهمداني: ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٥١٨ .
- أحمد بن محمد بن حنبل: ١٨٥، ٣٦٧، ٤٩٤ .
- أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي: ٢٩٧ .
- أحمد بن محمد بن المدبر: ٢١٢ .
- أحمد بن موسى بن شاعر: ٢١٢ .
- أبو أحمد الموفق بالله = طلحة بن جعفر: ٢٦٣، ٢٧٦ .
- أحمد بن نصر بن شاعر: ٢٦٣، ٢٧٦ .
- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٩٥، ١١٠، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٦٧، ٣٩٢، ٤٧٢ .
- ٤٩٤، ٥١٣ .
- أحمد بن يزيد بن أزداد الحلواني الصفاري: ٣٦٨ .
- الإخشيذ = محمد بن طنج .
- الأخطل = غياث بن غوث .
- أبو إدريس الخولاني = عائذ الله بن عبد الله .
- إدريس بن عائذ الله (أبي إدريس الخولاني): ٢٧٩ .
- الإدريسي = محمد بن محمد بن عبد الله .
- أدهم بن محرز: ٨٥، ٢٥٩ .
- أردشير بن بابك، سابور: ٢٤٥، ٢٤٦ .
- أبو الأزهر: ٢٨٤ .
- أسامة بن زيد بن حارثة: ٨٠ .
- أبو اسحق الفزاري = إبراهيم بن محمد .
- ابن اسحاق = محمد بن اسحاق بن يسار .

- إسحق بن إبراهيم المصعب: ٢٠٠، ٢٠١.
  - إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ١٨١، ١٩٥.
  - إسحاق بن حنين بن اسحاق: ٢١٣.
  - إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: ١٧٢.
  - إسحاق بن عيسى بن علي: ١٦٣.
  - إسحاق بن موسى بن عبد الله الأنصاري: ٢١٦.
  - أسعد بن سهل بن حنيف، أبو أمامة الأنصاري: ٨٤.
  - أسعد طلس = محمد أسعد طلس.
  - أسعد باشا العظم: ٤٦.
  - الاسكندر الكبير: ٢٤٤، ٢٤٥.
  - أسماء فهمي: ٧.
  - أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية: ٢٢٥.
  - إسماعيل بن جعفر (الصادق) الهاشمي: ٢٠٣.
  - إسماعيل بن عبد الله بن ساعة: ٢٩٤.
  - إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر: ١١٢، ١١٧، ١٤١، ٢٦٦، ٣٠٦، ٣٣٦، ٣٦٨.
  - إسماعيل باشا العظم: ٤٦.
  - إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس: ١٦٣.
  - إسماعيل بن عياش العنسي: ١٣٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٣٢، ٣٦٢، ٣٦٤، ٤٥٣.
  - إسماعيل بن يحيى بن المبارك المعروف بابن اليزيدي: ٣٦.
  - أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمرو.
  - أبو أسيد الفزاري الزاهد: ٣١٨.
  - أشعث بن جبير: ٢٥٨.
  - الأشعث بن قيس الكندي: ٤٧٢.
  - ابن الأشعث = عبد الرحمن بن محمد.
  - الإصطخري = إبراهيم بن محمد.
  - الأصمعي = عبد الملك بن قريب.
  - ابن أبي أصيبعة = أحمد بن القاسم بن خليفة.
  - الأعشى = ميمون بن قيس بن جندل.
  - أكرم بن صيفي التميمي: ٢٣٦.
  - أبو أمامة الباهلي = صدي بن عجلان.
  - أمية بن عثمان الدمشقي: ٣٤٥.
  - أمية بن عمرو بن سعيد بن ا. بن: ١٣٠.
  - الأمين العباسي = محمد بن هارون.
  - أنس بن مالك الأنصاري: ١٢٥، ٣٧٤، ٤٣١.
  - أهرن بن أعين: ١٣٩.
  - الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو.
  - إياس بن معاوية بن قره المزني: ٨٥، ١٣٠، ١٣٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٥٣.
  - أيوب بن تميم التميمي: ٢٧٤، ٢٧٥.
  - أيوب بن كيسان (أبي تيمة) السخثياني: ٢٩٣، ٣٤٠.
  - أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد بن كليب.
- ب
- البحتري = الوليد بن عبيد.
  - البخاري = محمد بن إسماعيل.
  - برد بن سنان: ٣٥٥.
  - أبو بردة الأشعري = عامر بن عبد الله.
  - بُسر بن عبيد الله الحضرمي: ٣٥٩، ٣٦٠.

- بطام الشكري المعروف بشوذب الخارجي: ١٣٦ .
- بشار بن برد: ٧٧ .
- بشر بن الحارث، المعروف بالحافي: ٤٠١ .
- بشر بن عبد الله بن يسار السلمي: ٣٣١ .
- بشر بن عبد الملك الكندي السكوفي: ٢٣٥ .
- بشر بن غياث المريسي: ٩٣، ٩٩، ١٨٥، ٢٠٠ .
- بشر فارس: ٢٣٧، ٢٣٩، ٥١٨ .
- بشر بن الوليد بن عبد الملك الأموي: ١٢٧ .
- بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري: ٢٣٦ .
- بطرس بن سليمان البستاني: ١٤٨، ٢٣٨، ٥١٢ .
- بطليموس فيلادلفوس: ٢٤٥ .
- بطين: ١٩٢ .
- أبو بقية: ٢١٧ .
- بكار بن قتيبة الثقفي: ٢١٩ .
- بكر بن سهل الديماطي: ٣٤٠ .
- أبو بكر الصديق = عبد الله بن عثمان .
- أبو بكر بن سيد حمدويه = محمد بن أحمد ابن سيد حمدويه .
- أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: ٢٩٩ .
- أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: ١٣٣، ١٣٢ .
- البلاذري = أحمد بن يحيى بن جابر .
- بلال بن رباح الحبشي: ١١٣، ١٦٢ .
- بلال بن سعد بن تميم السكوفي: ٢٧٣، ٣١٢ .
- بلال بن عامر (أبي بردة) بن أبي موسى الأشعري: ١٤٠ .
- ابن بويه = الحسن بن بويه .
- ت
- تبيع بن عامر الحميري: ٣١٠ .
- أبو تمام = حبيب بن أوس .
- تميم بن أوس الداري: ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٨ .
- ث
- ثابت بن ثوبان: ٣٠١، ٣٢٩ .
- ثابت بن قرّة الحرّاني: ٢١٣، ٢١٤ .
- ثوبان بن إبراهيم، ذو النون المصري: ٢١١، ٣٨٠، ٤٠١ .
- ثوبان بن يزيد مولى الرسول (ص): ١٣٠ .
- ثمامة بن أشرس النميري: ٢٠٠ .
- ثور بن يزيد الكلاعي: ٣٥٥، ٣٥٦ .
- ج
- جابر بن عبد الله الأنصاري: ٢٩٢ .
- الجاحظ = عمرو بن بحر .
- جبلة بن الأيهم القسائي: ٥٨ .
- ابن جبير = محمد بن أحمد بن جبير .
- جبير بن نفيير الحضرمي: ٣١٦، ٤٥١ .
- جرجي بن حبيب زيدان: ٥٨، ١٢١، ١٢٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٤، ٢٣٢، ٢٩٨، ٥١٤ .
- جريير بن عطية: ٢٩، ١١٤، ١١٥، ١١٧ .
- ابن الجزري = محمد بن محمد، شمس الدين .
- أبو الجعد السائح: ٤٠١ .
- الجعد بن درهم: ١٤٥، ١٥٦ .

- جعفر بن أحمد، المقتدر بالله العباسي: ١٥٨، ٣١١.
- جعفر بن محمد، المتوكل على الله العباسي: ١٥٨، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨.
- جعفر بن محمد بن علي الملقب بالصادق: ٢٠٣.
- أبو جعفر المنصور = عبد الله بن محمد بن علي.
- جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي: ١٧٨.
- أبو جميل: ٣٤٨.
- جُنادة بن عمرو بن الجنيد المري: ٣١٤.
- جُنْدَب بن جُنادة، أبو ذر الغفاري: ٣١٥، ٣١٦، ٣٣٤.
- الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو المري: ٣١٣.
- جهم بن صفوان السمرقندي: ٣٥٥.
- جواد علي: ٥١٥.
- ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي.
- جيش بن خازويه بن أحمد بن طولون: ٢٠٢.
- أبو الجيوب المؤذن: ٢٦٣، ٢٦٤.
- ح
- أبو حاتم الرازي = محمد بن ادريس بن المنذر.
- الحارث بن جبلة الغساني: ٢٣٨.
- الحارث بن عمير الزبيدي: ٢٥١، ٢٦٠.
- الحارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِي: ٢٤٦.
- الحارث بن معاوية الكندي: ٣٠٩، ٤٨٧.
- الحارث بن يَمَجْد الأشعري: ١٤٠، ٢٧٣، ٣٣٧.
- حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام: ١٩٦، ١٩٧، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٦، ٢٦٧، ٣٣٣، ٥١٢.
- حُبَيْش بن الحسن الدمشقي: ٢١٤.
- الحجاج بن يوسف الثقفي: ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٨.
- ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي.
- أبو حُدَيْرَة، أو أبو حُدَيْر الجذامي: ١٢٢.
- حذيفة بن (اليان) حِجْل العسبي: ٢٢٩.
- حرب بن أمية بن عبد شمس: ١٥٩، ٢٣٥.
- حريز بن عثمان الحمصي: ٢٧٩.
- حسان بن ثابت الأنصاري: ٢٨، ٢٢٦، ٢٣٢.
- حسن إبراهيم حسن: ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٥١٣.
- الحسن بن بويه، ركن الدولة: ٢٢.
- حسن بن شَوَدَب: ٣٢٣.
- الحسن بن عبد الله، ناصر الدولة الحمداني: ٢٠٥.
- الحسن بن علي، نظام الملك: ٤٢.
- الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي: ٣١٠.
- الحسن بن عمران العسقلاني: ٢٧٣، ٣٦٩.
- الحسن بن مَرَّار الضبي الملقب بالصنوبري: ٢٤٤.
- الحسن بن هانئ، أبو نواس: ٧٧.

- حسن بن موسى بن شاكر: ١٩٥ .
- الحسن بن يسار (أبي الحسن) البصري: ٣٥١، ٣٤٩، ٣١٢، ٣٠٠، ١٥٥ .
- الحسين بن أحمد، أبو عبد الله الشيعي: ٢٠٤ .
- الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي: ٢٠٥ .
- الحسين بن زكرويه القرمطي: ٢٠٣ .
- الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي: ٢٥٨ .
- الحسين بن مطير بن مكمل: ١٥٢ .
- الحسين بن منصور الحلاج: ٢١١ .
- حسين مؤنس: ٢٩٧، ٢٩٨ .
- حسين نصار: ٢٣٦ .
- حفص الفرد: ١٨٥ .
- حفصة بنت عمر بن الخطاب: ٢٢٩ .
- الحكم بن ميمون، حكيم الوادي: ١٧٧ .
- الحكم بن نافع، أبو اليان الحمصي: ٢٨٨، ٣٦٢ .
- الحكم بن هشام الكوفي: ٣٤١ .
- الحلاج = الحسين بن منصور .
- أبو حلحلة بن الرواد: ١٩٧ .
- حماد، كاتب الوليد بن مسلم: ٢٩٤ .
- حماد بن زيد بن درهم: ٣٥٥ .
- حماد بن سابور (أبي ليلى) الراوية: ١٤٨، ١٥٣ .
- حمدان قرمط: ٢٠٣ .
- حنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي: ٢٣٦ .
- أبو حنيفة = النعمان بن ثابت .
- حنين بن إسحاق العبادي: ١٩٧، ٢٠٩ .
- ٢١٣، ٢١٤ .
- ابن حوقل = محمد بن حوقل .
- خ
- خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري: ١٨٣ .
- خالد بن زيد، أبو أيوب الأنصاري: ٣١٠، ٨٥ .
- خالد بن صفوان التميمي: ١٤٧ .
- خالد بن عبد الملك المروزي: ١٩٥ .
- خالد بن اللجلاج: ١٥٩ .
- خالد بن معدان الكلاعي: ٢٩٢، ٣٤٩، ٤٤٨، ٤٥١ .
- خالد بن معمر، أبو كلثم الدؤسي: ٣٧٤ .
- خالد بن الوليد الخزومي: ٢٢٤، ٤٦٨ .
- خالد بن يزيد بن معاوية الأموي: ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١٨، ٢٤٠، ٢٤٢ .
- خصيف بن عبد الرحمن الجزري: ١٤٤، ١٤٥ .
- الخطّاب بن سعد الخير الأزدي: ٢٥٢ .
- خطّاب عطية علي: ٥١٥ .
- الخطيب البغدادي = أحمد بن علي، أبو بكر .
- خلف بن تميم، أبو عبد الرحمن التميمي الدارمي: ٣٢٤ .
- ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد .
- ابن خلّكان = أحمد بن محمد .
- أبو خُلَيْدِ الدمشقي القاريء: ٢٧٤ .
- خُلَيْدِ بن سعد، مولى أبي الدرداء: ٢٦٩، ٢٧٠ .

- ربيعة بن يزيد الإيادي: ٣٠٦ .
- رجاء بن حيوة الكندي: ١١٠، ١٢٨، ١٣٠ .
- ١٤٤، ١٨٣، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢٧ .
- ٣٣٥، ٣٤٥، ٤٣٠، ٤٥٢ .
- رسول الله (ص) = محمد بن عبد الله .
- رؤبة بن عبد الله (المجاج): ١٢٧، ١٢٨ .
- ابن الرومي = علي بن العباس بن جريج .
- رياح بن الأسد الغنوي: ٢٧ .
- رياح بن عبيدة الباهلي: ١٣٠ .

### ز

- زبّان بن عمار، أبو عمرو بن العلاء
- التميمي: ١٤٦ .
- الزبيدي = محمد بن الحسن بن عبيد الله .
- الزبير بن العوام الأسدي: ١٥٥ .
- أبو زرعة الرازي = عبيد الله بن عبد
- الكريم .
- أبو زرعة النصري = عبد الرحمن بن
- عمرو .
- زكرويه بن مهرويه القرمطي: ٢٠٣ .
- زكي نجيب محمود: ٥٠٨ .
- زميرة: ٢٤٥ .
- الزهري = محمد بن مسلم ابن شهاب .
- زهير بن جناب الكلبي: ٢٣٨ .
- زهير بن جذيمة المبسي: ٢٧ .
- زهير بن ربيعة (أبي سلمى): ٢٣٨ .
- زياد بن أبيه أو ابن أبي سفيان: ٣٢ ،
- ٩٣، ١٠١، ١٢١، ٢٥١، ٣٦٨ .
- زياد بن سعد: ٣٣٣ .
- زياد بن مخراق: ٣٦٤، ٣٦٥ .
- زياد بن معاوية، النابغة الذبياني: ١١٥ .
- زيد بن أسلم المدوي: ١٣٠ .

- خليل طوطح: ٧ .
- خُارويه بن أحمد بن طولون: ٢٠٢ ،
- ٢١٩ .
- خير الدين الزركلي: ٤٧، ٦٦، ١٤٦ .
- ١٥٦، ٢٠١، ٢٠٨، ٢٤٧، ٢٧١، ٢٧٥ .
- ٣٥٢، ٣٥٥، ٥١٤ .

### د

- الدارمي = عثمان بن سعيد بن خالد .
- الداني = عثمان بن سعيد بن عثمان .
- أبو داود السجستاني = سليمان بن
- الأشعث .
- داود بن علي بن عبد الله بن عباس:
- ١٦٣ .
- دُحَيْمٌ = عبد الرحمن بن إبراهيم:
- أبو الدرداء = عويمر بن زيد بن قيس .
- أم الدرداء = هجيمة بنت حيي .
- دغفل بن حنظلة الشيباني: ٩٥، ٢٦٧ .
- الدمشقي = محمد بن أبي طالب الملقب
- بشيخ الربوة .

### ذ

- أبو ذر الغفاري = جندب بن جنادة .
- ذكري بن العلاء: ٣٢٣ .
- الذهبي = محمد بن أحمد، شمس الدين .
- ذو النون المصري = ثوبان بن إبراهيم .

### ر

- أبو راشد الحبراني: ٣٢، ٣٧٥ .
- أبو الربيع الدمشقي: ٣٥١ .
- الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان:
- ١٦٢، ١٦٣ .
- ربيعة بن ثابت الرقي: ١٧٧، ١٨٢ .

- زيد بن ثابت الأنصاري: ٣٢، ١٠٠، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٩٨، ٤٤٢.
- زيد بن صوجان العبدي: ٢٣١.
- أبو زيد القرشي = محمد بن أبي الخطاب.
- زيد بن الكيس = علاقة بن كريم أو كُرم.
- س
- سابق بن عبد الله الرقي: ٣١٤.
- سابور = أردشير بن بابك.
- ساطع الحصري: ٥.
- سالم أبو الزعيزة: ١٠٠.
- سالم أبو الفيقي: ٣٦٩.
- سالم بن سلمة، أبو سبرة الهذلي: ١٠١، ٣٧٥.
- سالم بن عبد الله، أبو الغلاء: ١٤٦، ٤٦٠.
- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: ١٨٣، ٤٦٥.
- سُبَاع، أبو محمد الموصلي: ٣٢٥.
- سَجَّادَة: ٢١٦.
- السخاوي = محمد بن عبد الرحمن، شمس الدين.
- ابن سُرَّاقَة: ٣٠٢.
- سرج أو سرح اليرموكي: ٢٦٧.
- سرجون بن منصور الرومي: ٩٤، ١١٤.
- السَّرِي بن المغلس السقطي: ٣٨٠.
- سعد بن إبراهيم: ٣٦٤.
- سعد بن تميم، أبو بلال السكوني: ٢٦٩، ٢٧٣.
- سعد بن عبادة الأنصاري: ٢٣٧، ٢٣٨.
- سعد بن مالك (أبي وقاص): ٨٦.
- سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الحُدَري: ١٦١، ١٦٥، ٢٥٣.
- سعد بن مسعود التجيبي: ١٤١.
- سعيد بن بُريد النباجي: ٣٨٠.
- سعيد بن بشير الأزدي: ٢٧٦، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٦٢.
- أبو سعيد الحُدَري = سعد بن مالك بن سنان.
- سعيد الديوه جي: ١٧٣، ٥١٣.
- سعيد بن سالم: ٣٣٨.
- سعيد بن العاص بن سعيد الأموي: ٢٣٠.
- سعيد بن عامر بن حذيم الحجمي: ٣٩٢.
- سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: ١٤٦.
- سعيد بن عبد العزيز التنوخي: ١٠٤، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٧٧، ٤٥٢.
- سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي: ٣٤٨.
- سعيد بن المسيَّب بن حزن الخزومي: ١٠٩، ١٨٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠.
- سعيد بن يزيد الحمصي: ٢٦٦.
- سعيد بن يعقوب، أبو عثمان الدمشقي: ٣١٤.
- السفاح = عبد الله بن محمد، أبو العباس.
- سفيان الثوري = سفيان بن سعيد.
- أبو سفيان = صخر بن حرب بن أمية.
- سفيان بن حسين السلمي: ١٧٣.
- سفيان بن سعيد الثوري: ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٧٠.

- سفيان بن عُيينة: ٤٥٧.
- سفيان بن وهب الخولاني: ١٢٢.
- ابن سلجوق = محمد بن ميكائيل.
- سُلَمان الفارسي: ١١٣، ٢٣١، ٢٤٢، ٣٦٠، ٣٧٥.
- أبو سلمة بن عبد الرحمن = عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف.
- سُلَيم بن عامر: ٢٢٧.
- سليمان بن الأشعث، أبو داود الجتاني: ٢٠٧، ٢٠٨، ٣٦٦، ٤٩٤.
- أبو سليمان الداراني = عبد الرحمن بن أحمد بن عطية.

### ش

- الشافعي = محمد بن ادريس.
- شداد بن أوس الأنصاري: ٢٥٤، ٢٥٥.
- شرقي بن القطامي = الوليد بن حصين.
- شريح بن الحارث الكندي: ١٨٣، ٣٠٠، ٣٠٧.
- شعبة بن الحجاج: ٣٦٤.
- الشعبي = عامر بن شراحيل.
- شعيب بن دينار الحمصي: ١٤٣.
- شعيب بن سهل الرازي، يعرف بشعبويه: ٢١٦.
- شقيق بن إبراهيم البلخي: ٣١٩، ٣٦٥.
- شكري فيصل: ٤٥، ٤٦، ٥٩، ٥١٥.
- شمعون، أبو ربحانة الأزدي: ٣٠٩.
- ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم.
- شهر بن حوشب: ١٥٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٣٣، ٣٦٤، ٣٦٥.
- شَوذب الخارجي = بسطام الشكري.
- شيبان بن أحمد بن طولون: ٢٠٢.
- أبو شيبة القاص: ٣١٣.
- سليمان بن سعد الحثني: ١١٤.
- سليمان بن سُلَيم بن كيسان الكلبي: ١٤٧، ٣٣٦.
- سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي: ٣٧٩.
- سليمان أو سُلَيم بن عبد الله الأنصاري: ١١١.
- سليمان بن عبد الله (أبي جعفر المنصور) العباسي: ١٦٤، ١٩١.
- سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي: ٨٩، ١٠٨، ١١٦، ١٢٨، ١٣٩، ٤١٠.
- سليمان باشا العظم: ٤٦.
- سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: ١٦٣، ١٦٤.
- سليمان العيسى: ٩.
- سليمان بن موسى المعروف بالأشدق: ١٤٥، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٦١.
- سليمان بن موسى بن عبد الله المدني: ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، ٣٣٥.
- سليمان بن يسار، أبو أيوب: ١٨٣.

- الضحاك بن مخلد المعروف بالنبيل:  
٣٤١.

### ط

- طارق بن زياد: ١٢٧.  
- طاهر بن الحسين: ١٩١.  
- طاووس بن كيسان: ٣٤٩.  
- ابن طباطبا = محمد بن علي بن طباطبا  
المعروف بابن الطَّقْطَقِي.  
- الطبري = محمد بن جرير.  
- ابن الطَّقْطَقِي = محمد بن علي بن طباطبا.  
- طلحة بن جعفر بن محمد، أبو أحمد الموق  
بالله العباسي: ٢٠٨، ٢١٩.  
- طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي:  
١٥٥.  
- طلحة بن أبي قنان، أبو قنان: ٩٦،  
٣٩٨.  
- طلحة بن يحيى بن طلحة التيمي: ١٣٢.

### ظ

- ظالم بن عمرو، أبو الأسود الدؤلي: ٩٣،  
١٢١.

### ع

- عائذ الله بن عبد الله، أبو إدريس  
الحولائي: ١٥٩، ١٨٣، ٢٧٠، ٢٧٩،  
٣٠٦، ٣١١، ٣٤٨، ٤٥١.  
- عائشة بنت عبد الله (أبي بكر الصديق):  
١٠١.  
- عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم: ١٢٠.  
- عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري:  
١٣٥، ٣٧٦.  
- عاصم بن محمد بن مجدل الكلبي: ٥٥،  
١٦٩.

- شيخ الربوة = محمد بن أبي طالب  
الدمشقي.

### ص

- صالح بن الأصبه الكلبي: ١٥٤.  
- صالح بن جناح اللخمي: ٣٢٠.  
- صالح بن سفيان: ٣٧١.  
- صالح بن سويد القديري: ١٣٧، ١٤٥،  
٣٤٥، ٣٤٦.  
- صالح بن عبد الرحمن: ١١٤.  
- صالح بن عبد القدوس: ١٧٥، ١٧٦.  
- صالح بن علي بن عبد الله بن عباس:  
١٦٤، ١٧٢.  
- صالح بن كيسان المدني: ١٢٦، ١٣٠.  
- صُبْح، أبو صالح الخراساني: ٣٦٦.  
- صخر بن حرب بن أمية، أبو سفيان:  
٨١، ٨٣، ٢٣٥، ٣٠٨.  
- صدقة بن خالد الدمشقي: ٢٧٤، ٢٨٧.  
- صدقة بن الفضل الخراساني: ٣٧٢.  
- صدقة بن موسى الدقيقي: ٢٢٧.  
- صُدَيّ بن عجلان بن وهب، أبو أمانة  
الباهلي: ٢٥٢، ٢٦٥.  
- صمصمة بن سلام: ٣٠٤.  
- صفوان بن عسال المرادي: ٢٥٣.  
- صفوان بن عمرو، أبو عمرو السككي:  
٤٥٢.  
- صلاح الدين المنجد: ٤٥، ٢٧٢، ٥١٦.  
- الصُنَاجِي = عبد الرحمن بن عسيلة.  
- صُهَيْب بن سنان، يعرف بصهيب  
الرومي: ١١٣.  
- الضحاك بن قيس الفهري: ٢٦١، ٢٦٣.

### ض

- عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي: ٢٧٦ .
- عامر بن شراحيل الشعبي: ٩٢، ١٠٠، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٨٤، ٢٥٢، ٢٥٨، ٣٠٠ .
- عامر بن صعصعة من قيس عيلان: ٢٧ .
- عامر بن الطفيل العامري: ١١٦ .
- عامر بن عبد الله، أبو عبيدة بن الجراح: ٨٣، ٨٤، ٢٢٤، ٢٩٨، ٣٩٥، ٤٠١ .
- عامر بن عبد الله (أبي موسى) الأشعري، أبو بردة: ١٣١ .
- ابن عامر = عبد الله بن عامر .
- عبّاد بن الريّان اللخمي: ١٤٥، ٣٠١، ٣٥٠ .
- عبّادة بن الصامت الأنصاري: ٨٥، ٨٦، ١٨٣، ٢٢٧، ٢٦٨، ٣٣١ .
- عبادة بن نسي الكندي: ٤٣٠، ٣٤٦ .
- العباس بن سعيد الجوهري: ١٩٥ .
- أبو العباس السفاح = عبد الله بن محمد بن علي .
- العباس بن عبد الله (المأمون) العباسي: ١٩٣ .
- العباس بن عثمان الجلي المكتّب: ٢٦٠ .
- العباس بن الوليد بن عبد الملك الأموي: ١٢٧ .
- العباس بن الوليد بن مزّيد القدري البيروني: ٢٨٩ .
- عبد الأعلى بن مسهر، أبو مسهر الفسافي: ١٧٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٤١، ٣٦٢، ٣٤٦ .
- ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله .
- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية: ٩٣ .
- عبد الحميد بن بكار السلمي: ٢٧٥ .
- عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين: ١٧٢، ٢٩٤ .
- عبد الحميد بن عبد العزيز، أبو حازم السكوني: ٣٠٤ .
- عبد الحميد بن مجيب، المعروف بالكاتب: ٢٥٥ .
- ابن عبد ربه = أحمد بن محمد .
- عبد ربه بن سليمان: ٢٦٠ .
- عبد الرحمن، مؤدب ولد عبد الملك بن صالح العباسي: ٢٦٤ .
- عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بـدُحيم: ٣٢٨، ٤٥٣ .
- عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الفنسي، أبو سليمان الداراني: ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٤٦، ٣٦٤، ٣٦٦ .
- عبد الرحمن بن آدم البصري: ٣٤٣ .
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين: ١٨٤ .
- عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: ٣٥٥، ٤٥٢ .
- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومي: ٢٣٠ .
- عبد الرحمن بن حان بن ثابت الأنصاري: ٢٢٧ .
- عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص الأموي: ١٥٠ .
- عبد الرحمن بن سلمان الخولاني: ١٠٤ .
- عبد الرحمن بن شبل الأنصاري: ٩٩ .
- عبد الرحمن بن صخر الدؤسي، أبو هريرة: ٩٩، ١٠٠، ١٢٣، ١٥١، ٢٨٠، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٧٤ .

- عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الحمصي: ٢٩٣.
- عبد الرحمن بن عسيلة، أبو عبد الله الصنابحي: ١١٠، ٢٩١.
- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي: ١٣٥، ١٣٨، ١٤٢.
- عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب: ٢٣٢.
- عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي: ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٨٤، ١٨٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٤٤١، ٤٥٢.
- عبد الرحمن بن عمرو، أبو زرعة النصري: ١٥١، ١٥٣، ٢٩٦، ٣٠٢، ٤٥٤، ٤٥٧.
- عبد الرحمن بن غنم الأشعري: ٨٦٠، ٢٢٧.
- عبد الرحمن بن محمد (أبي حاتم) الرازي: ٣٢١.
- عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي: ٣٤٩.
- عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون: ٤٤٧، ٤٨٠.
- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي: ١٥٧.
- عبد الرحمن بن مفرأ الدوسي: ٣٧٨.
- عبد الرحمن، أبو المهاجر البلهسي: ٣٣٥.
- عبد الرحمن بن نمر اليحصبي: ١٤٣.
- عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود: ١٥١.
- عبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمي: ١٤٥، ٣٥٥.
- عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: ١٧١، ٢٩١، ٣٩٨، ٤٥٢.
- عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية الأموي: ١٠٣.
- عبد الرحيم بن محمد، أبو محمد الداراني: ٣٢٣، ٣٢٤.
- عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن: ٢١٢، ٢٦٦، ٢٦٧.
- عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس: ١٦٣.
- عبد العزيز بن عمير: ٣٢٣.
- عبد العزيز المطرز: ٣٢٦.
- عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي: ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩، ٣٦٨.
- عبد القادر بدران: ٤٥.
- عبد القادر بن محمد النيمي: ٤٢، ٥١٦.
- عبد الكريم بن مالك الجزري: ١٤٥.
- عبد الكريم بن محمد اللخمي: ١٢٥، ٣٧٥.
- عبد الكريم بن محمد السمعاني، أبو سعد: ١٢٧.
- عبد اللطيف طيباوي: ٥١٩، ٥٢٠.
- عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان: ٢٧٥، ٢٧٦.
- عبد الله بن أحمد، أبو القاسم البلخي: ١٣٤.
- عبد الله بن إسماعيل، أبو عمرو البيروقي: ٢٥٢.

- عبد الله بن إياس (أبي زكريا) الأشعري: ٣٧٨.
- عبد الله بن ثعلبة بن صعيرة: ١١٥، ٣٦٧.
- عبد الله بن ثوب، أبو سلم الحولاني: ٩٧.
- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: ١٥٠.
- عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي: ٨٤.
- عبد الله بن حدان بن حدون النظلي، أبو الهيجاء: ٢٠٥.
- عبد الله بن ذكوان، أبو الزناد: ١٣٤، ١٤٤، ٢٠٥.
- عبد الله بن رواحة الأنصاري: ٢٢٦.
- عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي: ١١١، ٢٣٠.
- عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي = عبد الله بن إياس.
- عبد الله أو خالد بن زيد، القاضي الأزرق الدمشقي: ٣١٣.
- عبد الله بن زيد بن عمرو، أبو قلابة الجرمي: ١٣٠، ٢٦١، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠٠، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٦١، ٣٨٤.
- عبد الله بن سعيد بن أحيحة بن العاص: ٢٢٤.
- أبو عبد الله الشيعي = الحسين بن أحمد.
- عبد الله بن صالح بن علي العباسي: ١٦٤.
- عبد الله بن طاهر بن الحسين: ٥٥، ١٩١، ١٩٢، ٢٤٧، ٣٣٣.
- عبد الله بن عامر اليحصبي: ٨٧، ٩٧، ٩٩، ١٢٥، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٦٨.
- عبد الله بن عيسى طنتسي: ١٣٣، ١٤٩، ١٦٧، ١٧٣، ٣٥١، ٣٦٨.
- عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف، أبو سلمة: ١١٣.
- عبد الله بن عبد الرحمن المدائني: ١٣٣.
- عبد الله بن عبد الملك بن مروان الأموي: ١٣٤.
- عبد الله بن عثمان (أبي تحافة)، أبو بكر الصديق: ٢٣، ٢٨، ٥٤، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ١٣٣، ١٦٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٨، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٤٥، ٣٨٩.
- عبد الله بن عطاء المكي: ٣٦٤.
- عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي: ١٦٤، ١٧٠.
- عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي: ٢٩٨، ٣٦١.
- عبد الله بن عمرو بن العاص: ٣٢، ١٠١، ٢٢٢، ٢٦٧، ٢٧٩، ٣٢٧، ٣٧٥.
- عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري: ٨٦.
- عبد الله بن لهيعة: ١٠٢، ٣٦٢.
- عبد الله بن المبارك: ١٨٣، ٣٢٨، ٣٥٥.
- عبد الله بن محمد بن جابر بن سنان البتاني: ٢٢٠.
- عبد الله بن محمد الخطامي أو الخطابي: ٢١٨.
- عبد الله بن محمد (بن الحنفية) بن علي بن أبي طالب أبو هاشم: ١٦٠، ١٦١، ١٦٥.
- عبد الله بن محمد بن علي، أبو العباس الفجاج العباسي: ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٠.

- عبد الله بن محمد بن علي، أبو جعفر المنصور العباسي: ٤٨، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٤، ٣١٤.
- عبد الله بن مسعود الهذلي: ١٤٢، ٢٣٢، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٧٦.
- عبد الله بن المقفع: ٧٧.
- عبد الله بن هارون بن محمد، المأمون العباسي: ٤٨، ٥٥، ١٠٦، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٣٠٤، ٣٣٣، ٣٥٧، ٣٧٨، ٥٠٣.
- عبد المسيح بن ناعمة الحمصي: ٢١٣.
- عبد الملك بن صالح بن علي العباسي: ١٦٤، ٢٦٤.
- عبد الملك بن قُريب، الأصمعي: ١٣٩، ١٨١، ١٨٢.
- عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي: ٥٤، ٨٩، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٦، ١٥١، ١٦٠، ١٩٣، ٢٢٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٩، ٣١١، ٣١٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٦٨، ٤٤١، ٤٥١، ٥٠٣.
- عبد الواحد دمشقي: ٣٧٤.
- عبد الواحد بن قيس السلمى: ٣٣٦.
- عبد الوارث بن الحسن، المعروف بابن الترجمان البيساني: ٣٤٤.
- عبد الوهاب بن بخت: ٢٦٥.
- عَيس بن بغيض بن ريث بن غطفان: ٢٧.
- عُبَيْد بن شرية الجرهمي: ٣٣.
- أبو عبيدة بن الجراح = عامر بن عبد الله.
- أبو عبيدة = معمر بن المثنى.
- عبيد الله بن أبي زياد: ٢٩١.
- عبيد الله بن زياد بن أبيه أو أبي سفيان: ٩٣، ٢٢٨.
- عبيد الله بن عبد الكريم، أبو زرة الرازي: ٣٢٩، ٣٧٩.
- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: ١٢٣، ١٢٩، ١٨٣، ٢٩٩.
- عبيد الله بن عمر بن الخطاب العدوي: ٢٢٧.
- عبيد الله بن محمد، أبو عبد الله المكتَّب: ٣٦٠.
- عبيد الله بن محمد، المهدي الفاطمي: ٢٠٣، ٢٠٤.
- عبيد الله بن محمد، أبو معاوية الكلابي: ٢٦٣.
- عتبة بن حَمَاد الحكمي: ٣٠٤.
- عتبة بن صخر (أبي سفيان) بن حرب الأموي: ١٠٢، ١٠٣.
- عثمان بن أيمن الدمشقي: ٢٥٣.
- أبو عثمان الدمشقي = سعيد بن يعقوب.
- عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي: ٩٣، ٩٩، ٢٥٤.
- عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني: ٩٣.

- عثمان بن سليمان (أبي العاتكة): ٢٧٤، ٣١٣.
- عثمان بن عبد الرحمن الجزري: ٢٦٠.
- عثمان بن عبد الله بن خرزاد الأنطاكي: ٤٥٤.
- عثمان بن عفان بن أبي العاص: ٧٩، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٠٦، ١٢١، ١٢٢، ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٨، ٢٧٢، ٣٠٨، ٣١٦، ٣٤٥، ٣٦٠.
- عدي بن زيد بن حاد العبادي: ٢٤١.
- عدي بن عدي الكندي: ٣٠٠، ٣٢٧، ٤٣٠.
- عراق بن خالد المري: ٢٧٤.
- عروة بن روم اللخمي: ٣٧٥.
- عروة بن الزبير بن العوام الأسدي: ٣٣، ١٠٩، ١٨٣، ٢٩٩.
- عروة بن مروان العرققي: ٣٣٢، ٣٣٣.
- عزة بنت حُمَيْل: ١١٧.
- عز الدين اسماعيل: ٨٧، ٥١٢.
- عطاء بن أسلم (أبي رباح): ١١٢، ١٤٤، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٦١، ٣٧٠.
- عطاء بن (أبي) مسلم بن مسيرة الخراساني: ١٤٤، ٣٣٧.
- عطف المعلم، الدمشقي: ٢٦١.
- ابن عطية = عبد الحق بن غالب.
- عطية بن قيس الكلبي: ٩٧، ٢٧٠.
- عقبه بن عامر الجهني: ٢٣٢، ٢٥٢، ٢٨٠، ٢٩٢، ٣٦٥.
- عقيل بن خالد الأيلي: ١٢٦، ٢٩٣.
- العلاء بن جرير: ٢٥٦.
- العلاء بن الحارث الدماري: ٣٠١، ٣٠٢، ٣٢٩.
- العلاء بن عاصم النساني: ١٩٢.
- العلاء بن كثير الدمشقي: ٢٦٥.
- علاقة بن كرم (أو كُرم) الكلبي، زيد بن الكيس: ٣٢.
- علوية = علي بن عبد الله.
- علي بن أحمد، المكتفي بالله العباسي: ١٥٨، ٢٠٤، ٢٠٥.
- علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر: له ذكر في معظم الصفحات.
- علي بن الحسين، السعودي: ٥٩، ٩٢، ١٤٦، ٢٣٩، ٢٤٠، ٥١٦.
- علي بن حزة الكاساني: ٢٧٥، ٢٧٦.
- أبو علي الروذباري - محمد بن أحمد.
- علي بن أبي طالب الهاشمي: ٧٩، ٨٨، ٩٠، ٩١، ١٠٢، ١٢٠، ١٣٦، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٥٤، ٢٥٨، ٣١٠، ٣١٣، ٣٤٥، ٣٦٠، ٤٦٨.
- علي بن العباس بن جريج الرومي: ٧٧.
- علي بن عبد الله بن حمدان، سيف الدولة الحمداني: ٢٠٥.
- علي بن عبد الله السفياني، أبو العَمَيْطَر: ١٩١.
- علي بن عبد الله المعروف بعلوية: ١٩٦.
- علي بن عبد الله بن عباس: ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ٤٠٤.
- علي بن عيسى الاضطرابي: ١٩٥.
- علي بن محمد بن عبد الكرم الجزري، ابن الأثير: ١٤٦، ١٥٦.
- علي بن المدني: ٣٧٢.
- علي بن موسى الكاظم، الملقب بالرضي: ١٩٠.

- علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم: ٢١٧.
- علي بن يوسف القفطي: ٣٩، ١٣٩، ٢١٤، ٢٤٥، ٥١٥.
- عمارة بن سلمان: ٣٧٦.
- عمر بن الخطاب الصدوي: ٢٣، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٨، ٩٩، ١١١، ١١٧، ١٦٢، ١٨٢، ١٨٣، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٦٨، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٧٦، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٤٢، ٤٨٧.
- عمر بن أبي ربيعة = عمر بن عبد الله.
- عمر رضا كحالة: ٢٢، ٤٧، ٦٦، ٢٧٦، ٥١٥.
- عمر بن سعيد الطائي المنبجي: ٣٢٦.
- عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي: ٤٤، ٨٩، ١٠٤، ١٠٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٥، ٢٧٣، ٢٩٩، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٨، ٣٧٦، ٤٥٢.
- عمر بن عبد الله (أبي ربيعة) الخزومي: ١١٥.
- عمر بن عطاء بن وهب الرعي: ٣٦٤.
- عمر بن المنتثر المرادي: ١١٥.
- عمر بن نعم العنسي: ١٠٣.
- عمر بن هُبيرة الفزاري: ١٥٠.
- عمر بن يزيد النصري: ٣٤٤.
- عمران بن موسى: ٢٢٢، ٢٧٩.
- عمرة بنت عبد الرحمن النجارية: ١٣٢.
- عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ: ١٠١، ١٧٣، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٢.
- عمرو بن حزم الأنصاري: ٢٢٤.
- عمرو بن سبيع الرهاوي: ٢٢٣، ٢٢٤.
- عمرو بن أبي سلمة الدمشقي: ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٧٣.
- عمرو بن شراحيل الغنمي الداراني: ١٤٥، ١٥٣، ٣٥٥.
- عمرو بن العاص السهمي: ٨٦، ١٥٥، ٣٩٢.
- عمرو بن عبد الله بن أبي مسعدة: ٣٣٤، ٣٣٥.
- عمرو بن عبيد، أبو عثمان البصري: ٣٥٥.
- عمرو بن عتبة بن أبي سفيان: ١٠٣.
- عمرو بن عثمان الملقب سيبويه: ٧٧.
- أبو عمرو بن العلاء = زبّان بن عمار.
- عمرو بن قيس بن ثور السكوني: ٤٣٠.
- عمرو بن مسعدة الصولي: ١٩٣، ١٩٥.
- عمرو بن مهاجر بن دينار (أبي مسلم): ٢٦٣.
- عمرو بن ميمون الأزدي: ٣٦٣.
- عمرو بن ميمون بن مهران: ٢٦٣، ٣٦١.
- أبو العَمَيْطَر = علي بن عبد الله بن خالد.
- عوانة بن الحكم الكلبي: ٣٤، ٣٥.
- عَوْف (أو عمرو) بن سعد، المَرْقَش الأكبر: ٢٣٦.
- عَوْف بن مالك الأشجعي: ٣٠٩.

- عويمر بن زيد بن قيس، أبو الدرداء: ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٩٧، ١٨٣، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٥، ٤٨٧.
- عياض بن غنم الفهري: ٣٩٥.
- عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس: ١٦٣.
- عيسى بن محمد بن اسحاق الرملي: ٣٢٥.
- عيسى بن مريم، السيد المسيح: ٢٤١.
- عيسى بن يونس بن عمرو السبعمي الهمداني: ٣٣٩.
- ابن عيينة = سفيان بن عيينة.

## غ

- غالب بن عبد الله بن شموذ الأزدي: ٣٢٨، ٣٧٤.
- غضبان بن القبيثي الشيباني: ١١٥.
- غضيف بن الحارث، أبو أسماء الكوفي: ٣١٢.
- غني بن أعصر واسمه منبه بن سعد بن قيس عيلان: ٢٧.
- غياث بن غوث التغلبي، الأخطل: ١١٤.
- غيلان بن سلمة الثقفي: ٢٣٤.
- غيلان بن مسلم (أبي غيلان) الدمشقي: ١٣٧، ١٣٨، ١٤٥، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦.

## ف

- الفارابي = محمد بن محمد بن طرخان.
- الفتح بن خاقان: ٢١٧، ٢٤٧.
- أبو فديك: ٣٢٨.
- فرات بن مسلم الجزري: ١٣٠.
- الفرزدق = همام بن غالب.
- فضالة بن عبيد الأنصاري: ٩٦، ٩٧، ١٨٣، ٢٦٩، ٣٦٩.
- فضالة بن المبارك: ١٦٥.
- أبو الفضل البهراني: ٢٥٦.
- الفضل بن دلم الواسطي: ٢٣٩.
- الفضل بن قدامة العجلي: ١١٥، ١٢٨، ١٤٦.
- الفضل بن مروان، أبو العباس البرداني: ٢١٥.
- ابن الفقيه الهمداني = أحمد بن محمد بن اسحاق.
- فؤاد سزكين: ٩٣، ١٢١، ٥١٤.
- فيليب حتى: ٥٦، ٥٨، ١٤٦، ١٩٣، ٢٠٥، ٥١٣.

## ق

- أبو القاسم البلخي = عبد الله بن أحمد.
- القاسم بن عثمان العبدي الجوعي: ١٩٤، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦.
- القاسم بن علي، ابن عساكر، ابن المؤلف: ٤٧.
- القاسم بن عيسى، أبو دلف العجلي: ٢١٥، ٢٤٧.
- القاسم بن محمد بن أبي بكر: ١٣٣، ١٨٣.
- قبيصة بن ذؤيب الخزاعي: ١٠٩، ١١٠، ٤٥١.
- القاهرة بالله = محمد بن أحمد بن طلحة.
- قتادة بن دعامة السدوسي: ٣٤٨.
- قسطا بن لوقا البعلبكي: ٢١٣.
- القمقاع بن عمرو التميمي: ٨٢، ٨٣.

- الففطي = علي بن يوسف .  
- أبو قلابة الجرمي = عبد الله بن زيد .  
- الفلقندي = أحمد بن علي .  
- قنان بن متى : ٩٤ .  
- قيس بن ثور بن مازن السكوني : ٣٧٥ .  
- قيس بن مطاطية : ١١٣ .  
- أبو قيس بن مناف بن زهرة بن كلاب :  
٢٣٥ .  
- قيس بن موسى الأعمى : ٣٠٢ .

## م

- ابن ماجه = محمد بن يزيد بن ماجه .  
- ماسرجويه أو ماسرجيس البصري : ١٣٩ .  
- أبو مالك الأشعري : ٢٥٤ .  
- مالك بن أنس : ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٠٣ ،  
٣٠٤ ، ٣٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٤٤٦ .  
- مالك بن دينار : ٣٤٩ .  
- مالك بن طوق بن عتاب التغلبي : ١٩٧ .  
- المأمون = عبد الله بن هارون .  
- المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ،  
ابن الأثير : ٣٥٢ .  
- المبرّد = محمد بن يزيد .  
- المتوكل على الله = جعفر بن محمد .  
- أبو محمد الكلبي : ٣٥١ .  
- محمد بن ابراهيم بن زياد : ٢١٩ .  
- محمد بن ابراهيم (الإمام) العباسي : ١٦٢ ،  
١٦٤ .  
- محمد بن ابراهيم بن مسلم المعروف  
بالطرسوسي : ٤٥٣ .  
- محمد بن أحمد بن طلحة ، القاهرة بالله  
العباسي : ١٥٨ .  
- محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي : ٥١٩ .  
- محمد أحمد جاد المولى : ١٥١ ، ١٧٣ ،  
٥١٣ .  
- محمد بن أحمد بن جبير الكناني : ٢٦٠ ،  
٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٥١١ .  
- محمد أحمد دهان : ٤٥ ، ٢٧٢ .  
- محمد بن أحمد بن سيد حمدويه ، أبو بكر :  
٣٢٥ ، ٣٨٠ .

## ك

- كُثير بن عبد الرحمن ، الشهرير بكثير عزة :  
١٣٨ ، ١١٤ .  
- كُثير بن قيس الحمصي : ٣٦٤ .  
- كُثير بن مرة الحضرمي : ١٢٢ ، ١٢٣ ،  
٤٤٨ ، ٤٥١ .  
- كُثير بن هراسة الكلبي : ١١٥ .  
- كُثير بن هشام الكلبي الرقي : ٣٣٢ .  
- كريمة بنت المحساس المزنية : ٣٧٤ .  
- الكسائي = علي بن حمزة .  
- كسرى أنو شروان : ٢٤١ .  
- كعب بن مانع الحميري : ٣٠٩ ، ٣١٠ .  
- كعب بن مالك الأنصاري : ٢٢٦ ، ٢٩٨ .  
- الكميث بن زيد بن خنيس الأسدي :  
١٤٩ .  
- كُمَيْل بن زياد بن هيبك النخعي : ٢٢٨ .  
- كُنَيْز بن عبد الله الخادم : ٣٠٥ .

## ل

- لاحق بن حميد ، أبو مِجَلَز السدوسي :  
١٣٠ .  
- لبيد بن ربيعة العامري : ٢٣٦ .  
- ابن لهيعة = عبد الله بن لهيعة .

- محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين الذهبي: ٢٢، ٣٠، ٣٧، ١٥٤، ٥١٣.
- محمد بن أحمد، أبو علي الروذباري: ٣٣٧.
- محمد بن ادريس بن العباس الشافعي: ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٦، ٣٠٥، ٣٧٧.
- محمد بن ادريس بن المنذر، أبو حاتم الرازي: ٣٨٠.
- محمد بن اسحاق بن يسار: ٢٨، ٣٤، ٣٥، ٣٧٨، ٣٩٢.
- محمد بن اسحاق، ابن النديم: ٣٢، ٣٣، ٩٤، ١٠٤، ١٢٧، ١٤٦، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٧٢، ٥١٢.
- محمد أسعد طلس: ٧، ١٧٣، ٥١٤.
- محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري: ٢٢٥، ٢٢٩، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٩٤.
- محمد بن اسماعيل الهاشمي، المكتوم: ٢٠٣.
- محمد بن جرير الطبري: ٨٢، ١٢٨، ١٦٠، ٣٠٨، ٥١٤.
- محمد بن جعفر، المنتصر بالله العباسي: ١٥٨، ٢١٢، ١٥٨.
- محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي: ٩٣، ٩٣.
- محمد بن الحسن بن فرقد: ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٣٠٥، ٣٧٧.
- محمد بن الحسين بن محمد، أبو عبد الرحمن السلمي: ٥١٤.
- محمد حسين هيكل: ٥١٦.
- محمد بن حَوْقَل: ٦٠، ٤٠٢.
- محمد بن خُرَيْم، أبو قنطم المُرِّي: ١٩١.
- محمد بن أبي الخطاب، أبو زيد القرشي: ٢٣٢، ٥١٢.
- محمد بن راشد: ٣٥٥.
- محمد بن سعد بن منيع الزهري: ٣٦، ٤١، ٦٦، ٢٢٢، ٣٦٧، ٤٥١، ٤٩٤، ٥١١.
- محمد سعيد رمضان البوطي: ٢٢٩.
- محمد بن سلام الجمحي: ٣٦.
- محمد سليم بركات: ٩.
- محمد بن سيرين: ٢٩٣.
- محمد بن شعيب بن شابور: ٢٧٥، ٢٨٩، ٣٠٧، ٤٥٣.
- محمد بن أبي طالب الدمشقي الملقب بشيخ لربوة: ٥٥، ٢٤٣.
- محمد بن طفح الملقب بالأخشيذ: ٢٢، ٢٠٥، ٢٠٦.
- محمد بن عائذ القرشي: ٢٩٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٥٧.
- محمد بن العباس، المعروف بابن البردعي الاطرابلسي: ٢٨٤.
- محمد بن العباس المُرِّي: ٣٧٣.
- محمد عبد الحلي محمد شعبان: ٥٤، ١٥٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٣، ١٩٨، ٥١٩.
- محمد بن عبد الرحمن، شمس الدين السخاوي: ٢٢، ٥١٤.
- محمد بن عبد الرزاق كردعلي: ٤٣، ٥١٥.
- محمد بن عبد الله بن الحارث الدمشقي: ٣٤٥.
- محمد بن عبد الله، رسول الله (ص): ٢٢، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٤١، ٧٩، ٨١.

- محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: ١٦٠ ،  
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ .  
 - محمد بن عكاشة الكرمانى: ٣٤٤ .  
 - محمد بن عمر بن واقد السهمي: ٣٦٧ .  
 - محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص: ١٠٤ .  
 - محمد بن عوف بن سفيان الطائي: ٤٥٣ .  
 - محمد بن فراس، أبو عبد الله العطار:  
 ٢٩٥ .  
 - محمد بن كرام السجزي: ٣٢٥ .  
 - محمد كردعلي = محمد بن عبد الرزاق .  
 - محمد بن كعب بن حيان القرظي: ٨٥ ،  
 ١٣٢ ، ١٤٥ .  
 - محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر الفارابي:  
 ٢٥٧ .  
 - محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي: ٤٠٢ .  
 - محمد بن محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين، ابن  
 الجزري: ٨٧ ، ٥١١ .  
 - محمد بن مسلم، ابن شهاب الزهري: ٣١ ،  
 ٣٣ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ،  
 ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،  
 ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ، ١٨٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،  
 ٢٦٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ،  
 ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٦٤ ،  
 ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ،  
 ٤٥٢ .  
 - محمد بن مسلم، أبو سعيد المؤدب: ١٧٣ .  
 - محمد بن مصعب بن صدقة القرقاني: ٢٩٢ ،  
 ٣٧٣ .  
 - محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور  
 الأنصاري: ٤٧ .
- ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ،  
 ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،  
 ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،  
 ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ،  
 ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،  
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٥١ ،  
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ،  
 ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،  
 ٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،  
 ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ،  
 ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ،  
 ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٤٣١ ،  
 ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ .  
 - محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلي: ١٧٦ .  
 - محمد بن عبد الله بن عمار الموصلى: ٢٩٦ .  
 - محمد بن عبد الله بن محمد، المهدي العباسي:  
 ٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،  
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ٢٦٤ .  
 - محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري: ١٤٣ ،  
 ١٤٤ .  
 - محمد بن عبد الملك الزيات: ٢١٥ .  
 - محمد عجاج الخطيب: ١٢٣ ، ١٢٩ ،  
 ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٧٧ ، ٢٩٥ ،  
 ٥١٣ .  
 - محمد بن علي بن الحسين، أبو جعفر الباقر:  
 ١٣٠ .  
 - محمد بن علي بن أمية المعروف بالطنبوري،  
 ويلقب أبا حشيشة: ١٩٦ .  
 - محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن  
 الطقطقى: ١٨٧ .

- محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي التيمي: ٤٦٦ .
- محمد بن موسى بن شاكر: ١٩٥، ٢١٢، ٢١٨ .
- محمد بن ميكائيل بن سلجوق، الملقب ركن الدين طغرل بك: ٢٢ .
- محمد بن هارون، الأمين العباسي: ١٥٨، ١٨٩، ١٩١ .
- محمد بن هارون، المعتصم بالله العباسي: ١٥٨، ١٦٥، ١٨٦، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨ .
- محمد بن هارون، المهتدي بالله العباسي: ١٥٨، ٢١٢ .
- محمد بن الهذيل، أبو الهذيل العلاف: ١٧٥، ٢٠٠ .
- محمد بن هشام بن عبد الملك الأموي: ١٤٥، ١٤٧، ٣٣٦ .
- محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي الحمصي: ٢٩٠ .
- محمد بن يزيد، أبو جعفر الأدمي العابد: ٢٢٢ .
- محمد بن يزيد، المعروف بالمبرد: ٢٢٥، ٣٦٧، ٣٦٨ .
- محمد بن يزيد بن ماجه القزويني: ٣٦٦، ٤٩٤ .
- محمد بن يوسف بن واقد الفاريابي القيسراني: ٣٤٧ .
- محمود بن ابراهيم.. بن سَمِيْع: ٢٩٦، ٤٥٧ .
- محمود شكري الألوسي: ٥١٢ .
- محمود عبد الرزاق شفق: ٢٤٤، ٥١٤ .
- مَخْلَد بن الحسين: ٣٣٨ .
- مدرك بن أبي سعد الفزاري: ٢٧٥ .
- أبو مرحوم المكي: ٣٦٥ .
- المَرْقَس الأكبر = عوف بن سعد .
- مروان بن الحكم الأموي: ٥٤، ٨٩، ١٠٠، ١٠٦، ١١٣، ١٣٩ .
- مروان بن شجاع الجزري، المعروف بالخصيفي: ١٧٦ .
- مروان، أبو عبد الملك القاري: ٢٧٤ .
- مروان بن محمد بن حسان الطاطري: ٢٠٨، ٢٨١، ٤٥٣ .
- مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي: ٥٤، ٨٩، ١٥٦، ٢٥٦، ٢٥٧ .
- مروان بن معاوية، أبو عبد الله الفزاري: ٣٤٠، ٤٥٣ .
- مرياتوس: ١٠٤ .
- المستعين بالله = أحمد بن محمد .
- مسروق بن عبد الرحمن الهمداني الكوفي: ٣٦٣ .
- أبو مسعود بن أبي جيل: ٣٢٣ .
- المسعودي = علي بن الحسين بن علي .
- مسلم بن الحجاج النيسابوري: ٢٥٢، ٣٦٦ .
- مسلم بن قتيبة: ١٥٠، ٤٩٤ .
- مُسَلَّم بن يَشْكَم، أبو عبيد الله: ٢٦٨ .
- مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأموي: ١١٦، ١٣٨، ٣١٣، ٣٧٨ .
- أبو مُسَهْر = عبد الأعلى بن مسهر .
- المِسْوَر بن محزمة الزهري: ٢٣٠ .
- المسيب بن واضح السلمي: ٣٦٢ .
- أبو مشجعة بن ربيعي الجهني: ٣٩٥ .

- مطعم بن المقدم الكلاعي الصنعائي: ٣٦١.
- مطيع بن إياس الكناني الليثي: ١٧٤.
- معاذ بن جبل الأنصاري: ٨٥، ٨٦، ١١٣، ١٨٢، ١٨٣، ٢٢٤، ٢٥١، ٢٩٨.
- ٣٦٠، ٣٦٣، ٤٤٢.
- معاوية بن صخر (أبي سفيان) الأموي: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٥٤، ٥٨، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٨، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣٣٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٦٨.
- معاوية بن يحيى، أبو روح الصدقي: ٢٩٣، ٢٩٤.
- معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي: ٥٤، ٨٩، ١٠٣.
- معبد بن عبد الله الجهني: ١١٩، ١٣٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠.
- المعتز بالله = محمد بن جعفر.
- المعتصم بالله = محمد بن هارون.
- المعتمد على الله = أحمد بن جعفر.
- معمر بن راشد: ٣٣، ١٤٤، ١٥٣، ٣٦٥.
- معمر بن المثنى، أبو عبيدة النحوي: ٣٦، ١٤٩.
- المغيرة بن زياد، أبو هاشم البجلي: ٣٣٢.
- المغيرة بن شعبة الثقفي: ٩٨.
- المغيرة بن شهاب المخزومي: ٨٧، ٢٧٢.
- المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي: ٣٧٨.
- المفضل بن محمد الضبي: ١٧٣، ٢٣٣.
- مقاتل بن سليمان البلخي: ٣٧٧، ٣٧٨.
- المقدر بالله = جعفر بن أحمد.
- المقداد بن عمرو (الأسود) الكندي: ٨٢، ٣٧٥، ٣٧٦.
- المقدسي = محمد بن أحمد بن أبي بكر.
- المقرئ = أحمد بن علي.
- ابن المقفع = عبد الله بن المقفع.
- المكتفي بالله = علي بن أحمد.
- مكحول بن كسرى أو أبي مسلم، الدمشقي: ١٣٤، ١٤٤، ١٤٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٤، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٠، ٤٥٢.
- مطور، أبو سلام الحبشي: ١٣١.
- المنذر (الثالث) بن امرئ القيس بن نهمان اللخمي: ٢٣٨.
- المنتصر بالله = محمد بن جعفر.
- منصور بن الزبرقان النمري: ١٨٢.
- المنصور = عبد الله بن محمد بن علي، أبو جعفر.
- منصور بن محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي: ١٨٨.
- النهال بن عمرو، أبو محمد الأسدي: ٢٥٣.
- منيب بن أيوب الأوزاعي: ٢٨١.
- المهاجر بن دينار (أبي مسلم): ٩٦، ٣٩٨.

- المهتدي بالله = محمد بن هارون .
- المهدي العباسي = محمد بن عبد الله بن محمد .
- المهدي الفاطمي = عبيد الله بن محمد بن جعفر .
- أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس .
- موسى بن شاكر: ١٩٥، ٢٠٩، ٢١٣ .
- موسى بن الصباح (أبي كثير): ١٣٦ .
- موسى بن محمد، الهادي العباسي: ١٥٨، ١٧٦، ١٨٤ .
- موسى بن وردان المصري: ١٣٠ .
- موسى بن يسار الأردني أو الدمشقي: ٢٩٠، ٢٩١ .
- مؤمل بن إهاب الرملي: ٣٣٠ .
- الميداني = أحمد بن محمد بن جعفر .
- ميمون بن قيس بن جندل، الأعشى: ١١٦ .
- ميمون بن مهران الرقي: ١٣٠، ١٨٣، ٢٧٣، ٣٠٠، ٣٠٧ .

## ن

- النابغة الذبياني = زياد بن معاوية .
- ناصر الدولة = الحسن بن عبد الله بن حدان .
- نافع بن مالك الأصبحي المدني: ١٠٨، ١٣٧ .
- نافع، مولى ابن عمر: ١٠٨ .
- نجيب بن عبد الرحمن السندي، أبو مشر: ٣٣ .
- أبو نخيلة بن حزن السعدي: ١٢٧ .
- ابن النديم = محمد بن اسحاق .
- نصر بن سَبَّث العُقيلي: ١٩١ .

- نصر بن عاصم الليثي: ١٢١ .
- النَّصْر بن الحارث بن علقمة العبدي القرشي: ٢٤٦ .
- النَّصْر بن سُمَيْل الحميري: ١٤٦، ١٤٧ .
- النَّظَام = ابراهيم بن سيار .
- نظام الملك = الحسن بن علي .
- النعمان بن ثابت، أبو حنيفة: ١٨٢، ١٨٤، ٢٠٤، ٣٧٠ .
- النعمان (الثالث) بن المنذر، أبو قابوس اللخمي: ١١٢، ٢٣٨ .
- أبو نعيم الأصبهاني = أحمد بن عبد الله .
- نعيم بن حاد المروزي: ٣٧٢ .
- غير بن أوس الأشعري: ٣٤٦ .
- أبو نواس = الحسن بن هانئ .
- نوح بن عمرو بن حوى السكسكي: ١٩٧ .
- نَوْف بن فضالة الحميري البكالي: ٣١٠، ٣٢٧، ٣٧٥ .
- نوفل بن الفرات بن مسلم العُقيلي الجزري: ٢٦٧ .

## هـ

- الهادي العباسي = موسى بن محمد .
- أم هارون الخراسانية: ٣٢٣، ٣٢٤ .
- هارون بن ابراهيم الأهوازي: ١١٧ .
- هارون بن خارويه بن أحمد بن طولون: ٢٠٢ .
- هارون بن محمد، الرشيد العباسي: ٤٨، ٥٥، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٧ .
- ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦ .
- ١٨٨، ١٨٩، ٢٦٤، ٣٠٥، ٣٣٨، ٣٧٧ .
- ٣٨٨، ٤١٣ .

- هارون بن محمد، الواثق بالله العباسي: ١٥٨، ١٦٥، ١٧٠، ١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٥.
- أبو هاشم = عبد الله بن محمد بن علي.
- هجيمة بنت حُيَ، أم الدرداء: ٩٢.
- ١١٠، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣١٧، ٣٧٤.
- أبو الهذيل الطلاف = محمد بن الهذيل.
- هرثمة بن أعين: ١٧٧.
- هريرة بن سنان المري: ٢٣٨.
- أم هريرة = عبد الرحمن بن صخر.
- هشام بن إسحاق الخزومي: ١٠٩، ٢٧١.
- هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي: ٨٩، ١٠٧، ١٠٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣.
- ١٥٤، ٢٣٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٤، ٤٣٠، ٤٦٥.
- هشام بن عروة بن الزبير الأسدي: ١٦٥.
- هشام بن عمار بن نصير السلمي: ١٩٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٦٨، ٣٧٣.
- هشام بن الغاز الجرشي: ١٧١.
- هشام بن محمد الكلبي: ٣٤، ٣٥.
- هيفل بن زياد السكسكي: ٣٢٩.
- هلال بن أبي هلال الحمصي: ٢١٣.
- همام بن غالب التميمي الشهير بالفرزدق: ١١٧، ١١٧، ٥١٥، ٢٨.
- الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي البحرني: ٣٦.
- الهيثم بن عمران: ٩٨.
- و
- الواثق بالله العباسي = هارون بن محمد.
- وائلة بن الأسقع الليثي: ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٤.
- واصل الدمشقي: ٢٥٨.
- واصل بن عطاء الغزالي: ٣٦، ١٥٥.
- وركاد أبو البر: ٩٨.
- الوضين بن عطاء الخزازي: ١٧١، ١٧٤.
- وكيع بن الجراح بن مطيع الرؤاسي: ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٧.
- الوليد بن حصين، المعروف بشرقي بن القطامي: ١٧٣.
- الوليد بن سليمان بن أبي السائب: ٤٥٣.
- الوليد بن عبد الرحمن الجرشي: ٢٧١.
- الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي: ٨٩، ١٠٨، ١١٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٨، ١٥٥، ١٦٠، ٢٤٣، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٩٣، ٣٧٤، ٤٣١.
- الوليد بن عبيد البحرني: ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٠، ٢١٩.
- الوليد بن عتبة الأشجعي: ٢٧٥، ٢٩٥.
- الوليد بن علي الكلبي: ١٥٤.
- الوليد بن مزيد العنزي البيروني: ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٤.
- الوليد بن مسلم الدمشقي: ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٢٩، ٣٤٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٢، ٤٤١، ٤٥٣.
- الوليد بن هشام بن معاوية المعيطي: ١٤٥.
- الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي: ٨٩، ١٠٨، ١٤٣، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ٣٥٤، ٣٥٦، ٤٦٦.

- يزيد بن عبد الصمد = يزيد بن محمد .
- يزيد بن عبد المدان المذحجي: ٢٢٤ .
- يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي: ٣٣٥، ١٥١، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٢، ٨٩ .
- يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي: ٣٢٩، ٣٧٩ .
- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي: ٣٢، ٥٤، ٨٩، ٩٥، ١٥١، ١٥٩، ٢٣٩، ٣٤٣، ٣٧٥، ٣٨٨، ٤١٣ .
- يزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي: ٨٩، ١٠٨، ١٥٣، ١٥٤، ٣٥٠، ٣٥٦ .
- يزيد بن يزيد بن جابر الأزدي: ١٤٥، ١٥٤، ٣٠١ .
- يزيد بن يوسف الصنعاني الدمشقي: ٣٠٢ .
- يعقوب بن ابراهيم، أبو يوسف: ١٨٤ .
- يعقوب بن اسحاق (السكريت): ٢١٧ .
- يعقوب بن اسحاق الكندي: ٢١٨ .
- يعقوب الرهاوي: ٩٤، ٢٤٠ .
- اليعقوبي = أحمد بن اسحاق .
- يوحنا بن ماسويه: ١٧٩ .
- يوسف بن أسباط الزاهد: ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٣٨ .
- يوسف بن رشيد العشي: ٤٥، ٩٢، ٩٩، ١٠٦، ١٢٧، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦ .
- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري: ١٢٧، ١٣٤، ٢٣٢، ٢٨٧، ٥١١ .
- أبو يوسف = يعقوب بن ابراهيم .
- يونس بن ميسرة بن حلبس: ٩٦، ٩٨، ٢٧٢ .
- يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأبطي: ٢٩١ .

- وَهْب بن مُنْبَه الأبنائوي الصنعاني: ٣٣ .
- ي
- ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: ٣٩، ٥٣، ٥٥، ٦٦، ٨١، ٩٦، ١٦٩، ٣١٦، ٤٠١، ٤٠٢، ٥١٦ .
- يحيى بن أنثم بن محمد التميمي: ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤، ٣٧٨ .
- يحيى بن الحارث الذماري: ٢٦٤ .
- يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي: ٢٧٥، ٣٥٦، ٤٥٣ .
- يحيى بن راشد بن مسلم الليثي: ٣٦١ .
- يحيى بن صالح (أبي كثير): ٣٠٣ .
- يحيى بن صالح الوحاظي: ١٩٤، ٣٠٤ .
- يحيى بن عبد الرحمن الكندي: ٢٩٥ .
- يحيى بن معين بن عون: ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٧ .
- يحيى بن أبي منصور المنجم: ١٩٥ .
- يحيى بن يحيى بن قيس الغساني: ١٤٥، ٤٣٠ .
- يزيد بن أحمد بن يزيد السلمي: ٣٠٥ .
- يزيد بن حصن بن نعيم السكوني: ٥٩ .
- يزيد بن حمير: ٣٦٩ .
- يزيد بن السطّ الصنعاني: ٣٠٢ .
- يزيد بن سويد (أبي حبيب): ١٠٢، ١٢٢ .
- يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب الأموي: ٨٣، ٨٥، ١٤٢، ٢٣٥، ٢٦٣، ٢٦٨، ٣٠٨ .
- يزيد بن عبد الرحمن (أبي مالك) الهمداني: ١٤٠، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٠٦، ٣٣٧ .

- Abbott, Nabia:	٢٣٥
- (De) Boer, T.J.	٥١٣، ٢١٨
- Bosworth, C.E.:	٥١٧، ٢٠٢، ١٥٨، ٨٩، ٧٩
- Brockelmann, Carl	، ٢٠٥، ٢٠٤، ١٨٦، ١٧٨، ١٦٥، ٢٤١ ٥١٧، ٥١٢، ٢١١
- Caetani, Leone	٧٦
- Cahen, Claude:	٥١٩، ٥١٧
- Canard, Marius:	٥٤
- Cantineau, Jean:	٥١٧، ٤٠٤، ٤٠٢
- Duby, Georges:	١٣
- Dussaud, René:	٥١٧، ٥٩
- Eche, Youssef, voir:	يوسف بن رشيد المش
- Elisséeff, Nikita:	، ١٩١، ١٧٨، ٨٠، ٤٤، ٤٢، ٤١، ٨، ٧ ٥١٧، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٢
- (Van) Ess, Joseph:	٣٥٢، ٣٤٣، ١٥٦، ٩١
- Ibn al-Faqih al-Hamadani, voir:	أحمد بن محمد بن اسحاق
- Farés, Bishr, voir:	بشر فارس
- Fèvre, Lucien:	١٣
- Gabriele, Francesco:	٥١٨، ٢٣٧، ١٤٣
- Gibb, H.A.R.:	٢٠٤، ٤٠٣، ٣٤، ٣٣، ٣٠
- Goldziher, Ignaz:	٧٦
- Hamidullah, Muhammad:	٥١٨، ٢٣٦، ٢٣٤، ٢٢٤، ٢٢٣
- Heffening:	٣٦، ٢٩
- Honigmann, Ernest:	٥٦
- Hunke, Sigrid:	٥١٦، ٢١٤، ٢٠٩، ١٩٥
- Khuda Bukhsh, salahuddin:	٥١٨
- Lammens, Henri:	٥١٨، ١٢٣، ٥٩، ٥٨
- Laoust, Henri:	٥١٨
- Levi Della vida, Giorgio:	٧٦، ٣٣، ٢٨
- Lewis Bernard:	٥١٨، ١٦٠
- Lichtenstadter, Ilse:	٥١٨، ٢٨، ٢٧

- Madelung, W:	٢٠٤
- Marrou, Henri Irénée:	٥١٩
- Massé Henri:	٥١٨، ٤٠٢
- Massignon, Louis	١٦٦
- Miquel, André:	٥١٩
- Al-Muqaddasi, voir:	محمد بن أحمد بن أبي بكر
- Munir ad-Din, Ahmad:	٥١٩
- Nakosteen, Mehdi:	٥١٩
- Nyberg, H.S.:	١٩٨، ١٥٥
- Pedersen, Johannes:	٣١٤، ٢٢٣
- Rabin, chaim,	٢٣٥
- Raymond, André:	٨
- Ritter, Helmut:	١٩٦
- Robson, James:	٣٤٣، ٢٨٧، ٢٧٧
- Rosenthal, Franz:	٥١٩، ٢٩
- Samaran, Charles:	٥١٩
- Sartan, Georges:	٥١٩، ٢٢٠، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٠، ٢٠٩، ١٩٥
- Sauvaget, Jean:	٥١٩
- Shacht, Joseph:	٢٩٧، ١٨٢
- Shaban, M. A., voir:	محمد عبد الحفي محمد شعبان
- Sourdél, Dominique:	٥١٩، ٢٤٣، ١٨٠، ٥٤
- Sourdél-Ihomine, Janine:	٥١٩، ٢٣٥، ١٨٠
- Starchy, Jean:	٢٣٥
- Tibawi, A.L. voir:	عبد اللطيف طيباوي
- Tritton, A. S.:	٥٢٠، ١١
- Urovoy, Dominique:	٥٢٠
- Watt, Montgomery:	٢١٦
- Welhausen, J.	٥١٥، ٣٤٩، ١٦٠، ١٢٨، ١٢٦، ١١٠، ٧٦
- Zetterstein, K.V.:	١٨٨، ١٨٧، ١٢٠



## فهرست الموضوعات

٥	الإهداء
٧	كلمة اعتراف وتقدير
١١	المقدمة

### القسم الأول: مواد البحث وطريقته

	أولاً: أدب التراجم كمرجع للبحث في الثقافة
٢١	والتربية العربية - الإسلامية
٢١	أ - مكانة أدب التراجم في الكتابات التاريخية العربية
٢٦	ب - منشأ معجم التراجم وتطوره في التأريخ العربي الإسلامي
٢٦	١ - الجاهلية: مرحلة النقل الشفوي
٣٠	٢ - الإسلام: مرحلة التدوين والتصنيف والتأليف
٤٠	ثانياً: المؤلف والمؤلف
٤٠	أ - لمحة تاريخية
٤٤	ب - الوضع الحالي للمرجع
٤٥	١ - المواد المطبوعة
٤٦	٢ - المواد المخطوطة
٥٣	ثالثاً: إطار البحث
٥٣	أ - الإطار الجغرافي
٥٦	ب - الإطار الزمني
٥٧	ج - الإطار البشري

٦٢	رابعاً: طريقة البحث
٦٢	أ- الخطوات التمهيدية
٦٢	ب- وضع دليل لجمع المعلومات
٦٣	١- المعلومات الخاصة
٦٤	٢- المعلومات العامة
٦٥	ج- قراءة المؤلف وكتابة البطاقات
٦٦	د- الترتيب الزمني للتراجم
٦٧	هـ- نقل المعلومات إلى جداول
٧٠	و- علاج المعلومات

### القسم الثاني: دور القائم على السلطة في الثقافة والتربية

٧٥'	تمهيد
٧٩	أولاً: الخلفاء الراشدون
٧٩	أ- فتح الشام والجزيرة
٨٤	ب- علاقات الخلفاء الراشدين بالشام والجزيرة
٨٤	١- عمر بن الخطاب
٨٧	٢- عثمان بن عفان
٨٨	٣- علي بن أبي طالب
٨٩	ثانياً: الخلفاء الأمويون
٩٠	أ- معاوية والسفيانيون
١٠٦	ب- المرروانيون
١٠٦	لمحة عامة
١٠٨	١- عبد الملك بن مروان
١٢٣	٢- الوليد بن عبد الملك

- ١٢٨ - ٣ سليمان بن عبد الملك  
 ١٢٩ - ٤ عمر بن عبد العزيز  
 ١٤٢ - ٥ هشام بن عبد الملك  
 ١٤٨ - ٦ يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد  
 ١٥٣ - ٧ يزيد بن الوليد بن عبد الملك  
 ١٥٦ - ٨ مروان بن محمد

١٥٨ ثالثاً: الخلفاء العباسيون

- ١٥٩ أ- تاريخ الأسرة العباسية وتربية أفرادها  
 ١٦٦ ب- الأوضاع السياسية والثقافية في بداية الخلافة العباسية  
 ١٦٩ ج- علاقة الخلفاء العباسيين بالشام والجزيرة  
 ١٧٠ ١- السفاح  
 ١٧١ ٢- المنصور  
 ١٧٤ ٣- المهدي  
 ١٧٧ ٤- الرشيد  
 ١٨٧ ٥- المأمون  
 ٢٠١ د- الخلافة العباسية بعد المأمون  
 ٢٠١ ١- الظروف السياسية  
 ٢٠٦ ٢- الظروف الثقافية  
 هـ- علاقات الخلفاء العباسيين بعد المأمون، والأمراء  
 الطولونيين، بالشام والجزيرة

٢١١ رابعاً: تعليق وتفسير: النماذج الثقافية التي اهتمت بها

- ٢٢١ القائمون على السلطة  
 ٢٢١ أ- نموذج الرسول والخلفاء الراشدين  
 ٢٣٤ ب- نموذج الجاهلية

ج- نموذج الحكم الذين حكموا المناطق المجاورة للجزيرة

٢٣٩

العربية قبل الفتح الإسلامي

القسم الثالث: الجوانب الكيفية والكمية في التعليم

٢٥١	الجوانب الكيفية
٢٥١	أولاً: أهداف التعليم
٢٥٧	ثانياً: مراحل التعليم
٢٦١ - ٢٥٩	أ- التعليم الابتدائي - الكتابات القرآنية
٢٦٦	ب- الدراسات العليا
٢٦٨	ثالثاً: المواد الدينية
٢٦٨	أ- القرآن
٢٧٧	ب- الحديث
٢٧٨	١- تدوين الحديث
٢٨٠	٢- الصدق في الحديث
٢٨٢	٣- الانتخاب
٢٨٣	٤- الشكل والمضمون
٢٨٥	٥- طرائق التعليم
٢٩٠	٦- مدة الدراسة
٢٩٢	٧- الكتب والمصنفات
٢٩٧	ج- الفقه
٣٠٧	د- القصص والوعظ
٣١٥	هـ- الزهد والتصوف
٣٢٧	رابعاً: العلاقات بين أهل العلم
٣٣١	خامساً: المسائل الاقتصادية
٣٤٢	سادساً: الاتجاهات الفكرية - السنة والبدع

٣٥٧	سابعاً: التبادل الثقافي
٣٥٨	أ- الرحلات في طلب العلم
٣٥٩	١- الرحلة من الشام والجزيرة إلى الأمصار الأخرى
٣٦٣	٢- الرحلة من الأمصار الأخرى إلى الشام والجزيرة
٣٦٨	ب- تنقلات المعلمين
٣٦٨	١- تنقلات معلمي الشام والجزيرة في الأمصار الأخرى
٣٧٣	٢- تنقلات المعلمين من الأمصار الأخرى إلى الشام والجزيرة
٣٨١	الجوانب الكمية
٣٨١	أولاً: المعلومات العامة
٣٨٧	ثانياً: المعلومات التي تتعلق بساكني الشام
٣٨٧	أ- التوزيع الجغرافي
٣٩١	١- دمشق
٣٩٥	- مدينة دمشق
٣٩٨	- أطراف مدينة دمشق (الغوطة والمرج)
٤٠١	- شمال دمشق وشمالها الغربي: الساحل، البقاع، جبل لبنان
	- جنوب دمشق وجنوبها الشرقي: البثنية، حوران،
٤٠٢	الجولان، البلقاء
٤٠٨	٢- حمص
٤١٠	٣- فلسطين
٤١١	٤- الأردن
٤١٣	٥- قنسرين
٤١٤	٦- الجزيرة
٤١٥	٧- الثغور والعواصم
٤٢٤	ب- التوزيع القومي والقبلي
٤٣١	ج- التوزيع حسب الجنس

٤٣٥	د- التوزع حسب المهنة
٤٣٨	هـ- مواد الدراسة والنشاط
٤٤٦ - ٤٤٢	١- الدين والأخلاق - فئات المعلمين
٤٥٤	٢- اللغة العربية وآدابها
٤٥٧	٣- التاريخ
٤٦٠	٤- العلوم البحتة والفروسية والرمي
٤٦١	ثالثاً: المعلومات التي تتعلق بزائري الشام: التوزع الجغرافي
٤٦٤	أ- شبه جزيرة العرب
٤٦٨	ب- العراق
٤٧٠	ج- مصر
٤٧٢	د- المشرق الإسلامي
٤٧٥	هـ- المغرب والأندلس
٤٨٠	رابعاً: الرحلة في طلب العلم
٤٨١	أ- رحلة طلاب الشام إلى الأمصار الأخرى
٤٨٨	ب- رحلة طلاب الأمصار الأخرى إلى الشام
٤٩٤	ج- مقارنة
٤٩٩	الخاتمة
٥١١	المراجع
٥١١	باللغة العربية
٥١٧	باللغة الأجنبية
٥٢١	فهرست الأعلام
٥٤٩	فهرست الموضوعات
٥٥٥	فهرست الجداول الاحصائية
٥٥٧	فهرست الرسوم البيانية
٥٥٩	فهرست الخرائط

## فهرست الجداول الإحصائية

- ٣٨١ - التوزيع الزمني للأعلام خلال القرون الستة الأولى للهجرة
- ٣٨٥ - توزيع الأعلام في القرون الثلاثة الأولى للهجرة حسب صلتهم بالشام
- ٣٨٩ - التوزيع الجغرافي لعلماء الشام
- ٣٩٣ - توزيع العلماء في جند دمشق
- ٣٩٦ - عدد علماء مدينة دمشق ونسبتهم إلى بقية علماء الشام
- ٤٠٠ - توزيع العلماء في أطراف مدينة دمشق
- ٤٠٢ - توزيع العلماء في شمال مدينة دمشق وشمالها الغربي
- ٤٠٥ - توزيع العلماء في جنوب مدينة دمشق وجنوبها الشرقي
- ٤٠٩ - توزيع العلماء في جند حصص
- ٤١٠ - توزيع العلماء في جند فلسطين
- ٤١١ - توزيع العلماء في جند الأردن
- ٤١٣ - توزيع العلماء في جند قنسرين
- ٤١٤ - توزيع العلماء في منطقة الجزيرة
- ٤١٦ - توزيع العلماء في منطقة الثغور والعوامم
- ٤٢٤ - التوزيع القومي لعلماء الشام
- ٤٢٦ - توزيع علماء الشام العرب بين القبائل التي سكنت الشام قبل الفتح وبعده
- ٤٢٨ - توزيع علماء الشام العرب بين القبائل القحطانية والعدنانية
- ٤٣٣ - توزيع علماء الشام حسب الجنس

- ٤٣٦ - ١٩ - الوظائف والمهن التي مارسها علماء الشام
- ٤٣٩ - ٢٠ - المواد الدراسية التي اهتم بها علماء الشام
- ٤٤٣ - ٢١ - الدين والأخلاق
- ٤٤٩ - ٢٢ - فئات المعلمين
- ٤٥٥ - ٢٣ - اللغة والأدب
- ٤٥٨ - ٢٤ - رواية الأخبار والتاريخ
- ٤٦٢ - ٢٥ - التوزيع الجغرافي لزائري الشام
- ٤٦٧ - ٢٦ - التوزيع الجغرافي للقادمين من شبه جزيرة العرب
- ٤٦٩ - ٢٧ - التوزيع الجغرافي للقادمين من العراق
- ٤٧١ - ٢٨ - التوزيع الجغرافي للقادمين من مصر
- ٤٧٤ - ٢٩ - التوزيع الجغرافي للقادمين من المشرق الإسلامي
- ٤٧٦ - ٣٠ - توزيع القادمين من الأندلس وكريت والمغرب
- ٤٨٢ - ٣١ - مكان أو أمكنة دراسة علماء الشام
- ٤٨٣ - ٣٢ - توزيع علماء الشام حسب مكان الدراسة
- ٤٨٦ - ٣٣ - الأمصار العربية والإسلامية التي قصدتها علماء الشام لدراسة العلوم الدينية
- ٤٩٠ - ٣٤ - أغراض زيارة الشام
- ٤٩١ - ٣٥ - توزيع زائري الشام حسب غرض الزيارة
- ٤٩٣ - ٣٦ - الأمصار العربية والإسلامية التي وفد منها طلاب العلم على الشام
- ٤٩٥ - ٣٧ - تطور الرحلات في طلب العلم من الشام وإليها

## فهرست الرسوم البيانية

- ٣٨٣ ١- تطور عدد علماء الشام خلال القرون الستة الأولى للهجرة
- ٣٩٠ ٢- توزيع الأعلام حسب صلتهم بالشام في القرون الثلاثة الأولى للهجرة
- ٣٩٤ ٣- التوزيع الجغرافي لعلماء الشام
- ٣٩٧ ٤- توزيع العلماء في جند دمشق
- ٤٠٦ ٥- نسبة علماء مدينة دمشق إلى بقية علماء الشام
- ٤١٢ ٦- تطور عدد العلماء في أقسام جند دمشق
- ٤١٧ ٧- تطور عدد العلماء في أجناد حمص وفلسطين والأردن
- ٤٢٥ ٨- تطور عدد العلماء في جند قنسرين ومناطق الجزيرة والشفور والمواصم
- ٤٢٧ ٩- التوزيع القومي لعلماء الشام
- ٤٢٩ ١٠- توزيع علماء الشام العرب بين القبائل التي سكنت الشام قبل الفتح وبعده
- ٧٣٤ ١١- توزيع علماء الشام العرب بين القبائل القحطانية والعدنانية
- ٤٣٧ ١٢- توزيع علماء الشام حسب الجنس
- ٤٤٠ ١٣- توزيع علماء الشام حسب المهنة
- ٤٤٤ ١٤- تطور عدد العلماء المهتمين بالمواد الدينية
- ٤٥٠ ١٥- تطور فئات المعلمين المهتمين بالمواد الدينية

- ٤٥٦ - ١٧ - تطور عدد العلماء المهتمين باللغة والأدب
- ٤٥٩ - ١٨ - تطور عدد العلماء المهتمين بالأخبار والتاريخ
- ٤٦٣ - ١٩ - التوزيع الجغرافي لزائري الشام
- ٤٨٤ - ٢٠ - توزيع علماء الشام حسب مكان الدراسة
- ٤٩٢ - ٢١ - توزيع زائري الشام حسب غرض الزيارة
- ٤٩٦ - ٢٢ - تطور الرحلات في طلب العلم من الشام وإليها

## فهرست الخرائط

- ١ - التوزع الجغرافي لعلماء الشام في القرن الأول [ ما عدا  
أطراف مدينة دمشق] ٤١٨
- ٢ - التوزع الجغرافي لعلماء الشام في القرن الثاني [ ما عدا  
أطراف مدينة دمشق] ٤١٩
- ٣ - التوزع الجغرافي لعلماء الشام في القرن الثالث [ ما عدا  
أطراف مدينة دمشق] ٤٢٠
- ٤ - توزع العلماء في أطراف مدينة دمشق في القرن الأول ٤٢١
- ٥ - توزع العلماء في أطراف مدينة دمشق في القرن الثاني ٤٢٢
- ٦ - توزع العلماء في أطراف مدينة دمشق في القرن الثالث ٤٢٣
- ٧ - الانتماء الجغرافي لزوار الشام في القرن الأول ٤٧٧
- ٨ - الانتماء الجغرافي لزوار الشام في القرن الثاني ٤٧٨
- ٩ - الانتماء الجغرافي لزوار الشام في القرن الثالث ٤٧٩

منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)